
يُزف فيزهوفر
فارس القديمة
التاريخ ـ الحضارة ـ العبادات ـ الإدارة
المجتمع ـ الاقتصاد ـ الجيش
ترجمة: محمد جديد

يُزِف فيزهوفر

فارس القديمة

550 ق.م - 650 م

التاريخ، الحضارة، العبادات، الإدارة، المجتمع، الاقتصاد، الجيش

ترجمة: محمد جديد

مراجعة: زياد منى

مراجعة الأسماء الفارسية: د عباس صبّاغ

فارس القديمة (550 ق م - 650 م)
التاريخ، الحضارة، العبادات، الإدارة، المجتمع، الاقتصاد، الجيش

تأليف: يُزِف فيزهوفر
ترجمة: محمد جديد
مراجعة: زياد منى
مراجعة الأسماء الفارسية: د عباس صبّاغ
مصورات الكتاب: من المؤلف

تصميم الغلاف: زياد منى
إخراج: طارق صبح

الطبعة الأولى: أيلول 2009
شركة قدمس للنشر والتوزيع ش م م
شارع الحمرا، بناء رسامني
ص ب 6435/113
بيروت، لبنان
هاتف: 750054 / 01 فاكس 750053 / 01

التوزيع في سوريا: قدمس للنشر والتوزيع
شارع ميسلون، دار المهندسين 0905
ص ب 6177
الفردوس، دمشق، سورية
هاتف: 2229836 / 011 فاكس: 2324472 / 011

الموزعون ولابتياع نسخ إلكترونية وورقية انظر:
http://www.cadmusbooks.net

عدد كلمات الكتاب: 108223 كلمة تقريباً

المحتوى

مقدمة الطبعة العربية 11

مقدمة 15

1) بدايات السيادة الإيرانية في غربي آسيا 23

2) إيران، من قورش حتى أيام الإسكندر الأكبر - حكم الإخمينيين 29

2/ 1) الشواهد 29

2/ 1/ 1) إملاء الملك ومَسْك الدفاتر، كتابة الرسائل وتدوين التاريخ، اللغات ونظم الكتابة، والرواية المكتوبة في دولة الإخمينيين 29

2/ 1/ 2) المثال: ملك يسوغ تصرفاته، التقرير عن الوقائع والنقش البارز لداريوس الأول، على صخرة بِسُتون 36

2/ 1/ 3) بِرسِبولِس: مدينة الملوك، قلب فارس والامبراطورية 46

2/ 1/ 4) بزَرغداي، سُوْسَ ونقش رستم، العملات والخاتم والزينة، مرابع وشواهد أثرية أخرى للفن والثقافة عند الإخمينيين 51

2/ 2) الملك ورعيته 54

2/ 2/ 1) أنا داريوس الامبراطور، ملك الملوك، ملك فارس، ملك البلدان والشعوب، ابن هيستاسبيس وحفيد أرساميس الإخميني ملك في مملكة الإخمينيين 54

2/ 2/ 2) التراتب الطبقي الإثني والتراتيب المتعلقة بالسلالات والأنساب، والتراتب الاجتماعي في فارس الإخمينية 59

2/ 2/ 3) حول تقديم الهدايا إلى الامبراطور: الحاكم يلتقي رعاياه 64

2/ 2/ 4) الملك "الصالح" و"الفاسد": قورش وخركسيس / وخشيارشا 68

2/ 3) الامبراطورية والشعوب والضرائب والرسوم التي تؤدى إلى الملك 83

2/ 3/ 1) يعلن داريوس الملك: بإرادة أهورمزدا، ظفرت بمنصب الملك، وأهورمزدا هو الذ أنعم علي بالامبراطورية، امبراطورية الإخمينيين 83

2/ 3/ 2) البلدان والشعوب والمرزبانيات والمناطق الضريبية: البنية الداخلية لدولة الإخمينيين 87

2/ 3/ 3) الجزية والرسوم والهدايا في امبراطورية الإخمينيين 91

2/ 4) الحياة اليومية في فارس الإخمينية 94

2/ 4/ 1) آرتيستون وآرتافيرنيس وفَرْنَكا (فتيان فَرْنَكا)، رجال في ميدان إدارة فارس واقتصادها 97

2/ 4/ 2) كبار المسؤولين والعاملون في الخدمة والعمال اليدويون، أملاك الدولة ومواقع الفلاحين: الإدارة والاقتصاد في فارس الإخمينية 100

2/ 4/ 3) الطرق والقنوات والمدن والقرى، والسعاة والإشارات بالنار: البنية التحتية وجهاز إبلاغ الأخبار 105

2/ 4/ 4) (ملكات متآمرات) وأمراء أصابهم الخور، حول حجرات الرجال والنساء، ومسألة التربية في إيران الإخمينية، إسهام آخر أيضًا في دراسة "الانحلال" المزعوم في أواخر أيام امبراطورية الفرس 109

2/ 4/ 5) سحر الجيش، والمرتزقة والحاميات في امبراطورية الإخمينيين 120

2/ 4/ 6) أهورمزدا والآلهة الأخرى: الأحوال الدينية في امبراطورية الإخمينيين 126

3) فصل عارض: السيادة المقدونية على إيران 135

4) إيران منذ أرساكس الأول إلى أرتبانُس الرابع، حكم الفرتيين 147

4/ 1) الشواهد 147

4/ 1/ 1) النقوش الكتابية، نصوص مسمارية، الكتّاب اليونانيون والرومان والصينيون، اللغات والنظم الكتابية والروايات المدونة في دولة الأرساكيين 147

4/ 1/ 2) نيسا وبِسُتون وتانغ سرفاك، رهيتا والتماثيل البرونزية: الشواهد الأثرية على العصر الأرساكي من إيران 156

4/ 2) الملك ورعيته 161

4/ 2/ 1) ، المَلَكية في دولة الأرساكيين 161

4/ 2/ 2) الفرتيون والإغريق واليهود: حول العلاقات الاجتماعية في دولة الأرساكيين. 168

4/ 3) المرازبة والتجار والجند والكهنة: الإدارة والاقتصاد والجيش والعبادات في إيران الأرساكية 177

5) إيران من أردشير الأول إلى يزدجرد الثالث - حكم الساسانيين (224 - 651 م) 185

5/ 1) الشواهد 185

5/ 1/ 1) النقوش الكتابية الملكية، الرومانية البيزنطية، والأخبار المدونة عن الإمبراطورية الساسانية، السورية المسيحية، والمانَويّة، والإرمينية والعربية: اللغات، والنظم الكتابية 185

5/ 2/ 2) فيروز آباد، نقش رُستَم، بيشابور وطاق-ي بستان؛ الأواني الفضية، والعملات، والأختام، والمراسيم: شواهد الأثرية وشواهد نمّية من الحقبة الساسانية من إيران 193

5/ 2) الملك ورعاياه 198

5/ 2/ 1) شاهنشاه إيران وخارج إيران، النظام الملكي في امبراطورية الساسانيين 198

5/ 2/ 2) شهردار، فيسبور، فيسبور، فوزورغ، وأزاد، ومنداغ، دوداغ وكاداغ: حول العلاقات الاجتماعية في دولة الساسانيين 204

5/ 3) إيرانشهر: الدولة وسكانها وطراز معيشتها 217

5/ 3/ 1) المملكة وإدارتها، البلاط والرسوم التي تؤدى إلى الملك 217

5/ 3/ 2) الزراعة والعمل اليديوي والتجارة: خوض الحرب وحماية الحدود، الاقتصاد والجيش في إيران الساسانية 227

5/ 3/ 3) الزردشتيون والمانويون والمزدكيون والنصارى واليهود: الطوائف الدينية في الامبراطورية الساسانية 236

5/ 3/ 4) «الملك الحكيم» والمعرفة الأجنبية - الصيد والشطرنج، الثقافة في أواخر الحقبة الساسانية 255

6) تعقيب 261

6) ملاحق 265

جدول زمني للحوادث: 267

إيران في عصر الإخمينيين 267

الحكم المقدوني في إيران 269

إيران في عصر الأرساكيين 270

الأسر الحاكمة والملوك 275

الإخمينيون 275

السلوقيين 276

الأرساكيون 276

حكام خاركين 277

حكام عيلام 278

حكام فارس 279

الساسانيون 279

المراجع 281

ثبت المراجع الصادرة بعد عام 1994 314

الهوامش 317

الفهارس 319

المصورات 325

النقوش الكتابية 359

الخرائط 363

مقدمة الطبعة العربية

قبل ما يقارب خمسة عشر عامًا ظهر هذا الكتاب في طبعته الأولى الألمانية. وقد شهد منذ ذلك الوقت طبعات عدة، وعددًا من الترجمات: إلى الانكليزية، والفارسية والتركية. والآن تتوافر أيضًا ترجمة عربية أُسَر بها على وجه الخصوص. ولأسباب لا تقتصر على مجرد أني أشعر بأني مرتبط بالحضارات العربية، والإسلامية على وجه الخصوص فحسب، بل تتعلق بالمضمون أيضًا، كانت أيضًا وبلا ريب، مدة زمنية متتطاولة، إما جزءًا لا يتجزأ من ممالك الإخمينيين والبارتيين والساسانيين، بل، في حالة بلاد الرافدين، حتى جزءًا من مراكزها؛ أو كانت هذه المجالات على الأقل، وبلا ريب، في حالةٍ من التبادل السياسي والثقافي النشيط مع الأقاليم التي تشكل نواة هذه الامبراطوريات في إيران والعراق. ويضاف الى ذلك شيء آخر: ففي أوربة وأمريكا مازال تاريخ الشرق القديم يفهم من وجوه عدة على أنه نوع مما نسميه "ماقبل التاريخ" قياسًا بتاريخ اليونان وروما، وبالتالي، لتاريخ أوربة اذ تفقد الحضارات الشرقية أهميتها التاريخية في العادة مع دخول الهيلينيين تاريخَ العالم. ولا يستقر، إلا على نحو تدريجي، ذلك الفهم الذي يفيد أن تاريخ اليونان وروما أيضًا لا يُفهَمان حق الفهم من دون النظر بعين الاعتبار الى بيئتهما الشرقية ومؤثراتها في الغرب، وأن حضارات الشرق القديم، فوق ذلك "وفي كل العصور" انما تُؤتى قيمة

حضارية خاصة لم تكن تُقدَر حتى الآن حق التقدير إلا فيما ندر. وبالطبع: فإن بعض خطوط الارتباط وبالتالي خطوط التطور المأخوذة من ممالك الآشوريين والبابليين والإيرانيين والحضارات التي احتضنتها أقاليمهم، تفضي في الحقيقة الى الغرب على نحو مطلق؛ على أن ما هو أوفر عددًا مع ذلك، هو تلك الخطوط التي تظل ضمن إطار هذه الأقاليم أو تفضي الى مسافات أبعدَ بعدُ باتجاه الشرق، وفي هذه الأثناء تتخطى هذه الخطوط، من الوجهة المكانية والزمانية على السواء، حدودًا أخرى غير تلك التي ألفناها في أوربة: وعلى هذا يكون تاريخ الشرق القديم أول الأمر هو ما نسميه "ماقبل التاريخ" من منظور الشرق الأدنى الإسلامي، حتى عندما قطع التقسيم المألوف حتى اليوم لتاريخ الشرق، الى ما يسمونه تاريخ الشرق القديم والتاريخ الذي "يرعاه" مؤرخو العصر القديم على أنه تاريخ امبراطوريات ماقبل الإسلام المتأخرة، وهي امبراطوريات الإخمينيين والسلوقيين، والأرساكيين والساسانيين، ذلك الارتباط المبني على المفاهيم، والذي بات مقنعًا من الوجهة الجغرافية، بين التاريخين، تاريخ الشرق القديم والتاريخ الإسلامي.

ويضاف الى ذلك شيء آخر بعد: فنحن ندين لجهات ليس آخرها الرواية العربية الاسلامية، ونذكر هنا كتب مثل الطبري أو المسعودي، بأن التاريخ الأسطوري والتاريخ المبني على علم التاريخ، وأعني تاريخ الملوك والأبطال الإيرانيين، كما أعني أيضًا المنجزات الثقافية وخدمات الوساطة التي ظلت باقية لرعاياها ذوي الأصول المتباينة إلى أقصى الحدود، سواء أكان ذلك في الإهاب التاريخي الأصيل، أم كان في الإهاب الأدبي، أم في الإهاب ذي الصبغة الخاصة بآلام المسيح وخلاصه. وأخيرًا: فهذا الكتاب يرسم لنفسه أيضًا الهدف المتمثل بالتذكير بالإنجازات الحضارية الكبرى للشرق، والذي تهيمن عليه السمة الفارسية أو الفرتية أو الساسانية، على أساس تقويم جديد للرواية والمتمثل في الوقت نفسه، في التحذير من استخدام التاريخ من أجل أهداف تسويغية مفرطة في الانكشاف. ولعل مما يمتنع من تلقاء ذاته، في ظل عملية الرجوع الى العصر القديم، مثلاً، المصادرة الخاصة بتفوق حضارة معينة على الحضارات أخرى؛ مثل تفوق الحضارة الإيرانية على الحضارة العربية، أو النقيض بالنقيض، والدفاع عن عداء يقال إنه يماثل القانون الطبيعي بين العرب والإيرانيين، وبين العرب واليونان. ومن نبوخذنصر، وقورش الكبير، والإسكندر أو كسرى أنو شروان، وهو كسرى العادل الذي يرد في الرواية الإسلامية، لا يفضي طريق مباشر، بل لا يفضي إلا طريق ملتوٍ الى أقصى الحدود، الى عصرنا الحاضر.

وأنا شاكر ممتن لكل أولئك الذين أسهموا في نشوء هذه الترجمة وآمل أن يتمكن هذا الكتاب من أن يزيد كثيرًا من البشر الناطقين بالعربية قربًا من تاريخ الشرق

الأدنى القديم، منذ أيام قورش الأكبر الى نهاية امبراطورية الساسانيين. وسوف يسرني كثيرًا أن أتلقى حوافز ونقدًا من جانبكم.

يُزِف فيزهوفر
كِيل (ألمانيا)، في أيلول 2009

مقدمة

وعندما نتوجه الآن نحو شعب مسالم، مهذب، هو شعب الفرس، لا يكون لنا بُدٌّ، مادامت آدابهم هي التي حَفَزَت إلى مثل هذه الدراسة في الحقيقة، من أن نرجع بنظرتنا إلى أَبْكَر الحِقب، لكَيْ تغدوَ الأحدث منها، من جراء ذلك، مفهومة إلينا. على أنَّ ما يظل لافِتًا للنظر دائمًا، بما يتعلق بالمؤرخين، أنه مهما يَغْزُ الأعداءُ بلدًا من البلدان، ويستعبدوه، بل يبيدوه، تظل هناك، مع ذلك نواة معينة، من الأمة باقيةً في شخصيته، وقبل أن يلاحظ المرء ذلك، تعود إلى الظهور من جديد ظاهرة الشعب أو القومية المعروفة منذ العصر القديم.

وبهذا المعنى قد يكون من المُسْتَحَب أن نسمع عن أقدم قدماء الفرس، وأن تُقْدِم على خطوة تكون بذلك، ومن باب أولى، أكثر ثقة وحرية، تصل حتى إلى يومنا هذا، على وجه السرعة ‹غوته، ملاحظات ومقالات من أجل فهم أفضل للديوان الشرقيّ للمؤلف الغربي 1819›.

أنا أعمى، غير أني لست بالأَصَمّ، وقد كان هذا النقص في سعادتي هو الذي أرغمني بالأمس على أن أصغي ست ساعات تقريبًا إلى رجل سمّى نفسه مؤرخًا، وكانت تفصيلاته عن "الحروب الفارسية" (كما يحلو للأثينيين أن يسموّها) عبثًا

وحيدًا، يشيب له الولْدان. ولو أني كنت أحدث سِنًا، وكنت أنتمي إلى فئة ذوي المقام الرفيع، إذًا لنهضتُ عن مقعدي في الأوديون، وجعلت أسائله وأستجوبه، فأسبِّب بذلك شعورًا بالصدمة في أثينا بأسرها.

ذلك لأني أعرف أصول الحروب الإغريقية، أمّا هو، في مقابل ذلك، فلا يعرف أصولها وأنّى يكون ذلك أيضًا؟. ومِنْ أين يكون لإغريقيٍّ أن يعرف؟. لقد أنفقت الجزء الأكبر من حياتي في بلاط فارس، والآن أيضًا، في عامِيَ الخامس والسبعين، أخدم الملك الكبير، مثلما كنت أخدم والده من قبل، صديقي المحبوب أخشورش ومثلما خدمت من قبلُ أيضًا أباه، وهو بطل، كان الإغريقَ أنفسهم يسمونه داريوس الكبير ‹المبعوث الفارسيّ سيروس سبيتاما في أثينا بركليس، في ج فيدال، الإبداع، 1981›.

وحتى عندما يقرر المرء أشكال استمرارية التاريخ والحضارة الفارسيَّتين على صور أخرى غير تلك التي تصوَّرها غوته، وحتى عندما يجد سبيتاماس أنَّ نقد النظرة الهِرُدُتيّة إلى حروب الفرس ربما كان مفهومًا، غير أنه مُغَلَّف، مُغَشّ، فإن كلا الشاهدَيْن يوضحان بلا ريب، الدوافع الأساس لدى مؤلف هذا الكتاب عن الفرس، إنها تقديم صورة إجمالية تقوم على أساس صلب للحضارة الإيرانية قبل الإسلام، وفي الوقت ذاته، وحيثما أمكن ذلك، إتاحة الفرصة لإيران لكي يأتي دورها للكلام، من خلال شواهدها ذاتها، وبالتالي، في "الصورة".

على أن موعد هذا النشر لم يجر اختياره من دون سبب: والحق أن فارس القديمة فتنت الأوربيين مثلما فتنت الإيرانيين في كل العصور، ومع ذلك فقد لقيت في العقود الأخيرة اهتمامًا آخذًا في الازدياد. لقد أدرك الناس في أوربة أن حضارتنا الغربية ليست إلاّ حضارة بين حضارات أخرى، في عالم مقيَّد بكثير من المشكلات المشتركة، ولاسيما الثقافية. والحق أنه كان ناجحًا في المضمار الاقتصادي والسياسي على وجه الخصوص، وكان قادرًا على التكيُّف مع الظروف إلى حد يبعث على الدهشة، غير أنه لم يكن "أنموذجيًا" في كل شيء. وذلك أنّ محاولة التحرر من النظرة الأوربية حَصْرًا إلى الأشياء، ومحاولة الأوربيين أن يشقوا لأنفسهم، من الوجهة الفكرية، طريقًا، أو مدخلاً جديدًا أيضًا إلى الحضارات الأجنبيّة، جرفت معها في هذه الأثناء، تاريخ الحضارات القديمة، مثل حضارة فارس القديمة.

ففي إيران انتهت المسألة، من جديد، ولاسيما في المجال الزمنيّ الواقع بين عامي 1935 و1942، إلى تقرير جديد للفكرة التي بلغت ذروتها بمعنى «الاستمرارية التي تتخطى عصور التاريخ، في الفكر الإيرانيّ والوجود الإيرانيّ» ‹Fragrer›، والتي

تمثّلت، مثلاً، في الصيغة التي نادت بها الأسرة الحاكمة البهلويّة، والخاصة بتاريخ اتصلت حلقاته على مدى ألفين وخمسين عامًا، من حكم ملوك الإيرانيين، أو ابتداع اللقب التاريخي (شاهنشاه آريامِهْر/ ملك الملوك، نور الآريين). ثم إن تنمية الدراسات الإيرانية القديمة على وجه الخصوص، التي كانت تُمارَس حتى السبعينات من قبل الشاه بمعونة الغرب، كانت لها في هذه الأثناء ردّات فعل أحدثت آثارها في أوربة وفي شمالي أمريكا، إذ كان يُزاد في عرائس الشعر والإهاته، التي كانت تخرج إلى النور من خلال عمليات التنقيب عن كنوز الحضارة الإيرانية وتكشف عنها، وكانت تجتذب بذلك جمهورًا عريضًا، وكان عِلم إيران القديمة يلقى دوافع جديدة. على أن الدعوة إلى استمراريّات "منحرفة" أو خاطئة، عرّضت للخطر، من ناحية أخرى، في إيران مابعد الثورة، الاشتغال بحقبة ماقبل الإسلام في التاريخ والحضارة الإيرانيَّتَيْن، إذْ ما عادت هاتان الآن يُسْأَل عنهما بعدُ، في غمرة الاتجاه المعاكس.

ومع ذلك فهذا لا يغيِّر شيئًا من حقيقة وجود مجالات من الثقافة الإيرانية والحياة الاجتماعية الإيرانية لا يمكن فهمها من دون فهم جذورها، وهذا يعني فهم تقاليدها التي تمتدُّ لتبلغ الحقبة السابقة على الإسلام: وسيكون من الواجب، مثلاً، التفكير في المضمار اللغوي ومضمار الأدب، وفي التصورات الإيرانية التي تقبَّلها الإسلام، وفي دور الأقليات الدينية «مثل الزردشتيين أو النصارى، أو اليهود، أو المعمدانيين الوثنيّين» ‹Mandäer› في استمرارية العنصر البدوي في المجتمع الإيراني، والتقاليد الخاصة بالجغرافية الثقافية والتطوُّرات "بنية الاستيطان والبنية التحتية، وجهاز الريّ، واستغلال الأرض" وجوانب أخرى كثيرة.

وبالنسبة للأوربيين المهتمّين بعلم التاريخ القديم، يتقدَّم الاشتغال بإيران القديمة لتفادي خطر هيلاس وتمركُز نظرة الرومان، بصورة جزئية، في أنموذج القِيَم المؤسّس منذ العصر القديم، الذي مازال يُحْدِث آثاره حتى في عصرنا، وفي علم أنماط الشعوب، وللتغلُّب على الأحكام المسبقة، وللخروج بـ"النظرة الصحيحة إلى الأنواع الخصوصية" لِما يسمى "الغريب، أو الأجنبيّ، وغير المألوف". أمّا الإيرانيّون فقد كان من الممكن، عن طريق المعرفة بأشكال الاستمرارية التاريخية والثقافية، وأشكال انتهاك حرمة التقاليد، وكذلك من خلال الاشتغال النزيه وغير المنحاز بحضارات إيران القديمة وبالحقبة السابقة على الإسلام في بلادهم، أن يتجلّى هذا في صورة ما كان يفترَض أن يكونه العالم الإغريقي-الروماني، وبالقياس إلى كثير من الأوربيين: أي: في صورة هذا الذي يعدُّ، بنظرهم "الغريب الأول" ‹M. Holcher›، في قربه المتوهم أو الفعليّ، من ناحية أولى، وفي اختلافه النوعيّ وفي كونه مجلوبًا، دخيلاً، من ناحية أخرى، وأن تُقَدَّم "إيران القديمة" للإيرانيين، مثلما تقدِّم للأوربيين، مادة كافية للمناقشة الفكرية وربما كان في وسعها أن تُسْهِم، عن هذا

الطريق، في فهم أفضل للحضارتين اللتَيْن تُعَدُّ كلٌّ منهما حضارة خاصة مثلما تُعَدُّ الحضارة الأجنبيّة.

وفي وسعنا أن نسائل أنفسنا لماذا كان عنوان الكتاب ‹فارس القديمة›، ولكن كان الحديث يجري حتى الآن، في الأغلب، عن إيران القديمة، وكلتا التسميتَيْن، لها تاريخها وبالتالي، لهما، أيضًا، ما يسوغهما، فمن الواجب أن نقرِّر، من الوجهة التاريخيّة أن التسمية "إيران" تطوَّرت من المفهوم الساسساني (إيرانشهر/ بلاد الآريين)، وكان أوائل الساسانيين قد ابتدعوا هذا المفهوم السياسيّ في القرن الثالث ميلادي، لأنهم كانوا يرون أن عليهم أن يعرضوا أنفسهم للناس، من أجل تسويغ سلطانهم، في صورة وريث الامبراطورية الإيرانية السالفة التي أفل نجمها منذ عهد بعيد "امبراطورية الإخمينيين"، مثلما كانوا يرون أنهم وَرَثة الملوك الأسطوريين الإيرانيين الأوائل، ويرون في أنفسهم أيضًا أتباع العقيدة الزردشتية التي تضرب بجذورها في إيران "أنظر ما يلي". وهذا ما تكمن في تضمُّناته الإثنية والدينيّة كلمة (آريا/ ariya) التي تكمن في أساس الكلمة الفارسية العائدة إلى العصر الوسيط كما سوف نرى، في حقبة الإخمينيين "وإلى ما هو أبعد أيضًا". ويؤكد داريوس كِسرى، في نقوشهما الكتابيّة، لا على أصلهما "الآري" فحسب، بل يتحدثان عن "أهورمزدا" أيضًا، على أنه "إله الآريين" ويَعُدان لغتهما وشكلها الكتابيّ "أو أبجديتها"، "آرية". وبينما كانا لايزالان، بالطبع، يؤكدان المكوِّنات "الفارسية" لسيادتهما، أي: الانتماء إلى "قبائل الفرس" وليس إلى الميديين بعدُ، مثلاً، أو البكتريين، أو إلى الشعوب الأخرى الناطقة باللغات الإيرانية، أو إلى الأصل الصادر عن الجنوب الغربي، من إيران الحالية التي نقلا إليها اسمها الفارسي القديم، بارسا، وباليونانية برزس، بدرجة أقوى من تأكيدهما الأصل "الآريّ"، وينشئ الساسانيّون، بالتصوُّر الخاص بإيرانشهر، بحكم كونها موطنًا سياسيًا، حضاريًا، دينيًا، لكل القاطنين هناك. وبترسيخ هذه الفكرة في عصر واقع في الخلف منهما إلى مدى بعيد، "هوية جديدة"، لهما ولرعاياهما. فأما أولئك القراء الذين مازالوا يذكرون جيدًا تزييف مفهوم الآريين والانحطاط به إلى مفهوم في "علم الأعراق"، وتأويل "الآريّ" بأنه "الألمانية وقرابة النوع المبنيّة على الدم"، فلنبعث في ذاكرتهم أنّ "الآريّ" وحده إنما كان يجد تسويغه بصفته مصطلحًا في علم اللغات، يُتَّخذ للدلالة على ما هو "هندو-إيرانيّ" وللإشارة إلى القسم الشرقي من أسرة اللغات، ومازال يفترض حتى اليوم أيضًا أن لا يستعمل إلا بهذا المعنى.

وليس ما يبعث على العجب أن المفهوم السياسي "إيران" تلاشى أيضًا مع انهيار دولة الساسانيين، على أن الجغرافيين والمؤرخين الإسلاميين "ومعهم، مثلاً، أيضًا، كاتب الملاحم الإسلاميّ الإيراني الكبير، الفردَوْسيّ، لا يستخدمونه إلاّ في صورة

الإشارة التاريخية إلى الدولة الساسانية. لقد استطاع القوم أن يبيّنوا أن الإكسانة الجزئية (xanat) المغولية، العائدة للإكسانيين (xane)، كانت أوّل من أعاد التسمية الرسمية "إيران"، وأن تصوُّرها السياسي لإيران "وعاصمتها تبريز" ظلت حاسمة تلقى القبول في مواجهة الحدود الشمالية الشرقية لما وراء النهر (Transaxonien) ولبثت ترسم خطوط تقاليد محدَّدة، إدارية-مالية، وأمورًا كثيرة غيرها حتى القرن التاسع عشر. وفي مقابل ذلك، ظل الرمز الرسمي الدالّ على الدولة يستعمَل على مدى القرون، وهو اسم "فارس"، ولم يحلَّ محله اسم "إيران" إلاّ في عام 1934.

على أن الصورة الإجمالية التي عرضناها لـ"فارس القديمة" تكمن في أساس مفهوم فارس الشامل، ومع ذلك فهي لا تحيله إلى أراضي الدولة القومية الحالية وحدها، بل إلى امبراطوريات الإخمينيين، والفرتيين، والساسانيين. مع ذلك فبعض هذه البقاع تشكل اليوم أجزاء من أقاليم دولة أفغانستان وباكستان وتركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان. ومِنْ ذلك أن أعدادًا لها شأنها من البكتريين الذين كانو في دولة الإخمينيين "هم اليوم في أفغانستان، وأن منطقة الدولة الأولى العائدة للأرزاكيين في فرتيا هي اليوم في تركمانستان، أو أراخوسيا ذات الأهمية البالغة لتاريخ الزردشتية "وهي اليوم في أفغانستان أيضًا". ومن أجل فهم خصوصيات الحضارات الإيرانية القديمة، تعدُّ العلاقة بهذه المناطق وتقويم أولئك الذين استوطنوا هناك، ولاسيما أهل البحث في الآثار، أمرًا لا سبيل إلى التخلّي عنه.

وعلى النقيض من معظم العروض الوجيزة التي تمَّ تقديمها حتى الآن، للتاريخ والحضارة الإيرانيّيْن، اللتين يجري تصوُّرهما بأسلوب يجمع بين الترتيب الزمني وتاريخ الأحداث، يفترض أن يجرؤ المرء على محاولة هي أقرب إلى التحليل المنهجي، ويفترض أن يتولى الكتاب طرح الأسئلة، وتقديم مناهج وخطوات إلى المعرفة، ويعالجها، وأعني على وجه الخصوص تلك الخطوات التي كانت تطبع بطابعها، في الآونة الأخيرة الأبحاث الخاصة بإيران القديمة، حيث تمَّ التخلّي عن كثير من التصوُّرات التي ظفرت بهوىً في نفوسنا، أو لم يكن بُدّ من إضفاء صفة النسبية عليها.

على أن الكتاب يودُّ آخر الأمر أن يخاطب دائرة واسعة من القراء، وأنا أفكّر قبل كل شيء في جمهور مثقف ثقافة "كلاسيكية"، غير أني أفكر أيضًا في زملاء يودون أن يتيحوا لأنفسهم نظرة عامة شاملة على اتجاهات البحث الجديدة، وأشكال طرح الأسئلة في إطار البحث، ونتائج هذا البحث. وحين يلجأ، فوق ذلك، بعدُ أيضًا، قرّاء آخرون، ليس لديهم إلاّ قليل من المعلومات السابقة، بدافع الاهتمام بحضارات الشرق القديم، إلى هذا الكتاب، ويظنون بعد قراءته، أنهم قرأوه وقد

كسبوا وظفروا، فقد تمّ بلوغ هدف النشر على النحو الأوفى. على أن القيمة التي يجري تعليقها على التقليد القديم والتجريدية ربما كان لها وقعُ المفاجأة. ومع ذلك فالمؤلف على يقين من أن اختلاف هذه الحضارة لا تتهيّأ إحاطةُ البصر به إلاّ على هذا النحو، وأنه لا يمكن تجنُّب هذا إلاّ على هذا النحو، وأن إيران القديمة، يمكن الإحاطة بها وتأويلها بالمقولات الغربية الأوروبية، وبالتصوُّرات الأجنبية بدلاً من التصورات الخاصة.

أمّا ما يتصل ببنيان الكتاب: فإن حقيقة أنّ هناك، إلى جانب النقوش الكتابية والآثار، مكتشفات جديدة حرصت، من وجوه متعددة، وقبل كل شيء، على تقويم جديد وتأويل جديد للروايات التي باتت معروفة، وعلى خطوات من التقدم في طريق المعرفة، حملت الكاتب على أن يقدِّم بين يدَيْ كل فصل من الفصول التمهيدية، المرتَّبة ترتيبًا زمنيًا، نظرة عامة شاملة إلى الشواهد ذات العلاقة في كل مرة، منذ البداية. وقد حدث هذا أيضًا لأن كثيرًا من القراء يألفون الرواية الإغريقية الرومانية ألفة حسنةً حقًا، على أنهم يألفون الوطنيّ المحلّي، وفي مقابل ذلك لا يألفون في اللغات والكتابات ما يأتي أجنبيًا غريبًا إلاّ بقدْرٍ محدد. على أن استهداء فصول الكتاب بالأسر الحاكمة الإيرانية الثلاث الكبرى. أُسَر الإخمينيين، والأرساكيين "الفرتيين" والساسانيين، مع الفصل العارض القصير، فصل السيطرة المقدونية على إيران، يبسط، من بعد ذلك، في كل مرة، فصلاً في إيديولوجية الملك والمملكة، وبالتالي، في العلاقة بين الملك ورعاياه "وبالتالي، أيضًا، في البنية الاجتماعية للمناطق الإيرانية في ممالكهم". وتضاف إلى ذلك فقرات في الإدارة والوضع الاقتصادي، وكذلك في الأحوال الدينية في كل حقبة من هذه الحِقَب. ثم إن قسمًا خصوصيًا يُكَرَّس لما يمكن أن يشار إليه باسم "الحياة اليدوية"، وهو يتضمن مثلاً، ملاحظاتٍ في حساب الوقت والتقويم، وفي نظام الجيش، وتنظيم العمل، غير أنه يتضمَّن أيضًا، على قدر الإمكان، حديثًا في أوضاع الأسر، وفي العلاقات الجنسية. أمّا خاتمة الكتاب فيفتَرَض أن يُشَكِّلها فصل مستقل في "الحياة اللاحقة" لإيران القديمة، أي: في المعرفة المحلية والأوروبية بإيران القديمة، قبل اكتشافها من جديد على أيدي الرحّالة في مطلع العصر الحديث، وفي روايات الرحالة أنفسهم، وفي تاريخ النظم العلمية المرتبط بإيران.

وعلى الرغم من أنه يتمّ، في النص، بدافع الأسباب التي أتينا على ذكرها آنفًا، التخلّي، عن قصد، عن إلقاء نظرة تاريخية عامة شاملة، يفترض في لوحة زمنية مفصَّلة، أن تُسَهِّل تجميعًا لتواريخ حكم الملوك، كما يمكن أن يُسَهِّل فهرست للمختصرات وفهرست لاستعمال الكتاب، هذا الاستعمال.

وسوف يتمكن القارئ، لدى دراسة الجزء التعليقيّ والببليوغرافي من الدراسة،

من دون صعوبة، من إدراك أن الكاتب يدين بالشكر الجزيل لبعض الزملاء ولبعض الزميلات، وأن كثيرًا من إسهاماتهم طبع بطابعه، بقدر لا يُسْتَهان به، وجهات نظر الكاتب وأطروحات الكتاب. وعلى وجه الخصوص تمامًا ينطبق مثل هذا الإقرار على المشاركين النظاميين في (ورشات عمل التاريخ الإخميني/ Achmaednid History Workshops)" في غرونِنغِن /لندن/ آن آربور، أنظر المجلدات الخاصة بالاجتماعات (Ach-Hist I-VIII)، ولاسيما ب برايانت، ب كالماير، إ كوهْرْت، د ميتسْكر، م ك روت، وهـ سانسيزي فير دِنبورغ). ولكن هناك، مثلاً، أيضًا، ف جينيو، ر شميت و: و سوندرمن في مضمار الفيلولوجيا الإيرانية، ج غنولي وج كيلينز عن تاريخ الديانة الإيرانية، و: ر بوشارلات، ج ف سال عن آثار غربي آسيا، و: ي دابروفا، ر ديسكات، ي كيتنهوفن، د م ليويس، س شيرون- وايت، وش: توبلِن عن التاريخ القديم.

ومن أجل المعونة في وضع الخرائط أدين بالشكر للسادة أ هافنر، أ كوهْرْت و: أ لينك لمساندتهم إيّاي في اختيار اللوحات وإنجازها، والنِسَخ العائدة إلى ب كالماير، ب غرونيفالد و: أغيبهارد. ولولا معرفة ولدي توماس بالحاسوب لما اكتمل هذا الكتاب أبدًا.

أهدي هذا الكتاب إلى فريتس غيشنِتْسَر الذي كان الاشتغال بفارس القديمة، على الدوام، همّه الأول، الخصوصي، والذي يرى المؤلف نفسه ملتزمًا بالشكر الجزيل له. من الوجهة الفنية والإنسانية على السواء.

1] بدايات السيادة الإيرانية في غربي آسيا

كيف انتهت الأمور إلى أن تتمكن، في القرن السادس قبل الميلاد، أسرة حاكمة فارسية، من أن تؤسس امبراطورية على أرض غربي آسيا القديمة، امتدت من نهر السند في الشرق إلى مصر في الغرب، وأصبحت أنموذجًا يحتذى به للأسر الحاكمة الإيرانية اللاحقة؟. ومنذ القرن التاسع قبل الميلاد تقدم لنا الشواهد الآشورية أسماءً إيرانية للقبائل والأمكنة في الأراضي التي تحدُّ مملكتهم من الشرق، وفيها أيضًا اسم (الميديين/ Meder) الذين تمَّ على ما يبدو، إخضاع "قبائلهم" التي لم يكن يربط بينها من الناحية السياسية إلاَّ تحالف واهٍ في الحقيقة، على يد الآشوريين في الحقبة اللاحقة، ولكن لم يكن من الممكن أن تتمّ السيطرة الفعلية إلاّ على أجزاء منهم. وفي نهاية القرن السابع لم يكن الميديون بعدئذ حتى قادرين على توجيه ضربة مضادة، إذ يتوجهون نحو بلاد شرقيّ الدجلة، ويغزون آشور عام 614 ق م كما يغزون، متحالفين مع البابليين، نينوى عام 612 ق م ويوسّعون مملكتهم في الحقبة اللاحقة باتجاه الغرب على حساب السكيثين (Skythen)، والمانّائيين (Mannäer) ومملكة الليديين (Lyder). وتتمثّل الحدود المشتركة بين الليديين والميديين منذ عام

(585 ق م) في الهاليس في شرقي الأناضولِ. وبالنظر إلى النقص في الرواية المدوّنة الخاصّة، وعلى أساس المكتشفات الأثرية غير المؤكّدة، تظل "الصورة" الإقليمية والسياسية والاجتماعية والحضارية "للدولة" الميدية غير واضحة حتى اليوم.

وفي العام الثالث أو السادس من حكم الملك نبونيد 53/554 أو 49/550 ق م، كما تحدثنا المصادر البابلية، بعثر كيروس الأَنشانيّ (من مدينة اشنان = تل-ي مليان، قرب مدينة شيراز)، وهو أمير "يدور في فلك الميديين"، جموع قوات الأخيرين، وكان من الواضح للعيان أن أجزاءًا كبيرة منهم انضمت إليه، وأتيح للمنتصر على أثر ذلك أن يأسر "ملك الميديين" أستياجيس، وأن يستولي على حاضرة ملكه إكباتانا/ همدان، وأن ينهب بيت المال وأن ينقل الغنيمة إلى أنشان. وأنشان هي التسمية الشرقية القديمة لمركز الجزء الشرقي للدولة العيلامية في جنوب غربيّ الهضبة الإيرانية، وبالتالي فهي تقع في منطقة تُعَدُّ، في أجزاء كبيرة منها، على الأقل، متطابقة في الشكل والحجم، مع المنطقة التي يحتفظ بها الفرس فيما بعد ويطلقون عليها اسمهم، فيسمّونها بارسا (Parsa)، وفي اليونانية (Persis). وبالانطلاق من هنا شرع كِسرى، بموجب ذلك، في النضال ضد أستياجيس. والحق أن المصادر الآشورية تشهد، منذ القرن التاسع على دخول دفعات الجزية من شعوب بلاد بارسوا "Pars(u)a"، بين أراضي الميديين والمانّيين، في شمال غربي إيران. وما من شك في أن مسألة أَنَّ هذا يمتُّ بصلة إلى بلد الأصل اللاحق، أي: بلاد الفرس في الجنوب الغربي، وأن الفرس "غيّروا"، بناءًا على ذلك، في أثناء ترحالهم، نحو الجنوب، مواقع سُكناهم وأسماءها، مثلما كان الناس فيما مضى يفترضون ذلك على الدوام، باتت في هذه الأثناء تتعرَّض للتشكيك فيها بغير وجه حق، بلا شك. ولكن من الثابت أن فارس كانت تظل خاضعة، إلى حين، لسيادة عيلام، ولم يكن لها بُدٌّ أن تستبدل هذه السياسة، حينًا من الزمن، بعد انهيار الدولة العيلامية في مواجهة آشور عام 639 ق م بسيادة كهذه، للميديين، ودام هذا إلى أن يعكس كِسرى، بانتصاره على أستياجيس، علاقة الهيمنة والتسلُّط.

ويتولى ملك الفرس فيما يلي، بصفته خليفة لملوك الميديين، توسيع حدود مملكته نحو الغرب. ففي عام (547 ق م) يصيب نجاحًا في الاستيلاء على مقر الملك الليدي، ساردايْز، حيث يُفْتَرَض أن تندرت المسرحية المؤثِّرة الخاصة بأَسْرِ ملك الليديين، كرويزوس، والعفو عنه، في رواية هِرُدت. وفي الحقبة التالية تدخل أيضًا مدن الإغريق الواقعة على الساحل، وأراض أخرى، في آسيا الصغرى، في إطار السيادة الفارسية. أمّا أنّ قورش كان أخضع، على أثَر الحملة الغربية، أول الأمر، سورية وفلسطين، أو توجَّه على الفور، نحو شرقيّ إيران، فذلك ما تجري مناقشته، مناقشة حادَّة. وأمّا التاريخ السابق، السياسي، للمناطق الواقعة في

الشرق، وطريقة ضمّها وأسلوبه، فذلك ما لا يكاد المرء يستطيع أن يثير في وجهه ما هو أكثر من التكهّنات والظنون. وفي عام 539 ق م تسقط المناطق (الباقية؟) من الدولة البابلية الجديدة، بعد فترة قصيرة من المقاومة، في الأيدي الفارسية، بل يتم تسليم "العاصمة"، بابل، لقورش حتى من دون قتال بفضل معونة الأوساط البابلية ذات النفوذ التي كانت ناقمة على الملك نبونيد. وبعد تسع سنين يسقط قورش، كما تفيد رواية هِردُت، في أثناء محاولته توسيع حدود المملكة في الشرق عبر نهر الأُكسُس/ آمو داريا.

ثم يصيب ولده، قمبيز، نجاحًا في إخضاع مصر، عام 525 ق م، ويوعِز بتتويجه هناك فِرعَوْنًا لمصر العليا والسفلى. ولا يتداخل هذا الجهود إلاّ تداخلاً محدودًا مع كهنة معابد معينة لم يكن لهم بُدٌّ من أن يعانوا، في الطور الأول من الاحتلال الفارسي، حملات النهب "والحَدِّ من الامتيازات؟"، إذ كان يجري، في أوساطهم أيضًا، الترويج لصورة قمبيز، المريض المجنون، وهي الصورة التي يرسمها هِردُت فيما بعد بأسلوب تجسيديّ للغاية. وما من شك في وجود أشكال من التوتّر أيضًا بين الملك وأرستقراطية الدولة الفارسية، حيث تصيب خلال ذلك، ثورة الساحر الميديّ الوصيّ على الدولة"، غاوْماتا، في الأقاليم التي تشكل نواة البلاد، الملكَ والنبلاء على السواء، وهما على غير استعداد لها البتَّة. ومع الإجراءات الشعبية، كالتخليص المؤقت من الخدمة العسكرية ومن دفع الضرائب والرسوم، وفي المجابهة الصريحة مع النبلاء القبليين يجد الغاصب مساندة عريضة لدى الرعية، إلى أن تتمَّ إزاحته من الطريق، عن طريق انقلاب دبَّرته مجموعة ارستقراطية صغيرة متآمرة. وكان قمبيز قد مات في طريق عودته من مصر، ويَتِمّ، على يد المتآمرين تعيين داريوس، الذي يَعُدُّ نفسه من عائلة قورش، ملكًا مقابل منح الامتيازات لمساعديه الذين عيّنوه ملكًا جديدًا. وبعد سحق العديد من الثورات على حكومته الجديدة التي كان من الواضح أن كثر يدركون أنها غاصبة، يصيب داريوس نجاحًا في توطيد دعائم السلام في المملكة، بل حتى في توسيع نطاق أراضيها إلى أن تبلغ وادي نهر السند في الشرق، وتصل إلى ثراقيا ومقدونيا في الغرب. وفي مقابل ذلك يَخفِق الجيش والأسطول عام 490 ق م في حملة تأديبية يشنها على أثينا التي كانت تساند المدن الأيونية في مجهودها الخائب الهادف إلى التحرر من قبضة المملكة. أمّا من حيث السياسة الداخلية فيقوم ملك الإخمينيين، الأكثر شهرة بلا ريب، بإصلاحات إدارية ومالية وعسكرية يُفْتَرَض تَهَب للدولة الاستقرار وتثبت حُسْنَ بلائها في أيام خلفائه في أثناء تنفيذها في الحياة اليومية المحسُوْس.

أمّا في أجزائها الإيرانية فكانت دولة داريوس تبلغ، من الوجهة الجغرافية والمناخية، من التغايُر والتباين، أن تقسيم هذه الأراضي تبعًا للخصوصيات

اللغوية وللأقاليم، ومن أجل استصلاح الأراضي للزراعة، وإصلاح بنيتها التحتية، والسيطرة السياسية عليها، لا يغدون مفهوماتٍ إلاّ عندما يُدْخِل المرء في حسبانه جغرافية إيران على النحو الذي ينبغي أن يتحقق لها. وقد يستطيع المرء أن يصف منطقة دَوْلة إيران الحالية، من الوجهة الجغرافية بأنها هضبة داخلية تتألف من منخفضات وأحواض جزئية، تُحْدِق بها سلاسل جبال عند حوافِّها. أمّا في الشمال فتشكل هذا الإطار جبال إلبورز، مع جعل ديماڤِند الذي كان فيما سلف بركانيًا، والذي يتاخم بحر قزوين، ومناطق الحوافّ في الشمال الإيراني التي تتواصل وتمتدّ، فوق جبل هندوكوش البالغ ارتفاعه أكثر من سبعة آلاف متر، إلى هضبة بامير، وفي الجبال، في أقاليم لوريستان وخوزستان، وفارس، تصون سلاسل جبال زاغروس التي تمتدَّ، في مسارات عديدة متوازية نحو الجنوب الشرقي (يبلغ ارتفاع بعض أجزائها أكثر من ثلاثة آلاف متر)، إيران من بلاد الرافدين والخليج الفارسي. أمّا إيران الداخلية فتُقْسَم، بسلاسل جبال، مثل الكوهرود، أو الجبال الحدودية، أو بسلاسل الجبال الحدودية التي تمتد عبر شرقي إيران، إلى منخفضات لا منفذ تصريف لها، وأحواض، وفيها توجد صحارى مترامية الأطراف تمتلئ، من جرّاء الأنهار، بأنواع من الطين "الغرين" الذي يحتوي على الملح، وتتحوَّل، في أيام الأمطار إلى مستنقعات مالحة. أمّا الصحراء الشمالية، دشت-ي يكافير فتعد أكبر بحيرة مالحة على وجه الأرض، وحتى بقايا البحيرات المحتوية على الملح، تمثل العلامات المميِّزة لهضبة إيران. وفي الشرق تشكل سلاسل الجبال الممتدَّة من بلوشستان، إلى الشمال، الحدود التي تتحد في جبال هندوكوش.

وأفغانستان، إذا شئنا ذلك، تمثل الاستئناف لهضبة إيران، وهي بلاد تبدو كأنها محورها المركزي. ومع ذلك فمعظم المناطق ترتفع ارتفاعات تراوح بين ستمئة وثلاثة آلاف متر، حيث يستطيع المرء أن يشير إليها بأنها تكاد تكون "دولة ممَرَّ أو معبر" بين منطقة نهر السند وآسيا الوسطى، وبالتالي فهي دولة منخفض نهر آمو داريا. وتجري مياه البلاد، في الشطر الأكبر منها، عبر نهر آمو داريا، إلى بحيرة آرال، وعبر هلمند وهرّوت، إلى بحيرة هلمند الملحية. وأما المساحات الأصغر فلا يتم تصريف مياهها، أو لا يجري تصريف هذه المياه عبر نظام نهر السند، نحو المحيط الهندي.

أمّا ما يتصل بالمناخ، فالمجال الإيراني يجب تمييزه بأنه قارّي، قليل الأمطار "مع فروق كبيرة لا يستهان بها، بين يوم ويوم، وبين فصل وآخر، في أشكال تذبذب درجات الحرارة". وعلى حين يكون موسم المطر هنا في الشتاء، تستقبل الجبال في الشرق، في أيام الأمطار الموسمية الهندية، شيئًا من المطر. وتصبح سلاسل الجبال عند حوافّ بحر قزوين الجبال الوحيدة السالكة، التي تُغَشّيها الأمطار الغزيرة.

وليس ما يبعث على العجب أنّ قلة الأمطار في البلاد التي تطرَّقنا إليها تتجلّى في نوعيّة الغطاء النباتي مثلما تتجلّى في ضرورة الريّ الاصطناعي في معظم المناطق التي تعد صالحة للزراعة على وجه الإطلاق. وتقتصر الأقاليم التي توجد فيها الزراعة والتي تعتمد على الأمطار، على المواقع الموجودة في الحوافّ، وفي الشمال الغربي من البلاد، وعلى بعض المساحات الأصغر في الجنوب، ومن المناطق التي تعد خصبة على وجه الخصوص، في الوقت الحاضر الأراضي الواقعة على ساحل بحر قزوين.

على أنّ مناخ أفغانستان ينطبع بالطابع القاريّ بدرجة أشدّ، مع أمطار ناجمة عن الرياح الغربية في الشتاء والربيع، وقد جعل النقص المزمن في المياه من الريّ الاصطناعيّ شرطًا أوّليًا أساسًا للزراعة في هذه البلاد، وفي هذا الصدد يمكن ملاحظة تقنيات كان يتمّ توارُثها على مدى آلاف السنين.

فعندما تُحْدِث، على سبيل المثال، "بلاد الألف مدينة"، مثلما يسمى ديودور كتيسياس/قطيسياس بلاد بكتريا في شرقيّ إيران، آثارها في نفوس المعاصرين، وعندما يميز مؤرخو الإسكندر فارس بأنها البلاد ذات الخصوبة الفائقة والكثافة السكانية، وعندما تتجلّى للعيون في المكتشفات الأثرية، ألوف الآثار الدالّة على الاستيطان المكثَّف، وعلى الريّ والتدبير الحسن لأمور الزراعة، عند ذلك ينبئ هذا، بالقَدْر ذاته على الأقل، عن ألوان المقدرة والكفاءة التنظيمية عند كبار الملوك الإيرانيين ورعاياهم في مضمار التعامل مع المعطيات الطبيعية للبلاد.

فلنتوجّه الآن نحو تاريخ إيران وحضارتها في عهد قورش وخلفائه، بكل التفصيل، ولنبدأ نظرتنا العامة وتحليلنا بنظرة إلى العادات والتقاليد المتوارثة.

2] إيران من قورش حتى أيام الإسكندر الأكبر - حكم الإخمينيين

2/ 1] الشواهد

2/ 1/ 1] إملاء الملك ومَسْك الدفاتر، كتابة الرسائل وتدوين التاريخ، اللغات ونظم الكتابة، والرواية المكتوبة في دولة الإخمينيين

كانت "الامبراطورية العالمية" العائدة لملوك الأسرة الحاكمة الإخمينية تشتمل على "قوميّات" جمّة العدد، متغايرة من النواحي الإثنية، والاجتماعية، والحقوقية والسياسية، وعلى مجموعات من السكان والوحدات الإدارية، وعلى كل حال فقد كانت تمتد، في بعض الأحيان، مثلما يؤكد داريوس ذاته في نقوشه الكتابية، "من

الساكيين وراء حدود سوجْديا، إلى أن تبلغ بلاد النوبة، ومن الهند إلى ليديا. وليس ما يبعث على العجب أنه كان يُتَحَدَّث في هذه الدولة بالكثير من اللغات المختلفة، وكان يستعمل، من أجل التدوين الخطي لما تمَّ التحدُّث به أو تمَّ إملاؤه، الكثير من نُظُم الكتابة المختلفة، ومما يتماشى مع ذلك في تكوُّنه أيضًا، كما سنرى، هذه اللوحة من الألوان التي تضاهي لوحة ألوان المصوِّر، والتي تعود إلى هذه الحقبة، والآن يترتَّب علينا، بلا ريب، أن ننظر في مسألة أن درجة التدوين الخطّي، والنزوع إلى التحرير الكتابي لم تكن متوافرة بالقدر ذاته في كل صَقْعٍ من أصقاع الدولة، بل كانت للكلمة المنطوقة في بلدان النواة الإيرانية الغَلَبة والهيمنة الواضحتان على الكلمة المكتوبة. ومِنْ هنا فحسب ينبغي أن يُفْهَم، أن حكم مَلِكٍ مثل قورش أو ملكٍ مثلَ داريوس، يتجلّيان، أكثر ما يتجلَّيان، من حيث التفصيل والحيويّة، في الرواية الأجنبيّة، ولاسيما اليونانية.

وتبرز في أهميتها في تماسُك مجموع الدولة، من بين كل اللغات الأخرى، لغة واحدة: ألا وهي لغة الدواوين المكتوبة، في مراكز إدارية جمّة العدد، محورية مركزية، وإقليمية، مثلما سَبَق أن كانَتْهُ في القرون التي خَلَتْ من قبلُ، الآرامية في مواجهة اللغات المحلية المكتوبة، والتي كانت تستعمل للأغراض التجارية أيضًا، إذ تتراجع أهميتها بوضوح. ومثلما فعلت، مثلاً، العيلاميّة في مضمار إدارة البلاط الباكرة، في بِرسِبولِس بمعنى [مدينة فارس]والتي تعرف باللغة الفارسية تحتِ جمشيد، والبابلية في مملكة بابل، والمصرية في مصر، واليونانية والليدية أو الليقيّة في الناحية الغربية من آسيا الصغرى. وكان التنافس بين اللغات يؤدي في هذه الأثناء إلى تأثير متبادل: وهكذا كان التراث اللغوي الإيرانيّ القديم يتغلغل في الرواية التي تُروى باللغات الأخرى، وكان هذا التراث يأخذ، مثلاً، بالصياغة الفارسية القديمة والاستعمالات الوافدة من اللغات الأخرى، أيضًا.

وكان الملوك أنفسهم، ومعهم رعاياهم من الفرس، أي: الموجودين في جنوب غربيّ إيران، يتحدثون بالفارسية القديمة، وكانت المسألة تتعلّق في هذا الصدد، باللغة الإيرانية القديمة التي تتمتع من منظورنا بتوافر أفضل الشواهد الدالّة عليها من خلال نقوش الملوك الكتابية، والتي تمثِّل، في صيغتها المدوَّنة خطيًا، لهجة محلية هي في جوهرها جنوبية غربية. ولا شك في أنه يترتب علينا أن نؤكِّد أن لغة النقوش الكتابية الفارسية القديمة ترتكز، في الحقيقة على اللغة الأم عند الملوك، في نوعيتها التي تتوافر لها الشواهد بصفتها "لغة الملوك"، ومع ذلك فمن الواجب تمييزها بأنها لغة تمثيلية (Repräsantationssprache) تتميز، مثلاً، من جرّاء استعمالها الأشكال القديمة والكلمات الغريبة، من اللهجات المحلية، والخصوصيات الأخرى، بخاصة "لغة الفن".

ويُقْصَد بالنقوش الكتابية الملكية "إلى جانب الشواهد الأثرية وألواح الكتابة المسمارية والألواح الصغيرة العيلاميّة ذات الكتابة المسمارية، من بِرسِبولِس والتي سيرد الحديث عنها بعدُ" أيضًا، ذلك الجزء من الرواية التي يتمتَّع، بصفته معاصرًا، وثيق الصلة بإيران، في حالة إعادة تركيب الأحوال التي كانت سائدة في إيران الإخمينية، بمزية يستحقها قبل كل الشواهد الأخرى. وإن كانت هذه الأخيرة قد فتنت بعض العلماء من الأجيال السالفة بنزوعها إلى التفصيل وإلى الامتياز الأدبيّ، على وجه الخصوص، وكانت تبدو، أيضًا لبعض المتأمِّلين المُحْدَثين ذات مقدرة على الإفادة والتعبير بوجه خاص، على أن العدد الأرجح من النقوش الملكية الكتابية وهي، على الأغلب، ثلاثية اللغة، فيها فارسية قديمة، وعيلامية، وبابلية، غير أنها ترد أيضًا في صورةٍ ثنائية اللغة أو أحادية اللغة، يرجع أصله إلى فارس "بِرسِبولِس، نقشي-رُستَم، بزَرغداي"، من عيلام "سُوْسَ" ومن الوسطاء (بِسُتون، همدان). ثم إنه يُعْرَف، فوق ذلك، من خارج مناطق نواة الدولة، أيضًا، ثلاثة من النقوش الكتابية، كما تُعْرَف فوق ذلك أيضًا ثلاثة من النقوش الكتابية لداريوس عن قناة السويس، ونقوش كتابية على أشياء أو أمتعة "كالمزهريات"، من مصر ومن المناطق الأخرى. وهناك بِضْعةٌ من لوح من الصلصال عُثِر عليها في رومانيا الحالية، لنقش كتابي يتعلق ببناءٍ ما، ونقش في الصخر لكِسرىيتصل ببحيرة وان في إرمينية، وبصمات خاتم من الشمع، مع أساطير من داسكيليون، على بحر مرمرة، وشذرات من النقوش الكتابية من بلاد بابل. أما الرَّصْف التصنيفيْ الثابت للصياغات: فارسي قديم/ عيلامي/ بابلي، فيُعَدُّ، في هذه الحالة، تعبيرًا أوضح عن وعي الإخمينيين للتقاليد. وقد كان، أيضًا ذا أهمية لا يُستهان بها في تاريخ حل ألغاز الكتابة المسمارية، وهي الشكل الكتابي المستعمل للنقوش. على أنَّ ما يربو كثيرًا على نصف النقوش الكتابية الملكية يرجع إلى أيام حكم داريوس الأول وابنه كِسرى الأول، أيْ: إلى أيام نهاية القرن السادس وبالتالي إلى منتصف القرن الخامس. ومنذ حكم أردشير الأول (465-4/425) تتناقض هذه تناقضًا واضحًا، وتغدو، في معظمها، موضوعة بلغة واحدة، وتكون أقرب إلى أن تكون ذات سمة شكلية، أو رسمية، وتصاغ وَفقًا لنماذج معينة. ويلاحظ في الحقبة التي جاءت بعد كِسرى، تطوُّر باتجاه الوضع اللغوي الفارسي الوسيط: إذ يكون من السِمات المميزة لهذه الحقبة أشكال من عدم الصحة النحوية والافتقار إلى التمكُّن من اللغة.

ولنتوجّه الآن نحو الكتابة المسمارية الخاصة بالفارسية القديمة، من زاوية أقرب إلى حدس ما: أمّا بداياتها فلم تَنْجَلِ حتى اليوم. على أنَّ الأمر الوحيد المؤكَّد هو استعمالها الأول للتقرير الكبير الذي يسرد إنجازات داريوس عند صخرة بِسُتون، في

ميديا، والذي سيشغلنا بعد. على أن الكتابة المسمارية بالفارسية القديمة لا يمكن تمييزها الآن بأنها، مثلاً، استئناف للكتابة المسمارية القديمة في بلاد الرافدين، التي باتت تبلغ من العمر أكثر من ألفي عام، بل يمكن تمييزها بأنها إبداع جديد واقع تحت تأثير طريقة كتابة الحروف الصحيحة "غير المعتلّة" في اللغة الآرامية، وبأنها مزيج من المقاطع الصوتية (الشكل 1). أمّا علاماتها الصوتية، البالغ عددها ستًا وثلاثين، منها ثماني علامات لكلمات مفردة (ideogramme)، وعلامات عددية وفاصلتان بين الكلمات، فيفْسِح المجال، على الرغم من القواعد المحددة، للقراءة، في سياق النص، وهي قواعد لا يمكن تجليتها إلاّ بالاستناد إلى الناحية الإتيمولوجية وإلى تاريخ اللغة، أو بالأسلوب الفيلولوجيّ. ثم إن الكتابة المسمارية الفارسية القديمة التي ما عاد يوجد تمكُّنٌ منها حتى في العصر القديم، والتي "اكتشفها مجدّدًا" رحالة مطلع العصر الحديث، كانت ذات أهمية بارزة في تاريخ العلوم، في استعمالها في سياق نص مماثل من حيث المضمون، للصيغ الثلاث للنقوش الكتابية العائدة إلى الملوك الإخمينيين: وذلك أن حلَّ ألغازها في القرن التاسع عشر، وهو الحل الذي سيَرِدُ الحديث عنه بعدُ، لم يكن من شأنه أنه جرَّ وراءه حلَّ ألغاز سائر نظم الكتابة المسمارية، وبالتالي فَهْمَ اللغات الكامنة وراءها، وحسب، بل أدّى أيضًا إلى نشوء نظم كتابية علمية "منها، مثلاً، نظم الكتابة في علم الاستشراق القديم" وأدّى بالنتيجة الأخيرة، فوق ذلك، إلى إبطال تلك النظرة إلى الشرق القديم التي كانت تستهدي بالكتاب المقدس أو بالكتّاب "الإغريق" الكلاسيكيّين. وعن طريق النصوص التي باتت الآن مقروءة معاصرة ومحلّية "وكذلك عن طريق الشواهد غير الخطّية، والتي أُخْرِجَت إلى النور من جراء البحث الميداني في الآثار منذ منتصف القرن التاسع عشر" انتهت المسألة بذلك، ومع بعض التلكّؤ، الزمني، بلا ريب - إلى فهم جديد لحضارات الشرق القديم. أكّد على خصوصيّاتها وعلى العلاقات المتصلة بالتقاليد في كل نوعٍ منها على حِدة، بمزيد من الوضوح. وسوف يترتّب علينا الحديث عن هذه النتائج بتواتر أكبرَ بعدُ.

a b^{a} c^{a} $ç^{a}$ d^{a} d^{i} d^{u} f^{a} g^{a} g^{u} h^{a} i

j^{a} j^{i} k^{a} k^{u} l^{a} m^{a} m^{i} m^{u} n^{a} n^{u} p^{a} r^{a}

r^{u} s^{a} $š^{a}$ t^{a} t^{u} $θ^{a}$ u v^{a} v^{i} x^{a} y^{a} z^{a}

الشكل 1: الأحرف

XŠ	DH₁ DH₂	BG	BU	AM₁ AM₂	AMha
xšāyaϑiya- „König“	dahyu- „Land“	baga- „Gott“	būmī- „Erde“	Auramazdā- (GN)	Auramazdāha (GN, Gen.Sing.)

الكلمات

في غيره ⟍ فقط في النقش DB ⟍

فواصل الكلمات

ثم إن الصياغة الثانية للنقوش الكتابية الملكية، أي: الصياغة العيلامية، تشهد على الطور الأخير "للعيلامية المتأخرة" لِلُّغة التي لم يكن من الممكن، حتى الآن، إلحاقها بلغة أخرى أو بمجموعة أخرى من اللغات، وبالتالي باتت تثير في وجه الباحث الفيلولوجيّ مشكلاتٍ خصوصية. لقد كانت اللغة المكتوبة للعيلاميين، الخصوم القدماء للآشوريين والبابليين، الذين انهارت دولتهم في غمرة القتال ضد الآشوريين في القرن السابع قبل الميلاد، واستقر الفرس في أراضيهم القديمة، حتى حواليْ عام 460 ق م لغة الدواوين الرسمية عند الإخمينيين في فارس. ولم تصل إلينا من العصر الذي جاء بعد ذلك شواهد عيلاميّة بعدُ. وإلى جانب الصياغات الخاصة بالنقوش الكتابية الملكية في هذه اللغة، تُعَدُّ للمؤرخ، من الأمور ذات الأهمية الخصوصية، ألواحُ الصلصال الصغيرة ذوات الكتابة، التي أخرجها المنقِّبان في بِرسِبولِس، إرنست هرتسفيلد وإريش ف شميت، في ثلاثينيات هذا القرن، وانطلقا إلى مكان العثور عليها في "ألواح مخزن الكنوز" (ألواح كنوز بِرسِبولِس/ Persepolis Treasury Tablets, PTT) و"ألواح السدّ" (ألواح تحصين بِرسِبولِس/ Persepolis Fortification Tables, PFT). وإذا كانت الأولى "114 قطعة" يمكن تأريخهن ضمن المجال الزمني الواقع بين عامي 492 و460 ق م وقد تمَّ في بِرسِبولِس تحويل المسألة بعد ذلك إلى عملية "مسك دفاتر" آرامية (على الرَّق) فإن من الممكن نسبة الأواخر، اللواتي نُشِرَ منهن حتى الآن أكثر من ألفي لوح، وهناك، بعدهنّ، قِطَع مجتزأة هي في انتظار النشر، إلى إدارة مخزن بلاط داريوس الأول، وهي تعود إلى الحقبة الواقعة بين عامي 510 و494 ق م. لقد كان القوم يتكهَّنون بأن هيئة الإدارة الملكية انتقلت من المنزلة الأعلى إلى المنزلة الأدنى، أمّا ألواح الطين فكانت تجري صياغتها باليد على نحوٍ ظاهر للعيان تمامًا، قبل استعمالها ويكتب عليها مادام الصلصال لايزال طريًا، وكان يجري صقل النهاية وتهذيبها. وكانت كثيرًا ما تفيد في التقاط انطباعات الناجمة عن الخاتم. وهذه الشواهد المخالفة للمألوف، والتي تعد الجغرافية

والإدارة، والاقتصاد، وكذلك الأحوال الدينية والاجتماعية في موطن ملوك الفرس أيام داريوس وكِسرى، على استعداد لتسليط الضوء عليها وتجليتها، وتعد ذات أهمية ودلالة من حيث التشخيص أو الأنْسَنة (Prosopogroply) ومن حيث علم الأسماء وتاريخها وانتشارها (Pnomatologie)، لم تنقلها إلينا، مثل الشواهد الأخرى من هذا النوع، إلاّ المصادفة. ولما كانت هذه تتقصّف في العادة متحولة إلى هباء فقد كان ما ينطوي على المفارقة أو التناقض أَنَّ هذه النهاية السياسية للسيادة الأخيمينية، على وجه الخصوص، والتي تمثّلت، رمزيًا في إشعال الإسكندر الحرائق في بِرسِبولِس، أسهمت في "بقائها"، إذ إنها حين "صَلَّبتها النارُ بالشيّ" باتت تنبئ اليوم عن الموهبة التنظيمية عند من أنشأوها.

وحتى ما يتعلق بالصياغة الثالثة للنقوش الكتابيّة الملكية، وهي الصياغة البابلية، يصح قولنا إنّ فهمها مَكَّن في الوقت ذاته من فهم النصوص الأخرى لهذه اللهجة المحلية من الأكّادية التي يُتَحَدَّث بها في بابل. "وبالنسبة لموضوعنا تكون هذه في شكل اللغة البابلية المتأخرة". ومن بين الشواهد تبرز بالنسبة لعصرنا النقوشُ الكتابية الملكية البابلية، بلغة واحدة، من بابل وأور وأورك، وإلى جانبها معلومات تاريخية، في ألوان من العرض التاريخي مرتَّبة وفقًا للتسلسل الزمنيّ الدقيق، على شكل تدوينات فلكية تضاهي اليوميات. وتعدُّ لوائح الملوك فيها، والنبوءات والأشعار، وكذلك الوثائق الاقتصادية، التي تَرِد فيها تدوينات من المحفوظات في معبد أورك وسيبّار والبيوت التجارية للأسرتين إجيبي ومورِاشو، ذوات أهمية خصوصية. وما من شك في أن الشواهد الاقتصادية على وجه الخصوص لم تنشر حتى الآن إلاّ بقَدْرٍ غير كافٍ، كما أنها موزعة توزيعًا غير متساوٍ حقًا من الوجهة الإقليمية، وتُعَدُّ، في كثير من الأحيان غير يقينيّة فيما يتعلّق بالإشارة إلى مكان اكتشافها. وكان في وسع عمليات التقويم التاريخي، التلخيصية الهادفة إلى الاستفادة من المادة، مع ذلك، أن تشير إلى الأهمية الخصوصية لبابل بالنسبة للدولة بمجموعها.

وفي الموضع التالي يترتَّب ذكر الشواهد باللغة الآرامية والكتابة الآرامية وأوراق البردى والأوستراكا [قطع الفخار المهشَّمة] من مصر، ولكن تذكر أيضًا أمثال هذه واردة من فلسطين، وإلى جانبها نقوش كتابية من آسيا الصغرى وبِرسِبولِس. أما الآرامية فقد باتت، بفضل سِمَتها، وبالنظر إلى كونها كتابة مبنية على الحروف وسهولة تعلّمها، منذ القرن الثامن، لغة التفاهم "الدولي" في هذا المضمار، وقد حُوِّلت، في تطوُّر لاحق، وفي صورةٍ تمَّ إضفاء الطابع البَدَهيّ عليها، من صُوَر الآرامية القديمة، إلى لغة رسمية تتخذها الدولة للدواوين. وبهذه الصورة التي تعرف في إطار البحث باسم (آرامية الامبراطورية، وبالتالي، آرامية رسمية)

التي يتمّ فيها حذف بعض الحروف لفظًا أو خطًّا، وردتنا وثائق جمّة العدد من المستعمرة العسكرية اليهودية (jüdische)*، الفِيَلة في مصر العليا، التي تعمل بتكليف من ملوك الفرس (رسائل مكتوبة على الجلد من الأمير الإخميّ والوالي المصري أرشامة/ أرساميس" ونقوش كتابية من داسكيليون، أو الصياغة الآرامية لرسالة بثلاث لغات من إكسانتوس، في ليكيا.

أمّا الوثيقة الأخيرة فتُفْضي، بصياغتها الأخيرة، الليقيّة، إلى الشواهد الخطّية من أيام الفرس، والواردة من آسية الصغرى، إلى النقوش الكتابية الليقيّة على الأضرحة والعملات أوْ، مَثَلاً، إلى النقوش الكتابية الليدية الواردة من غربيّ آسيا الصغرى.

على أنّ اقتصارنا، الآن فحسب، على ذكر الشواهد التي يُظَنُّ أنها مألوفة على وجه الخصوص في اللغة اليونانية، أمرٌ يقتضي تسويغًا. ولا ريب في أن العلاقات بين الإغريق والفرس تتمتع بأهمية فائقة، وما من شك في أن ذلك يصحُ على العلاقات ذوات النوع الحربيّ، أو تلك التي تؤكِّد التناقض بين الهيلينيين و"البربر". وهي تقدِّم، باستثناء جزء من شواهد مؤرِّخي الإسكندر، فقط معلوماتٍ غير كافية عن إيران ذاتها. ومع ذلك فإذا حاول المرء، مع ذلك إعداد لائحة بأسماء للكتاب وآثارهم تبعًا لأهميتهم في إعادة بناء التاريخ الإيراني "في تسلسل زمنيّ" كان من الواجب، قبل كل شيء ذكر الأسماء والعناوين التالية: أيشيلوس (Aischylos)، بكتابه "الفرس" بحكم كونه شهادة معاصرة على حملة كِسرى، وهِردُت باستعراضه "حروب الفرس"، ولكن سيكون من الواجب أيضًا ذكر أثره الفارسي "logos"، في الكتاب الثالث، وذكر كزنفون (Xenophon) (ولاسيما بوصفه لحملة مرتزقة قورش الابن قبل القتال الذي ينشب ضد أردشير الأول (الزحف/ Anabasis)، وفي مقابل ذلك لا يُعَدُّ كتابه (سيرة/ Kyroupaideia) قطعة من كتابة التاريخ، ولا يُعَدُّ مفهومًا بسهولة في إطار تذكيره بالأحداث الماضية في إيران "وكذلك سترابون (Strabon)" بملاحظاته الجغرافية والإثنوغرافية في الكتاب الخامس عشر، و"بلوتارخ (Plutarch) بكتابه (حياة أردشير "الثاني"/ Vita Artaxerxes)" وكذلك "آريان (Arrian)، بصفته أهمَّ ممثلي تقاليد الإسكندر الثانويين. ومما يترتَّب تحليله تحليلاً أمينًا على وجه الخصوص أولئك الكتاب الإغريق الذين ظهروا في القرن الرابع قبل الميلاد "مثل أفلاطون، وأرسطو، وإيسوقراط وقتيسياس، ودينون، وآخرون"، مِمّن لا ندين لهم فقط بحكمهم على سمات محدَّدة من الطبيعة البربرية "ولنَقُلْ: الفارسية"، بل بحكمهم على صورة الانحطاط الثابت المتواصل في الامبراطورية بعد حملة كِسرى الخائبة على بلاد الإغريق. ولا ينبغي للمرء أن ينسى، في صدد هؤلاء المؤلفين، بعض الشواهد من قبيل الأقوال المأثورة التي تُتَّخذ للكتاب عنوانًا يدلُّ على مضمونه،

باللغة اليونانية، ومنها، مثلاً، النسخة الامبراطورية الموجودة في متحف اللوفر لرسالة من داريوس الثاني إلى واحد من كبار المسؤولين لديه، يقال له غاداتاس، من مغنيزيا، أو النقش الكتابي من ساردايز، الذي يتحدث عن إنشاء عبادة جانبية لعبادة أصلية لزيوس، هي عبادة إيرانيّ يدعى بَرَدِتِس "أي: عبادة أهورامزدا". أما النقش الكتابي اليوناني: الذي لا ريب في أنه غير تاريخي، على ضريح قورش الذي يجد ذكرًا له في تاريخ الإسكندر، فهو مثال مهم على وجه الخصوص، على تبجيل قورش في العالم اليوناني من ناحية، وعلى التأويل اليوناني لأساليب المعيشة الأجنبية، من ناحية أخرى.

لقد كان الحديث يدور آنفًا عن "بابل الكتاب المقدس". وحتى تاريخ امبراطورية الإخمينيي قبل الكشف عن الشواهد المستكِنّة في إيران ذاتها بات للنصوص الكتابية القول الفصل التي يُسْتَنَد إليها إلى جانب الرواية اليونانية وتُحْسَم الأمور بالرجوع إليها: فقد مارست كتب إشعيا "الثاني"، وعزرا، ونحميا، وإستير ودانيال في أثناء ذلك دورًا خصوصيًا، وكان البحث في العهد القديم يعمل حتى اليوم، جاهدًا، على الكشف عن حقيقة الأوضاع "التاريخية" في هذه النصوص، كما كان يعمل من أجل تمييز أهمية السيادة الفارسية، فيما يتعلق بتاريخ الطوائف اليهودية في فلسطين ومملكة بابل ومصر، وعقائدها اللاهوتية والمنشآت الحضارية ذات السِمة الدينية، مثلما كان يتناول تطور كتابته (أي: العهد القديم).

أمّا ماهية نصوص الأفيستا، وعلى الوجه الملموس، نصوص الجزء الأحدث عهدًا من الكتاب الديني عند الزردشتيين، فذلك أمر لا يكاد يكون من الممكن الفصل فيه. وذلك أنه حين تَمَّ تدوينه الخطّي أول مرة، أصبح هذا مدوَّنة في العصر الساساني، وأقدم المخطوطات لا يرجع إلا إلى القرن الثالث عشر.

2/ 1/ 2] المثال: ملك يسوِّغ تصرفاته، التقرير عن الوقائع والنقش البارز لداريوس الأول، على صخرة بِسُتون

يرتفع بين قرمَنْشاه وهَمَدان، التي هي إكباتانا القديمة، حاضرة ميديا، جبل بِسُتون المعروف في الحقبة الإخمينية، بصفته باغستانا = ("مكان الآلهة"). وهنا يوجد، على جدار من الصخر يرتفع ستين مترًا فوق بحيرة تنطوي على ينبوع، نصب تذكاري كبير لداريوس الأول، أشهر ملوك الإخمينيين. أما مكان آبدَته فلم يختَرْه مصادفة. فهنا يمر طريق قوافله العريق في القِدَم، الذي يصل حتى اليوم منخفض مابين النهرين، أي: المنطقة المحيطة ببابل وبغداد بالهضبة الإيرانية "إكباتانا"، ثم يتواصل نحو الشرق حيث عُرِف باسم "درب الحرير/ طريق الحرير". وكان جبل بِسُتون الصخري كما يفيد ذلك اسمه، مازال يتمتع، في أيام الإخمينيين،

على ما يبدو بوضوح، بأهمية تتصل بالعبادة والدين منذ أوائل عصر ماقبل التاريخ، حيث كان من الممكن أن تشير رواية هِردُت القائلة إن الفرس كانوا يقدِّمون القرابين لآلهتهم على قمم الجبال "أي: إنهم كانوا يقدمون القرابين للجبال ذاتها أيضًا"، إلى نوعية سمعته. وفي النهاية، ومن الجائز أن يكون هذا هو السبب الرئيس الذي حمل داريوس على إيراد النقش البارز هنا على وجه الخصوص، قد كان أصاب نجاحًا هو ومن معه من المتآمرين فيما جاور هذا المكان، في قتل الغاصب غاوْماتا في مقره الصيفي وتقلُّد زمام السلطان بنفسه. وفي نقش كتابيّ وصف داريوس الطريقة التي انتهت بها الأمور إلى هذا الانقلاب بمثل الأسلوب الذي وصف به قمع الثورات التي نشبت في السنة التالية 521/522 ق م، وهي ثورات كان من الممكن تسجيلها في كثير من أجزاء الامبراطورية، ولم يكن له بُدٌّ من أن يتمكَّن منها ويتغلَّب عليها بأقصى قدر من القسوة فحسب. وقد وجد داريوس الأنموذج الذي يُحْتذى به، بهذه المناسبة، على النحو ذاته، في شمال غربيّ إيران: في صورة منحوتة في الصخر للملك لولّوبار في سار-ي بول من مستهل الألف الثانية.

وما من شك في أن المسألة في حالة النقش الكتابيّ تتعلَّق بشكل من وصف الملك لذاته وبالدعاية. ويجب مقارنتها، من هذه الوجهة، بحق، مع الأفعال والتصرُّفات التي أقدم عليها أغسطس. لقد كان كل ما يهم كلا الرجلين، أي: داريوس والمندوب الروماني إنما هو تأكيد السيادة الخاصة بكلٍّ منهما، وإظهار نظام حكمه الخاص على أنه رجوع عن الفوضى والعماء، واختلاط الأمور واللايقين. وقد استخدم كلاهما في هذه الحالة الوسيلة ذاتها: البلاغ الرسمي، بصيغة المتكلم المفرد، وقد تمَّ إيراده في نصه الأصليّ، في موضع له أهميته، وكان يُفْتَرَض في الضريح هنا، وفي مكان النصر هناك، أن ينتشر أمرهما ويذيع في نسخ جمَّة العدد، في أصقاع الامبراطورية. وهكذا وصل إلينا من الرواية المتصلة بفَعال أغسطس ومنجزاته، الصياغة "الثنائية اللغة" الواردة من أنقرة (Monumentum Ancyranum)، والنسخ الأحادية اللغة من أبولّونيا في بيسيديا "باليونانية" وأنطاكية في بيسيديا "باللاتينية" في صورة قِطَع مجتزأة على الأقلّ. ثم إن نقش داريوس الكتابي لا يتوافر في مجرد صياغته الثلاثية اللغة، وبالخط المسماري فحسب، بل وصلت هذه إلينا، أيضًا في أجزاء منها، قِطعًا مجتزَأة وشذرات، من بلاد بابل، وفي صياغة بقيت لنا على النحو ذاته، مقطَّعة في شذراتٍ، وأحدث عهدًا إلى حدٍ بعيد، بالآرامية، من مستعمرة الفِيَلَة العسكرية اليهودية المذكورة آنفًا، في مصر العليا.

وإذا نظر إلى المسألة نظرة إجمالية كانت الغلبة والرجحان، مع ذلك للفروق بين كلتا الروايتين للفَعال والمنجَزات: فإذا كانت المسألة الفَعال والمنجزات، فقد تمَّ وضع الصياغة للكتابة المنقوشة في بِسُتون مباشرةً بعد الأحداث الموصوفة

فيه، وإملاؤها، ونَحْتُها بالإزميل، ونشرها. وما من شك في أن داريوس كان واقعًا تحت ضغط يُحيجُه إلى التسويغ. وكان هذا الضغط كبيرًا لا يستهان به، إذ لم يكن يتضح لكل امرئ، ولا كان كل امرئ يتبيّن له، أن هذا الخليفة كان يفترض أن يكون هو الخليفة الشرعي لقورش وقمبيز. أما في كلمات داريوس فهذا يتجلّى على النحو التالي:

> 60 يعلن داريوس الملك قوله: فلتُصَدِّق الآن، إذًا بما فعلتُه وأَدَّيْتُه، ولتبلِّغ العامّة، ولا تكتمه، وإذا لم تكتم هذه الرواية، بل أبلغتها العامّة فليكن لك أهورامَزْدا صديقًا، ولتزدَدْ ذريتك عددًا، ولْيَمُدَّ الرب في عمرك!.
>
> 61 يعلن داريوس الملك قوله: إذا كتمت هذه الرواية، ولم تُفْضِ بها إلى الشعب، فيلضربك أهورمزدا، ولْتُحْرَم من الذرية!.

وفي موضع آخر، يذكِّر داريوس، من يبصر النقش الكتابي والصور، بصريح العبارة بوجوب أن لا يفسدها، بل يُبْقي عليها، ويحذِّره أن يفعل خلاف هذا. وقد عبَّر داريوس عن مجهوده لإضفاء المشروعية على ذاته في ميديا، لا بالكتابة والتحرير فحسب، بل بالتعبير التمثيليّ التجسيديّ. ففي بِسُتون ينتصب في قلب الآبِدة بمجموعها النقش البارز للملك المظفَّر وخصومه المهزومين، كما قال ذلك داريوس بلسانه أو بخطّ يده، وهم الذين يشار إليهم في البحث باسم "ملوك الأكاذيب". حتى حول النقوش البارزة كانت تُتَداوَل على نحو ظاهر للعيان ردود من بابل تشير إلى الكيفية التي يتم بها إثبات أن هذا يأتي من قبيل المصادفة.

وإذا ألقى المرء نظرة على النقش البارز (اللوحة 1) أدرك أن هذا إنما تمَّ نحته في مساحة من الصخر مصقولة، مربعة الشكل يبلغ قياسها نحو (3 X 5,5 م2). أما داريوس فواقف عن الشمال ينظر، مصوَّرًا بجسده، في ثوب فارسي، و"نعلين ملكيَّيْن" وسِوارَيْن في ذراعيه وتاج له مسنَّنات كتلك التي يتخذونها في أعالي أسوار المدن والقلاع، مُشَكِّل تشكيلاً فنّيًا، وهو يمسك، بيُسْراه، قوسه، وهو يمثل، بهذه الصورة، في كثير من الأحيان، سِمَة مطبوعة من سِمات السيادة. أما يمناه فمرفوعة إلى مستوى وجهه. ويدوس داريوس بقدمه اليسرى على صدر شخص يرقد ممدَّدًا أمامه، يمثل، وَفْقًا لما تفيده الكتابة المنقوشة حوله، غاوْماتا، الساحر الميدي المطالب بالعرش، الذي يدين داريوس لمقتله بسيادته وحكمه، وهو، كذلك، في زيٍّ فارسي، لا يمثل، بالمناسبة، انتماءًا إلى قومية محدّدة، وقد نشر ذراعيه رمزًا لخضوعه وإذعانه.

وعن يمين الملك تخطو جماعة من المتمردين، وقد شُدَّت أيديهم بالأغلال على ظهورهم ورُبِط بعضهم ببعض من الأعناق، بحبل طويل. من الواضح أن هذه

الشخوص قد تم تجسيدها بحجم أصغر من حجم الملك، إذ لا يتجاوز طولها 1,17 م، على النقيض من قياسه البالغ 1,72 م. وكل واحد من الأسرى تتبيَّن هوّيته لا عن طريق حاشيته التفسيرية، بل يتبيّن، أيضًا، بما في ذلك ألوان التغيير والتنويع، في سيماء وجوههم وتصفيف شعورهم ما يفترض أن ينقل إلينا مظهر الفردية، وبالتالي مظهر الأنموذج الإثني المحدَّد. وأما الشخوص الثمانية الأوائل فتمثل قادة الثورات التي نشبت في العام الذي تلا تسلُّم داريوس زمام السلطة والذين يقول عنهم الملك نفسه إنه لم يكن له بُدٌّ من أن يغرقهم في بحر من الدماء. وأما الأسير الأخير، السكيثيّ ذو القبعة المدببة الرأس، سكنكسا، فقد أضيف إلى المشهد في موعد لاحق، وذلك حين كان داريوس قد استطاع أن ينهي الحملة السكيثيّة في عام 519 ق م، بنجاح. وقد استطاع القوم أن يقرروا، مستعينين بالنقش الكتابيّ، بالنسبة للمطالب بالعرش أنه قد تمَّ، على ما يبدو واضحًا، تصوير أولئك الرجال بالتسلسل الذي يرافق قمع ثوراتهم.

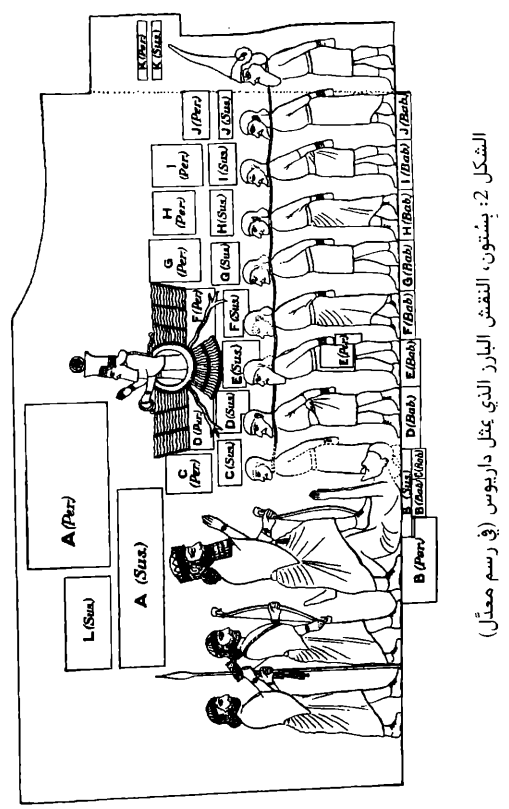
ويبقى بعدُ أن نذكر أنه قد تم تصوير اثنين من المسلَّحين كان القوم يريدون أن يَروْا فيهما اثنين من المشاركين في مؤامرة داريوس، غير أنهم لا يتميَّزون بموجب نقش كتابيّ. ونرى، معلَّقًا في الهواء، فوق المشهد، "الرجل المجنَّح" الذي لبث القوم وقتًا طويلاً يقدِّرون أنه إله داريوس الذي كثيرًا ما يُنْتَدَب في النقش الكتابي، وهو أهورامزدا، والذي ربما كان أقرب إلى أن يفَسَّر بأنه شيطان الأجداد الملكييّن.

أمّا كلتا الصورتين التاليتين (2 و3) فتوضحان العلاقة المكانية التي يوجد فيها النقش البارز والنقش؛ أو بعبارة أصح، العلاقة بين النقوش، وكلٌّ منها بالآخر: وفي الوقت ذاته يستطيع المرء أن يقدم، بالاستعانة بها، معلومات حول الكيفية، أو ماهية التسلسل الذي تمَّ به الإتيان بالنقش البارز إلى الصخرة. ومن الواضح للعيان أن النقش البارز قد تمّ إنشاؤه، وذلك في الحقيقة مع وجود التسعة الأوائل من "الملوك أولي الأكاذيب"، من دون سكنكسا، السكيثيّ ذي القلنسوة. ولم يكن يوجد من النصوص في هذا الطور إلاّ الملحق العيلامي ("DBa "sus.")، وذلك أن بدايتها تتميَّز في بعض صياغاتها الأصغر، ولكنها الحاسمة بلا ريب، من البرتوكول الملكي الخاص بصياغة النقوش الكتابية العيلامية الكبيرة التي نشأت فيما بعد.

وفي طور ثان نشأت الصياغة العيلامية الأقدم للنقش الكتابي في أربعة من الأعمدة وفيها 232 سطرًا إلى اليمين من النقش البارز والملاحق العيلامية عن المتمردين (DBb-j). على أن الإيراد غير المتجانس للنقش الكتابي الكبير إلى جانب النقش البارز، والتغييرات التي تطرقنا إليها آنفًا في نص فقرتها الأولى، تشير إلى معالجة النقش الكتابي الكبير ونشر النص والآبدة بأكملها.

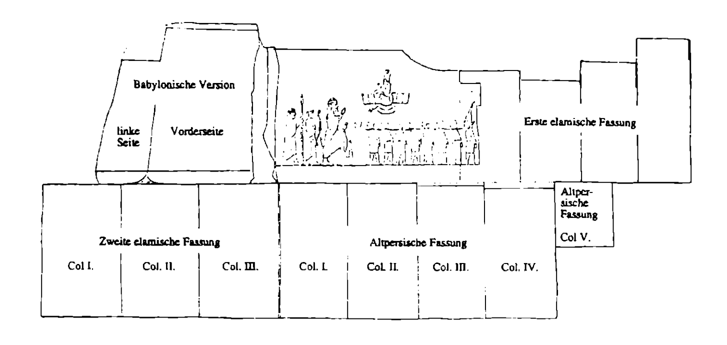
أما الطور الثالث فيتميَّز بإنشاء السطور البالغ عددها 112 سطرًا من صياغة

النقش الكتابي البابلي إلى اليسار من النقش البارز، وكذلك بالملاحق البابلية (DBb-j). ولما كان من الواضح أن هذه الصياغة لم يكن مخططًا لها في الأصل، فإنه لم يكن بُدٌّ من إيرادها على مقدمة الصخرة الناتئة، التي يصعب معالجتها، إلى اليسار من النقش البارز، ولم يكن مما سبق التخطيط له. أيضًا، والملاحق البابليّة: وهكذا اضطر القوم أيضًا إلى حذف الملحق الخاص بالملك، وإلى حشر ملحق المتمرِّدَيْن، غاوْماتا وآسينا (Àçina)، معًا، تحت الملحق العيلاميّ.



الشكل 2: بِسْتون، النقش البارز الذي يمثل داريوس (في رسم معدّل)

كما رُسِم في الحجر أيضًا موقع النقوش الكتابية الفارسية القديمة، الوجيزة، والعيلامية "Sus." والبابلية "Bab" (والملاحق) "BBa-1" (وهنا A-L).



الشكل 3: آبِدة بِسُتون داريوس الأول: (رسم معدَّل)

وفي الطور الرابع المعدَّل ذي الأهمية الخصوصية، أوعز داريوس بإيراد الصياغة الفارسية القديمة من "روايته عن الأفعال والمنجزات" في أربعة أعمدة تحت النقش البارز. وكان قد تمَّ توسيعها، بالقياس إلى الصياغات التي كانت حتى الآن بمقدار فقرة "هي الفقرة السبعون"، وقد أُلْحِقَت هذه الإضافة، في الوقت ذاته بالنقش الكتابي العيلاميّ "فوق الملحق الخاص بملك عيلام. وفوق ذلك حظيت شخوص النقش البارز" بصرف النظر عن الملك، الآن، أيضًا، بملاحق بالفارسية القديمة. على أن تلك الملاحق التي تحدث في النفوس، في مواجهة النقش البارز أثرًا بوحي بعدم الانسجام، يشهدن بأنفسهن على الإيراد اللاحق. وفي الوقت ذاته تكشف الفقرة 70 التي تعود منذ البداية إلى تصميم الصياغة الفارسية القديمة، والتي لم تكن هذه الفقرة قد دَلَّت عليها في البداية، والتي غابت تمامًا في الصياغة البابلية بسبب النقص في المكان، عن أن الكتابة الفارسية القديمة، وبالتالي، أيضًا، الصياغة التحريرية الفارسية القديمة، مازالتا غير موجودتين، حين كان يتم التخطيط لصياغة العيلامية، ففي هذه الفقرة يتحدث داريوس عن أنه أوعز بإعداد نقش كتابيّ بالخط المسماريّ وباللغة الفارسية القديمة: «بموجب إرادة أهورامزدا، هذه هي الصورة الكتابية "بالفارسية القديمة، ديبيسنشا" التي أنشأتها، فوق ذلك بالآرية . . وقد كُتِبَت وتُلِيَت عليّ. وعلى أثر ذلك أرسلت هذه الصورة الكتابية إلى كل البلدان، وقد اجتهد الناس [في استعمالها]».

وفي الطور التالي، الذي يمكن تحديد تاريخه بعام 518 ق م، أضيفت إلى النقش البارز شخصية السكيثيّ سكنكسا الذي أُسِرَ في السنة الثالثة من أيام حكم داريوس، وزُوِّد النقش بملحق فارسيّ وعيلاميّ، غير أن هذا التوسيع سقط ضحية

للصياغة العيلامية وتم نحت الصياغة البابلية بالإزميل من جديد "الصياغة العيلامية الأحدث عهدًا".

وبُعَيْد ذلك أضيف عمود خامس، في طور سادس من الصياغة "الطوران 71-76" يقدِّم معلومات حول سنة الحكم الثانية والثالثة لداريوس. على أن النقص في المكان حال دون توسيع للصياغتين، العيلامية والبابلية أيضًا بمقدار هذا الجزء من رواية الفَعال والمنجزات. وفي الختام تمامًا تمَّ إنشاء الملحق الملكي بالفارسية القديمة، الذي يتابع نهج بروتوكول الصياغة العيلامية، وما عاد يتابع الصياغة القديمة في الملحق العيلامي.

ولكن كيف كان على القوم أن يتصوَّروا الآن المفهوم الملكي للنقش الكتابيّ والنقش البارز (Relief)؟ وذلك أنه يستفاد من التحليلات الفيلولوجية والتاريخيّة لأشكال النقوش الكتابية، بلا ريب، أن الصيغة العيلامية والفارسية القديمة، من ناحية أولى، والآرامية والبابلية من ناحية أخرى، ترتبط كلٌ منهن بالأخريات ارتباطًا وثيقًا. ثم إن جهاز المتغيِّرات الخاص بالصياغات المتوافرة للنقوش الكتابية، واستحالة ترجمة إملاء شفهي على الفور ونحته في الحجر بالإزميل، وعوامل أخرى، يثبتن مع ذلك أن على المرء أن يتصور العمل في التحرير في صورة أوسع نطاقًا وأكثر تعدُّدًا في جوانبه إلى حد بعيد، مما كان من الممكن أن تحملنا الصياغات "الخطية" المتوارثة على الاعتقاد به. ولذلك يمتنع إنشاء عملية رفع أثقال بسيط. ثم إنه يوجد، بين خصوصيات الصياغات المختلفة، كلٍّ على حدة، بعض الخصوصيات التي تلفت النظر على وجه الخصوص: ومنها ذكر عدد قتلى العدوّ في الصياغات الآرامية والبابلية، والاستدراكات، والتأويلات والشروح في كل صياغة على حدة، وهي التي من الواضح للعيان أنه يفتَرَض أن تفيد في الفهم الأفضل للمضمون لدى كلٍّ من المجموعات السكانية التي يجري التطرُّق إليها في كل مرة، ومن المهم أيضًا الملاحظة التي تفيد أنه في الصياغات بالفارسية القديمة على الصخر، والتي نشأت في الحقبة الأخيرة لا يوجد إلاّ قليل مما يفيد التملُّق لداريوس في الصياغة العيلامية، ومثال ذلك أنَّ ما يتصل بقوّات الحرس الفارسية التي أُرْدِيَ أفرادها قتلى، حُذِف ببساطة، وبناءً على ذلك كانت قد حدثت عملية تدقيق لمضمون النص.

أمّا كيف ستكون الأحوال في صدد تركيب النقش البارز، بالنسبة لكل شيء، وهل كان يجري، كما قد يستطيع المرء أن يفترض على أساس تاريخ نشوء الآبِدة، في البداية، تصوُّر ذلك، أو كيف كان يجري أوَّل الأمر التخطيط لتعليم المضمون للسكان، وبموجب ذلك نشأ النص أول الأمر، فذلك مالا يكاد يكون من الممكن الفصل فيه، ولا شك في أنه يعدُّ، أيضًا، بالنظر إلى الإنجاز السريع لكلا جزئي النصب التذكاري، أقلَّ مغزى.

وما من شك في أن أقدم الصياغات الآرامية، وبالتالي: النسخ، التي لم يحفظها التاريخ لنا، إنما نشأت من أجل الإبلاغ السريع لأصقاع الامبراطورية، وكان من الجائز نسخها ومضاعفة أعدادها من أجل هذا الفرض، أي النقل عنها، وإرسالها ونسخها من جديد "في مقار حكام الولايات الذين يُعْرَف الواحد منهم بالمَرْزُبان؟" وهذا كله ينجم، حصرًا، عن الظرف المتمثل في أن النقوش البارزة كانت لا يكاد يكون من الممكن تأويلها للمارّين ببِسُتون مرور الكرام، وأنَّ النقوش الكتابية لم تكن ممكنة القراءة، ولم يكن من قَبيل العبث أن مؤرخي أواخر العصر القديم أرادوا أن يَنْسِبوا هذه الأبدة إلى الملكة الأسطورية سميراميس.

أمّا الكيفية التي كان على القوم أن يتصوَّروا بها انتشار صياغات النقوش الكتابية في أصقاع الامبراطورية، فذلك ما لا يكاد يكون من الممكن الإدلاء بأقوال في صدده، وما من شك في أن ثمة نسخًا من الصياغات بالخط المسماريّ كانت أقل عددًا من النسخ الآرامية السهلة القراءة والسهلة النسخ: وذلك أن الآرامية كان يجري التحدُّث بها وفهمها، من ناحية أولى، من قِبَل الكثير من سكان الامبراطورية، وجاءت الكتابة الآرامية، من ناحية أخرى، على النقيض من مجمل أنواع الخط المسماري، من أجل ورق البردي والجلد، إلخ، ملائمة أفضل الملاءمة لتلبية حاجات الإدارة ومصلحة الدعاية على نحو مميِّز ‹Borger›. وإذا أراد المرء أن يتصوَّر انتشار المضمون في صورة تغطي المساحات التي كان من الممكن أن تشير إليها النسخة الآرامية من مخطوطة جزيرة الفِيَلَة، فهذا خليق أن يعني أن النص خليق أن يُنْقَل إلى لغات أخرى، إقليمية ومحلية، ومثال ذلك نقلها إلى بلاد اليونان. وما من شك في أن أمثال هذه الصياغات لا تتوافر لدينا.

ولنلاحظ هنا، في صورة الشيء الغريب المثير للفضول، أنه قد تمَّ، بلا ريب، بدلاً من الفقرة 55 من نقش بِسُتون الكتابيّ على ورق البردى، إدخال فقرة من الكتابة المنقوشة السفلى على ضريح داريوس من نقش رُستَم "DNb". وقد كان من الجائز ربط هذا بتاريخ نشوء النسخة الآرامية التي هي أحدث عهدًا بما يربو على مئة عام، من دون أن يتمكّن المرء من الاطلاع على الظروف الأخرى. ومن الناحية الأخرى فإن النقش الكتابي على الضريح، على وجه الخصوص، لا يعد مثيرًا للاهتمام إلاّ بمقدار ما يتطرَّق إلى سجايا الإخمينيين، في إطار عدم تَحَدُّدهم الزمني، أي أنه لا يمثل سردًا للفعال والمنجزات، مثل نقش بِسُتون الكتابي.

وحول مكان تثبيت نسخ النقوش الكتابية، والطريقة التي وجد بها مضمونُها انتشاره "عن طريق مَنْ يتلون وينادون صائحين، إلخ . . .؟"، لا يكاد يكون من الممكن صياغة أقوال. وبالنظر إلى الحرفية المحدودة، عند السكان في الأقاليم التي يسود فيها الخط المسماريّ، وكذلك أيضًا بالنظر إلى مجال الكتابة الآرامية، أو

المصرية أو اليونانية، ما كان التعريف برواية الفَعال والمنجزات ليؤدي معنى في الحقيقة إلاّ بطريق المشافهة، وحتى الامبراطور يؤكِّد، في الفقرة 70، بصريح العبارة، أنَ نصَّ الصياغة الفارسية القديمة، التي كان نظام كتابتها الجديد قد تم إنشاؤه للتوّ، قد قُرِئ عليه بعد الفراغ منه.

وفي هذا السياق ربما سيكون إنتاج نسخ مطابقة للنقش البارز، كما قلنا، إذا تحققت الشهادة عليه مرة واحدة، قد اكتسب معنى جديدًا حقيقيًا: أوَ كان، فعلاً، من الأهمية بمكان، أن ينشر المرء المسار الدقيق للأحداث، وبالتالي، أن يتمثّلها وكأنه هو مَنْ فعلها، وأن يذكر أسماء المغتصبين، وبالتالي أن يعرفها؟ أوَلم تكن المسألة تهدف إلى شيء آخر؟. وبالنسبة للامبراطور، أن يوضح للرعية أنّ الثورات لا أمل لها في مستقبل، وأن يُظْهِر أن مركز الامبراطور الخاص راسخ لا يتزعزع، وأن يتمثَّل المراقب الواحد من الرعية الطاقة الرمزية للصورة، وأن يدرك ما هو جوهريّ في الرسالة.

ومع السؤال المتجدد عن الكيفية التي تتشكل بها العلاقة المتبادلة بين الصورة والنص، نطأ أرضًا أكثر استقرارًا ورسوخًا. وذلك أن القوم لاحظوا أنَّ هناك نوعين مختلفين من صور الحكام في فن الإخمينيين، أحدهما: الصور التي كان يتمُّ إعداد نسخ مطابقة لها، أكثر من مرة، أو في كثير من الأحيان، والثاني: تلك الصور التي تكون، على قدر ما نعلم، "فريدة في نوعها". فأما الصور الأولى فنجدها على العملات، وعلى جدران القصور، وعلى المنسوجات، وعلى درع من الدروع، وعلى الأسلحة، ويمكن تفسيرها بأنها تأتي في هدايا من أباطرة، وأمّا الصور الفريدة في نوعها فتوجد على الحجارة الكريمة وعلى الأختام الدرّاجة والأختام العادية، وعلى نحو أنْدَر في نحت الصور على قبور الأمراء المحليين. وعلى هذا فالمسألة لا تتعلقَّ بالفرق بين فن "كبير" وفن "صغير"، أو بالسلاح والامبراطورية، أو بالبلاط والأقاليم، أو ما شاكل ذلك، بل بصُوَر فريدة في نوعها، تخدِم التميُّز الفرديّ، في مواجهة ذلك التمثيل الملكي ‹Calmayer›. وفي داخل هذه المجموعة الأخيرة يتميَّز الآن نقش بِسُتون البارز بأهمية خصوصية، لأنه قد تمَّ ضمان إمكان التعرُّف عليه على أفضل وجه بالنظر إلى تمثيله بالصورة، ومركزه، من حيث رمزيته الفنية في إطار "الدعاية للحكام" ‹Calmayer›.

ولقد كنا أشرنا آنفًا إلى أن النقش البارز يقدم إلينا "ملوك الأكاذيب" بالتسلسل الذي هُزِموا به. ثم إن النقش الكتابي يقدم التواريخ الخاصة بذلك. وما من شك في أنها ليست مرتَّبة ترتيبًا زمنيًا، بل تبعًا لتسلسل المراتب التي ينتمي إليها كل بلد من البلدان ذات العلاقة على حدة. ولئن كانت بنوع المعلومات ونطاقها رواية تاريخية، وإن كانت نصف رسمية، فقد كان النقش البارز ربما فيه من سلسلة

"الأسرى"، مشهدًا من التاريخ الزائف تنفسه الأزمنة والأمكنة يفترض أن يتمّ فيه التعبير، بالموضوعات المشهورة، الشرقية القديمة، كموضوع الحاكم المظفَّر الذي يدوس بقدمه على خصومه، وباستعراض الأسرى أمام المراقب المتأمِّل، الباحث عن رسالة خصوصية يسهل فهمها: مثل هذا يحدث لأولئك الذين يثورون عليّ ويتمرَّدون. وفي أواخر عصر فن الإخمينيين، ومثال ذلك ما يوجد على النقش البارز في برسبولس، إذ يتم عندئذ التخلّي عن الإحالة إلى أحداث كل يوم بعينه، ويتم تلخيص الأمكنة والأزمنة، لصالح التركيبات التي تتكرر على الدوام، والتي لا ينبغي أن تفهَم على أنها نَسْخٌ لا يخلو من أصالة الأفكار، لما يجري ادعاؤه، أو التظاهر به، بل يشكل، على النحو ذاته "دلالة" خصوصية: والحق أن الملك يتصرف كما لو أنه كان مصوَّرًا على النقش البارز. وما من شك في أنَّ المسألة لم تكن، بحال من الأحوال في مكان العرض والتصوير دائمًا، بل كانت حيثما وُجِدَ هو، وهذا التبدُّل في لغة الصور يتطابق مع مضامين النقوش الكتابية، إذ تصبح هي أيضًا غير مرتبطة بزمان معين، وبالتالي تكون قابلة للأخذ عنها من قبل الملوك كافّة، فينقلون نوعًا من "الإيديولوجية الملكية": فالامبراطور ممثل القانون والنظام، والأملاك العقارية والفلاحين، فهو يثيب أولئك الذين يقفون منه موقف الموالي ويعاقب أولئك الذين يحاولون التحلّل من هذا الولاء، وقد تمَّ التعلُّل بأجزاء من هذه "الإيديولوجية" والاستناد إليها في بِسُتون، ففي الركن الرابع من النظام الفارسي القديم، يتوجه داريوس نحو خلفائه:

> 55 يعلن داريوس الملك، أنت يا مَنْ سوف ستصبح بعد ذلك ملكًا، فلتحاذِر كل الحذر من الكَذِب، أما الرجل الذي هو عبد للكذب فلتنزلْ به العقوبة الشديدة، حين ترى أَنْ "ستكون بلادي، بها، مُوطَّدة الأركان"!.

وفي موضع آخر يشير، في هذا الصدد إلى سلوكه الخاص، الأنموذجيّ:

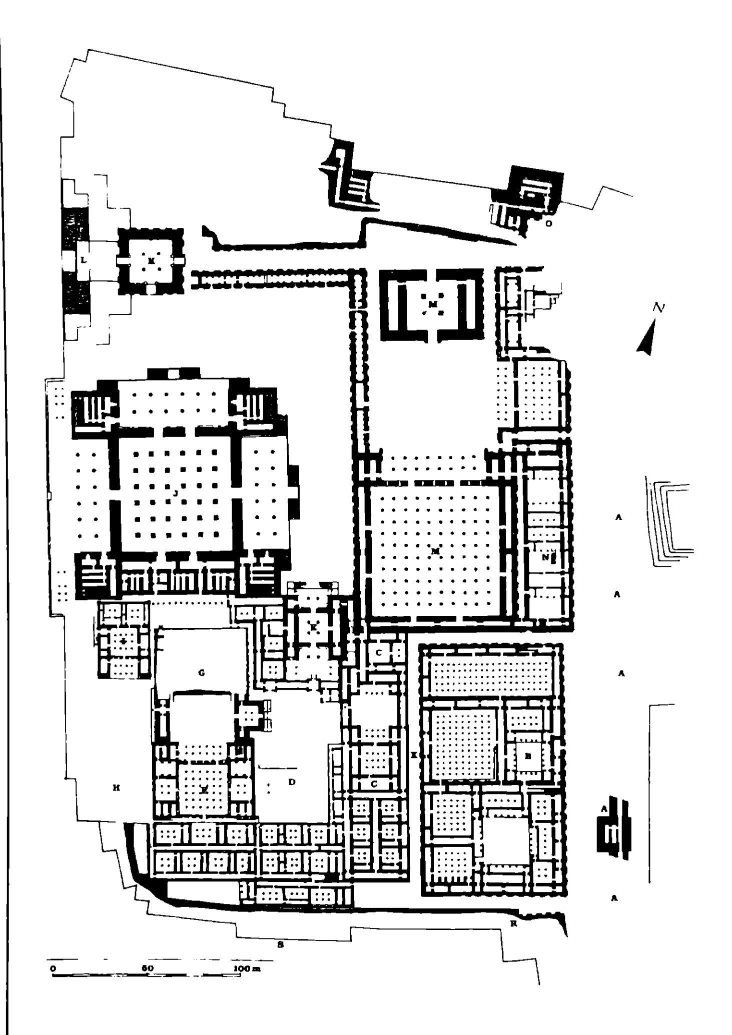
> 63 ومن أجل ذلك كان أهورامزدا يقف إلى جاني، مثلما كانت تقف إلى جاني الآلهة الأخرى، الموجودة هنا، لأني لم أكن مجرَّدًا من الإخلاص، ولم أكن ملك الأكاذيب، ولم أكن الرجل النزّاع إلى العنف، لا أنا، ولا عشيرتي. لقد سلكت سبيل العدالة والإنصاف، ولم آخذ بالعنف ضعيفًا ولا جبّارًا، أمّا من وَقَف نفسه لحماية داري فقد جَزَيْتُه بالعطاء الجزيل، وأما من عاث في الأرض فسادًا فقد جزيته بالعقوبة الصارمة.

على أن النقوش البارزة والنقوش الكتابية من الطِراز الثاني، يفضين بنا إلى فارس ذاتها (Pārsa)، إلى أكثر مقارّ الملك شهرة عند الملوك الإخمينيين.

2/ 1/ 3] بِرسِبولِس: مدينة الملوك: قلب فارس والامبراطورية

كان داريوس قد بدأ ببناء بِرسِبولِس / تخت جمشيد / بارسه عام 515 ق م، تمثل فارس، وكانت، في الوقت ذاته، تمثل انعكاسًا لفهم الامبراطورية عند الإخمينيين، وكانت تمارس دورًا من حيث كونها مركزًا إداريًا، وكانت تُستَعْمَل في الاحتفالات والمهرجانات الكبرى، وقد أقيمت بمواد، وعلى أيدٍ عاملة ترجع أصولها إلى كل أصقاع الامبراطورية. وفي هذا المكان، وفي النقوش البارزة، وفي هندسة العمارة، كان يفترض أن يتمَّ التعبير عن الشعور بنظام كونيّ عالميّ يرتكز على مساندة الملك من قبل رعاياه قاطبة. ويجري عرض القوميات المصوَّرة في النقوش البارزة، نقوش دافعي الرسوم والضرائب، وحملة الألقاب المجتمعين حول موائد الولائم، وكل هؤلاء يُعْرَضون على أنهم مشاركون في المراسم، وهم الذين ينبغي فهمهم على أنهم مرتبطون بالمكان والزمان، أو على أنهم يمتّون بصلة إلى الاحتفالات والمهرجانات الحقيقية في بِرسِبولِس ذاتها، ويرمزون إلى التعاون بين الملك ورعاياه في سبيل المنفعة المتبادلة بين الجانبين.

ينبغي علينا الآن أن نقوم بجولة قصيرة في بِرسِبولِس (أنظر الشكل 4) لكي نخرج بانطباع عن الطاقة التعبيرية وضخامة المنشأة. وعلى سفح جبل كوهْ-ي رحمات تمتدّ مصطبة القصر الفسيحة، بمساحات تبلغ أبعادها 450 300 X م، بارتفاع متوسط قدره 12 م فوق السهل. أمّا الواجهة التي تأتلف من كتل أحجار الكلسية المتشكلة على نحو غير منتظم، تلتحم، من دون ملاط، مثل لغز محيِّر، بأقصى قَدْرٍ من الدقة، فتزيد بعدُ من حِدّة الانطباع الذي يوحي بأداء معماري يتخطّى حدود المألوف. وقد زوَّد كِسرى المنشأة، التي كانت في الأصل لا يمكن دخولها من الجنوب، بسُلَّم عملاق، ذي مَسارين، بالقرب من الركن الغربي بالشماليّ، ينتهي، أمام "باب كل البلدان"، ويتيح الوصول الحقيقيّ إلى المباني الواقعة على المصطبة. أما الكائنات المختلطة الجبّارة التي تحمي الباب الخارجيّ فهي "ثيران مجنَّحة، وأناسٌ في أجساد ثيران لها رؤوس بشرية، وأجنحة" وتستهدي بالنماذج الموجودة في قصر سنحريب الآشوري في نينوى، ولا تخلو من مضمون له دلالته، في وظيفتها الطاردة للشر. وكانت منشأة الباب الخارجي تتيح للبعثات والسفارات ورجال البلاط والشخصيات الأخرى، الوصول إلى قاعة الاستقبال الملكية ذات الشكل التكعيبيّ (أبدانا/ Apadana) التي يبلغ طول كل جانب من جوانبها 60,5 م، ويبلغ ارتفاعها 25 م، وكانت، بتركيب سقفها الذي يحدث أثره في النفوس، وبالمبنى الذي يستطيع، فيما يرى المُنَقِّب إرنست هرتسفيلد، أن يهيء مكانًا لعشرة آلاف من البشر، وتتألف من تركيبة خشبية يدعمها ستة وثلاثون عمودًا. وكانت الوجوه الجانبية للسلالم في شماليّ القاعة وشرقيّها، التي تفضي إليها صعودًا، تكشف، في نقشٍ بارز مسطَّح تمَّ



a) السور الشرقي، b) المخزن، c) قسم السكنى «الحريم»، e) التربلون، f) قصر كسرى، i) قصر داريوس، j) قاعة العرش، k) باب كل البلدان، l) موقع السلّم، m) قاعة المئة عمود، r) السور الجنوبي، s) نص البناء العائد لداريوس

الشكل ٤: تخت جمشيد / برسيبولِس

تنفيذه وبعناية، عن شعوب الامبراطورية والعاملين في البلاط. أمّا الجنوب الغربي من المصطبة الكبيرة فتملؤه القصور السكنية لداريوس "بالفارسية القديمة: تَشارا" ولكِسرى: هاديش، وكذلك بقايا القصور الأخرى. وفي الحريم في جنوب المنشأة، التي يمكن الوصول إليها عن طريق جناح أمامي مشابه للقصور السكنية، ووراء ذلك، إذ يتألّف من تراصُف طويل لوحدات سكنية، متماثلة في شكلها، وتتألف كل وحدة من حجرتين، كان من الممكن أن ينجم عن تسمية، حديثة، تَضَمُّن لـ"انحلال شرقي". ولا شك في أنَّ من الواجب التحذير بإلحاح، من أمثال هذه الألوان من العبث بالأفكار. ثم إن الشطر الشرقيّ من المصطبة تشغله، على النحو ذاته، قاعات ذوات أعمدة: قاعة الأعمدة المئة لكِسرى الأوّل و"بيت الخزينة". وقد حظي هذا المبنى باسمه الذي يشغل حيِّزًا كبيرًا، لأنه لا يحتوي إلاّ على منفذٍ ضيق، وعلى أعداد جمَّة من المكتَشفات الصغيرة، وهي، على الأغلب، من الحجارة، وكانت تعود إلى الجرد المقوت للحجرات التي يُظَنُّ أنها تعرضت للنهب على أيدي جند الإسكندر. على أنَّ الارتباط بين القسمين، الشرقيّ والغربي يؤمِّنه باب خارجي لمبنى المرور والنفاذ، أي "البرج الثلاثي".

ومَنْ يَأْتِ اليوم إلى بِرسِبولِس لا يَخرجْ بعدُ، على الرغم من الأجزاء الباقية المؤثِّرة، إلاّ بانطباع ضعيف حول هذه المباني في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد. ثم إن هناك أيضًا تركيبات التغطية الخشبية، والأبواب الخارجية، والقطع الذهبية التي تغطّيها والستائر النفيسة والبلاط والرسوم والتصاوير على الجدران، والأعمدة الملوَّنة وتيجان الأعمدة النصفية البارزة من الجدران، والنقوش البارزة، ومِثْلُهن التحف والكنوز والمجوهرات والنفائس، اللواتي لابُدَّ أنهن كنَّ يبدون لعين المتأمِّل القديم مثل "أعجوبة". أمّا في حالة محاولات إعادة التركيب الحديثة ففي وسع المرء أن يتعرَّف على هذا بطريق الحِسّ الداخلي أو الحدس على الأقل.

على أن مما يثير الاهتمام الآن أنه تمَّ في بِرسِبولِس وقف كل أعمال النحت والنقش على الحجر بعد أردشير الأول، وعلى الرغم من أن بعض الأعمال كان لايزال غير مكتمل. فقد أصبحت المنشأة "قصرًا قديمًا" وبهذا الاعتبار باتت تستعمل أيضًا مدفنًا للأسرة الحاكمة "يوجد ضريحا أردشير الثاني وأردشير الثالث في ظهر صخرة كوه-ي رحمات داخل مضمار الحاجز الترابي". وفي طور ثالث فحسب، أي: في نهاية حقبة الإخمينيين، تمَّ إحياء بِرسِبولِس من جديد بدرجة أقوى، ولقد تمَّ أيضًا إثبات حدوث نشاط، متجدِّد في مضمار البناء "ولاسيما في أيام أردشير الثالث". وتتضح أهمية المنشأة وحالتها المعمارية وما يقع عند أقدامها من مدينة سكينة في ذلك الوقت في رواية شاهد عيان من محيط الإسكندر يرويها لنا ديودور: «كانت بِرسِبولِس "المدينة الأم، العاصمة/ mètropolis" في امبراطورية الفرس، وكان الإسكندر

يصفها للمقدونيين على أنها أبغض المدائن إلى قلبه بين كل مدن آسيا، وقد سلمها لجنوده، لينهبوها، باستثناء القصور، وكانت أغنى مدينة تحت الشمس، وكانت المنازل الخاصة تُزَوَّد، على مدى الزمان، بكل نوع من ضروب الرفاه. ومما يستحق الذكر قلعة "أكرا"، وما يحيط بها من حزام يتألف من ثلاثة من الأسوار . . وفي الجانب الشرقي من منشأة المصطبة "التِرّاس"، على بعد 4 بليثرا (Plethra)، يوجد ما يسمى رابية الملك (oros basilikos) التي توجد فيها أضرحة الملوك . . وفوق المصطبة (akra) كانت تتناثر المقارّ الملكية ومقارّ القادة العسكريين Katalyseis (basilikai kai stratégikai)، مزوَّدة بكثير من ألوان الترف، مثلما كانت تتناثر مخازن الكنوز "thésauroi" مزوَّدة بما هو ملائم للحِفاظ على النفائس».

ومازال هناك بعض الخصوصيات التي تتميَّز بها بِرسِبولِس والتي يترتب ذكرها. أما في هندسة العمارة فهناك المباني المتناسقة، التي تنتصب مستقلة، والتي تكون في كثير من الأحيان مزوَّدة بأبْهاء ذوات أعمدة، متميِّزة في الداخل بسلاسل من الأعمدة متساوية الارتفاع. وأمّا في فن النقوش البارزة فهناك الصور التي تلفت الأنظار، صور "تقديم الرعيّة الهدايا" وصور "الملك مُسْتَوِيًا على عرشه محمولاً على أكتاف رعاياه"، وموضوعات أخرى معروفة من فن مابين النهرين تُفْتَقَد كل الافتقاد، كالصيد والحرب. والحق أنه يوجد البطل الملكيّ في قتال مع المخلوقات المختلطة، ومع ذلك يتمُّ إرغام هذه الحيوانات الخرافية، حتى في النقوش البارزة، على أن تكون، بحكم كونها تيجان أعمدة، حاملاتٍ للقصر الملكي. ويحل محلّ الوحوش الهائلة الرهيبة التي تتولى حراسة الأبواب الخارجية والداخلية في بِرسِبولِس، على نحوٍ مُدَعَّم، جند الحرس الفارسيّ، بتسليحهم الأغوذجيّ.

على أن النقوش البارزة يفترض أن يشغُلْنا بتفصيل أكثر من ذلك قليلاً: والحق أن الملك، بحكم كونه "متلقّي الهدايا" (وموزِّعها)، ليس إخمينيًّا بصورة أغوذجية، بل هو معروف جيدًا عند المؤرخين والباحثين في الإثنولوجيا. وما من شك في أن الإتيان بالهدايا، وليس أداء الجزية أو الإتاوة، يُعَدُّ، على وجه الخصوص، من العلامات المميّزة للملكية الإخمينيّة (اللوحة 4): وذلك أن المنتجات الأغوذجية لكل شعب من الشعوب على حِدة، أو سلع الترف كانت تُقَدَّم إلى الملك، وكانت بذلك ترمز إلى الرابطة القائمة بين الحاكم ورعاياه، سواء أكان يجري الإحساس بها على أنها أعطيت بالفعل، أم كان يجري الإحساس بأن الملك قد صدر أمرًا بتقديمها. فالملك الذي يحمله رعاياه "على الأكف"، وعلى نحو ملموس: الحاكم الذي يستوي على عرشه المشكَّل من قطعة من الأثاث هائلة: باليونانية ديفروس (diphros)، وبالفارسية القديمة غاثو (gaΘu)، والذي يحمله ممثلو شعوب الامبراطورية (اللوحة 5). موضوع آخر يلفت الأنظار، من موضوعات فن النقش البارز في بِرسِبولِس،

وهو يمثِّل، على نحوٍ مماثل "لحاملي الهدايا"، سلطان الملك في مجمل الامبراطورية، ولكن يفترض، في الوقتِ ذاته في هذه الصورة أن تثير بعدُ في النفوس تداعيات لدى من يتأملها، مثلما يثبت ذلك النقش الكتابي على ضريح داريوس الأول: «وحين تفكر الآن في كثرة البلدان التي كان يملكها الملك داريوس. فلتتأمَّل عندئذٍ صور أولئك الذين يحملون عرشي، هنالك سوف تدرك، وسوف تعلم أن رمح الرجل الفارسيّ قد أوغل في الأرض بعيدًا كل البعد، وسوف تعلم أن الرجل الفارسيّ قد ردَّ العدوَّ على أعقابه، بعيدًا كل البعد عن فارس».

وفي صدد الموضوعين كليهما يطرح نفسَه السؤالُ عن العلاقة بالأعياد والمناسبات ذات الصفة الحسية الملموسة. وإذا كان القوم يعتقدون، في صدد "حمل العرش"، بـ"مواكب حقيقية، وبقِطَع معينة من الأثاث"، فإنهم ليسوا متفقين اليوم في البحث، على مسألة "الإتيان بالهدايا": فإذا كان هذا اليوم لا يكاد يُرْبَط بينه وبين الاحتفال بعيد رأس السنة الإيرانية "النيروز" في بِرسِبولِس، فإنه يظل من الأمور المتنازَع فيها، مسألةُ هل كان زحف الشعوب يمثل اللقاء بين الملك والرعية؟، وأينما وأيان يَكُنْ ذلك؟. أو كان يُرْبَط بينه وبين احتفاليّات معينة "عيد ميلاد الملك؟" أو أمور أخرى، في بِرسِبولِس أو في مكان ما، آخر؟.

ويتبقى تدمير أسطورتين أيضًا: أما الأولى فترى في بِرسِبولِس "مدينة مقدسة"، ظلت مغلقة على الدوام دون الغرباء "ولاسيما الإغريق". ولا يمكن أن يرد حديث عن هذا، حتى وإن كانت سُوْسَ في الحقبة السابقة على الإسكندر تبدو، على الأغلب، هدفًا للبعثات اليونانية. وعلى الأقل يجري الحديث في الغرب، بالرواية عن الفنانين والبنّائين الإيونيين المشاركين في بناء بِرسِبولِس، عن أُبَّهة مقرّ الملك. وليس ما يبعث على العجب أن جزءًا من البحث يريد أن يرى الفكرة المنقوشة على الحجر في بِرسِبولِس أثرًا منقولاً عن أجزاء من مبنى الأكروبوليس "النقش على جدار الفرتينون في أثينا". أمّا الحكم الخاطئ الثاني، فيمسُّ بِرسِبولِس بعد غزوة الإسكندر، وهو أن فكرة "تخريب" المكان على يد الإسكندر، فكرة ذات طبيعة أدبية، إذ لم يكن بُدٌّ أن "ينهار" المكان من حيث كونه رمزًا للسيادة الفارسية، اختتامًا لحملة الانتقام. ولم يكن من الممكن تأييد هذه الفكرة عن طريق البحث في الآثار، وذلك أن النار لم يجرِ إشعالها إلاّ في أجزاء معينة من مصطبة القصر الواسعة، وظلت بِرسِبولِس مأهولة بالسكان بعد عام 330 ق م، حتى وإن ما عاد القوم يعرفون، على مَرِّ القرون، أسماء غزاتها، والغرض المنشود من المبنى.

ولنلخصِ هذا: ففي بِرسِبولِس تتكامل الموضوعات والدوافع الكامنة وراء الصور لتشكِّل تصميمًا جديدًا مبنيًا على برنامج معين، من أجل فكرة نوعية للملكيّة الفارسية والامبراطورية الفارسية. أمّا أن المسألة تتعلَّق بوفود الشعوب

الآتية بالإتاوات، وبالرعية الذين يحملون العرش، مرتبين وفقًا للإثنيّات، أو بالبطل الملكي الذي يخوض قتالاً ضد المخلوقات المختلطة، أو كانت تتم تمجيدًا وصلاة، مثلما كان يُرى ذلك على واجهات الضريح، فقد كان كل هذا، بالقياس إلى قدماء الفرس، تعبيرًا عن فكرة لا ارتباط لها بالزمان، عن النظام العالمي والكونيّ، كانت تدين بالفضل للمساندة الإلهية والولاء المتبادل بين الملك ورعيته. إنها الفكرة ذاتها التي تنعكس في النقوش الكتابية ذوات اللغات الثلاث، سواء أكان ذلك في تأكيدها لصفات الملك أو لدلالة ولاء الرعية لبقاء الامبراطورية، أم كان في الإشارات إلى المساندة والتأييد الإلهيَّيْن للملك، أو في مجال التوسع الكبير للامبراطورية. لقد كان يؤْخَذ على الإخمينيين، ولاسيما كِسرى، زمنًا طويلاً، النَسْخَ وطبق الأصل، للنماذج التي قدَّمها الأسلاف، وبالتالي الآباء، والخلط التعسُّفي بين التقاليد والموضوعات الفنية المتباينة، بل حتى "التوقف" أو "الركود" الأسلوبيّ. وفي الواقع يستكِنّ وراء البرنامج البيرسيبوليتاني للبناء والتصوير، المحاولة الهادفة إلى حمل نظام الامبراطورية الفارسية، بما تنطوي عليه من ادّعائها الحق العالمي والخالد، لها على رعاياها وزوّارها، في إلزام هؤلاء بضمان سريان مفعول تعليماته. ولم يَسْتَعِد القوم النظرة إلى هذا إلاّ في الحقبة الأخيرة تمامًا.

2/ 1/ 4] بزَرغداي، سُوْسَ ونقش رُستَم، العملات، والخاتم والزينة: مرابع وشواهد أثرية أخرى للفن والثقافة عند الإخمينيين

حين أسس قورش امبراطورية الفرس، أنشأ بذلك مقرّه الأول في بسركاد (Pasargadai) الواقعة على بعد ثلاثين كم من برِسبولِس، وهي التي يُظَنُّ أنها تقع في مكان الموقعة الحاسمة ضد الميديين. وما عاد في وسعنا أن نتبيَّن اليوم مدى سحر هذا المكان الذي لابد أنه كان يتمتع به في العصر القديم، من حيث مناظره الطبيعية، إلاّ من خلال بقايا المباني. غير أن هذه لا تتيح لنا أن نتبيَّن الوضع الإجمالي ذاته. ففي أراضي البستنة المروية (باليونانية: بارادويْزوس/ Paradeisos = فِردوس) كانت تقع، في تلك الأيام، "متناثرةُ" على ارتفاع 1900 م، قلعة (تَلْ-ي تخت/ Tall-i Taxt)، وهي مجموعة من القصور وأجنحة الحدائق، ومبنى للتقليد الملكيّ للمناصب (زندان-ي سليمان)، و"الحي المقدَّس"، مع هيكلَيْن للنار، وضريح قورش ذاته، في شكل منزل له سقف كالسرج، منتصبًا على قاعدة مدرَّجة. وظلت بزَرغداي، حتى بعد تأسيس برِسبولِس مركزًا هامًا للمراسم في فارس.

وفي سُوْسَ، الحاضرة القديمة لعيلام (خوزستان) أمر داريوس الأول بتشييد قصر على مصطبة صناعية (رابية أبدانا)، كان يُتَّخذ، بمنشآته ذوات الأعمدة

الاثنين والسبعين، أنموذجًا في بِرسِبولِس. ومن الآثار الإخمينية الأخرى، الباقية في هذا المكان القديم، الذي تمَّ استيطانه منذ عصور ماقبل التاريخ، قلعة فوق الأكروبوليس، و"حي العمّال اليدويين" إلى الشرق من "مدينة الملك"، وكذلك قصر أردشير الثاني، على الضفة الغربية لنهر شاعور الذي يمرّ بمدينة سُوْسَ. ومن الأمكنة المعروفة على وجه الخصوص النقوش البارزة السوسية المطليَّة، ثم المشويّة، من الآجُرّ، والتي صُوِّرَت عليها الأسود والمخلوقات المختلطة، وجند الحرس. وفي مقابل ذلك تُعَدُّ النقوش البارزة في الحجر، كما هي في بِرسِبولِس، نادرة.

وفي نقشه الكتابي على البرج (DSF) يحصي داريوس الفنانين والعمال الذين شاركوا في بناء المقر، ويذكر أيضًا الموادّ التي استعمِلَت: «والقصر الذي شيَّدته في سُوْسَ، كان يجري تأمين موادِّه الخام من أمكنة بعيدة، وكان التراب يُحْفَر إلى الأعماق، إلى أن يبلغ التربة الخالية من النبات. وحين كان قد تمَّ إفراغ المكان من التربة على نحو أساس، صُبَّت هناك كميات من الحصى، وكان يبلغ ارتفاعها، في شطر منها، أربعين ذراعًا، وفي شطر آخر عشرين ذراعًا. وعلى هذه الكميّات من الحصى أقيم القصر. أما مسألة أنَّ التراب قد حفِر إلى الأعماق، وأنَّ كميات من الحصى قد صبت في مكانه، وأن كثير من الآجر الطيني قد تم صقله، فذلك ما تدبَّر أمره البابليّون.

وكان يؤتى بجذوع الأشجار من خشب الأرز. من جبال لبنان. وكان السوريون ينقلون الجذوع إلى بابل، ومن بابل كان الكاريّون والإيونيّن ينقلونها على سطح الماء إلى سُوْسَ، وكان يؤتى بخشب الياكا (Yakā) من قندهار وكِرْمان.

وكان الذهب الذي كانت تجري معالجته هنا، يُؤْتى به من ليديا وبكتريا، وكانت الأحجار الكريمة، كاللازورد (الأحمر والأصفر) من س وغديا، وكان يؤتى بالفيروز "أو التوركواز" من خوارزم، وبالفضة والعاج من مصر، وكانت المادة الملوَّنة التي كانت تطلي بها جدران المصطبة تأتي من إيونيا، وكان يؤتى بالعاج من بلاد النوبة، والسند وأراخوزيا.

وكانت الأعمدة التي تعالج هنا يؤتى بها من مكان يقال له أبيرادوش، في عيلام، وكانت قواطع الأحجار يؤتى بها من إيونيا وليديا، وكان الصاغة الذين يعالجون الذهب، ميديين ومصريين، وكان الرجال الذين يعالجون الخشب، ليديين ومصريين، وكان أولئك الذين يشوون الآجر بابليين، وكان الذين يطلون جدران المصاطب بالدهان ميديين ومصريين».

وفي مستهل السبعينيات كان يوجد في سُوْسَ، في مبنى الباب الرئيسّ الخاص بداريوس، تمثال هائل للملك من دون رأس، وهو أول أثر حُفِظ لنا من أعمال

النحت لواحد من الإخمينيين على وجه الإطلاق. وكان التمثال الذي تم إنشاؤه في مصر، ينتصب، مع تمثال معلّق. وما من شك في أنه كان في الأصل في معبد هليوبوليس في مصر، وقد زُوِّدَ بنقش كتابي بالخط المسماري بثلاث لغات، على الجزء الأيمن من ثوب الملك، كما زُوِّد بكتابة هيروغليفية مصرية مفصَّلة على الشطر الأيسر من ثوبه، وبالخنجر وبأنشوطة الحزام والجوانب الأربعة من قاعدة التمثال. وعلى الأخيرة توجد فوق الخرطوشة ذات العلاقة، تصاوير ممثلي شعوب الامبراطورية، في وضعية المساندة. أمّا ماهية المناسبات التي تمت فيها إقامة التمثال، أو التماثيل، في مصر، وأسباب إقامتها، ونقلها اللاحق إلى سُوْسَ فذلك ما يُحير العقول تفسيره إلى حد بعيد.

ويرتب استعراض مكن أخير للملكة الإخمينيّة أيضًا، وهو نقش-ي رُستَم (صورة رُستَم). أمّا اسم المكان الذي يدين بالفضل في وجوده لتقليد متأخِّر كثيرًا، فيشير في هذا الصدد إلى صور النقش البارز من عصر الساسانيين "أنظر أدناه" التي كان القوم يعتقدون أنهم يتبيّنون فيها تصاوير البطل العظيم الإيراني رُستَم الذي تتناقله الروايات الشعبية في العصر الإخمينيي. وكان الجدار الصخري، الذي كان العيلاميون يستخدمونه للنقوش البارزة والذي يبعد نحو ستة كيلومترات إلى الشمال الغربي من بِرسِبولِس مكانًا لدفن الملوك الذين كانوا يوصون بأن تُسَجّى أجسادهم في قبور من الصخر ذوات نقوش بارزة، ضخمة كالأوابد، صليبية الشكل. وكان ضريح داريوس الأول وحده هو الذي يُؤمِّن له النقش الكتابيّ عن طريق النقوش الكتابية (DNa, DNb)؛ أمّا الثلاث الأخريات فيعدُّها كِسرى، أردشير الأول وداريوس الثاني، زائفة. وأمام الجدار الصخري تنتصِب كعبة-ي زردشت، ويُظَنُّ أنه مبنى أقامه داريوس، ويمكن مقارنتها، في مظهرها، وفي وظيفتها أيضًا بلا ريب، بالزِندان والبزَرغداي. وحتى إذا كان الساسانيّون لا تتوافر لديهم سوى معرفة ناقصة ب"أجدادهم" الإخمينيين، فإنهم يؤكدون، من خلال الإتيان بنقوشهم البارزة إلى هذا المكان، بلا ريب، الأهمية الخصوصية لهذا المكان لتاريخ بلادهم، ولفهمهم لذاتهم. وسوف نعود إلى ذلك فيما بعد.

وبصرف النظر عن الآثار التي تضاهي الأوابد، في الفن الإخمينيّ تُعَدُّ، على وجه الخصوص أيضًا، آثار الفن الصغرى ذات مقدرة على التعبير والإفادة. فالعُملتان، الذهبية (داريكويْ/ Dareokoi) والفضية (زيغلويْ/ sigloi) اللتان تُسَمَّيان، من الإغريق، بسبب الأبطال الملكيّين المصوَّرين عليها، من حملة الأقواس "والسهام" (تكخوتاي/ toxotai)، أي: الرماة بالقوس والسهم. ولم تكونا مجرد أجر مرغوب فيه عند المرتزقة الإغريق التابعين للأباطرة، ووسيلة مخوفة في السياسة الفارسية في اليونان وآسية الصغرى، بل كانت تُذَكِّر أيضًا، مثلما كان يفعل الملوك

في نقوشهم الكتابية ذاتها، حتى اليوم، بالمزايا العسكرية الخصوصية للحاكم. أما صور الانتصار المعروفة على الأغلب من المنحدرات على اللوحات الصغرى من برسبولِس، فتعطي انطباعات عن ارتباط الفنانين الإخمينيين بالتقاليد الشرقية القديمة الخاصة بهذا النوع، ولكنها تعطي انطباعات أيضًا عن المبتكرات الجديدة، عن قصد ووعي وعن نقل الأفكار إلى عالم تصوُّر الملوك ورعاياهم.

ويبقى أن نذكر أيضًا موضوعات أسلوب الحياة الملكية والأرستقراطية: الخلاخيل في الأذرع والأقدام، واللآلئ، والحُليّ المعلقة على صدور النساء، والأقراط، والأكاليل المرصَّعة بالجواهر، وما يُعلَّق على الملابس، والمشابك، والدبابيس والأحزمة، سواء أكانت الآن وصلت إلينا مباشرة أم كانت لا تُعْرَف إلاّ من النقوش البارزة. كما يترتب أيضًا أن نذكر أيضًا أعمال النقش البارز على المعادن والمنسوجات القيِّمة، والأسلحة النفيسة، ومزيدًا من الأشياء الأخرى، التي كانت تؤدي وظائفها أيضًا في إطار "الإتيان بالهدايا" (وتوزيعها)، ومن أجلهما، عن طريق الملك، أيْ: في إطار نظام لإقامة العلاقات الودية وتمتين أواصرها، وبالتالي توثيق عرى التبعيّة والارتباط بين الملك ورعيته.

وأخيرًا فالأعمال الفنية ذوات الأصول الإقليمية أو المحلية، التي تمثل، في مرات كثيرة بما يكفي، المشاعر الكامنة في النماذج الكبرى، "الصور" الإغريقية-الرومانية للملوك الإخمينيين ورعاياهم، وكذلك "القومية الفارسية/ Perserie" في زِيِّها المتفنِّن، القَيِّم، في أثينا القرن الخامس، تُخَلِّفن انطباعًا عن إشعاع أسلوب الحياة الفارسية.

2/ 2] الملك ورعيَّته

2/ 2/ 1] أنا داريوس، الامبراطور، ملك الملوك، ملك فارس، ملك البلدان والشعوب، ابن هِستاسبيس، وحفيد أرساميس، الإخميني، ملك في مملكة الإخمينيين

وإذا نظر المرء في هذه الفقرة من النقش الكتابيّ الكبير لداريوس، من بِسُتون، عن كثب، هنالك يدرك بعض الخصائص المميِّزة للمملكة الإخمينية: وذلك أن داريوس يشير إلى نفسه أوَّل الأمر، بأنه (xšāyaΘiya)، وترجمتها الحرفية: "الذي يتميَّز بسيادة"، مع لقب يعتقد القوم أنهم استعاروه من اللغة الميديّة، وهو يصعِّد هذه التسمية الذاتية، على الأغلب، أيضًا، يلقب (vazerka) بمعنى:

كبير، وهي كلمة ترجع، أيضًا، إلى أصل ميديّ، وبذلك تتبّع أنموذجًا ينتمي إلى بلاد ما بين النهرين (أنظر، مثلاً، العبارة الأكّادية Êarru rabû). والمسألة الثالثة والأخيرة هي أنه يسلك نفسه في إطار علاقة مع ملوك دول الأسلاف، في بابل، وآشور، وأورارتو وميديا، الذين يُنْزِل سيادتهم منزلةَ التابع لسيادته. أما لقب (ملك الملوك)، بالفارسية الوسطى "شاهَان شاه" وبالفارسية الحديثة "شاهنشاه"، ولا ريب أنها ذات أصل يعود إلى بلاد الرافدين أيضًا، ومع ذلك فقد استعارها الفرس من لغة الأورارتو، وتحوّلت في هذه الأثناء، على مر عصور التاريخ إلى عنوان للسيادة الإيرانية بامتياز. وكان انتماء كثير من "البلدان"، وبالتالي، "القوميات" إلى الامبراطورية، يتأكد عن طريق رابطة (ملك البلدان والشعوب)، وتعدُّ هذه من المبتدَعات الجديدة لداريوس. وهذه ألقاب شرف يمكن العثور بينها أيضًا على المتغيِّرات "ملك البلدان التي تضم كل القبائل" وبالتالي (ملك الشعوب من كل أصل) وبالتالي: "ملك الشعوب من أصول شتى، كثيرة". ثم إن هناك متغيرًا أخيرًا، يطرح، آخر الأمر، صيغة الملك على هذه الأرض الكبيرة البعيدة الفسيحة الأرجاء.

غير أن بروتوكول الملك يوضح شيئًا آخر: فالمملكة ضاربة بجذورها في فارس، وبصورة أدقّ: في تخت-ي جمشيد وهي مرتبطة بالأصل الذي يعود إلى أسرة الإخمينيين، ويبدو أن هذه "العقبة الكؤود" هي التي تحطّمت على صخرتها محاولة الإسكندر الذي أَلِف تصرُّفات الإخمينيين على وجه الإطلاق، تسلَّمَ مقاليد الأمور في الامبراطورية، وأن يظفر، فوق ذلك، بمساندة الفرس "في مواجهة داريوس الثالث"، وظلت تتعرض للإخفاق حتى وفاة خصمه. ويظن أن الخلافة على العرش كان يقررها كلٌّ من كان الحاكمَ في وقتها: على أنه كان من المألوف أن يَلِيَ الخلافة أوَّل مواليد الحاكم الراحل، وما من شك في أنَّ خلافة الحاكم كانت، في الحالات الاستثنائية فحسب، مقصورة على "أوَّل المولودين في الوشاح الأرجواني". ويُمَهِّد بلوتارخ للصراع بين وَلَدَيْ داريوس الثاني المتميِّزَيْن على هذا النحو، أيْ أردشير الثاني وقورش الإبن، في كتابه ‹حياة أردشير / Vita des Artaxerxes›، على النحو التالي: «ذلك لأن باريساتيس (الأم التي أنجبت قورش، الابن الأصغر) كان لديها سبب مقنع، لها ذاتها، كان كِسرى الشيخ قد تعلَّل به بناء على نصائح دمراتُس، وهو أنها وَلَدت أرسيكاس؛ وهو اسم أردشير قبل اعتلائه العرش، لداريوس، ليكون شخصية غير رسمية تعمل في خدمة داريوس، غير أنها ولدت له قورش، حين كان قد غدا ملكًا. غير أنها لم تتمكَّن من إقناعه، أي: داريوس، بل سُمِّي الأكبر ملكًا، وقُلِبَ اسم أردشير، وعُيِّن قورش مَرْزُبانًا (satrape) على ليديا وقائدًا للأقاليم الواقعة على البحر».

وهذا الاقتباس يثبت، فوق ذلك، أن الملوك كانوا في حقبة ترجع، على أبعد تقدير، إلى أيام داريوس، يتخذون الأسماء التي يفترض أن تطلق عليهم بعد اعتلائهم العرش، والتي كانت تبدو مثل برامج للحكم الملكي تمّ الوصول بها إلى النقطة الجوهرية: وعلى هذا النحو كان في وسع القوم أن يجعلوا من اسم داريوس (دارايافوس = "ذلك الذي يتمسك بما هو خير"، وأن يجعلوا من كِسرى "ذلك الذي يحكم الأبطال ويسود عليهم"، وأن يجعلوا من أردشير "ذلك الذي تنطبع سيادته بالأصالة"، حين تترجم العبارة المرافقة لاسمه. وقد كان القوم يريدون أن يفترضوا للامبراطورية الإخمينية، بالمناسبة، أيضًا، شيئًا من قبيل الحكم المشترك بين الأب وابنه، وما من شك في أن هذه الأطروحة لا تستقيم ولا تصمد للنقد.

ولم يكن ملك الإخمينيين يلقى التبجيل في إيران على أنه إله، ولم يكن يُعْتَرَف له أيضًا بأصل إلهي. ومع ذلك فقد كانت العلاقة الخصوصية مع الآلهة، إلى جانب الأصل، وحسن البلاء الشخصيّ، عنصرًا أساسًا من عناصر تسويغ الحق في الحكم والسيادة: وذلك أن أهورامزدا - "والآلهة الأخرى، التي توجد" عَهِدن إلى داريوس بالامبراطورية، "بفضل أهورامزدا" تمّ اضفاؤه وتعيينه، وهو يحكم، بنجاح، الامبراطورية، وكأنه "الممثل النائب عنه". وكان القوم يتحدثون، في هذا الصدد، بحق، عن "رحمة الرب" عند الحاكم الفارسيّ. وبصفته ممثل الآلهة على الأرض يعدُّ مزوّدًا بما يسمى "فَرناه" وهي نوع من أبهة السعادة الإلهية، أو الكاريزما الملكية.

وما يتعلق بذوي القربى من نبلاء الأصل الفارسي، كان القوم يريدون أن يفهموا ملك الإخمينيين على أنه الأوّل بين نفر يقفون على صعيد واحد، في المكانة ذاتها. وما من شك في أن مثل الأنموذج من القيادة غير الرسمية، إذا أمكن له أن يجد تطبيقًا له على وجه الإطلاق في المجتمعات الأكثر تطوّرًا، لا يمكن التوفيق بينه وبين مركز الحاكم الواقعي. على أنه لا يمكن التوفيق، من باب أولى، بينه وبين مركز الحاكم الذي كانت تتم الدعاية له. وحتى عندما يطالب قورش، عند إقامة حكمه، كما يؤكد ذلك هِردُت، الفرسَ بالثورة على الميديين، وحتى عندما يضطر داريوس إلى أن يُقِرَّ للستة المتآمرين معه "على غاوْماتا" وأسَرِهم، ببعض الامتيازات، ما كانوا ليستطيعوا أن يفرضوا أنفسهم كلهم، من دون القوة والسلطان، في هذه المواقف. وفي النقوش الكتابية، وعلى النقوش البارزة لا يرد الحديث بعدُ أبدًا عن ارتباطات معينة، وبالتالي عن مراعاة محدَّدة، إذا ما ضربنا صفحًا عن الطْرف المتمثل في أن الرجال الذين كانوا في محيط الملك في النقوش البارزة كانوا منفصلين انفصالاً واضحًا في وظائفهم عن ممثلي شعوب الرعية. ثم إن ملك الإخمينيين، يجمع في اسمه، بحكم كونه السيد الأعلى، صفة "المُشَرِّع" و"القاضي" في أوقات الحرب والسلم، وكل سلطة وسلطان في يديه، ويقف أعلى بمدى بعيد، فوق كل من هو

دونه، وهم أولئك الذين يُشارُ إليهم بأنهم ("أتباعه/ bandakā"، أو حاشيته، الذي يحملون حزام (banda*) "التبعيّة"). وفي هذا الصدد تبرر رحمة الرب، وسجايا الشخصية، هذا المركز البارز من الناحية الإسمية. وفي حالات الجدل والنزاع بصدد خلافة العرش، مثلاً، أو في صدد الموقف الملكي من الولاء وعدم الولاء، أو من جهود بعض حملة الألقاب والمراتب في سبيل الوصول إلى سلطة أعلى وكفاءة أعلى، يمكن أن نتبيّن، بلا ريب، التناقض الذي يُسَلَّم به بصورة مؤقتة على الأقل، بين "البرمجة الإيديولوجية" و"الواقع السياسي". ومع ذلك ففي هذه الحالات كانت العلاقة بين السلطة المركزية والسلطة الخصوصية، وحدها، تتعرض للمَساس بها، أو يجري التنازع حولها التماسًا للنفوذ في بلاط الملك. وفي مقابل ذلك لم يحدث في مرة من المرات أن تعرَّضت مؤسسة الملكية ذاتها، أو اختصاصها بأسرة الإخمينيين، للهزّة.

وقد كان الطور القصير الواقع بين وفاة ملك وتَسَلُّم خليفته مقاليد الحكم، بالقياس إلى كل الملوك الإخمينيين، "وإلى كل أولئك الذين كانوا يرون أن لديهم كلمة يترتَّب عليهم أن يُدْلوا بها، فيمن يدلي، عند تقليد أحد الحكام مقاليد السلطة، ذا أهمية على وجه الخصوص مثلما يحدثنا عن ذلك مؤرخو الإسكندر على وجه الخصوص. وبموجب ذلك لم يكن ذلك الذي يلي الخلافة على العرش بقرار من أبيه، يتسلم زمام أمور الحكم على الفور، بل كان لا يفعل ذلك إلاّ بعد فترة معينة من الحداد و"تجميد الظروف والأحوال التشريعية، وكذلك بعد تأدية الواجبات المحدَّدة "دفن الحاكم السالف"، وتنفيذ قراراته المذكورة في "وصيته"، ومراعاة طقوس معينة، تدخل فيها المراسيم التي سبق التطرُّق إليها في بزَرغداي التي تعدُّ أهمَّ الأمور فيها. وتستطيع حكاية تتناقلها الروايات عن كتيسيا (Ktesia)، مزوَّقة بالأسلوب الروائي، أن تُلقي مزيدًا من الأضواء على "الجانب المتأزِّم" في فترة التوقُّف هذه: فبعد وفاة أردشير الأول يكلف وليّ العهد كِسرى "الثاني" أحد كبار المسؤولين في الدولة، وهو باغوزاروس، بنقل جثمان أبيه وأمه إلى برسِبولِس. وكان الموكب لم ينطلق بعد، حين يموت كِسرى على يد أخيه سكينديانُس، وإذا البغال التي يفترض أن تحمل جنازة الوالدين ترفض المسير، ولا تنطلق إلاّ حين يُجاءُ بجثمان كِسرى أيضًا. وعلى أثر ذلك يأمر سكينديانُس بإعدام باغوزاروس، كما يقول كتيسياس، "بذريعة" أنه تخلّى، من دون موافقة الملك "سكينديانُس"، عن جثمان والده "أردشير" في ساعة "الشدة"، وعلى نحو ظاهر للعيان، كان سكينديانُس يحسّ بسلوك المدعو باغوزاروس، وذلك بحق لا ريب فيه، على أنه رفض وفقد لشروعيّته: إذ كان ذلك قد أبى أن ينقل الحاكم الميت باسم خليفته، وهو الذي كان ينازعه في حقه، في اعتلاء العرش.

على أن التقليد الحقيقيّ للملك حدث في بزَرغداي، المقرّ القديم لقورش، وبدأ

بنوع من الشعائر أو الطقوس، مثلما يتحدث عن ذلك في كتابه ‹حياة أردشير الثاني›: «وبُعَيْد وفاة داريوس "الثاني" توجه الملك إلى بَزَرغداي، لِيَدَع الكهنة الفارسيين يباركونه ملكًا، وهناك يكون حَرَمُ إلهةٍ محاربة يود بعض الناس أن يعدوها أثينا "أناهيتا؟". وعندما يكون من تترتَّب مباركته قد دخل هذا المعبد، يكون من الواجب عليه أن يخلع ثيابه، وأن يرتدي تلك التي كان يرتديها قورش الشيخ قبل أن يغدو ملكًا، ولا بدَّ له أن يأكل تينًا مجفَّفًا ويقضِم فستقًا، ويتناول قدحًا من اللبن الحامض».

وبذلك يتم تذكير الملك بطراز حياة الفرس القديمة، ويأخذ عن قورش، بطريقة رمزية، مع ثيابه، الآن أيضًا، قوته وسلطانه. أما "المباركة" في معبد أناهيتا، وما يظن أنه المناداة باسم أهورامزدا، في أثناء سير المراسم فقد كان يُنْظَر إليه، في هذه الأثناء، على أنه تعبير طقسِيّ عن فكرة رحمة الرب المثبتة بالنقوش الكتابية، تلك الرحمة التي تتنزَّل على الحكم والسيادة. وفي طور آخر من أطوار تقليد الملك مقاليد الأمور، كان الحاكم الجديد يتلَقّى، على ما يُظَنّ، شارات الملك الدالة على سلطانه "وهي ملابس وأحذية ملكية محدَّدة، والقلنسوة الأرجوانية، المنتصبة قائمة، والصولجان في يمناه وزهرة اللوتس في يسراه، والقوس والرمح، ويظهر بهذه الصورة لرعيَّته. لقد تكهَّنوا بأن هذا حدث على سقف زِنْدان سليمان "انظر ما سبق"، وهو سقف مبنى كان الناس يريدون أن يرَوْا فيه مكان حفظ المتعلِّقات الشخصية، ثم إن الملك الجديد استأنف بعد ذلك، حقًا، بسلسلة من التصرُّفات الرمزية "قبول الخاتَم الرسمي، تأكيد الامتيازات، وتأكيد إعادة توزيع المناصب و"المهام" و"أعماله الرسمية".

ولكن كيف كان الملك ذاته ينظر الآن إلى نفسه؟ وما صفات الحاكم التي يطالب بها لنفسه "أم كان يحتاج إلى ذلك حتى للحِفاظ على سيطرته وسيادته"؟، وما الخصائص التي كان يطالب بها رعاياه؟. فبعد أن أدرك السِمة المبرمجة، غير المرتبطة بزمن معين، في النقوش الكتابية الملكية والنقوش البارزة، باتت النماذج الأساس لفهم الملك لذاته أكثر وضوحًا: في أحد النقوش الكتابية على كلا النقشَيْن الكتابِيَّيْن على الضريح (DNb) يفصِّل داريوس القول فيما يميِّزه ويميِّز حكمه: «أنا على هذه الصورة برحمة أهورامزدا، بما أكِنُّ للحق من المحبة وللباطل من الكراهية وأنا لا أرغب في أن يعاني الضعيف ظلم القويّ، كلاّ، ولا أرغب في أن يعاني القويّ الظلم بفعل الضعيف.

أمّا ما هو حق فيروق لي، وما أنا للكذّاب بصديق. وما أنا بالذي ينفجر بالغضب فجأة، وحتى حين يتولاّني الغضب أملك ناصية غضبي، وأتحكّم فيه بإرادتي، أنا. فأنا أسيطر عليه كل السيطرة.

أمّا من يعمل بالتعاون معي، فأجزيه وَفْقًا لاستحقاقه. ومن يتسبَّب في أذى، أَجْزه تبعًا للأذى الذي يتسبَّب فيه، بل أقل من ذلك أيضًا، حيث أنه حين يتسبب في أذىً لا يعاقَب عليه.

أما الفروسية فأنا فيها فارس بارع، وأما الرماية بالقوس فأنا رامٍ ماهر، ماشيًا وعلى ظهر الجواد».

ومنذ أيام بِسُتون أكَّد داريوس جهوده من أجل العدالة، غير أنه أوضح في الوقت ذاته أيضًا أنه ينتظر من رعيته ولاءً مطلقًا. وعلى النقيض من أتباع زردشت، الذين كانت "الحقيقة" و"الكذب" يشكِّلان عندهم مفهومين أخلاقيّيْن، كانوا يحاولون أن يقيموا حياتهم عليهما، كان يتجلّى لداريوس في صورة الكذب كله ما يتوجه ضد حكمه هو الذي كان يُصَرِّح بأنه يمثل إرادة الرب وإرادة الأسرة الحاكمة، وكان يدخل في هذا الباب كل نوع من أنواع التمرُّد أو الاغتصاب.

أما الصفات العسكرية الخاصة عند داريوس فيتطرَّق بها إلى الفكرة التي تفيد أن إثبات حسن البلاء الشخصي "في الصيد وفي القتال" هو الذي يميِّز الملك الصالح الذي يتمتع بالمشروعية. وكانت هذه الفكرة تمارس إشعاعها، في تداخل مع فكرة "حب الحقيقة" عند الملك، في الأصقاع غير الإيرانية من الامبراطورية، وقد أُعْلِن أنها تمثل السِمة المميِّزة للتربية الفارسية "أنظر ما يلي". وبهذه الصفات، ومع الحماية الإلهية، يكون الملك في الوضع الذي يُمكِّنه من درء الأخطار التي تحيق بالامبراطورية، وأن يثبت بذلك أنه المدافِع عن الفلاحين والمزارع. ويصف داريوس هذا في نقشه الكتابي (DPd) على النحو التالي: «فَلْيَحْمِ أهورامزدا هذه البلاد من جيش العدو، والقحط والجوع والكذب».

وهو يستطيع، بصفته محاربًا بارزًا، أن يَصُدَّ الغزاة "ويحمي المزارع الفارسية". وبصفته وسيطًا بين عالم الآلهة والبشر يستطيع أن يلتمس المساندة والمباركة من الآلهة، وبحكم كونه مزارعًا صالحًا "بستانيًا" يسهم فيما يفضي إلى رفاه البلاد ورخائها.

2/ 2/ 2] التراتب الطبقي الإثني والتراتيب المتعلقة بالسلالات والأنساب، والتراتب الاجتماعي في فارس الإخمينية

«والأحرى أنه لا بُدَّ للمرء أن يتصوَّر تصرُّف الرب وعدالته وَفْقًا لما" يتحدَّث عنه الرب، لأن إدارة بلاط قمبيز، وكِسرى وداريوس كانت مزدانة أيمّا زينة من أجل سمو احتفالي فائق، أمّا هو فكان كما تفيد الرواية، يستوي على عرشه في

سُوْسَ أو إكباتانا، ولم يكن أحد يراه، في قصر ملكيّ رائع، يتلألأ بالذهب والكهرمان والعاج، وفي منطقة القصر، وفي وسط الكثير من طرق البوابّات المتتابعة والأَبْهاء التي كانت تفصلها مسافة تبلغ الكثير من المدارج، وكانت مؤمَّنة بالأبواب الفولاذية والأسوار الجبّارة، ولكن كان يقف في الخارج، مُزْدانين، أوائل الرجال وأرفعهم سمعة ومقامًا، وكان فريق منهم مخصَّصاً للقيام على خدمة الملك نفسه، بصفة حرس شخصيّ لكل بلاط على حِدة، وهم الذين يُطْلَق عليهم اسم الحُجّاب والمُتَنَصِّتين، لكي يرى الملك نفسه، الذي كان يخطب بصفة السيد والرب، كل شيء ويسمع كل شيء. وكان هناك، فضلاً عن هؤلاء، آخرون أُقيموا مدراء للموارد والخراج ومنهم آخرون أقيموا قادة للجيوش في الحروب وفي حملات الصيد والقنص وبصفة متلقّين للهدايا وبصفة مقدمين للخدمات الضرورية في كل حالة من الحالات على حِدة غير أن كل امبراطورية آسيا كما كانت حدودها، التي تصل إلى بحر مرمرة في الغرب، ونهر السند في الشرق، كان قد تقاسمها قواد، ومَرازِبة وأمراء تبعًا للقوميات، وأقنان الامبراطور، (كان يطيعهم، مرة أخرى) عدّاؤوا النهار والمستطلعون والسُّعاة ومراقبو الإشارات الضوئية».

وهذا الشاهد المأخوذ من كتاب ‹demundo› المنسوب زيفًا إلى أرسطو تبدو عليه سمة الاطلاع على المنشآت الحكومية والمرافق العامة في بلاط الملك وفي الامبراطورية على نحو صريح، وعلى الشخصيات الموجودة في محيط الحاكم وفي مراكز التحكّم والتصرف "في جهاز الدولة"، مرسومة تبعًا للسمعة والنفوذ إذا ما ضربنا صفحًا عن مسألة تقرير "ألوهية الامبراطور". على أن هذا يكاد يبدو، في أجزاء منه، فوق ذلك، كأنه وصف للصور الواردة في النقوش البارزة من بِرسِبولِس. إنهم أقنان الامبراطور الذين سيثيرون اهتمامنا فيما يلي: وبينما يجري الحديث عن الملك وبيته عن طريق شواهد ذاتية مأخوذة عن الملك ذاته، وعن التقاليد الواردة في كتابة التاريخ اليونانية، على نحو مستحسن حقًّا، تكون المعلومات عن "بَنْدَقة" الملك أقرب إلى أن تكون ضئيلة. ولذلك حاول فريق من الباحثين أن يَرَوْا "التركيبة الطبقية" الاجتماعية للفرس في سياقٍ أكبر، إيرانيّ قديم، وأن يتناولوا، بإمكانية التصوُّر هذه، النصوص الأفستيّة "الزردشتية" مثلاً، حيث يعتقدون أنهم يستطيعون أن يميِّزوا بين "الوظائف الثلاث" للكهنة والمحاربين والفلاحين. وبهذا المعنى أيضًا تمّ، مثلاً، تفسير الفقرة التي سبق تقديمها من النقش الكتابي (DPd)، أيْ أن داريوس يُقَدَّم في صورة الكاهن الأعلى، والمحارب والفلاح في الوضع الذي يمكّنهما من مواجهة هذه الأخطار.

أما ما يتصل بالبنى الإثنية وبُنى السلالات والأنساب في موطن الفرس، أو في بلاد الفرس فيُعَد هِردُت، بالنظر إلى افتقارنا إلى المعلومات الفارسية القديمة المفصّلة،

"أهمّ الشهود": «ولكن بين صفوف الفرس أعدادًا جمة من القبائل، ولم يجمع قورش إلاّ بعضًا منهم وانتهى بهم إلى الخروج على سلطان الميديين. والحق أن الذين جاؤوا من بعدهم كان يتّبعهم سائر الفرس: البازارغاديّون والمارافيّون والماسبيّون. وكان البازارغاديون من بينهم، مرة أخرى، هم الأكثر نبلاً، وهم الذين ينتمي إليهم عرق "الفراتْريا" بين الإخمينيين الذين تخرج في صفوفهم أسرة البيرسايديين الحاكمة. أمّا ما تبقىّ من قبائل الفرس فهم البانثياليّون والديروزياليّون والجرمان، وهؤلاء فلاحون، غير أن الآخرين رعاة متنقّلِون، وهم الدائيون والمارديّون والدروبيكيّون والزاغارتيّون».

ولو تناولنا هذا التقسيم بتوزيعه بين إمكانيتين للتصوُّر، أَفِستيّة، وفارسية قديمة، على قدر ما يتوافَر لهذا من الشواهد، هنالك يُظَن أن مفهوم (genea) يتماشى مع مفهوم (فراتريا أفيست، بالفارسية القديمة: فِث)، من حيث كون هذه الوحدة الأصغر، لكان من الممكن تصُور الأسرة بالفارسية القديمة (taumā)، على أنها، "البلاد" حين تكون هي الأكبر "والسكان" (:.avest. danghu, altprs dahyu) في فارس. على أن الصفة الخصوصية والمكانة البارزة لهذه البلاد يؤكدها داريوس مرارًا في نقوشه الكتابية. على أنه، هو ذاته، يفخر بأن يكون "فارسيًا" ويستنزل الحماية الخصوصية لبلده من لَدْن أهورامزدا.

ولهذا فليس مما يبعث على العجب، بعد هذه المعلومات الضئيلة، على وجه الإجمال، أننا لا نملك إلاّ القدر الضئيل، غير الكافي، من المعلومات عن التركيبة الطبقية الاجتماعية للمجتمع الفارسي، وذلك أن كلاًّ من الرواة الإغريق الذين نستند إليهم والنقوش الملكية على السواء، لا يكاد يتجاوز حدود التفرُّع الفجّ أو مقاييس التمييز الفجَّة. ففي بعض النقوش الكتابية توجد نعوت مثل (آماتا) = (النبيل، المولود نبيلاً، من فئة النبلاء) و(tunuvant)، ("قوي، جبار" في صورة دلالة على "الطبقة العليا") و(skauthi) = "فقير"، "ضعيف" للدلالة على سائر السكان الأحرار في فارس. على أن الشواهد الإغريقية تفرِّق بين الفئات وَفْقًا لمقاييس كالثروة والثياب والتغذية والحظ من التربية أو أشكال التعامل فيما بينهم. على أن الأمر الأخير يوضحه شاهد عند سترابون يرد فيه ما يلي: «وإذا التقَوْا في الطريق قبّلوا المعارف ومَنْ ينتمون إلى الطبقة ذاتها، ومن هم أقل شأنًا منهم (tapeinoteroi) فيتلقون قبلة على الخد، أما الأقل شأنًا من ذلك (hoi d' eti tapeinoteroi) فإنهم لا يمارسون سوى الارتماء على الأقدام».

وعلى حين لا يكاد يكون من الممكن ملامسة جمهور السكان في فارس، بذلك، ملامسة أقرب، وعلى كل الأحوال، مثلما يحدث، مثلاً، في "الأقاصيص الملوَّنة" لإيليان، والتي لاشك في أنها يمكن تمييزها تمييزًا صائبًا على أنها مما يختص به

صغار الفلاحين، يمكن أن يقال بعض ما هو أكثر من ذلك عن "الأرستقراطية الفارسية". ولا ريب في أن ذلك يأتي، على سبيل الحصر تقريبًا، "بكلمات يونانية": إذ يرد أوّلاً أن هذه الطبقة كانت مقسّمة فيما بينها. ويفسّر هِردُت وكتاب يونانيّون آخرون هذه التقسيمات التدريجيّة باستعمال صيغ التفضيل العادية "أفعل" وصيغ التفضيل المطلقة "الأفعل". فإذا تساءل المرء بعد ذلك علامَ تتوقف منزلة الفرد في فارس الأخيمينيّة، عند ذلك يتخلّى عنا رواتنا الثقاة في ساعة الشدّة، مرة أخرى، ومع ذلك فإذا أدخل المرء في حسبانه أن التبعيّة للدولة الإخمينيّة كثيرًا ما يجري تأكيدها، عند ذلك لن يكون المرء مخطئًا في افتراضه أنه يَسْتِكنُّ وراء سائر الأوائل (parotoi) من الفرس زعماء العشائر الأرفع شأنًا وسمعة، من أهم القبائل. على أن اسم الأب الذي يذكره هِردُت، يرد أيضًا في نقش بِسُتون الكتابي، وهو اسم يعود إلى ممثل، يلفت نظرنا الآن إلى مستوى "العائلة"، وبالتالي "البيت" الذي كان أب العائلة (pater amilias) يُزَوَّد فيه بسلطة خصوصية، إذا شئنا أن نستعمل تعبيرًا رومانيًا، فكان له القول الفصل في كل شؤون "بيته" "مثل: تسوية أشكال النزاع أو التوارث". غير أن نهاية بيت إنتافرنس، وهو من المتورِّطين في التآمر مع داريوس على غاوماتا، الذي كان الملك قد اتّهمه بعدم الولاء، يوضح أنَّ الخروج على القواعد في مجلس إدارة البيت كان تترتّب عليه عواقب وخيمة، لا لرأس البيت وحده، بل لكل من ينتمي إلى البيت. على أنه يترتَّب الحديث بعدُ بصورة مستقلة عن ذوي قرابة "العائلة الفارسية" من النساء. ولنذكر في هذا المقام، في مقابل ذلك أيضًا، أن تعدُّد الزوجات و"بحكم التبعية لذلك" كثرة الأطفال، كانا يبدوان عند الإغريق على وجه الخصوص من السِمات المميزة للحياة الفارسية. ومِنْ ذلك أنَّ سترابون يكتب قائلاً: «وهم يتزوجون كثير من النساء، ويحتفظون، في الوقت ذاته، بكثير من المحظِيّات (pallai)، من أجل إنجاب الأولاد. ويضع الملوك الجوائز في كل عام لأولئك الذين هم الأكثر أطفالاً».

ويقول هِردُت إن أكثر الفرس "نُبْلاً"، على السواء، كانوا يشكلّون رؤوس الأسر الواردين في الحديث عن المتورِّطين الستة مع داريوس على غاوْماتا، الذين كانوا، فوق هذا، يتمتعون بامتيازات ملكية خصوصية: فقد كان يتاح لهم، كما يروي "أبو التاريخ"، في كل وقت، حق الوصول إلى الحاكم "باستثناء الأوقات التي يخلو فيها الملك إلى إحدى زوجاته". وكان على الحاكم المقبل أن يختار من جملة بناتهم زوجاته، وفي الوقت ذاته كان يحق لذوي قرابة "بطون الفرس السبعة" أن يعقدوا الآمال على الوصول إلى المراكز القيادية العليا، وكان يتمتع بالامتيازات الخصوصية لنفسه ولذرته أوتانيس، الذي يقال إنه تنازل طوعًا عن مرتبة الحاكم بعد موت غاوْماتا.

ولا يمكن الآن أن يساور المرء شك في أن داريوس كان يعتمد، في مستهل حكمه، على مساندة المتورِّطين معه في التآمر، لأنه لم يكن من الممكن أن يُنْظَر إليه على أنه الوريث الوحيد الممكن لحكم أسلافه. ومع ذلك يكشف سقوط إنتافرنس وسياسة الزواج عند داريوس وخلفائه عن أنَّ الامتيازات "والسلطان" اللذين كان المتورِّطون في المؤامرة يتمتَّعون بهما، سرعان ما تبيَّن أنهما لا يمكن أن يكانا على هذا الجانب من الصفة الحصرية كما يُعَدُّ من الجائز أنهما كانا لايزالان عليه بعدُ في عام 521 ق م. أمّا داريوس فقد بلغتنا عنه سِتٌّ من الروايات الخاصة بارتباطاته الزوجية: بابنة المدعو غوبرياس "وذلك قبل ارتقائه العرش"، وبابنتين لمؤسس الامبراطورية، قورش "آتوسّا، وآرتيستون" وابنة ابن قورش، بردِية بارميس، وابنة أوتانس فايديما، وبابنة لأخيه آوتانيس (فراتاغون. وحتى فايديما لم تكن واحدة من النساء اللواتي تزوجهن وهو حاكم، إذ كانت تنتمي إلى محيط أُسَرِ المتورطين في التآمر. وفي مقابل ذلك يتضح التطلُّع (كما سبق أن حدث ذلك، بالمناسبة، أيضًا مع قمبيز وغاوْماتا، ومثلما جرى، فيما بعد، لخلفاء داريوس)، إلى إنشاء ارتباط لذلك بأسرة قورش، وتسوية موضوع الخلافة على العرش، في حالة انتفاء ذلك داخل إطار العائلة الملكية. فلنُفَسِّرْ، من خلال مثال سياسة الزواج هذه عند داريوس الثاني وزوجته "وأخته غير الشقيقة" باراساتيس: وذلك أنَّ داريس يزوِّج ولده أرسيكيس "الذي أصبح فيما بعد، أردشير الثاني" من ستاتيرا، ابنة هيدارنيس التي لا ريب في أنها لا ترجع أصولها إلى إحدى "الأسر السبع". وفي الوقت ذاته تتزوَّج أميستريس، أخت أرسيكيس، تيريتوخمس، ابن هيدارنيس. وكانت لدى القوم إشارات إلى أن داريوس كان ملتزمًا بالإقرار لهيدارنيس بالفضل في إطار علاقتها بارتقائه العرش. وحين ما عاد داريوس يعتمد على هذه المعونة، تجري الآن إزاحة كل أعضاء الأسرة الهيدارْنيّة، الذين باتوا الآن موجودين في مراكز القيادة والقوى، من الطريق: وتتمُّ إزاحة تيريتوخمس وابنه، ستاتيرا، وأبوَيْهما، وأخواته وإخوته. ومنذ أردشير الثاني، لا تعود تحالفات الزواج مع الأُسَر الكبرى، تتحوَّل إلى مسوغات للولاء، بل تثبت تحقُّق الجزاء على خدمات تدلّ على الإخلاص. وفي غير هذه الحالة كانت المسألة على الدوام تطلُّع الملوك إلى إغلاق أبواب العائلة المالكة "في إطار الأسرة ذاتها مع الاتجاه الخارجي"، عن طريق سياسة الزواج الذي تقتصر أطرافه على ذوي القرابة الأدنين، وتأمين الحكم بذلك. ولا عجب في أن ذوي قرابة الملك كانوا يتمتعون بالنفوذ على وجه الخصوص.

على أن سياسة الإخمينيين هذه مازالت لا تفيد بعدُ ذلك أنَّ الملوك لم يحاولوا إرضاء الأرستقراطية الفارسية، أو على الأقل، إرضاء القسم الموالي منها، وعلى النقيض من ذلك تمامًا شأن السياسة الملكية الذكيّة التي يمكن أن تضاف إليها،

لدى بعض النبلاء، توافُر فسحة من الأمل في مراكز ومناصب مُدِرَّة للمكاسب والعوائد. على النقيض من هذا، عادت هذه السياسة، على الشطر الراجح إلى حد بعيد، من النبلاء، بالتوافق مع المصالح الملكية. أما السِمات المميِّزة لهذه السياسة في مجال العلاقة التبادلّية، فقد كانت تتمثَّل، في جانب الحاكم، فيما يسمى، مثلاً، "الشهامة أو السخاء" من جانب الملك، أي: منح الألقاب، والمناصب، والأملاك، والثروات، وهدايا التكريم، في تسجيله للأرستقراطية الموالية امتيازاتها، بأسمائها. على أنَّ استقلال النبلاء الممنوح بذلك، عن تفضُّلٍ من الملك بمَنّه، وهو المَنُّ الذي يمكن سحبه على وجه الإطلاق، مَكَّن أيضًا من نشوء نوع من نبلاء العمل لصالح الحاكم وتولّي المناصب الذين كان من الممكن أن ينضم إليهم أولو الخدمات الجُلَّى من غير الفارسيين. ولمّا كان هؤلاء برأي ذوي قرابة هذه الفئة يُشار إليهم، حتى في النطاق الأضيق، بأنهم أصدقاء الملك، فقد أصبح الولاء للملك أهمَّ من الولاء للعشيرة، وبالتالي للأسرة، "أو للتقاليد السياسية في بلد هؤلاء الأصلي، حتى وإن لم تتلاشَ هذه الروابط بسبب الشرط الأوَّلي الأساس، وهو نبالة الأصل من أجل مسيرة مهنية في البلاط أو في الامبراطورية.

ومع ذلك فإن فارس لم يكن يعيش فيها فقط الفرس، بالمعنى الإثني، بل كان يعمل هنا بصورة مؤقتة أو دائمة أتباع الشعوب والقوميات الأخرى، كالإيوينيين، والليديين والليقيين والمصريين والبابليين. وكان أولئك الذين يشاركون في العمل في بناء بِرسِبولِس أو يتم تشغيلهم في الورشات الملكية ومخازن التحف والكنوز في فارس، وفي الزراعة، على السواء، لا يفعلون هذا بصفة أسرى حربٍ مسترَقّين، مثلاً، بل بصفتهم قوى عاملة مدفوعة الأجر مجنَّدة من الدولة، وسوف يترتَّب الحديث عن هؤلاء بعدُ، بالتفصيل، حين نعرض للألواح الصغيرة العيلامية، المسماة: قُرطاس.

2/ 2/ 3] حول تقديم الهدايا إلى الامبراطور: الحاكم يلتقي رعاياه

«وحين يطوف الامبراطور في أرجاء فارس يُقَدِّم إليه كل الفرس، كلٌّ حسب ثروته، شيئًا على سبيل الإهداء، ومع ذلك فإن الفرس لمّا كانوا يمارسون الزراعة، ويزرعون الأرض، فإنهم لا يقدمون الهدايا المترفة، ولا حتى القيّمة المفرطة في ارتفاع أثمانها، بل يقدمون بقرة، أو خروفًا، أو غلالاً أخرى، أو خمرًا أيضًا. وعندما يمر الملك، في رحلته، يطرح كل امرئ هداياه التي يشار إليها بأنها هديّة، وتُقْبَل منه بهذه الصفة، غير أن من كان يعيش حياة أكثر مقرًا بعد، يأتي باللبن والتمر والجبن والثمار، على النحو الذي يتيحه فصل السنة والبواكير الأخرى التي تحملها أرضهم.

وحين كان الملك خشيرشا يطوف في أرجاء فارس، قَدَّم إليه أوميسيس سلة عملاقة من الرمّان، وسأل، وقد تملكه الذهول الكامل، عن حجمها، قائلاً: من أي بستان خرجت بهذه الهدية التي تأتيني بها؟. ويكون جواب أوميسيس إنه جاء بها من أرضه هو، ومن بيته، فيُسَرّ الملك بذلك سرورًا كبيرًا، فيأمر بإرسال هدايا ملكية إليه، ويقول في ذلك: بحق ميثراس، إن هذا الرجل لخليق أن يتمكن، بجده واجتهاده، فيما أرى، أن ينشئ بنفسه دولة صغيرة، شامخة، جبّارة!».

وما يدخل في باب المميِّزات الرئيسة للملكية الفارسية، ذلك التقليد من عادات الحاكم الذي يجسده هنا إيليان في حكايتين تتصلان بالحاكم، وهو تطوافه بأرجاء مملكته حتى خارج نطاق الحملات العسكرية. وعلى وجه الخصوص كثيرًا ما يرد حديث المراقبين القدماء عن إقامته في مقارّ إقامته المختلفة، تبعًا للفصول، كما يعلِّقون على ذلك. ولنستشهد هنا بمجرد ملاحظة لكزنفون في كتابه ‹سيرة›: «وكان هو ذاته يتخذ مقرَّه في نقطة المحور ذاتها "من أقاليم الامبراطورية"، وينفق في الشتاء سبعة أشهر في بابل، وفي الربيع ثلاثة أشهر في سُوْسَ، وفي ذروة الصيف شهرين في إكباتانا. ويقولون إنه بهذا التصرُّف يعيش دائمًا في دفء الربيع وعذوبته».

وقد شبَّه الناس هذا التصرُّف عند الامبراطور أيضًا، بحق، بإقامة الحاكم الألمانيّ في العصر الوسيط في المقار المتبدِّلة في الامبراطورية. ولكن حين يفعل المرء هذا تتضح له مسحة سياسية.

وتشهد الآن، لملك الفرس، بأمور مماثلة، شواهد قديمة، جمّة العدد، على رحلاته، واستقباله، في أهم الأمكنة في جولته في الامبراطورية، وفي مقارّ إقامته ذاتها، غير أنها تشهد على المتفرجين في الشوارع. وحتى عندما يحاول بعض الكتاب أن ينقلوا انطباعًا مؤدّاه أن رحلات الملك وزياراته كانت تتميَّز بالمباشرة والعفوية والارتجال، وتبدو مختلفة: فقد كان يتم الإعداد للرحلات بدقة مفرطة، وكانت الاستقبالات تتم صياغتها بمراسيم تَنْزِع إلى الرمزية، وَفْقًا للتقاليد القديمة. والحق أنَّ تقديم هدايا الرعية وتوزيع الملوك الهدايا على الرعية، وهما الأمران اللذان ربما كانا يَحْدُثان، في الموقف الملموس في كل مرة، حدوثًا عفويًا، في حالة الحاكم المحبوب، كان يمثِّل همًا حقيقيًا. غير أنهما كانا في الوقت ذاته، وعلى الدوام، تعبيرًا عن العلاقة بين الوَليّ والمولى، أو بين السيِّد والمسود. ولندع الآن، مرة أخرى، إيليان يتكلَّم بإحدى "أقاصيصه الملوَّنة"، وهي قصة رواها لنا بلوتارخ أيضًا في سرده لسيرة حياة أردشير الثاني: «وحتى هذه الأقصوصة جرت أحداثها في فارس، إذ يُحْكى أنَّ فارسيًا يقال له سيناتيس لقي الملك أردشير الثاني بعيدًا عن بلاطه، وكان هذا يُلَقب بلقب منيمون، فاستحوذ عليه، في حيرته وارتباكه، وبدافع خوفه من

اللوائح والنظم، فِرَقٌ وتهيُّب من الامبراطور، وهَلَع كبير، لأنه لم يكن يعرف في هذه اللحظة ما ينبغي له أن يفعل، ولمّا كان لا يريد أن يُقصِّر عن شأوِ الآخرين من الفرس، ولا أن يفقِد الاحترام، لأنه لم يأتِ الملك بهديّة، فقد جرى بأسرع ما استطاعت أن تجري به قدماه، إلى النهر الذي كان يجري مارًا بالقرب منه، وكان هذا نهر قورش، فانحنى عليه، واغترف الماء بكلتا يديه، وقال: "أيها الملك أردشير، أدام الله ملكك! لأني الآن أُجِلّك على قدر ما أستطيع، إذْ لا ينبغي أن أدعك تنصرف عني من دون أن أهدي إليك هدية تكريمية، مادمت أستطيع ذلك. وها أنذا أظهر لك تبجيلي بماء نهر قورش، ولكن إذا أتيت معسكرك فسأُكَرِّمُك بالأفضل والأنفس قاطبة، من بيني، ولا ريب في أني لن أُقَصِّر عن شأوِ أيّ امرئٍ كان من الآخرين، الذين سبقوني إلى تحيَّتك بالهدايا" . . وحين وصل الملك إلى مقر إقامته بعث إلى الفارسي بثوب، وصحفة من الذهب وألف من الدارَيْكات، وطلب إلى حامل هديته أن يبلغه قوله: يرغب إليك الملك أن تَجِد من السرور بهذه الصحفة الذهبية مِثلَ الذي بعثتَهُ في نفسه من السرور، حين لم تشأ أن تدعه يمرّ من دون هدية أو تكريم، بل كرَّمته على قدر ما استطعت، وهو يريد أن تغترف الماء بهذه الصَّحْفَة وتشرب منها».

أمّا المدن والأمكنة الكبرى في البلدان التي تمَّ إخضاعها، والتي كان الملك، يزورها في رحلته، فكان يدخل في إطار واجباتها أن تستضيف الملك وحاشيته وتُقدّم له القِرى. وكان من الممكن، في بعض الأحيان، أن تؤدّي النفقات الضرورية التي ينبغي أن يُنْظَر إليها على أنها نوع من الجزية "أنظر ما سيأتي بعد"، إلى إرهاق الموارد المالية في مجتمع محلّي بدرجة لا يُسْتهان بها، وكانت المآدب تمثل فرصًا كان الحاكم فيها يوزِّع السلع التي تلقّاها على رفاق مائدته، الأرستقراطيين على الأغلب، كما كان يوزعها من جديد على جنده أيضًا: «ويقول هيرقليدس: وعلى هذا تبدو النفقات باهظة جدًا لمن يسمع بالمأدبة الملكية التي تكثر الأقوال فيها، ولكن إذا نظر المرء عن كثب تبيَّن له أن كل شيء كان مرتَّبًا ترتيبًا اقتصاديًا، بل بأسلوب مبني على التوفير، وهذا ينطبق بالصورة ذاتها أيضًا على الآخرين من الفرس في أرفع المراكز. وكانت تُنْحَر للملك في كل يوم ألوف من الحيوانات، والخيل، والجمال، والأبقار، والحمير، والأيائل، والبهائم الأصغر، من أكثرها تباينًا، وكان يؤكل الكثير من الطير وطيور النعام البرية، وهذه طيور كبيرة، والإوز والديكة، وكانت تعرض على ضيفٍ من ضيوف الملك حصص ضئيلة وكان كلٌّ يستطيع أن يحمل معه ما خلَّف من بقيةٍ من الطعام بعدَما أكل، ومع ذلك فقد كان الجزء الأكبر من هذا اللحم ومن المواد الغذائية الأخرى، يُجاء به إلى قصر الملك، من أجل الحرس الشخصيّ وذوي التسليح الخفيف الذين يعولهم الملك».

أمّا المظهر الذي كانت تتجلّى به الأمور حين كان الملك يرتحل مع حاشيته في أرجاء البلاد، فذلك ما ترويه لنا رُواتنا الثُقاة القدماء، وما من شك في أن ذلك كان يجري في سياق الحملات الحربية التي يشنها الحاكم. ولعلَّ مما يزخُر بالمعلومات في هذا السياق الأوصاف التي يقدمها مؤرخو الإسكندر عن وصول داريوس الثالث إلى قيليقيا، وهزيمته عند إسّوس، والاستيلاء على تروسّيس والقصر الملكيّ، على يد بارمينيون: «وبُعَيْدَ ذلك كان يجيء ذوو قرابة الملك، وعددهم 15000 وكان نحو 200 من رهط الملك الأدنين يصحبونه [داريوس] عن يمينه وعن شماله. أمّا نهاية هذا الجزء من الموكب، فكان يشكلها مشاة الجند الذين كان يبلغ عددهم ثلاثون ألفًا، يتبعهم أربعمئة من الخيّالة الملكيين، ثم كانت عربة تحمل، على بُعد مرحلةٍ، سيسيغامبيز، والدة داريوس، وكانت زوجته تقعد في عربة أخرى. وكانت طائفة من النساء اللواتي جئن من الإدارة المنزلية العائدة للملكة، يمتطين الخيل، ثم كان يتبع ذلك خمسة عشر رفيقًا كانوا يسمونهم (harmunaxae)، وكان يوجد بين هؤلاء أبناء الملك ومربياتهم، كما كان يوجد عدد من الخصيان الذين لم يكونوا موضع الازدراء عند هؤلاء القوم بحال من الأحوال، وكان يأتي وراء هؤلاء موكب محظيات الملك الذي يبلغ تعداد أفراده 365 وهن مزدانات بالثياب الملكية والزينة الملكية ذاتها. وكان يأتي بعد هؤلاء ستمئة من البغال وثلاثمئة من البعير التي كانت تحمل أموال الملك، وفي طليعتها قوة الحماية من الرماة بالأقواس. وكان يلي هؤلاء أزواج ذوي قربى الملك وأصدقائه، والوحدات الملكية من التجار المرافقين للحملة ووحدات الخدم، وكان يشكل الخاتمة الأخيرة ذوو السلاح الخفيف لكل فئة منهم ضباطها . . وكانت تتناثر فوق الميدان بأسره ثروات الملك، المال الذي كان يفترض أن يُتَّخذ عطاءًا لجيش كبير، والزينة العائدة لكثير من الشخصيات ذوات المراتب العالية ولكثير من النساء ذوات النسب الرفيع، والأواني الذهبية، والأسيجة الذهبية، والخيام، في أُبَّهة ملكية، والعربات التي خلَّفها مالِكوها، والمحمَّلة بكنوز كبيرة، وكان ذلك يمثل منظرًا باعثًا للأسى حتى بالقياس إلى الناهبين».

وينقل أثينايوس رسالة لبارمينيون إلى الإسكندر يميِّز هذا فيها خدم داريوس الذين وقعوا أُسارى في يديه عند الاستيلاء على دمشق، تبعًا لأعدادهم ومهامّهم، بمزيد من التفصيل: «وجدت من المحظيّات اللواتي يعزفن على الآلات، ثلاثمئة وعشرين، ومن الذين يَضْفِرون الأكاليل، من الذكور: ستة وأربعين، ومن المساعدين في المطابخ: مئتين وسبعين، ومن حراس المراجل: تسعة وعشرين، ومن المُحَضِّرين للأطعمة المشتقة من اللبن: ثلاثة عشر، ومن المُحَضِّرين للمشروبات: سبعة عشر، ومن سُقاة الخمر: سبعين، ومن المُعَطِّرين: أربعين».

لقد كان رواتُنا الثقاة الإغريق يريدون أن يفهموا ترف المائدة وحدها عند

الامبراطور، في مرات كثيرة بما يكفي، على أنه آية الترف والتقلُّب في مراتع النعيم، وأن يروْا في تأثيره "الباعث للوَهْن" سببًا لانهيار امبراطورية الفرس. ولينظر المرء، مثلاً، في الكلمات التحذيرية إلى المقدونيين التي لَقَّنها بوليبيونسُ الإسكندر: "ذلك لأن مثل هذا القدر الكبير من الانغماس في الملذات والترف، لا بُدَّ له، بحكم الضرورة، أن يفضي إلى فقدان الرجولة. وأنتم ترون أيضًا كيف كان أولئك الذين كانوا يلتهمون وجبات ضخمة من الطعام يتعرَّضون للهزيمة بسرعة بالغة". ومع ذلك فقد تمكن الإغريق، بذلك، من أن يتبيَّنوا مجرّد ذلك الجانب الواجب، الذي لا ريب في أنه ملائم، من جوانب ازدهار الأُبَّهة الملكية، أو يريدوه. أمّا أن أسلوب الحياة هذا ليس مجرد آية على مركز الحاكم البارز فحسب، بل كان يؤدي وظيفته أيضًا في نظام التبادل المبني على إعادة التوزيع بين الملك ورعيّته من أجل تنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية، فذلك ما كانوا يحسون به في الحقيقة إحساسًا سطحيًا أوّليًا، غير أنهم كانوا لا يكادون يفهمونه الفهم الصحيح.

وكان الملك يقيم خلال رحلاته، وفي أثناء حملاته، في "خيمة" ذات مقاييس هائلة كان يسهل تمييزها، عن طريق خصائص معينة، بأنها خيمة الملك. ولقد كان يشار إليها، بسبب حجمها، وتعقيدها وتجهيزاتها، بحق، بأنها "قصر متحرك": فحيثما كان الحاكم يقيم، يكون أيضًا محور سلطانه الملكيّ وسلطته. وفي الخيمة، وعند الملك، كانت توجد في كل مرة شارات ملكه وسلطانه، وليس ما يبعث على العجب أن الإسكندر، بعد افتتاح إسّوس، أكّد حقه في السيادة على آسيا كلها عن طريق الاستيلاء على الخيمة وشارات السيادة.

وبذلك يترتَّب فهم "مملكة الرحلات" عند الإخمينيين على أنها لا تمثل ضرورة مرتبطة بالمناخ إلاّ من الوجهة السطحية، إذ كان الأهم من ذلك بكثير وظيفتها السياسية: "وذلك أن الملك كان يستعيد إلى ذاكرة رعيته، مهما تكن مراتبهم الاجتماعية والسياسية، ومركزهم المهيمن أو الخاضع، التزامهم بالولاء والمساندة المادية، وارتباط مناصبهم ووظائفهم، ورفاههم الماديّ بما يظفرون به من الحُظْوة لدى الحاكم ومن سلطته.

2/ 2/ 4] الملك "الصالح" و"الفاسد": قورش وخشيارشا / خركسيس

لو قُدِّر للمرء أن يختار من عشيرة الإخمينيين كلا الملكين اللذين يتمتعان، في العصر القديم، وفي القرون اللاحقة، في نظرة إجمالية، بالسمعة الأفضل، وبالتالي السمعة الأسوأ، قاطبة، لكان خليقًا أن يقع اختياره على قورش، وخشيارشا، ألا نِعْمَ ما كان ينطوي عليه من كل الأمور الإيجابية التي تؤهله ليكون ملك الفرس الأوّل! وذلك أنه لم يكن من أمره أنه نقل قومه من البدايات الضئيلة إلى العظمة

الفائقة، ولا أنه وضع أسس الامبراطورية الأولى في العصر القديم، التي استحقت هذا الاسم، بل يقال إنه كان في حياته اليومية، الملموسة، أيضًا، يكشف عن سلوك يتسم بالتحفظ والتواضع، والتسامح، وبُعْدِ النظر السياسي. وما أكثر ما يختلف عن ذلك المظهر الذي يتجلّى به، في مقابل ذلك، خشيارشا. أن يثبت، بحملته إلى اليونان أنه لم يكن يعرف للطموح حدًا، وأنه لم يكن على استعداد لأن يُسلِّم لشعب صغير على أطراف امبراطوريته، بالحق في الحرية وتقرير المصير، وأنه انقضّ بفظاظة هائلة على خصومه، ولم يستطع حتى أن يكون متسامحًا في أمور الدين؟. ثم ألم يكن يبدو، حتى في نظر بعض المتأمِّلين القدماء، كأنما بدأ انهيار السلطان الفارسي والثقافة الفارسية الذي لم يكن ثمة سبيل إلى وقفه، بحكم خشيارشا؟.

ولنقارن، بقصد التدقيق في ذلك، بَنْدَيْ "قورش الثاني" و"خشيارشا الأول" من أحدث طبعات المرجع الألماني الشامل المستفيض، أحدهما بالآخر: أما مؤسس الامبراطورية فنقرأ عنه هنا: «"قورش الثاني" وعند هِردُت، "الثالث"، الكبير، المتوفى عام 529 ق م ملك "منذ عام 559". مؤسس الامبراطورية الفارسية: 49/550، زعزعة أركان السيادة الميدية، وغزو ميديا (وأستياجيس أيضًا)، (547، غزو ليديا وكروسوس أيضًا)، 539 بابل (عودة اليهود من الأسر البابلي)، تقلَّد لقب ملك بلدان تقليد حكام الشرق القديم. وسقط قورش في حملة على المسّاجيت. وكان نظام الحكم الذي أقامه مبنيًا على التسامح ومراعاة الخصم والرفق به. وقد تم تصوير إنجازه التاريخيّ أدبيًا، كما كان سببًا في نشوء مناقشات تتعلق بالنظرية السياسية والإيديولوجيا "أيخيلوس، هِردُت، كزنفون (Kyropadie)، نيقولاوس الدمشقي».

وفي مقابل ذلك يجري تقديم الابن وخليفة داريوس على الشكل التالي: خشيرشا = الذي يسود الأبطال، المولود في عام 519 ق م، والمتوفى في سُوْسَ عام 465 ق م، ابن داريوس الأول وأتوسّا، وهي التي تمَّ بنفوذها تفضيله في الخلافة على عرش والده، على الأولاد الأكبر سنًا. وبُعَيْد تسلُّمه الحكم "الذي تمَّ من دون منازع" قمع بعنف، الثورات التي نشبت في مصر وبابل، ومن دون ممارسة التسامح مع الأديان الأخرى الذي كان أنموذجيًا عند قورش الثاني وداريوس الأول. وفي محاكاة لأنموذج والده مصحوب بالحماسة، استأنف استعدادات التسلّح الهائلة التي كان بدأ بها والده، ضد اليونان، من جديد. ومع ذلك فقد أخفقت محاولة غزو اليونان على الرغم من حشد كل وسائل القوة التي يمكن اللجوء إليها نتيجة الهزائم التي تكبَّدها عند سلاميس 480 ق م وبلاتيه 479 ق م أنظر أيضًا ‹حروب الفرس›. قام بنشاط مستفيض في مجال البناء، في السنوات اللاحقة "ولاسيما متابعة بناء بِرسِبولِس".

وقد قتل أردشير، الذي بدأ في عهده انحطاط مملكة الفرس، في غمرة ثورة نشبت في القصر، على يَدِ قائد حرسه الشخصيّ».

فإذا تساءلنا، من أين جاءت سمعة قورش الحسنة على وجه الخصوص، والسمعة السيئة لأردشير، أُحِلْنا على الرواية القديمة. ولذلك فلنُلْقِ أوَّل الأمر نظرة على الشواهد التي ترسم لنا قورش في صورة "الملك الطيب الصالح" وأردشير في صورة "الملك الفاسد"، ولنبدأ بقورش:

ولا تُعْرَف عندنا نقوش كتابية، أو شواهد مماثلة، من إيران، عن مؤسس الدولة الفارسية. ويجب أن تُفْهَم الصورة الإيرانية لتقويم هذا الملك في مجرد التبجيل الذي تشير إليه الشواهد، لمخلّفاته وآثاره المادية، ورعايتها "بزَرغداي والضريح الموجود فيها"، وكذلك في التقاليد على وجه الخصوص. وما من شك في أن الأخيرة تتوافر في صورة "مبتورة" أو مجتزأة، في أعمال الكتاب الإغريق. على أن تلك المصادر الكلاسيكية هي التي تتحدَّث عن قورش بأكبر قَدْر من التفصيل "أنظر المادة الواردة في دائرة المعارف". وإلى جانب ذلك تلعب، قبل كل شيء، نصوص تعود إلى العهد القديم، وكذلك نقوش كتابية ومصادر تاريخيَّة من المجال البابليّ، دورًا مازالت تتميَّز فيه تلك الشواهد بمباشرتها من الوجهة الزمنية، على وجه الخصوص.

فإذا توجهنا الآن إلى الشواهد بالتفصيل، ولنتساءل عن جذور صورة قورش التي يتناقلونها برواية المشافهة "وهي على الإجمال إيجابية"، أمكن تقرير ما يلي: لقد كان هِردُت نفسه هو الذي يقدم أجزاء من الصورة التي مازالت ماثلة حتى اليوم، وهي أن الفرس تميَّزوا، في عهد قورش بالتواضع، والتفكير الهادئ الواعي والشجاعة، كما تميَّز ملكهم الذي كانت رعيته يسمونه "أباهم" بالبراعة العسكرية والسياسية، وبروح المودة والسخاء، والرفق والطيب مثلما كان، مثلاً، أستياجيس وكرويزوس. وكانت الحكاية المعروفة في كل مكان، عن رُفْقِه بملك الليديين تفيد، في هذا الصدد، وفي كل العصور، في الوصف الأنموذجي، أنه "منتصر شهم كريم".

ومع ذلك فقد أصبحت صورة قورش عند كزنفون أكثر دلالة على التمكن من فن السرد التاريخي، إذ رُسِمَت من قِبَله في صورة نوع من "سيرة" الملك. وحتى القرن الثامن عشر كان هذا الأثر واحدًا من الكتب الأكثر مطالعة في كل العصور. وإن المرء ليجد في الأدب والفن الأوربيَّيْن حالاتٍ لا تحصى من الإلماح إلى ملك الفرس كما يصوره كزنفون. لقد حدَّد كزنفون الآن كما لا يكاد يحدث في عمل آخر، في كتابه ‹تربية قورش›، معالم صورة قورش الطيِّب، الحكيم، المتسامح، حيث يمكن أن يشتد مفعول تضادّ العصر الأوَّل المثاليّ، من امبراطورية الفرس، مع العصر الحالي "المنحل" في القسم الختاميّ. ولتفسير هذا نستشهد ببعض السطور من بداية "كيروبيديا" أو ‹سيرة› قورش، ومن نهايتها: «وعلى كل حال فهذا الرجل

[قورش] يُعَدُّ، في نظري، ظاهرة عجيبة رائعة، ومن أجل ذلك بحثت ونقَّبت، في المدى الذي يمكن أن تنتهي إليه، على التحقيق، الولادةُ والاستعداد الطبيعي والتربية، بطريقة ممتازة كل الامتياز، في تأَهُّلِهنَّ للتمكُّن من البشر والسيطرة عليهم . . والآن، إذ كانت امبراطورية قورش الأجمل والأكبر بين كل الممالك الآسيوية، فإنّ هذا ليعدُّ، هو ذاته، شاهدًا على ذلك.

أما حدوده فكان يحدُّه في الشرق البحر الأحمر، وفي الشمال البحر الأسود، وفي الغرب قبرص ومصر، وفي الجنوب الحبشة، وعلى الرغم من هذا الاتساع الكبير، كانت تُحْكَم بإرادة قورش الوحيدة، وهو الذي كان يُقَدِّر رعيته ويرعاهم مثلما يرعى أبناءه، ومن أجل ذلك كان رعيته يمجدِّونه تمجيد الأب. ومع ذلك فلم يكد قورش يغمض عينيه حتى بات أبناؤه يواجه بعضهم بعضًا مواجهة الأعداء، وخرجت على الدولة المدائن والشعوب، وانعطف كل شيء منعطفًا سيئًا».

وإلى جانب سجايا قورش الواردة عند كزنفون، لا يكاد يوجد اعتبار حَظِيَ بتعاطف الناس مع هذا الحاكم مثلُ الذي نُسِبَ إليه في أسفار العهد القديم من إعادة اليهود "الذين كانوا في جنوبيّ فلسطين" من "الأسر البابليّ"، ودعوتهم إلى بناء معبد جديد في القدس، ومن تُراه لا يعرف كلمات إشعيا الثاني التي يُقَدِّم بها قورش، من حيث كونه الآلة في يد الرب: «وهكذا يتكلم الرب، مُخَلِّصك الذي أخرجك من بطن أمك: أنا الرب، خالق كل شيء . . والذي يقول لقورش: أَيْ عبديَ الراعي! فلتُحقِق إرادتي، ولْيَقُلْ للقدس: كوني مبنيّة من جديد! ولتتحوَّلي إلى معبد: ولْتَتَأَسَّسي!.

وهكذا يكلِّم الربُّ وَلِيَّه المُدَّهِنَ بالطيب والمراهم، الذي أخذتُ بيُمْناه، قائلاً إني سأذِلل له رقاب الشعوب وأَنْتَزِع من الملوك أسيافها، لتتفتَّح في وجهه الأبواب، ولا توصَد من دونه» . . .

ولم يكن ما يحدث أثرًا فعالاً في تاريخ الفكر الأوربيّ، مع كونها حاسمة بلا ريب، لصورة قورش عند رعيَّته الإخمينيين، في بابل، أجزاءٌ من الرواية التاريخية المعاصرة في بلاد الرافدين، ومنها مثلاً، "حوليات نبونيد"، ورواية "أسطوانة قورش" أو "القصة الشعرية الفارسية"، اللواتي يترنَّمن جميعًا بالثناء على قورش وأسلافه في الحكم، ويُباعِدون بينه وبين غريمه ومنافسه، وسلفه، نبونيد. ولنفسر هذا بمزيد من التفصيل مستندين إلى رواية "أسطوانة قورش" من بابل، التي توجد اليوم في المتحف البريطاني. وهذا النقش الكتابيّ الذي يترتَّب أن يُسْلَك في مجموعة النقوش الملكية الكتابية ينقسم، من حيث المضمون إلى ستة أجزاء: 1) تمهيد تاريخيّ، يتم فيه تقديم خصم قورش "نبونيد" مع الطعن فيه وذكر مثالبه، ويتَّضح فيه دور إله مدينة بابل، مردوك، في نقل زمام السيادة والحكم من قبل قورش

"في السطر 19 - Zz. 1"، سجل تشريفات الملك، و2) لوحة شجرة أنساب العائلة Zz. 20 - 22) الحكم الإيجابي على قورش وسياسته في إعادة البناء "44 - Zz. 43"، 4) دعاء قورش الموجَّه إلى مردوك لنفسه ولولده "35 - Zz. 34"، 5) الإشارة إلى أنَّ كل شيء في الامبراطورية على ما يرام "37 - Zz. 36"، وأخيرا، 6) أخبار حول نشاط قورش العمراني في بابل "45 - Zz. 38". ولنستشهد ببعض الفقرات المميِّزة على وجه الخصوص، من النقش الكتابي العائد إلى قورش، الواردة فيما يلي: «أمّا عبادة مردوك، ملك الآلهة فقد أبطلها "نبونيد" في نفسه وكان ما يفتأ يفعل، المرة بعد الأخرى ما كان سيئًا إلى مدينته "بابل" . . وكان [أي: مردوك] يفتش كل البلدان، جُمْلَةً، وكان يمتحنها، وكان يبحث عن حاكم عادل، موافق لقلبه، فأمسك به من يده: إنه قورش، ملك أنشان، الذي نَدَبه، ونطق باسمه حاكمًا على الكون كله . . أنا، قورش، ملك الامبراطورية، الملك الكبير، الملك الجبّار، ملك بابل، وملك سومر وأكاد، وملك جهات العالم الأربع، وابن قمبيز، الملك الكبير، ملك أنشان، وسليل تايشبيس، الملك الكبير، ملك أنشان، البذرة الخالدة للبيت الملكي، الذي ظفر بحكمه بعل "مردوك" ونيبو. أمّا أنا فلم أدع معكِّرًا لصفو السلام يظهر في كل أرجاء سومر وأكاد، وكنت أحمي وأرعى مدينة بابل، وكل مرابع العبادة فيها في أحضان الرفاهية والازدهار. وأما سكان بابل . . فكنت أضع عنهم عمل السخرة، من نينوى، وآشور وسُوْسَ، وأكاد، وإشنوناك، وتسامبان، وفيتورنو، وهذا حتى منطقة غوتيوم، والمدائن الواقعة وراء نهر دجلة، التي تهاوت مساكنها منذ غابر الأيام، الآلهة الساكنة هناك عُدْتُ بها إلى مكانها، وحملتُها على أن تتخذ مسكنًا خالدًا، غير أني لملمت شملها وعُدْتُ بها إلى أمكنة سكناها».

ولقد أراد كثير من العلماء أن يستخلصوا، بمطالعة هذا، من الجمل الأخيرة على وجه الخصوص تأكيدًا لبناء المعبد الذي يشهد به العهد القديم، وإجراءات إعادة التوطين التي اتخذها قورش، بل إنهم حتى اكتشفوا فيه مهمة إقامة الهيكل في القدس. وعلى كل حال فإن الرقة الهِردُتية والموهبة الكزنفونية والتحديدات الواردة في العهد القديم، والخوف البابلي من الرب عند قورش، يترابَطْنَ، في نظر كثير من المتأملين ليشكِّلْن دراسة متناسقة في شخصية ملك الفرس الأول.

ولكن كيف يمكن تفسير السمعة السيئة التي يتصف بها خشيارشا التي يكمن فيها في بعض الأحيان في مادتنا القاموسية، مثلاً، العودة الواعية المقصودة عن التصوُّر السياسي القائم عند قورش. فلنؤلِّف أوَّل الأمر، ذات مرة، بين ما يرويه رواتنا الثقاة القدماء عن حياة خليفة داريوس. وهو أنه ولد ابنًا لابنة قورش أتوسا، حين كان والده ملكًا، ورُبِّي خشيارشا في ظل رعاية نساءِ البيت الملكي في المقام الأول، وذلك ما يؤكده أفلاطون قبل كل من عداه: «ولكن بعد داريوس، كان

خشيارشا قد تلقى، من جديد، تربية أبناء الملوك التي تبعث الوَهْن والخَدَر، "إن المرء ليستطيع أن يقول، وهو على الحق كل الحق، عجبًا لك ياداريوس، إنك أنت الذي لم تفهم مأساة قورش، بل ربيت خشيارشا بتنشئته على العادات ذاتها التي نَشَّأ بها قورش ولده قمبيز! أي أن هذا الذي تلقى، وهو ربيب، التربية ذاتها، لقي مصائر مماثلة لتلك التي عاناها قمبيز» . . .

وعيَّنه والده، من جراء نفوذ أتوسّا خليفة له. وبُعَيْد ارتقائه العرش كان عليه أن يسحق، فيما يروي هِردُت، ثورات في مصر وبابل: «وحين تغيَّر مزاج خشيارشا باتجاه الحرب ضد هيلاس، هنالك يقوم، في العام الذي تلا وفاة داريوس، أوّلاً بالحملة على الخارجين عليه، وحين كان الآن قد أخضع هؤلاء، وأدخل مصر كلها في نطاق تبعيّة صارمة بدرجة أكبر كثيرًا مما كان عليه الحال في أيام داريوس، يتوجَّه الآن نحو الفتى أخيمينيس، أخيه، وابن داريوس».

وفي أثناء ثورة ثانية قامت في بابل، عام 479 ق م، يقال إن سحق الثورة تم تنفيذه بوحشية فظيعة، "وانتهك" آخر الأمر أيضًا حرمة المقدسات، كما يؤكد ذلك لنا هِردُت وسترابو: «ولكن هناك في المكان المقدس، في بابل، معبد آخر، سفليّ، توجد فيه صورة كبرى لزيوس "مردوك"، في وضعية القعود، من الذهب . . ولكن كان في هذا الحرم المقدس، أيضًا، وفي أيام قورش أيضًا، تمثال آخر "أندرياس" يرتفع اثني عشر ذراعًا وكله من الذهب المصمت . . وعلى هذا التمثال كان داريوس، ابن هيستاسبيس، قد تبيَّنه، ومع ذلك لم يثق لنفسه بالمقدرة على أَخذه، غير أن خشيارشا، ولده، أخذه، وقتل الكاهن الذي كان يحظر تحريك التمثال من مكانه.

وهنا يقع أيضًا ضريح بيلوس "بعل مردوك" الآن في صورة أنقاض، ويُقال إن خشيارشا دمَّره . . وخطَّط الإسكندر لإعادة إقامة "هذا الضريح الهرميّ"، غير أن هذا كان خليقًا أن يشكِّل مهمة جبّارة هائلة، وكان خليقًا أن يقتضي الكثير من الوقت . . حيث لم يستطع أن يَكمِّل ما كان حاول القيام به».

وبعد وقت من التحضير بلغ ثلاث سنوات، يشن خشيارشا الحملة على بلاد الإغريق بجيش هائل، ليمحو عار الماراثون. ولكن من تراه يفكر في هذا السياق في أحداثٍ جمة يتحدث عنها هِردُت، يتصرَّف فيها الامبراطور تصرُّف الطاغية المستبد الذي يأبى المصالحة، ولا يملك نفسه، ولا يعرف حدودًا؟. ولنُذكِّر هنا العقوبة التأديبية التي لقيها في مضيق الدردنيل، وهو مصير ابن بثيون، والتمثيل بجثة ليونيدا، وإحراق المقدسات في مبنى الأكروبوليس في أثينا. وبعد هزيمة سلاميس يعود الملك مُنَكَّس الرأس مهيضَ الجناح إلى سُوْسَ، ويبلغه هنا، بعد عام، هزيمة قائده ماردونيوس عند بلاتييه. ويتخلّى الآن عن خططه لغزو اليونان، ويكرِّس جهوده في العامين التاليين لـ"شواغله المفضَّلة" وهي استكمال بناء بِرسِبولِس،

وترميم علاقاته بنساء القصر. على أننا نتمتع بحسن الاطلاع على المسألة الأخيرة، وذلك، مثلاً، على علاقته بابنة أخيه آرتيانت، التي كانت سببًا في موت ماسيست، شقيق خشيارشا. وموت أسرته.

وفي عام 465 ق م يقع خشيارشا وأكبر أبنائه، وولي عهده، داريوس، ضحية لمؤامرة في القصر ويقتلان وعلى أثر ذلك يتم إبعاد صورتيهما على مصاعد السلالم المؤدية إلى "الأبادنوا" في بِرسِبولِس، ويتم تخزينهما في "مستودع التحف والكنوز".

وتبدو في صورة تلخيص لشخصيته، حتى اليوم أيضًا، الكلمات التي قالها أيخيلوس، في كتابه ‹الفرس› على لسان أتوسّا التي تلتفت إلى زوجها داريوس، وتلقّنه هذا الكلام: «ألا إنهم ليقولون "أي: الفرس": إنك كسبت لأبنائك ثروة عريضة فيما سلف، بالرمح، غير أنه "أي: خشيارشا"، لمّا لم يكن رجلاً، فهو لا يحتاج إلاّ في البيت إلى الرمح، وبذلك لا يزيد البركة الأبوية في شيء».

ثم إن تسامح خشيارشا يتأكّد، فيما يرى كثير من الباحثين أيضًا، بنقش كتابيّ خرج إلى النور عام 1935 في نسخ بالفارسية القديمة وفي ترجمة بابلية، وفيما بعد أيضًا بترجمة عيلامية في بِرسِبولِس، "وفي عام 1963 في نسخة ثالثة بالفارسية القديمة في برَزغداي"، وعرف، على وجه العموم بأنه النقش الكتابي لخشيارشا (Daivā-Inschrift). وجاء فيه، ضمن أمور أخرى: «يعلن خشيارشا، الملك: حين أصبحت ملكًا، كان بين البلدان والشعوب التي دُوِّنت آنفًا، "شعب" ثائر، وعلى أثر ذلك أعانني أهورامزدا، وبفضل أهورامزدا ضربت هذا الشعب وردته إلى المكان الذي هو صاحب الحق فيه.

وكان بين هذه البلدان والشعوب "شعب" كانت تُعبَد فيه الأوثان فيما سلف، فدمَّرت، بفضل أهورامزدا، أمكنة عبادة الأَوْثان، وأصدرت أمري قائلاً: لا ينبغي أن تُعبَد الأوثان، وحيثما كانت تُعْبَد الأوثان كنت أعبد أهورامزدا، في وقت العبادة الصحيح، وبالطريقة الصحيحة».

وثمة نقش كتابي آخر لخشيارشا، ولاسيما نقشه الكتابي الذي عثر عليه في عام 1967 م فلاح عند بِرسِبولِس، يعرف باسم (XPc)، أثبت أنه نسخة موضوعة طبق الأصل من حيث النص، باسم خشيارشا، عن النقش الكتابي الوارد عند أسفل ضريح داريوس، من نقش رستم (DNb)، يعد شاهدًا يُسْتشهَد به، يُعْلي "عدم الاستقلال في الفكر" ‹Hinz› عند خشيارشا، وكان من الأمور المتعلقة بشخصيته أن القوم كانوا أحرى أن ينكروا عليه الحق في أن يَخْلِفَ أباه: «ولكن هل يستطيع المرء أن يثني على الولد بأنه لم يجد من نفسه ما يمنعه أن يُنْزِل إسمه هو في هذه الشهادة الذاتية، والفريدة، أي شهادة الأب (DNb)؟ وهل كان يحق لخشيارشا الذي لم يشارك قط في معركة مقاتلاً، بل كان يرنو إليها بطرفه فحسب، مستويًا على

عرشه، في موقع عالٍ، تحت مظلة "في سلاميس"، أن يتحدَّث في النقش الكتابي مثلما يتحدث داريوس، إذ يقول: أنا الذي حنكتني التجارب محاربًا؟. وهل كان يحق لخشيارشا الذي كان يجنح إلى انفجارات الغضب، أن يقول مثل ما كان يقول والده: حتى وإن كان الدم يغلي في عروقي أرغم غضبي على أن تنكفئ؟ ‹Hinz›».

ولا يمكن أن يكون ما يبعث على العجب أن سياسة البناء عند خشيارشا في برسِبولِس كان يُنْظر إليها أيضًا على أنها أقرب إلى أن تكون متميزة بكونها محاكاةً وتقليدًا للمقاييس الموضوعة من الوالد، منها إلى أن تكون مستقلة، قائمة بذاتها.

أَوَلم يتحقق بذلك إثبات الصور الذائعة عن قورش وخشيارشا، مثلما رُسِمَت وجيزة، مقتضبة أيضًا في المواد القاموسية والموسوعية، على أبهى صورة ممكنة؟. لقد كان ثمة شيء يفترض أن يثير دهشتنا وشعورنا بالصدق. وذلك أننا كنا، حتى الآن، لا نكاد نطّلع على شيء يتصل بالخلفية الزمانية للشواهد المتصوَّرة، ولا نعرف إلاّ ما يعادل اللاشيء، أيضًا حول دوافع الكتاب، وبالتالي دوافع من كلفوهم بالكتابة. ويضاف إلى ذلك أن أوصاف عمليات التقويم لكلتا الشخصيتين تتسم على نحو غريب، بكونها باهتة، لا تباين فيها ولا تمايُز. ولا بُدَّ أيضًا من التساؤل: ألا يمكن "للمصادر" الأخرى من الصورة أن ترسم حدود التقاليد. ولذلك فَلْنُلْقِ "نظرة ثانية" على الرواية، ولنبدأ، في هذا الصدد، مرة أخرى، بمؤسس الامبراطورية.

كان لقورش، عند هِردُت "أبي التدوين التاريخيّ"، جوانب سلبية على وجه الإطلاق، بل تبدو هذه راجحة الكفّة، وإن لم تصبح مما يرسم حدود التقاليد بالقدر ذاته، كما تفعل الملامح الإيجابية للملك: وذلك أن قورش يمكن أن يكون قاسيًا وغير متسامح، وسريع الغضب، شديد الاستثارة. وتعدُّ نهايته، إلى حد ما، تجسيدًا للتصوُّر الهِردُتي للحاكم ذي النزعة التوسُّعية، الذي لا يلاحظ متى يكون المرء قد اشتط وذهب في المسألة إلى ما يتخطى الحدود المعقولة. على أن المسألة مازالت تبدو وكأن هِردُت لم يستطع، على الرغم من تحفُّظه حيال أجزاءٍ من الرواية الشفهية التي تتناول قورش، أن ينأى بنفسه عن إيران وعن الافتتان بشخصية ملك الفرس. وإذا أدخل المرء في حسبانه، بعد ذلك، أنَّ كثيرًا من الرعايا الفرس كانوا الآن قد خاضوا بالفعل تجاريب إيجابيّة مع قورش، وأن من الممكن أن تظهر بعض الأمور وقد تمت "تجْلِيَتُها" وإلقاء الضوء عليها من خلال النظرة إلى الوراء، إذ كتب هِردُت ما كتب بعد مئة عام من وفاة مؤسس الامبراطورية، وأنَّ ما كان موضع الاهتمام الحقيقي عند المؤرخ اليوناني لم يكن حياة قورش وسياسته، بل المعارك التي دارت بين الفرس واليونان في حقبة الامبراطورين داريوس وخشيارشا،

أقول إذا أدخل المرء هنا في حسبانه فسوف يكون من الممكن أن تكون الملامح الإيجابية عند قورش مفهومة.

أمّا في حالة رواية (تربية/ كيروبيديا) التي رواها كزنفون فقد تمَّ منذ عهد بعيد، إدراك السمة القصصية الخيالية للكتاب، من دون أن يتمكن المرء من أن يَرُدَّ هذا الأثر حتى اليوم إلى نوعٍ أدبي محدَّد. ومع أن كزنفون عالج فيه، من دون شك، تجاربه الخاصة بصفته كاتبًا، وضابطًا رفيع المرتبة، وشاهد عيان على أسلوب المعيشة الفارسية، ومع أنَّه كان في وسعه أن يفترض، بصورة أولية، توافر معلومات لدى قرّائه عن فارس، فإن من المستبعد بلا ريب، أن يتم تقويم كتاب (تربية [قورش]) بأنه قطعة من التدوين التاريخيّ، من الوجهة التاريخية. ومن المسائل الأخرى، مسألة الكيفية التي يترتَّب على المرء أن ينظر بها إلى الأجزاء "اليونانية" والأجزاء الفارسية من الكتاب: فإذا كان أكدت في الماضي، وبحق، السِمة اليونانية للكتاب، وتمت الإحالة في هذه الأثناء إلى (ذكريات الماضي في مرآة الأمراء ‹Furstenspiegelreminiszenen›) التي كانت ممكنة التفسير في القرن الرابع، إذ أثارت في بلاد اليونان مناقشة شعبية حول الشكل المثاليّ للدولة "ورجل الدولة المثالي". فقد كان يجري في الحقبة الأخيرة تأكيدُ الروابط التي تربط بالتقليد الدارج في أسلوب القصص الإيرانيّ والتي تربط بالرواية الشعبية الإيرانية. أما مسألة الكيفية التي يترتب أن يتمَّ بها تقرير مدى أهمية كلا الجزأين فمازال من غير الممكن الإجابة عنها مع التطوُّر الذي وصل إليه البحث. ومع ذلك فمن الواضح أن دوافع كزنفون تفترض، بصورة أولية، أَنَّ الصورة التي تحابي قورش صورة تفرض نفسها فرضًا.

وحتى قورش الوارد ذكره في العهد القديم لم ترسم صورته بهذا القدر من الإيجابية عبثًا: وذلك أن العهد القديم استطاع أن يوضح أن النصوص التي تعد ذات أهمية على وجه الخصوص في هذا السياق (سفر أخبار الأيام الثاني وسفر عزرا ونبوءات إشعيا الثاني)، لا ينبغي أن تُفْهَم على أنها رواية "تاريخية" تؤخذ مأخذ الجد، بل على أنها نصوص تفسح المجال للأمل في "منعطف لاهوتيّ" ‹Zenger› لإسرءيل، أو تصف هذا المنعطف. ويبدو قورش في صورة "آلة للسلوك التاريخيّ" عند يهْوَه ‹Zenger› الذي ينهي فترة الحكم بالنفي ويُمكِّن من بداية جديدة. ويضاف إلى ذلك أنه يجري خلال البحث مناقشة مسألة: هل يعود الآن التكليف ببناء المعبد وإعادة العبادة في أورشليم إلى سابق عهدها؟، وإعادة توطين اليهوذيين المُرَحَّلين، على وجه الإطلاق، إلى قورش؟، أم أن الأحرى أن يقال إنه ينبغي للمرء أن ينطلق من "إسقاط مرتدّ لاهوتيّ" لإجراءات ثُم التصديق عليها، أو الشروع فيها، فيما بعد فحسب، على المنقِذ المأمول؟.

أمّا "نقش أسطوانة قورش" فهو، مرة أخرى "مثل الشواهد الأخرى، المذكورة، من بابل" نقش لا يمكن أن ينظر إليه، إذ وصل إلينا بطريق المصادفة، إلاّ على أنه نوع من "تقرير عن وقائع"، وُضِع من أجل الحاكم الجديد، يتمُّ فيه عرض سجاياه في مقدمة خلفيّة تقويم يقال إنه خصوصيّ، عن طريق مردوك، كبير آلهة بابل. ثم إنها تدخل، بعد ذلك في إطار الجدل العَقِدي بين الملكين، الجديد والقديم، ولا تفضي بشيء عن شخصية قورش بمقدار ما تفضي بإفادات عن جهوده لتسويغ حقه في العرش، وعن فنه، وعن استخدام التقاليد والنماذج المحلية بالمعنى الذي يقصد إليه.

وسنخطو خطوةً أخرى في صدد التقويم التمييزيّ لشخصية قورش وسياسته، مع الاستعانة بمصادر أخرى كانت حتى الآن أقرب إلى أن تكن مهملة، وبتفسيرات جديدة لشواهد معروفة من قبل. وذلك أننا نملك شواهد على أنَّ قورش لم يتميز على الدوام بالحلم تجاه مناوئيه والرِفق بهم، ومِنْ ذلك أن الإخضاع النهائي لميديا و"عاصمتها" إكباتانا، يتمّ بهذا القدر من الخلّوِّ من العوائق والعنف، مثلما قد تحملنا على الاعتقاد بذلك المصادر الكلاسيكية قبل كل شيء. وأن (حوليات نبونيد)، ورواية "أسطوانة قورش"، وهي كتاب الدعاية في خدمة قورش، تتحدثان، كلتاهما، عن أن الفارسيّ أمر بنهب المدينة وحمل الغنائم إلى أنشان. وتوجد صيغ متباينة تتعلّق بمصير أستياجيس/ إستيموغو: فبينما يروي هِردُت، أنّ ذاك كان يقيم حتى مماته في محيط قورش، يقول كتيسياس: إنه نُفِيَ ثم انتهى أمره إلى الموت. وما يتناقض مع خبر هِردُت، إلى حد ما أيضًا، البيان الوارد في النقش الكتابي على حجر سيبّار الأسطواني، إذ يرد فيه أن ملك الميديين قد جيء به في السلاسل والأغلال إلى موطن قورش. أما وجهة النظر التي يمكن العثور عليها بوجه عام، وهي أن أستياجيس لقي من قورش معاملة تشريفيّة بعد انتصاره عليه، فلا ينبغي استبعادها في الحقيقة، بناءً على ذلك، ولكن ليس من الممكن إثباتها بالقدر الأقصى من اليقين.

وثمة مثال آخر: فالحق أن دخول قورش مدينة بابل لم يتحقق من دون صعوبات وسفك دماء، ولكن هذا لا يدخل في باب الحملة التي تقدمته. وهذا ما ترويه، مثلاً، (حوليات نبونيد) التي تمالئ قورش: «وفي شهر تشري (تشرين) حين خاض قورش المعركة عند أوبيس، على ضفاف الدجلة، ووجَّه ضربته نحو جيش أكاد، انسحب الناس، أي جند أكاد، وأمر "قورش" بنقل الغنيمة وقتل الناس "الأسرى"».

وكذلك ينبغي للمرء أن يحاذر من أن ينطلق من منطلق مزاج نفسي موحَّد موالٍ للفرس في البلاد. لقد كانت حكومة نَبونيد، ولاسيما نائب الملك بيشازّار-أوسور، كما تثبت الوثائق، فعّالة متعقّلة، ولقد تمكنت من أن تثبِّت أقدامها في بلاد بابل روايات نقّادة لقورش على وجه الإطلاق.

وأمّا المثل الأكثر شهرة على معاملة ملك فارس الشهمة السمحة للخصوم فهو مراعاته لكرويزوس فهو مجانب للتاريخ كل المجانبة. ولا تقتصر المسألة على شواهد قديمة معروفة تتحدث عن موت كرويزوس عند غزو ساردايز. كلاً، فلقد تمّ تعرُّف صياغات الرواية الموالية لكرويزوس، في هذه الأثناء على أنها أطوار لاحقة من معالجة الرواية الكرويزوسيّة. وبذلك تنتج سلسلة من "تقرير الكارثة" ("حوليّة نبونيد": ويسقط كرويزوس قتيلاً على يد قورش). وعن طريق التصوير التجسيدي للكارثة (الصورة على مزهرية الميزون "Myson" في اللوفر) من أجل الاكتمال في الدار الآخرة "باكخلديس: يدين كرويزوس بإنقاذه للتدخل الإلهيّ". وأخيرًا من أجل العقلنة ذات السِمة شبه التاريخيّة "هِردُت: قورش يحسن معاملة كرويزوس" ‹Burkert›.

وثمة مثال أخير: لقد افترضوا، بحق، أَن قد كانت هناك قوات إيونيّة ساندت كرويزوس في قتاله ضد قورش. وباستثناء مدينة ميليت أبى ذلك الرجل على هذه القوات على أثر ذلك الاعتراف لها بالوضع الشرعي والسياسيَّ الذي كانوا يتمتعون به أيام الحكم الليديّ، بالإشارة إلى موقفهم الرافض من مطالبته إياهم بالخروج عن طاعة ليديا. وما من شك في أن المسألة لم تنته إلى اشتباكات عسكرية مع الفرس إلاّ بعد قمع ثورة الباكتيين التي كانت قد انضمت إليها معظم المدن الساحلية. وكانت الضحايا الأولى للحملة التي كان يقودها مبعوث ملك الفرس، مازاريس، برينه وماغنيزيا على الماياندروس: وتم استرقاق سكان برينه، وبالتالي صفوة سكان المدينة، وهذا يعني أنهم تمَّ ترحيلهم على ما يُظَن، وتمَّ نهب المدينة وما حولها من الأراضي في ماغنيزيا. وبعد وفاة مازاريس، تولى القيادة العليا كاتم أسرار قورش من أيام الحرب مع ميديا، هارباغوس، وبالنتيجة تمّ إدخال كل المدن الإيونية، إلى جانب كاريا وليقيا، بالقوة، في نطاق السيادة الفارسية، باستثناء ميليت التي لم تكن منضمَّة إلى الثورة، ودخلت فوق ذلك فوكايا، وكلازومينايْ وليبيدوس وكولوفون وإفيسوس وميبوس وإريثرايْ، كما دخل في ذلك، على ما يظهر أيضًا، سميرنا "إزمير". وفي هذه الأثناء غُزِيَت فوكايا وتيوس بالاستعانة برابية صناعية أقامها واحد من الفرس في مكان ملاصق لسور المدينة. وما من شك في أن سكان المدينة كانوا قد تخلَّوْا عنها قُبَيْل سقوطها، يلتمسون أمكنة جديدة للاستيطان. بل لقد ثبت غزو سميرنا عن طريق البحث الأثري، إذ تمَّ إشعال النيران في بعض المساكن، كما تم إحراق مبنى المعبد المنشأ حديثًا بأموال النذور على المصاطب، وكذلك أسوار المصاطب ذاتها، وبالتالي تم تدميرها. على أن ما يشهد على مصداقية عمليات تدمير الفرس المعابد بيان هِردُت أيضًا، وهو الذي يفيد أن الفوكائيين قد أفرغوا المعبد من كل محتوياته إفراغاً كاملاً، وبذلك أرادوا أن يستبقوا، كما يبدو ظاهرًا

للعيان، عملية نهبِ الفرس المكان المقدس وإحراقه. ونحن لا نسمع إلاّ القليل عن عقوبات "أخرى" مفروضة على المدن المفتوحة، بصرف النظر عن الالتزام بالطاعة والانضباط عند الإخوة في السلاح. بل يفترض أن وطأة الضرائب كانت أقلَّ مما كانت عليه في ظل الحكم الليديّ.

لقد أسفرت أبحاثنا عن أن شخص الملك قورش وسياسته لابُدَّ أنهما كان يُحْكَم عليهما بأحكام أكثر تباينًا مما تفعله الشواهد التي كانت تحدث أثرًا مكوِّنًا للتقاليد بالدرجةِ الأكثرِ طولَ مدىً على الإطلاق، ومع ذلك فهل يستطيع المرء أن يتبيَّن، من وراء سلوك قورش، شيئًا من قبيل المفهوم السياسي؟ أم هل يعد كل شيء ممكن التفسير بالقدر الكافي مع وجود بنية شخصية الملك؟. سوف تتابع المقارنة مع خشيارشا مساعدتنا.

فلنُلْقِ أول الأمر نظرة على خشيارشا كما ورد عند هِردُت الذي هو الأهمّ من بين رواتنا الثقاة. وذلك أن هِردُت، الذي لم يكن شاهد عيان على الأحداث، غير أنه كان على النقيض من كثير من أبناء بلده، يعمل جاهدًا على أن لا يقصِّر في أن يُوَفِّي خصوم الإغريق حقَّهم في اعترافه، احتفظ لخشيارشا، بصفته قائد جيوشه، بمكان هام في ‹التاريخ›. وعلى خلاف ما اتهمه بهذا المراقبون المحدَثون، لا يرسم صورة ملك الفرس في رسمه البياني النفسي (Psychogramm)، بحال من الأحوال، على أنه المسؤول الوحيد، أو الطاغية الذي لا يعرف حدودًا في تعاظمه وكبريائه. وحتى حين تتوافر لخشيارشا، بصفته ملكًا، حرية أكبر وإمكانيات أكبر، في الحسم، لا يحدد هذا الملك وحده سير الأمور: إذ يتم تبديل مزاجه، أو قلبه رأسًا على عقب، في مسألة شن الحرب على بلاد اليونان، ويقول القَوْل الفصل أيضًا وهو واقع تحت تأثير الإيحاءات "الإلهية" التي يثبت بالقياس إليه، أنها شيء من قبيل القضاء والقدر. وفي مرات عديدة تبدو المسألة كما لو أن خشيارشا، مهما يفعل، فلن يصادف فعله إلاّ الاختيار الخاطئ. ومن أجل ذلك تحدث بعضهم، حديثًا لم يُجانب الحق، عن خشيارشا هِردُت "الباعث للأسى". وبالنظر إلى حقيقة أن هِردُت كتب يقول، بعد إخفاق خشيارشا عند سلاميس بنحو جيلين، إنه كان لا تكاد تتوافر له في تلك الأيام المصادر التي تتحدث إليه حديثًا خاليًا من الأحكام المسبقة، موثوقًا، وافيًا بالغرض، عن الأحداث وعن الشخصيات التي تتصرَّف في الأمور. وكان ينبغي للمرء أن ينطلق من حقيقة أن الرسم البياني السيكولوجيّ أقرب إلى أن يُمَكِّن من إدراك وجهات نظر المؤرخ في العلاقة المتبادلة بين القدر المرسوم، المحتوم، وإمكانات الصياغة والتشكيل عند البشر، منه إلى أن يكون دراسة تاريخية في شخصية ملك الفرس يمكن الاعتماد عليها. وربما كان في وسع مثالٍ من الأمثلة أن يصور هذا: فما الذي تفيده لامبالاة خشيارشا في معركة سلاميس التي كان الحديث يدور عنها

آنفًا والتي انتقدها معلّق حديث انتقادًا بالغ الشدة، بصدد شخصية الملك؟. أتُراها تُعَدُّ، بالفعل تعبيرًا عن عدم مقدرة ابن داريوس، أم هل كان من الممكن أن لا يُرى خشيارشا المستوي على عرشه، أيضًا، في سياق لوائح محدَّدة، طقسية، أو من باب المراسم أو في سياق لوائح أخرى، وطرائق أخرى للسلوك تعد مُلْزِمة بالنسبة لملك فارسي؟. إن ما يبدو لنا، نحن اليوم، أو كان يبدو للإغريق في تلك الأيام، غير مفهوم، أو يبدو آية على القسوة الفردية أو عدم السيطرة على النفس، ربما كان أقرب إلى أن يكون تعبيرًا عن أوجه تقدم معينة، دينية أساس، أو ربما كانت لها "دلالة أعمق". ولنضرب أيضًا، مثلاً، على هذا: يروي هِردُت أن خشيارشا أغرم، بعد انسحابه من اليونان، بزوجة أخيه، ماسيستيس، وحين ترفض هذه الاستجابة له، يقيم خشيارشا ارتباطًا لابنه داريوس بابنة هذه الزوجة لكي يصل، بهذه الطريقة مع ذلك، إلى هدفه. ومع ذلك يخمَد، في سُوْسَ، لهيب حب خشيارشا لزوجة أخيه، ويقع الآن في غرام زوج ابنه آرتاينت، التي تبادله حبًا بحب، أيضًا، ويذيع أمر العلاقة، حين يتاح لآرتاينت أن تلتمس من الملك هدية، وتحتفظ لنفسها، هي دون غيرها، بعباءة الملك التي حاكتها الملكة أميستريس ولم يكن من الممكن ثَنْيُ عزمها عن ذلك. على أن أميستريس، التي تنظر إلى والدة آرتيانت على أنها صاحبة الذنب الرئيس، تنتقم انتقامًا قاسيًا: «وتتربَّص إلى أن يحتفل زوجها خشيارشا بوجبة الطعام الملكية . . وتلتمس من خشيارشا أن يهدي إليها زوجة ماسيستيس، غير أنه أحس الآن بما لا بد أن ينطوي عليه من الأمور الرهيبة والأمور الباعثة للافتضاح، إليه، أن يضع امرأةً بين يديها، وهي امرأة كانت، أوَّلاً، زوجة أخيه، وكانت، ثانيًا، بريئة كل البراءة في هذا الحدث الطارئ، ذلك لأنه كان يفهم حقًا، لماذا تقدمت بالالتماس. ولكن في النهاية، إذ لم تتراخَ قبضتها ولا توانَت، ورأى هو نفسَه مرغمًا، من خلال التقليد السائد، لأن من المستبعد عندهم أن يتقدَّم أحدهم بالتماس خائب، حين تُحْمَل الوجبة الملكية، ومهما كان ذلك صعبًا عليه، فقد أومأ مع ذلك بالبذل والعطاء» . . .

ويعمل خشيارشا جاهدًا على إقناع ماسيستيس بأن ينفصل عن زوجته بأقصى سرعة، ويتزوج من ابنةٍ للملك، ولكن ذاك يرفض. وحين يعثر على زوجته الممزَّقة إربًا، بأمر من أميستريس، يحاول الوصل إلى بكتريا، لكي يقوم هناك بتمرُّد ينطلق من السور. وبأمر من خشيارشا يتمّ قتله مع أولاده وحاشيته، وهم في طريقهم إلى الشرق.

وهذه "الأقصوصة" التي تدين بوجودها للرواية الشفهية، لاشك في أن من الواجب فهمها على أنها نوع من تقرير شاهد عيان، والأحرى أن لكل أجزاء الأقصوصة دلالة خصوصية في السياق الإيراني، وإنها لدلالة لم تكن مفهومة عند

الإغريق كما هو واضح للعيان. فلنحاول أن نسبر غور هذه الدلالة الرمزية!. وهنا توجد، من ناحية أولى، "اللوائح والتعليمات" التي تقضي بأنَّ على الملك أن يقدم الهدية إلى كل من يطلبها منه بصريح العبارة، برهانًا على سلطانه، غير أن رغبة آرتاينت لم تكن، ببساطة، عباءة، بل عباءة الملك، وهي "آية" من آيات سلطانه. وحين تحتفظ آرتيانت لنفسها بهذه العباءة، تطرح السؤال عن السلطان، لا من أجل نفسها، بل من أجل أسرتها. والآن يغدو مفهومًا أيضًا لماذا تنتقم أميستريس "لولدها، وليّ العهد". وهي تفعل هذا، بالمناسبة، بطريقة كان كل امرئ في إيران خليقًا أن يفهمها: فهناك كان يعاقب المتمردون بجَدْع الأنف وبتر الأذنين واللسان. وأخيرًا يضطر ماسيستيس إلى التكفير عن تطلّعه إلى الحكم بالموت. وربما كان في وسع المرء، في أثناء الكشف عن المغزى الأعمق للحكاية، أن يخطو، حتى خطوةً أبعد من ذلك، على ما أظن. لقد أراد القوم أن يتبيَّنوا في اسم ماسيستيس" الكلمة الفارسية القديمة: ماثيشتا، بمعنى: الأكبر، الأعلى، القائد". فإذا كان القوم يفهمون من هذه الكلمة لقبًا هو "الأكبر بعد الملك"، هنالك يجوز للمرء أن يُسَوِّي بين ماسيستيس والأخ الأكبر لخشيارشا، أريامينيس، الذي كان مثل الأول الوارد عند هِردُت، إذ كان يقال إنه "يحكم"، كما يقول بلوتارخ، أول الأمر في بكتريا، وهو الذي ما عاد يرد حديث عنه فيما بعد، في شواهدنا "بسبب قتله". وعلى هذا فمن الممكن أن يكون هِردُت شكّل، من دون أن يعلم ذلك، روايات عن محاولة اغتصاب داخل أسرة الإخمينيين، تشكيلاً أدبيًا الأفعال الفظيعة الموضوعة تحت تصرفات خشيارشا الفظيعة، من جزء من البحث، في بابل:

"لقد أمر خشيارشا بأن يُسوّى بالأرض "مقر الأوثان" البابلي، إيساجيلا، تسوية كاملة إلى حد بلغ منه أن الإسكندر حين أمر، فيما بعد، عام 331 ق م بإعادة إنشاء معبد مردوك، لم تكن الأنقاض قد أُبْعِدَت من المكان بعدُ بصورة كاملة، بعد خمسة عشر عامًا، واضطر القوم إلى إسقاط مخطط إعادة البناء. كما أمر خشيارشا "بسحب تمثال مردوك الذي يبلغ ارتفاعه ستة أمتار، من الذهب المصمت من إيساجيلا وإبعاده وصَهْرِه" ‹Hinz›، كما أن ما يقال عن تخلّيه عن لقب ملك بابل بعد الثورات التي نشبت فيها، أمر ليس بأقلّ إشكالية: فمن ناحية أولى لا يتحوَّل جَرُّ تمثال مردوك "وصهره"، إلى عبء على خشيارشا الوارد عند هِردُت، على الإطلاق، إذ لا يقال إن ما تم إبعاده هو ليس التمثال (agalma)، بل تمثال أندرياس "أتراه وَثَن آخر"؟ أم تمثال ملك آشوريّ أو بابليّ؟". ولا يمكن أيضًا أن يكون هناك شك في أن إيساجيلا وعبادة مردوك ظلاّ قائمَيْن، متواصلَيْن، حتى نهاية الحقبة الإخمينية. وعند ذلك لا يعني الخبر المتعلق بمحاولة "إعادة بناء" المعبد المدمَّر، على يد الإسكندر، شيئًا آخر، سوى أَنَّ المقدونيّ كان يمارس، مثل

كل ملوك بابل من قبله، "إعادة الإنشاء"، أي: الإصلاح والترميم، إلخ . . حيال الأمكنة المقدسة، ليثبت أنه، هو ذاته، الملك الشرعي الذي اختاره الرب، والذي منحته الآلهة الإذن ببناء المعبد. ويعدُّ لقب "ملك بابل"، بموجب أحدث الأبحاث، وبهذه المناسبة، بالنسبة لخشيارشا، متوافر الشواهد عليه حتى السنة السابعة عشرة من حكمه، من وجوه عديدة.

ولكن أفلا يثبت نقش دايفا، على الأقل، التسامح المبدئيّ عند الملك؟. وهنا أيضًا يترتَّب أن نُوَدِّع تصوُّرًا محبوبًا أيّما حب؛ لماذا لم يحدِّد خشيارشا، مثلاً، مكان "عبادة الأوثان" بمزيد من الدقة؟. الحل يكمن في سمة النقوش الكتابية الإخمينية المستقلة عن الزمان "والنقوش البارزة، كما سبق أن رأينا": فإن خشيارشا لا يهدف إلى حدث محدد، بل يعلن، مرة وإلى الأبد: إن "من يتمرد على الملك يعاقَبْ، وسوف يتمّ تدمير الأمكنة المقدسة للمتمردين". وإذًا فالمسألة تتعلّق بتصريح بَرْمَجيّ-عَقِدِي، ولا يتعلَّق برد فعل للملك يقوم على وضع الأمور في نصابها من وجهة تاريخية. وأمام هذه الخلفية تكون محاكاة النقوش الكتابية والنقوش البارزة العائدة للأب، من قبل خشيارشا، أمرًا مفهومًا: فلم يحدث هذا بسبب الافتقار إلى الأفكار والخواطر، بل كان هذا يحدث بهدف تأكيد ما يتميَّز بالسريان العام أيضًا لحقبة حكومة خشيارشا الخاصة. ولم يحدث قط أن طلب خشيارشا من رعيته أن تتخلّى عن الآلهة القديمة لصالح أهورامزدا. ومع ذلك فإذا كانت السياسة والدين يُمْزَجان أحدهما بالآخر من جانب المتمردين حيث تُسْتَصْرخ الآلهة لتكون سندًا في القتال، أو كان هؤلاء المتمردون يزعمون حتى أن الثورات تأتي بمشيئة الرب، عند ذلك كان المتمردون يتوقعون، مع مراكز عبادتهم، عقوبات فادحة، ولا يمكن أن يفهم على نحو يختلف عن هذا تدمير الأكروبوليس، وليس من قبيل العبث أن يروي هِردُت، في هذا الصدد، أنه قد تمَّ منذ اليوم التالي مباشرة، تقديم القرابين مرة أخرى بأمر من خشيارشا، للآلهة "الأثينية"، وما من شك في أنَّ ذلك تمَّ على يد الأثينيين المنفيين في حاشيته.

ولو ألقينا الآن، من جديد، نظرة على كلا المادتين في دائرة المعارف، لكان لابُدَّ لنا أن نكون أدركنا أن المقارنة التي عقدناها بين قورش وخشيارشا تذهب إلى مدى بعيد. وذلك أن سياسة قورش تتميز، على وجه الإطلاق، بأفكار وخواطر وأهداف وطرق مماثلة لتلك التي كانت تتميز بها سياسة أسلافه في نطاق آسيا الغربية. وإلى جانب سِمات التسامح، كإعادة بناء مراكز العبادة، وإعادة توطين السكان في مواطنهم، والسماح بالتعددية الدينية، كانت سياسته تكشف عن سِمات بعيدة عن التسامح، مثل عمليات نهب المعابد أو التهجير. وما من شك في أن حياة قورش وسياسته استطاعتا أن تكتسبا سمة أنموذجية، لأن ثمة تآلفًا معينًا بين ظروف سياسية كانت مواتيةً لهن أو لأن ثمة عوامل محدَّدة، كانت خليقة أن تلقي بظلها المظلم على

الصورة، لم تكن فعّالة، أولمّا تبلغ درجة الفعالية. وهكذا كانت توجد، من الوجهة السياسية، ومن الوجهة الخاصة بالنظرة إلى العالم، مجموعات وشخصيات لها نفوذها وتأثيرها، كانت تهتم بنجاحه، أو كانت تفكر في تقديمه مثالاً. وعلى هذا فقد كان لايزال يتوقع حدوث النزاع العسكري الكبير بين اليونان والفرس. وإلى أين كانت تنتهي المقارنة بينه وبين خلفائه، ولاسيما خشيارشا؟. ما من شك في أن المهمة كانت متباينة عند كلا الجانبين، كما كان الوضع الذي انطلق منه كل جانب مختلفًا: أمّا هنا فتأسيس امبراطورية في ظل قائد "يتمتع بسيماء الزعامة"، ينفسخ أمامه باب الأمل في "الغنيمة" والمناصب ذوات العوائد الكبيرة، وهناك تأمين الحكم والحِفاظ عليه بعد إضفاء الصفة المؤسَّسية والقانونية عليه، على يد داريوس. أمّا في إطار المسألة الحاسمة والقابلة وحدها للمناقشة، بلا ريب، وهي طرائق تأمين السيادة والحكم، فلم ينفصل قورش عن خشيارشا إلاّ قليلاً: وذلك أنَّ مَنْ كان يأبى الاعتراف بانتقال "حقوق السيادة من الخصم المُطاح به إلى المنتصر" ‹Walser›، ومن يلجأ إلى السلاح لاستعادة الاستقلال، يضطر، في حالة كلٍّ من هذين إلى أن يُدْخِل في حسبانه أشد العقوبات. وحتى السياسة الدينية، كانت، كما رأينا، تتوقَّف، إلى حد بعيد، على إثبات الولاء هذا الضروري إذ كان قورش وخشيارشا مستعدَّين، بغضّ النظر عن عقيدتهما الدينيّة الخاصة، لاحترام معتقدات الرعية وتقديرها، وتنمية عباداتها، لأسباب سياسية، حين يكون من الممكن توثيق الروابط بين الحاكم والرعية عن هذا الطريق. وكانت الحماسة للدين غريبة عنهما، كما كان غريبًا عنهما أيضًا ذلك التصوُّر، الحديث، للتسامح الدينيّ من حيث كونه مبدًا إنسانيًا. ولو كان في وسع خشيارشا أن يعرض نقوشه الكتابية على قورش، لشاركه مؤسس الامبراطورية في التوقيع عليها بلا تردد.

2/ 3] الامبراطورية والشعوب والضرائب والرسوم التي تؤدّى إلى الملك

2/ 3/ 1] يعلن داريوس الملك، بإرادة أهورمزدا: ظفرتُ بمنصب الملك، وأهورمزدا / أهورامزدا هو الذي أنعم عليَّ بالامبراطورية"- امبراطورية الإخمينيين

في نقوشه الكتابية يسوغ داريوس مشروعية حكمه بطرق كثيرة شتى: أوَّلها الأصل، أي: الانتماء إلى العشيرة الإخمينية، ومن ثم إلى الشعب الفارسيّ وإلى الآريّين

"هاكساما"؛ وثانيها مركز الأول وحقه في خلافة من سبقه في مواجهة ملوك امبراطوريات الأسلاف، وثالثها، آخر الأمر، ما يتنزَّل عليه من نعمة الرب التي تبارك حكمه. وبموجب ذلك يكون أهورامزدا هو الذي ينعم "بالامبراطورية" ومن مَلَك "الامبراطورية" فهو ملك. أمّا أن كلمة (xšaça) في النقوش لا تتضمن الدلالة التجريدية لكلمة "الحكم والسيادة"، بل "الامبراطورية"، بمعناها المحسوس الملموس، فذلك ما أمكن أيضاحه بكثير من الأسباب الوجيهة. وبناءً على ذلك يكون مرزبان إقليم من الأقاليم مرزبانًا حاميًا للامبراطورية "بالفارسية القديمة: (xšaçapāvan) ولا ملكًا، لأنه لا يملك امبراطورية، بل "لا يكون ذلك ممكنًا إلاّ لمن سبقوه في الحكم. وبالمناسبة، فإن القوم لم يكونوا يتحدثون، في التصريحات الرسمية، عن كلمة "امبراطورية الفرس" على الإطلاق، ولم يكونوا يذكرون هذه الكلمة في الاستعمال اللغوي غير الرسمي إلاّ في أحوال جدّ نادرة. أما كلمة "بلاد الفرس" فكانت تعبر عنها كلمة (Persis)، وكان يُنْظَر إلى الإمبراطرية بأسرها على أنها أرض الملك، كما يروي لنا المؤرخ ثوكيديدس، في صدد المعاهدة الفارسية الليكدايمونية المبرمة عام 11/412 ق م كان يفترض أن تعود إلى الملك كل البلاد وكل المدائن التي يحوزها وكان آباء الملك يحوزونها.

وحتى حقبة مبكِّرة من العصر الحديث كان الناس ينظرون إلى تعاقب الامبراطوريات نظرتَهم إلى مبدأ تنظيميّ في تاريخ العالم، وهو مبدأ لم يكن يجري بموجبه إثبات الأحداث السياسية وأحداث تاريخ العالم وفقًا للتسلسل الزمني فحسب، بل كان من الممكن أيضًا أن يتحوَّل إلى وسيلة مفهومة على نطاق واسع للدعاية الأخروية" ‹Metzler›. فهذا هِردُت يبدو، مثلاً حتى من دون إطلال، بالنظر على المستقبل، كأنه يصادر سلسلة ثلاثية من الامبراطوريات "الآشوريون، والميديون، والفرس". وفي سفر دانيال عن القرن الثاني قبل الميلاد يتم اختيار نمط رباعيّ "البابليون، الميديون، الفرس، البطالمة والسلوقيون". لقد أراد الناس أن ينظروا إلى قورش على أنه ذلك الحاكم الذي تمّ تطوير مفهوم الامبراطوريات الثلاث من أجله. وهذا يفضي إلى دلالة ومغزى. ومع ذلك يظل هناك سؤال ألم يخاطر الذين "أبدعوا"، عن هذا الطريق، بتصورهم تقلّد زمام السلطة العالمية وتصعيدها، وبتسويغهم أيضًا لمجيء الامبراطوريات وذهابها، الأمر الذي يمكن فهمه فيما بعد، في الأدب الرؤيوي في "المنسوب إلى سفر الرؤيا في الحقبة الهيلينستية والرومانية، على أساس تصوُّر قطب في مقابل قطب معاكس له؟.

وحين مات داريوس عام 486 ق م كانت امبراطورية الإخمينيين تشمل امبراطوريات كانت في الأصل مستقلة، هي امبراطورية ميديا، وليديا وبلاد البابليين، وكذلك شرقي إيران، وأجزاء من آسيا الوسطى "غزوات قورش" ومجال

سيطرة أسرة سيطن (Saiten) الحاكمة في مصر "الاكتساب على يد قمبيز"، وفوق ذلك ثراقيا و"الهند" التي لم يجرِ اكتسابها إلاّ منذ عهد قريب فحسب. وبذلك تمَّ إنشاء تركيبة لدولة ذات مساحات لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت، تميَّزت بتغاير الخواص الإثنية والثقافية. وأضيف إلى ذلك أن الفرس كانوا قد ظهروا في الأغلبية الكبيرة إلى حد بعيد، من أقاليم هذه الامبراطورية بمظهر "الغزاة"، بل عمدوا في بعضٍ منها، وأعني تلك الأراضي التي ظلت حتى الآن مستقلة، إلى القضاء على الأسر الحاكمة "الشرعية". والحق أنهم ربما وجدوا، عن طريق حالات احتكاك سابقة، مع عيلام، أو البابليين، أو ميديا، نوعًا معينًا من التآلف مع تقاليد هذه البقاع، وبداية جديدة، أفضل في معالجة المشكلات الإقليمية والخصوصيات السياسية في كل بلد من هذه البلدان. ومع ذلك يبقى علينا أن نتساءل عن الصورة التي كان يتجلّى بها مفهوم الحكم الأخيميّ على مستوى الامبراطورية أو في السياق الإقليمي والمحليّ.

لقد سبق أن تعرَّفنا، من خلال مثال سياسة قورش، على بعض خصائص طرائق الحكم، ومنها، مثلاً، التسامح في الشؤون الدينية، وهو التسامح الذي كان في وسعه أن يذهب إلى حد أن الملوك والولاة كانوا يشجعون عبادات رعيتهم عن طريق المؤسسات الوقفية والقرابين، عن وعي وقصد، حين كانت الآلهة المبجَّلة تثبت أنها تمثل ضامنًا للهدوء والنظام. وكان هناك، من ناحية أخرى، من أجل مقارِّ العبادة هذه، الالتزام بتسديد الضرائب، وكذلك بحسن السلوك السياسي. وكان هذا المبدأ في السياسة الدينية، بالمناسبة، يحترمه ويراعيه، كل ملوك الفرس.

ولكن كان التصوُّر الفارسي لضمان بقاء الحكم يتميَّز، بلا ريب، عمّا كان يشار إليه في صدد الحديث الامبراطورية الرومانية في حقبة الأباطرة، باسم "الرَّوْمَنة": والذي كان لدى جزء من نخبة الريف أنفسهم، موضع التمنّي، ولكنه كان يُمارَس من قِبَل روما أيضًا، وهو إدماج الذين تمَّ إخضاعهم في عالم القِيَم الاجتماعية والسياسية الذي تظل الغَلَبة فيه للرومان، كما يجري وصفه، مثلاً، في الملاحظة التهكمية المشهورة لتاسيتوس حول البريطانيين الذين يتصرَّفون تصرُّف الرومان: «فَلِكيْ يعوِّد المرء البشرَ الذين يعيشون متناثرين، حياة بدائية، ونتيجة لذلك يكون من السهل أن يجنَحوا إلى الحرب، على الأمور المستعذَبة، من الهدوء والسكينة والسلوك السلميّ، كان الوالي أغريكولا يبعث في نفوسهم المرح والبِشْر، بشخصه، ويساندهم بالوسائل المتوافرة لدى الدولة وببناء الساحات العامة والمنازل في المدينة، ويثني على المُجدين منهم ويلوم المقصِّرين، وبذلك حلَّ الاعتراف والتقدير والجهد التنافُسِيّ محلَّ القسر والإرغام. ثم إنه كان يدع أبناء النبلاء يمارسون التشكيل في الفنون الحرة . . وهكذا اتفق أن البشر الذين كانوا مازالوا يرفضون لغة الرومان، باتوا

يرغبون في تعلّم فن الحديث الرومانيّ. ومذ الآن فصاعدًا لقي مظهرنا الخارجيّ أيضًا الإعجاب وكان الثوب الرومانيّ الفضفاض يُرْتدى في كثير من الأحيان. وكان القوم يستسلمون، شيئًا فشيئًا لتأثير الآفة التي تبعث الخَوَر والوهن: من القاعات ذوات الأعمدة والحمامات، والمآدب ذوات الأطعمة المنتقاة. وكانت أمثال هذه الأمور تسمّى عند أولئك الذين لا يحسون بشيء ولا يَدْرون "ثقافة الحياة"، على حين لم تكن هذه، بلا ريب، سوى جزء من العبودية».

ولا يوجد، مثلاً شيء يمكن مضاهاته بما يوجد في المستعمرات والمجتمعات المحلية الرومانية التي كانت الأمور تنتهي فيها، وبالتالي، في محيطها، إلى ألوان من التشابك الاقتصادي والعائلي، بين الغزاة والرعية. ثم إن ظاهرات مثل منح حق المواطنة للنخبة من المدن التي دخلت من الخارج "وفيما بعد لكل الأحرار من سكان الإمبراطوية" مع فرصة الارتقاء الاجتماعي، وبالتالي فتح كتب التوجيهات الوجيزة وموقع الوظائف لهؤلاء الصاعدين، لم تكن تُمارَس في امبراطورية الفرس. والحق أنه قد أصبح لكل فئة ممن يعرفون باسم "بندقة" والتابعين للامبراطور، طِراز حياة فارسي، أي: طِراز حياة أرستقراطي، ملكي، أنموذجي، يستحق أن يُقلَّد، ولكن ليس بالاتساع الروماني حيث كان هذا التبادل الثقافي بين الشعوب المختلفة، أو ما يسمي "التثاقف" يتواصل حتى يبلغ ظاهرات الحياة اليومية، في الحياة: عن طريق تعلّم اللغة اللاتينيّة، والأخذ بالتصوُّرات الحقوقية، والنظرات الدينية، وأشكال العمل، وأشكال حسن السلوك، والثياب، إلخ . . . أمّا النُّخَب الإقليمية والمحلّية في امبراطورية الإخمينيين فلم تكن تجد مدخلاً إلى أرقى المناصب إلاّ بالقدر المحدود إلى أقصى الحدود، إذ ظلت هذه يحتفَظ بها للمنتمين إلى الأرستقراطية الفارسية على وجه الخصوص. وكان كون المرء فارسيًا ورجوع أصله إلى فارس يجعلان الواحد من سكان الامبراطورية يكتسب الامتياز بطريقة خصوصية. والحق أنه كان هناك غير فرس يشغلون مراكز رفيعة، سياسية وعسكرية، كالأسر الحاكمة الكاريَّة، مثلاً "ومنهم ماوسولوس وآخرون"، ومنهم المرزبانان الوحيدان المشهود لهما وحدهما حتى الآن، بأنهما ليسا من الفرس، وهما بيلشونو/ وبيليسيس، أو الأخوان اليونانيّان، ممنون ومِنتور، ولكن ما من شك في أن هذه الأمثلة ليست ممكنة الزيادة والتكاثر كيفما يشاء المرء. وكانت تجري رعاية مبدأ المساواة (Koinonia) بين الفرس واليونان الموالين، وكان يتم استحلاف الناس على ذلك في الحقيقة، ورعايته. ولكن الامبراطور كان يُعْرِب عن امتنانه لما يُولاه من الحظوة والولاء، إعرابًا أقرب إلى أن يتمثّل في توزيع ألقاب الشرف أو الأعطيات المادية منه إلى أن يتمثل في فتح الباب إلى مستوى الحسم واتخاذ القرار في المضمار السياسي-العسكري، وتُضاف إلى ذلك أمور أخرى: إذ كان

يوجد في الحقيقة، على الجانب الفارسي، الميل إلى منح الاستقلال الذاتي، الدينّ، والثقافي، والاجتماعي والاقتصادي. كما تضاف إلى ذلك جهود الملوك لكي يضعوا أنفسهم في إطار تقاليد الحكم الخاصة بالبلدان التي تمّ إخضاعها، أو يستخدموا التقاليد المحلية لإعلان المبادئ الملكي، ولكن في الوقت ذاته كان الفرس يطمحون إلى أن يتميَّزوا بأنفسهم عن سائر سكان الامبراطورية، تميُّزًا واضحًا. ويضاف إلى ذلك أن الكتابة، مثلاً، واللغة، والدين، أو الديانات عند الفرس، كانت لا تكاد تنطوي على جاذبية، على النقيض ممن يقابلونهم على الجانب الروماني، وبالتالي لم يكونوا "منفتحين" بما يكفي لتوثيق عرى الشبكة التي تربط بين الفرس وغير الفرس.

ومع ذلك فقد أثبتت الدراسات الإقليمية التي لا حصر لها أن الأغلبية الراجحة من النُخب لدى الشعوب التي تمّ إخضاعها، ربما إذا ضربنا صفحًا ذات مرة عن مصر، لم تكن ترى في الامبراطور الفارسي الحاكم الأجنبيّ، ولا السيد الذي يقسُر ويُرْغِم، بل كانت ترى فيه الضامن الذي يكفل الاستقرار السياسيّ والنظام الاجتماعي والازدهار الاقتصادي، ويكفل بذلك، آخر الأمر، مركزها الخاص، أيضًا. أمّا الأخطار الفعلية على الامبراطورية فلم تكن تهددها من الخارج إلاّ بعد ارتقاء مقدونيا إلى مستوى دولة عظمى، وبالتالي لم تهددها إلاّ بعد تحقق أوجه النجاح العسكري على يد الإسكندر، الذي استخدم، فوق ذلك أيضًا، نماذج "إخمينيّة" في المحاجّة والجدل ونماذج سياسية. أما الفقدان المؤقت أو النهائي لأقاليم متفرِّقة، كل منها على حِدة، على أطراف الامبراطورية، أو مطامح بعض المرازبة المتفرقين فكانت أقل خطرًا بكثير على وجود الامبراطورية، من أشكال النزاع داخل الأسرة الملكية، وكان الاستقلال الذاتي المحلّي واللامركزية بين المتنافسين، قد أثبتا أنهما أقرب إلى أن يكونا عنصرين مثبتين للنظام منهما إلى أن يكونا مما يبعث على تفكيكه وانهياره، ولاسيما أن كليهما كان يسير في إشراف دائم مواظِب، مُحْكَم، في قلب البلاد. ولم تكن امبراطورية الأباطرة، في أي وقت من الأوقات "كتلة هائلة جبّارة، تقف على قدمين من الفخّار.

2/ 3/ 2] البلدان والشعوب والمرزبانيات والمناطق الضريبية: البنية الداخلية لدولة الإخمينيين

لايزال يثور حتى اليوم كثير من الجدل والنزاع، حول البنى الإثنية، والإقليمية، والحكومية-الإدارية والمالية في الامبراطورية. ويضاف إلى ذلك أن من الممكن تفسيرها على نحو متباين، على أن أهمها يمكن تمييزه على النحو التالي:

1) تطلق الكتابات الملكية الإخمينية اسم داهيافا على المناطق التي "وقعت في يد" داريوس (DB1 13. 18) وهي التي تخشى بأسه وتؤدي إليه الجزية (DPe 9-10)، وبالتالي، "تلك البلدان التي تفعل . . ما قيل لها" (Dna 20-21; Xph 17-18) في ضريح داريوس، واللائحة على قاعدة التمثال من سُوْسَ (DSab). كل هذا يمثل ملاحق للشخصيات الداعمة المعروفة آنفًا، على النقش البارز ("هذا هو الفارسي" إل . .). لقد ثار الكثير من الجدل حول مفهوم الداهيافا، فإذا ترجما المفهوم الأول بأنه "البلدان" رأى الآخرون فيه كلمة تراوح بين "البلدان" و"الشعوب" ‹Calmeyer›. ثم إن هناك آخرين يرون أنَّ من المناسب ترجمةٌ بعبارة "قوميّات"، أو "سكان" فحسب.

وما من شيء يشير إلى المسألة التي تتعلّق، في حالة هذه اللوائح، بأمثال هذه الوحدات الإدارية، كَأَنْ تتعلَّق مثلاً، بفهارس الأقاليم أو الولايات. أجل، بل إن الامبراطورية لا يتم إدراكها فيها مصورة كاملة. وإذا حاول المرء أن يبسط نظامًا معينًا في هذه الطروح كان في وسعه أن يقرر ما يلي: تعدُّ اللوائح "والنقوش البارزة" العائدة لداريوس الأول، فيما بينها، مختلفة على نحو يبعث على الذهول. فما من شهادة تماثل شهادة أخرى، وهي تعكس واقعًا تاريخيًا "مثلاً: "خسارة" القوميات" وهي مرتبة وفقًا لأنموذج آشوري وبابلي في سلاسل نابذة. ويقوم خلفاء داريوس بنسخ النماذج الموضوعة بالنقوش الكتابية، أو بالنحت، ويحدث هذا، في هذه الحالة أيضًا، لا بدافع الافتقار إلى الأفكار أو الخواطر، بل بهدف تأكيد تركيبة الحكم والسيادة. غير أن "نقش دايفا" الكتابي، العائد لِكسرى يغيب عن الإطار: إنه يحاول "بطريقة رائعة" أن يربط بين التقاط ما اختُزن من تعبير داريوس، والتعبير عن الزهُوِّ بالاتساع الهائل للامبراطورية" (كالماير): «يعلن كِسرى، الملك، بمشيئة أهورامزدا، هذه هي الشعوب والبلدان التي كنت أنا مليكها . . الناس القادمون من فارس . . وميديا، وعيلام، وأراخوزيا، وإرمينية ودرانجيانا، وفرتيا، وآريبا، وبكتريا، وسوذْجيا، وخورزميا، وبلاد بابل، وآشور، وساتا جيديا، وليديا، ومصر، والإيونيون في البحر، والإيونيون وراء البحر والقوم الذين ينتمون إلى مكا[؟]، بالجزيرة العربية، وقندهار، والسند وكابّا دوكيا، والداهر، والساكا هاومافارغا والساكا تغركساوْدا، وأكوفاكا و"الناس الذين ينتمون إلى" ليبيا وكاريا وكوش».

2) نجد لدى الكتاب الإغريق، مرارًا، لوائح تتناول عصابات من الجيش مرتبة تبعًا للإثنيات (ethné)، ومع ذلك فليس من الواجب أن تُفْهمَ على أنها أوصاف تاريخية لوحدات من الامبراطورية.

3) وما يثير صعوبات خصوصية، لائحة هِردُت الخاصة بدافعي الجزية العشرون، المسمون نوموي (nomoi) وبالتالي: "أرشايْ"، تضم، في كثير من الأحيان

أكثر من إثنية واحدة. وفي هذه الأثناء تتم مناقشة النماذج لهذا الفهرست على نحو مماثل بدقة، في تضادّه، كما في مسألة: هل يمكن التوفيق بين هذا الطرح وبسائر الشواهد "النقوش الكتابية الملكية، النقوش البارزة؟.

4) نجد عند أفلاطون أوصافًا لامبراطورية الإخمينيين تصادر تقسيمًا للامبراطورية إلى سبع وحدات، يستند إلى عدد السبعة الذي يشير إلى المتآمرين على غاوماتا.

5) لقد ظل فريق من الناس يحاولون أن يقرِّروا الكيفية التي كان يبدو بها النظام الإخمينيّ الخاص بالمرازبة والأقاليم، في حِقَب محدَّدة وذلك أننا لا نملك لوائح منتظمة وفقًا للتعليمات، للمرزبانيّات "أي الولايات" إلاّ من الحقبة التي تلت حقبة الإخمينيين. وبالنسبة للحقبة المثيرة للاهتمام هنا، كثيرًا ما تذكر، من قبل الكتاب الإغريق، في الحقيقة، أسماء مرازبة، غير أن "مجالات حكمهم" لا يجري الحديث عنها في أي مكان، ومن هنا لا يمكن أيضًا، إلاّ بصعوبة بالغة، رسم حدود المرزبانيات على الخرائط التاريخية؟.

ويجري تناول المرازبة في الشواهد الغربية، بصورة جزئية، وبتجريديّة أخرى على أن تعدد المعاني في هذه المصطلحات "التي تستخدم أيضًا من أجل كبار المسؤولين لأدنى مرتبة" لا ريب في أنه يجعل من تبيُّن الشخصية بصفتها مرزبانًا أمرًا ليس بالسهل دائمًا. ويشار بكلمة مرزبانيّات "وهذا المفهوم لا يستعمَل في المراجع بتواتر كبير"، في الأبحاث، إلى الأقاليم التي تذكر فيها المرزبانيّات. ومن الناحية الأخرى، يظن الناس أنهم يستطيعون أن يتبيَّنوا المرزبانيات "من دون هذا اللقب" حتى عندما تذكَر أسماؤها مرتبطة بهذه المناطق. ولا تُستبعَد الحلقات المفرغة في هذه الأثناء. وما من شك في أن المرازبة ليسوا بأصحاب أعلى المراتب من كبار الموظفين الإداريين الذين تتحدث عنهم الروايات، ومِنْ ذلك أننا نعرف، مثلاً، رجلاً يقال له "شاكين ماتي" ("حاكم البلاد") من بلاد البابليين،في السنوات الأولى من حكم قورش، قبل أن نجد ذكرًا له بعد ذلك في الوثائق التي تعود إلى هذا المجال، المَرْزُبان الأول من "بابل وإيبرناري". ومن المعروفين أيضًا اللقب المروِيُّ عن الإغريق "من أجل قورش الابن"، وهو "كارانوس"، الذي يمكن أن يفهم منه: الآمر العسكري المزوَّد بتفويضات خصوصية، في الطرف الغربي من آسيا الصغرى. ويضاف إلى ذلك أن أقاليم معينةً "مثل: كاريا، وليقيا، وقيليقيا" كانت تديرها، إدارة مؤقتة، أسر حاكمة محلية. وكانت أقاليم أخرى تخضع لإشراف أمراء المدن، ولم يكن يخصَّص لقوميات محددة، مرة أخرى، منصب مرزبان، لسنا في وضع يمكننا من الوصول إلى معلومات أدق حول طليعتها الإدارية. ومما يفاجئ على وجه الخصوص، لدى الوهلة الأولى، الظرف المتمثل في أن مجموعات محدَّدة من السكان كانت تستطيع،

على نحو ظاهر للعيان. أن تحافظ على ارتباط غير وثيق بسلطات الدولة، وكانت مجموعات أخرى، ولاسيما سكان جبال زاغروس، تتلقى حتى الهدايا من الملك بدلاً من أن تؤدي "الجزية" هي ذاتها. وكانت فارس تتمتع بوضع رفيع على وجه الخصوص، وسوف يترتب علينا أن نتحدث في هذا حديثًا منفصلاً.

أما على صعيد المرزبانيّات "وبالتالي الوحدات الإقليمية التي يمكن مقارنتها بها" فيعرف متقلدون آخرون للمناصب تابعون للمرزُبان. وإلى جانب هؤلاء أولئك الذين لا يحملون ألقابًا والذين لا يمكن تعريف مهامهم بمزيد من الدقة. ولنذكر هنا، مثلاً، من الأصدقاء، ورفاق المائدة، وحملة الصولجان يسمّون "فيلوي، هوموترابيزوي، سكبتوشوي عند قورش الابن، وقادة سلاح الفرسان لدى المرزبان فارنا بازوس، و"الرجال الذين يعملون بين يَدَيْ الحاكم" في سفر نحميا، وذوو القرابة في "دواوين" المرزبانية والقضاة و"النظّار" المشرفون، على مستوى المرزبانيات وبالتالي على مستوى الإقليم. وكذلك، ومن دون وظيفة خاصة، مخبرو الملك في بلاط المرزبان وهم الذين يشار إليهم، في البحث القديم بأنهم "عيون الملك وآذانه".

وكانت تتواصل، البنية الإدارية التي هي دون منزلة المرزبانية: وهكذا تعرف لدينا من بعض الأراضي هيبارشِن وأراضي أخرى "تابعة للمرزُبان، كما يعرف لدينا من بلاد بابل، لقب "بهاتو" ("حاكم بلاد بابل")، ومن عبر النهر "أي: من مناطق ما وراء النهر"، أي: نهر الفرات، منطقة بيل تهاتي إبيرناري، وبالتالي "حاكم جبال يهوذا /إيهوذ" مع جهاز كبار المسؤولين في كل منهما. وفي مصر يجب الإحاطة بالتقسيم المرزباني والإقليمي إحاطة جيدة على وجه الخصوص: إذ يعمل تحت إمرة المرزُبان من يسمى الفراتاراكا ("الرئيس") على مستوى الإقليم، ودون هذا "لمنطقة الفِيَلَة/ ساين" من يسمى الهافتاكسفا "حامي ضريبة الشبْع" الذي يسمى، في وظيفته العسكرية "قائد الحامية"، كما يسمى: راب حَيْلا ("رئيس الجيش")، في بركته القضائية.

ويبقى أن نذكر المستوى المحلي: إذ يقول كزنفون: إن عشرة آلاف من المرتزقة تعرَّفوا نُظّار القرى "الناطقين بالفارسية" مع أنه يتم، في إطار هذه التسمية، كما هو ظاهر للعيان، إيرادُ ناظرِ مكانٍ منفرد، كما يتم أيضًا إيراد المسؤول الكبير الذي يرأس عددًا من القرى. وما من شك في أنه لم تكن توجد إدارة إيرانية مباشرة لمدن الرعية، ولكن كانت توجد، بلا ريب، تلك الإدارة للمناطق ذوات المدن. على أننا نتمتع باطلاع أفضل على أمور مسؤولين في "بيوت الكنوز" "مثلاً: في حواضر الريف وفي أمكنة أخرى، وهي أمكنة لا ريب في أنها لم تكن مجرد "مستودعات"، بل كانت تستعمل منازل عمل أيضًا. كما نطّلِع على متقلدين للوظائف العليا في محطات الرعاية، وعلى صوامع القرى والمباني الخاصة بالمُؤَن. وكانت السمات المميِّزة

للرقابة الإخمينية على الرعية تتمثل في الحاميات التي كان المرزبان يتولى إمدادها "من المصادر المحلية، وكان الملك يعيّن قوّادها.

وعلى هذا الصعيد الأدنى من إدارة الامبراطورية كان يفترض أيضًا أن تستقر السلع في أيدي أعضاء الأسرة الملكية، والأملاك المودّعة من قِبَل الملك على الأرستقراطيين و"المحسنين"، وإقطعات نبلاء العسكر المستوطنين، في بلاد بابل، أو في أمكنة استيطان المُرَحَّلين، الذي كانوا يعملون للملك مقابل ضمان معيشتهم.

2/ 3/ 3] الجزية والرسوم والهدايا في امبراطورية الإخمينيين

وكان أخيلوس نفسه قد اتضح له أن قوة امبراطورية الإخمينيين كانت ترتكز على دفع الجزية، ومراعاة "الشرائع" الفارسية، والاعتراف بمركز الصدارة الامبراطوري. وكان الولاء للحاكم يمكن أن يثبت، فوق ذلك، أنه كان يتحقق من خلال تسلسل المراتب العسكرية، الطوعية "أو المفتعلة".

«حين دبَّر "داريوس" أمر الأقاليم وعَيَّن الولاة فرض الضرائب "وهي بالأحرى: الجزية التي ينبغي أن تؤدّى إليه، شعبًا فشعب، بإحكام. وأتبع الشعوب بمن جاورها من الشعوب، وضرب، تَخَطَّ للشعوب المتاخمة له، الشعوب البعيدة بشعوب أخرى، ضربة خاطفة، إذ ضرب الواحد منها بهذا، والآخر بذاك، غير أنه عمد إلى تسوية مابين الأقاليم وعوائد الضرائب السنوية بموجب التدبير التالي: كان على الذين دافعي الضريبة بالفضة أن يؤدّوها على أساس الوزن البابلي، وعلى الذين يدفعونها ذهبًا أن يؤدّها على أساس الوزن الإيبوئيّ . . وذلك أنه لم يكن هناك، أيام حكم قورش، ثم أيام قمبيز، تسويات ثابتة حاسمة في مسألة الضرائب، بل كان الناس يؤدّون الهدايا. ولكن بسبب هذا التدبير الدقيق الخاص بالرسوم، وبسبب رسوم أخرى، مماثلة، يقول الفرس إن داريوس كان رجل أعمال أو، بالأحرى، تاجرًا على مستوى صاحب بقالية، محدود الأفق، وإن قمبيز سيد صارم مستبد، ولكن قورش أب. أمّا الأول فلأنه كان يرى كل شيء من ناحية المال والربح، وأمّا الثاني فلأنه كان قاسيًا لا يرجو لشيء وقارًا، وأمّا الثالث فلأنه كان رفيقًا وكان يسوق إليهم كل ما هو خير».

ويتضح من هذه الملاحظات المأخوذة عن هِردُت، حول الإصلاح الإداري والضريبي الذي حققه داريوس، مدى الحسم الذي نظرت به الرعية إلى هذا النظام الجديد الخاص بالجهاز الضريبي. ويحق للمرء أن يتكهن بأنه لم يكن هناك، أيام قورش وقمبيز اطراد ولا انتظام ولا تحديد دقيق للمدفوعات إلى المركز؛ وهذا ما يفترض أن تعبِّر عنه كلمة (dora)، بلا ريب، وأن النزعة إلى سلوك البقال عند داريوس، كانت تكمن على كل حال في هذه الصلابة والصرامة. فقد تحوَّلت الهدايا

الآن إلى امتياز، حتى حين كان يُجاء بها بطريقة مطّردة، منتظمة: «غير أن الأقوام التالية أسماؤهم لم يكونوا ملتزمين بأداء الضريبة، أي: الجزية، بل كانوا يقدمون هدايا طوعية: وهم الإثيوبيون والكُلْخ . . والعرب».

وكان من الواضح للعيان أن هذه القوميات الموجودة على حدود الامبراطورية "وصورة العالم في نظر هِردُت" كانت تتمتع بامتيازات ضريبية، مع الاعتراف، في الوقت ذاته بأنها تضبط أمور الدولة بيد قويّة. غير أن الإثيوبيين والعرب المقدِّمين للهدايا كانوا يظهرون الآن، سواءً في النقوش الكتابية العائدة للأباطرة أم على النقوش البارزة في بِرسِبولِس. وهذا ما يسمح لنا أن نفسر صياغة داريوس التي تفيد: إن "هذه كانت القوميات التي كانت تؤدي إليَّ الضرائب" تفسيرًا يفيد أن الملك كان يريد أن يعرف أنه يلقى فهمًا بين صفوف دافعي الضرائب، سواءً فيما يتعلق بدفع الجزية المفروضة على الرعايا أم فيما يتعلق بتقديم الهدايا من الإثنيات ذات الحكم الذاتي الجزئي.

بل كان الإخمينيون يعاملون قوميات معينة، أو فئات معينة، أو أفرادًا معينين، معاملة المجامل المتلطِّف، إلى مدى أبعد: وهكذا كان شأن عرب جنوبي فلسطين؟، إذ سبق لهم أن ساندوا قمبيز في حملته على مصر، فباتوا ضيوفًا أصدقاء في ديار الفرس، وتحرَّروا من كل الضرائب المفروضة على من يعترف بسيادتهم العليا "ومنها الجزية والهدايا"، وكذلك كان يوجد تحرر من الضرائب والرسوم، أو امتياز ينطوي على هذا، لمن يسمون الآرياسبير في شرقي إيران، ومثل ذلك عن معبد أبولو في مغنيزيا بآسيا الصغرى، أو بيت أوتانيس مساعد داريوس. ومازال يكلِّف الباحثين حتى اليوم جهودًا خاصة، ذلك الظرف المتمثل في أن هِردُت أيضًا يؤكد وجود التحرُّر من الضرائب عند الفرس. ثم إن الألواح الصغيرة من بِرسِبولِس تعرف في الوقت ذاته، مع ذلك، فيضًا من "المدفوعات" الواردة من أهل الأمصار والأقاليم. وفي هذا الصدد يؤكد هِردُت ما لا يختلف عن أنَّ فارس كانت متحررة من الفوروس، أي: دفع الجزية، من الشعوب التي تمَّ إخضاعها، والمرتبطة بالضرائب والرسوم. ومن الممكن أن يكون هذا الامتياز مُنِح للفرس "إلى جانب آخرين" من قبل داريوس، في فترة محدّدة من أيام حكمه.

وكان من الواضح للعيان أن "الفوروس/ Phoros" كان يتم تجميعه على مستوى الإقليم، وبعد حسم جزء تمس الحاجة إليه من أجل الإقليم ذاته "وبعد تحويله إلى شكل من أشكال المعادن الثمينة؟" ينقل إلى البلد الذي يشكل قلب الامبراطورية، حيث يختزن في بيوت الكنوز، لأغراض السبك والدفع وتقديم الهدايا. وكان يوجد، فضلاً على الجزية و"الهدايا" الواردة عن الشعوب ذوات الاستقلال الذاتي الجزئي، عوائد أخرى أيضًا للملك، فمنها "الهدايا"، التي سبق ذكرها مرارًا،

إلى الامبراطور، والتي كان رعاياه يدعونها تتدفق عليه "في أثناء رحلاته"، والتي كان يعود فيوزِّعها على "الأصدقاء" و"المحسنين" من جديد، وكذلك التاغي لإمداد الملك وجيشه "في صورة جزء من الفوروس؟. ولئن كانت هذه الرسوم كلها تُفَسَّر تفسيرًا صحيحًا على أنها أيضًا، علامة على الاعتراف بسيادة الامبراطور، فإن الحاكم كان يعرف أيضًا، بلا ريب، أن العوائد لا تكون مضمونة إلاّ في حالة رخاء البلاد ورفاهية سكانها، ثم إن مجهود الملك في صد الأعداء، ورعاية الثروة الحيوانية والنباتية "مثلاً: عن طريق الرقابة على نظام الري أو زراعة خضار جديدة، له، أيضًا سببه، هنا.

أما على الصعيد الإقليمي، فكان من الواضح للعيان أن المرزبان، أو الحاكم، يختص بفرض الجزية المفروضة على الأرض وجمعها، حيث كان يستهدي في هذا الصدد بالمزايا التقليدية العائدة إلى الحقبة ماقبل الإخمينية، ويكون قد استشار السجل العادي والسجل العقاري الرسمي الموجودين تحت تصرفه. وكان في خدمته في هذه الأثناء من يسمَّوْن هيبارش على المستوى الأوسط من تأدية الضرائب، ومن يسمَّوْن خليارش وأعضاء الإدارة الذاتية في المدن على المستوى الأدنى منها، وكانوا أيضًا ذوي اطلاع حسن على الامتيازات التي تتمتع بها شخصيات، أو مجموعات محددة، أو أملاك معينة، أو قرى ومدن معينة. أمّا المعابد، كما كانت، مثلاً، في بلاد الرافدين، وسورية وفي أي أمكنة أخرى، فكانت تعامل معاملة "كبار مُلاّك الأراضي" الذين يباشرون العمل بحكم القاعدة، إذ تلتزم جماعات من العاملين فيها، من غير الأحرار، بالخدمة، وكان هؤلاء ينالون، على نحو معكوس، مع ذلك أيضًا، امتيازات من الملك، وكانوا يتلقَّوْن أموالاً، تؤدّى إليهم من خزينة الدولة. وتمثل الاقطاعات العسكرية من بلاد البابليين مخصصات من الأراضي، وهي مخصصات من الأراضي لا يمكن بيعها ولكن يمكن توارثها، تُقَدَّم من الملك إلى الجند مقابل الإعفاء من الالتزام بالخدمة العسكرية، حيث أصبح تأجير الأرض من الباطن مألوفًا، وكان أداء الضرائب والرسوم، وأشكال الالتزام بالعمل "أو السخرة" يعوِّض الخدمة العسكرية، أما الكيفية التي يترتَّب أن تُفَسَّر بها الضرائب الفردية أو الجماعية التي ترد الشهادة عليها في الألواح الصغيرة، فذلك ما يفترض أن نشتغل به بعد.

وأما مدى ارتفاع العوائد "السنوية" التي كانت ترد إلى الامبراطور، فذلك ما لا يمكن استخلاصه وتقريره. لقد حسبوا المعادن الثمينة التي وقعت في يد الإسكندر عند احتلاله مراكز القصر والمراكز الإدارية، بمقدار 180000 طالنط، أي: 4680 طن من الفضة، أو 468 طن من الذهب، وهو رقم لم يجر الوصول إليه في أي فرصة، من جديد، في العصر القديم. وما من شك في أن هذه المبالغ تخدع وتضلِّل،

على مدى عقود من الزمان سادت فيها الكنوز المختزنة، النظرة الصحيحة إلى تحميل الرعية بالأعباء عن طريق مبالغ الجزية، والضرائب الأخرى، في حَيِّز زمني محدد، ذلك لأن هذه أصبحت، على نحو ظاهر للعيان لا يجري الإحساس بها على أنها مما تنوء بحمله كواهل الناس إلى حد يتخطّى المقاييس. وإذا صحّ التكهن بأن تقرير مبالغ الاتحاد البحري في أتيكا-الديلية "نسبة إلى جزيرة ديلوس في بحر إيجة"، قد تمّ القيام به على غرار الأنموذج الفارسي، ثم يبدو أن هذا النظام لابُدَّ أنه قد أثبت كفاءته. وهو الذي تم التدقيق فيه بعد الثورة الإيونية من قِبَل المَرْزُبان آرتافيرنيس، وتحسينه، ذلك لأنه لا يجري الحديث في أي موضع، في شواهدنا أيضًا بصريح العبارة، عن أن ارتفاع الضرائب كان قد دفع الرعية إلى القيام بثورات. وما من شك في أن إضفاء السِمة المنهجيّة على العلاقات المالية بين الملك والمحكومين لابُدَّ أنه أثَّر في تقييم داريوس وابنه كِسرى في الرواية، بالضرورة وعلى نحْوٍ آلي: وذلك أن داريوس يظهر، في نظر هِردُت، في صورة "صاحب دكان أو بقالية"، أي في صورة من "يساوم" الرعية على ثمن سيادته، أو كِسرى، الذي كان يترتّب أن تثبت في عهده، من ناحية أولى، إصلاحات أبيه، كفاءتها. ولابُدَّ أن همّه الأول، من ناحية أخرى، كان يتمثل في الحفاظ على هذا النظام، الذي يُواجَه لهذا السبب أيضًا بالعداء على أنه نظام طاغية مستبد.

2/ 4] الحياة اليومية في فارس الإخمينية

لقد توسع الاهتمام التاريخي في العقود الأخيرة، بحق، أيضًا "من جديد"، ليشتمل على مضمار "الحياة اليومية" للبشر، حيث يترتب أن يكون المرء، في هذا الصدر، على بيِّنة من أن العالم الأصغر يشارك تجارب البشر، في محيطهم الأضيق، محيط حياة الناس، يومًا بعد يوم، من العالم الأكبر، عالم "السياسة الكبيرة" والبنى العامة، الاجتماعية والاقتصادية والحقوقية، ولا يغدو مفهومًا إلاّ في مواجهة خلفيَّتها. والآن تعد الحياة اليومية للرعايا الإخمينيين في إيران، كما يستطيع المرء أن يتصوَّر ذلك حتى على أساس وضع الشهادات التي لا يمكن الإحاطة بها، سواء أكان ذلك إحاطة زمانية أم مكانية إلاّ على نحو بدائي. وتؤدي النخبة الأرستقراطية في البلاد، في ذلك، دورًا ظاهرًا للعيان بدرجةٍ أكبر من الدور الذي يؤديه "الرجل العاديّ" و"المرأة العادية". أما أننا نعرف اليوم شيئًا عن هؤلاء البشر، فذلك ما ندين به لما سبق ذكره من ألواح الصلصال الصغيرة المأخوذة من برسِبولِس، والتي أعان على الحفاظ عليه الحريق الذي أشعله الإسكندر. وما من شك في أنها لا تُفضي إلاّ بأمور محدودة عن الحياة في الامبراطورية الفارسية إذ تؤرِّخ بالحيِّز الزمني القصير الذي

يمتد بين عامَيْ 509 و458 ق م. وهي تعود، من الوجهة الجغرافية، في جوهرها، إلى فارس، نواة الامبراطورية وعيلام، التي تتاخمها في الغرب. ولما كان انقطاع هذه الرواية مرتبطًا بالتبدُّل في المادة التي يُدَوَّن عليها الوصف وحدها "الرَّق بدلاً من الصلصال"، فإن استئناف التدوينات والممارسة التي تم إلقاء الضوء عليها بفعل التدوينات يعد راجحًا. ويضاف إلى ذلك أنَّ عدد النصوص يبلغ من ضخامته وتأثيره وما تنطوي عليه النصوص من المقدرة على التقرير والإفادة والشهادة، أن هذه النصوص تظل تُعَدُّ، في المقام الأول "فارسية"، أي: إنها "مصادر" تعود إلى جنوب غربيّ إيران. ومع ذلك فهي تشير، في كثير من الأمور، إلى ما يتجاوز موطن عشيرة الإخمينيين، ويمكن أن تؤكد الشهادات من النوع الآخر صحة الأمور الموصوفة فيها، أو تُكَمِّلَها، أو تضعها في سياق أوسع نطاقًا. ويجري تصحيح أجزاءٍ منها مع ذلك بالاستناد إلى الألواح الصغيرة، من ناحيتها، هي الأخرى، أو يتمُّ "الكشف عنها" من حيث كونُها لونًا من ألوان التعبير اللغوي ما يفتأ يتكرَّر مرتبطًا باهتمامات معينة. ومن أجل ذلك لا يكون ما يُجانب الحق أن النصوص الواردة من بِرسِبولِس يُدْفع بها نحو بؤرة الاهتمام بقوة مطّردة الزيادة وحتى حين يكون من الواجب على المرء، على الرغم من كل النقد المُحِقّ، أن يُحاذِر، مثلاً، من "انحياز النصوص الكلاسيكية، وأن لا يُعَمِّيَ نفسه، بعدُ، من هذه النصوص، بخطوات من التقدم نحو المعرفة". وما من شك في أن الألواح الصغيرة أيضًا لها جوانبها ذوات الخداع والمكر. على أن اللغة العيلامية التي كتبت بها على سبيل الحصر تقريبًا، تُعَدُّ، بسبب عزلتها بين مجموعات الأسر اللغوية، "صعبة" على وجه الخصوص "مثلما تثبت ذلك مناقشات ممثلي هذا الاختصاص، بما يكفي". ولا تشمل النصوص المنشورة، فوق ذلك، سوى جزء من المادة المستعارة، وذلك ما يجعل النتائج المستخلصة منها تبدو راجحة الكفة في أجزاء كبيرة منها في الحقيقة، غير أنها ليست مما لا يقبل المراجعة وإعادة النظر.

ولَنتذكَّر: فإلى جانب الألواح الصغيرة البالغ عددها 114 لوحًا، مأخوذًا من خزينة الكنوز "ألواح خزينة الكنوز في بِرسِبولِس (Persepolis Treasury Tablets, PTT)"، وهي تتعلَّق، جميعًا بـ"دفع" مبالغ من الفضة من خزينة الكنوز للقوى العاملة، ويمكن إرجاع تاريخها إلى الأعوام 492-458 ق م. وهي، على وجه الخصوص، الألواح الصغيرة المنشورة التي تربو على 2100 لوحًا وبعدها ألواح تحصين بِرسِبولِس المقروءة التي تبلغ نحو 2500 لوح (Persepolis Fortification Tablets)، والتي ترجع إلى الأعوام 509-494 ق م، والتي يترتَّبَ تقويمها، وهي تتعلَّق، في شكل ملاحظات إدارية وجيزة، تعود على إنشاء أداة تحويل للأموال، وتوزيع المواد الطبيعية في أقاليم نواة الدولة في الجنوب الغربي من إيران، والمواد الغذائية

التي كانت تُوَزَّع في صورة حصص يومية، أو شهرية، كما كانت توزَّع في صورة حصص استثنائية، إضافية بأفراد بعينهم، بفئات معينة من العمال. وكانت توزع لإمداد الحيوانات، وكانت كل شخصية من الشخصيات، أو كل فئة من الفئات، "تدفع إليها استحقاقاتها في صورة مواد طبيعية"، وبالتالي، تُزوَّد بهذه المواد. وكانت يتم في هذا الصدد "مسكْ دَفاتر" بطريقة متقنة للغاية، حيث لم يكن بُدٌّ للمرء أن يشير إلى نظام العائدات وتوزيعها بأنه نظام متطور بدرجة عالية، فحسب. وقد حَسَب القوم أن النصوص الباقية التي وصلت إلينا تقدم المعلومات حول إمداد أكثر من خمسة عشر ألفًا من الأفراد، في أكثر من مئة من الأمكنة. وإذا حقَّق المرء في هذه المادَّة مع أخذه في الاعتبار، ألوان النشاط الموصوفة هناك ومجالات الحياة كان من الممكن تسجيل الانطباعات التالية: «كان أفراد الأسرة الملكية يخرجون على الملأ بأشخاصهم، إذ كانوا يكتبون الرسائل، ويصدرون التوجيهات، أو يؤكدون تعليماتهم وأوامرهم لرعاياهم أيضًا، بخاتمهم. وكان عدد جَمٌّ من الموظفين، يُقَدَّمون، كلٌ في موقعه، مع ذكر اسمه، وكان من الممكن التعرُّف على مجالات اختصاصهم. وكانت مجموعات كبيرة من العمال، أو الأفراد المتفرِّقين أيضًا، يُعَيَّنون لأعمال خصوصية، وتُحَدَّد تعويضاتهم بما يتلاءم مع أعمالهم. وكانت عمليات تسديد الضرائب العينية في صورة منتجات طبيعية تتم في أمكنة معينة لتجميع هذه المواد، حيث يتمّ إيداعها، واستعمالها بعد ذلك، من جديد، في تزويد العمال بالمؤن. وكانت المعلومات حول المزارع الحكومية، والموارد المتحصِّلة الناجمة عنها، من المحاصيل، تسجَّل بأقصى قدر من الدقة. وهكذا كان المرء يصادف عددًا جمًا من الأمكنة. وفي سياق ذلك، يظهر أيضًا الموظفون الذين يختصُّ كلٌّ منهم بما وُكِل إليه في كلٍّ من هذه الأمكنة، وكان يتم تزويد الكهنة بالقرابين من أجل الآلهة التي كانوا يعبدونها. وكانت إعالة المسافرين تُؤَمَّن عن طريق الألواح الصغيرة التي كانوا يستطيعون إبرازها عند كل محطة من محطات البريد على حِدة. وكان يجري، على الجانب الآخر، في صدد التوزيع للمنتجات الطبيعية، وما يتبقّى منها، مسكْ دفاتر مبني على ضمير حيّ. وكان يجري الحفاظ على عمليات محاسبة فردية، ومحاسبة تحصيل، ومحاسبة سنوية، بكميات كبيرة، وكان يُعَيَّن من أجل إنجازها، مرة أخرى، موظفون خصوصيون».

ولنتوجَّه الآن نحو مسائل الحياة اليومية، كلٌّ منها على حِدة: فأيّ البشر يترتب علينا أن نعالج هذه المسائل معهم، وما وضع هؤلاء؟ وأي مجالاتٍ للمهام، وأية واجبات وخدمات كانت مخصصة للعاملين في إطار هذا النظام؟، وكيف كانوا يُعْطَوْن أجورهم وكان يجري إمدادهم؟، وكيف كانت ميادين نشاطهم التي يفترض أن يثير اهتمامنا منها السِلَع المصنَّعة والزراعة، ونظام نقل الأخبار والجيش،

على وجه الخصوص مركّبة ومنظّمة؟، وأين يفترض أن نوزع أمكنة وجود الرجال والنساء في هذا النظام؟، وما التصوُّرات الدينية، والعادات المتصلة بالعبادة، والشروط المتصلة بالسياسة الدينية التي كانت تحدد أشكال حياة البشر في فارس أيام حكم داريوس الأول؟. إذا انطلقنا من الألواح الصغيرة، مع استكمال ذلك عن طريق الشواهد ونتائج البحوث فربما كان في وسع القارئ أن يخرج بذلك، بتصوُّر ما، في صدد ما كان يُحَرِّك البشر في تلك الأيام وما كان المرء يتوقَّع منهم، وما كانوا "يأتون من الأمور ويدعون".

2/ 4/ 1] آرتيستون، وآرتافيرنيس وفَرْنَكا و(فتيان فرنكا)، رجال في ميدان ادارة فارس واقتصادها

لم يلبث الباحثون أن اكتشفوا، بُعَيْد قراءة الألواح الصغيرة، أن بعض الشخصيات المعروفة لدينا من المصادر القياسية (الكلاسيكية) تظهر في النصوص الواردة من برسبولِس أيضًا، إذ خلَّفت الملكات والأمراء والأميرات، والتابعون الآخرون للأسرة الملكية، والمرازبة وأعضاء طبقة كبار النبلاء الفارسية، هنا، آثارهم. وذلك أنهم كانوا يتلقَّوْن الحصص التقنينية أو يوزِّعونها، وهي حصص كانت تتدرَّج تبعًا لمركز كلٍّ من يتسلَّمها على حدة، وتبعًا لمنصبه، ومهمته، وكانت ما دام يتم استلامها من قِبَلهم، هم، تتجاوز المقدار الضروريّ للإمداد الخاص بهم. وكانوا يصدرون التوجيهات إلى مرؤوسيهم الذين يسافرون بتكليف منهم، أو يسافرون بأنفسهم، ويجري إمدادهم في هذه الأثناء، وكان يجري تزويدهم بما يثبت أنهم مالكون لعقارات كبرى أو لمؤسسات عمل جماعية. وربما كان في وسع ثلاث من الشخصيات أن تغير في تصوير هذا، وهي تُعَدُّ من الفرس المعروفين لدينا معرفة أوثق عن طريق هِردُت:

1) يخبرنا أبو التاريخ أن داريوس الأول قد تزوَّج، فيمن تزوَّج، آرتيستون، ابنة قورش التي أصبحت زوجه المفضَّلة، وكان وَلَداهما المشترَكان، آرساميس، وغوبرياس يؤديان الخدمة بصفة قائدَيْن من قوّاد الجيش في حروب الفرس، ويجري الآن ذكر تلك المدعوَّة آرتيستون "بالعيلامية:" إرتاشدونا"، في خمسة وعشرين نصًا من نصوص واردة من برسبولِس، ويشار إليها في نصَّيْن من هذه النصوص، صراحة، بأنها دجوكشيش: "ذات صلة القربى بالأسرة الملكية"، وهي تتلقى في بعض المناسبات الخمر، والبيرة والقمح وسلعًا أخرى، ويُظَنُّ أن ذلك كان في احتفال جرى في الشهر الأول من السنة التاسعة عشرة من حكم داريوس أي في عام 503 ق م: «ويتكلَّم فَرْنَكا قائلاً: "فلتبلِغ" ياماكسشايتا قَيِّم الخمر (من روتاناياشال) (وفَرْنَكا، مدير الجهاز الإداري والاقتصادي، إجمالاً): مائتا مرّيش (إبريق من الخمر)

ينبغي تخصيصهما للملكة، وهذا هو تكليف الملك، الشهر الأول، السنة التاسعة عشر من عهد الحكومة، كتب هذا النص أنزوكا، وجاءنا بالنبأ فارازا.

ويتكلَّم فَرْنَكا قائلاً: "فليبلغ" أريينا صاحب القطعان: فقد كلفني بذلك الملك داريوس، وبه أكلفك، ولتُسَلِّم الملكة آرتيستون مئة من الحِملان، كما صدر الأمر بذلك من الملك الشهر الأول، السنة التاسعة عشرة، كتب هذا النص أنزوكا، وجاءنا بالخبر فارازا.

وأرتيستون ذاتها مالكة لثلاثة من الأملاك الكبيرة على الأقل "في فلسطين" وكانت تقيم زوجها على إدارة واحد منها "كوغاناكا" على ما يبدو ظاهرًا للعيان، في عام 498 ق م وكانت تصدر التوجيهات إلى مدير أمورها هناك، مرارًا، بإيجاز، مثلما تثبت ذلك نسخ لهذه الرسائل من بِرسِبولِس، وكانت تتلقى في أسفارها، ذوات العدد الجم، لنفسها ولماشيتها الأطعمة والمشروبات، وتمهرُها بخاتمها على ألواح التوزيع الصغيرة على أنَّ ماهو معروف بدرجة أفضل بعدُ، عندنا، هو أنشطة الراتاباما، التي لا يأتي هِردُت على ذكرها، والتي سوف نصادفها فيما بعد أيضًا».

2) ومن المعروف والمألوف عندنا، أيضًا، غوبرياس، أحد مساعدي داريوس الأوائل في قتاله ضد الساحر غاوْماتا، ومرافق الملك في الحملة على بلاد السكيثيين. أمّا ولده ماردوينوس "الذي جاء من زواج من أخت داريوس" والذي تفيد بيانات هِردُت بأنه كان حديث عهد بالزواج من أخت داريوس، آرتازوسترا، فيبرز بين عامي 493 و479 ق م، بصفته القائد الفارسي الأهم، على الإطلاق، في تاريخ العالم. وأمّا المدى الذي وصلت إليه أهمية غوبرياس بالقياس إلى الملك "وذلك ما ظلَّ خافيًا على هِردُت"، فذلك ما يكشف عنه استدعاؤه ليكون قائدًا لعملية سحق الثورة في عيلام، والظرف المتمثل في أنه مُخلَّد، بصفته حامل رمح الحاكم، إذ يتم ذلك بذكره بالاسم وإيراد صورته على ضريح داريوس. وحتى هذا المدعو غوبرياس "بالعيلامية: كامبارما" يظهر أيضًا في النصوص الواردة في ألواح السور الصغيرة: إذ كان يدخل، ضمن أمور أخرى، ضمن مجموعة من المسافرين، تكون في الطريق في عام 498 ق م، ويُظَن أن ذلك كان من أجل اللقاء مع ماردوينوس في طريق عودته من إيونيا. وكان مع هذا الرهط، فضلاً عن غوبرياس، رادوشْدوكّا "ويُظَن أنها أخت داريوس وزوجة غوبرياس"، وكانت تضاف إلى هذين أيضًا سيدة يقال لها رادوش ناموِيا، وزوجة أخرى، يقدم لوح صغير عنها المعلومات التالية: «تلقت زوجة ماردوينوس، وابنة الملك، من حصتها من المؤونة 36 مكيالاً من الدقيق، أي: تسعة مكاييل في اليوم، كما كانت تتلقى "إمدادًا في" كوردوشوم، كان يأتي "قسط منه" في بيزيتم، كان القسط الثاني يأتي من ليتو، وكانت تحمل وثيقة ممهورة بختم الملك. السنة الثالثة والعشرون، الشهر الثاني عشر».

وبموجب ذلك، كان في صحبة غوبرياس، الذي يعد، بالمناسبة، أكبر من يتلقّوْن حصص المؤونة التي ترد في الروايات، آرتا زوسترا، زوجة ماردونيوس وابنةُ داريوس. وبذلك يتم إثبات حقيقة الزفاف الذي يتحدث عنه هِردُت، والذي لا ريب في أنه قد حدث قبل عام 493 ق م بوقت بعيد، وثمة مثال أخير:

3) يُعْرَف شقيق داريوس، آرتافيرنيس، بأنه مرزُبان ساردايز بين عامَيْ 511 و492 ق م. أمّا أنه كان يقيم هناك، في آسيا الصغرى، في تشرين الثاني من عام 495 ق م، فذلك ما يؤكده هذا النص من بِرسِبولِس: «كان تاوْهْما يتلقى مقدار 4,65 مكيال من الدقيق. وكان 23 فردًا "يتلقى" كل منهم مقدار 1,5 مكيال، وكان اثنا عشر فتى من "الخدم" يتلقى كل منهم مكيالاً واحدًا، وكان يحمل معه وثيقة ممهورة بخاتم آرتافيرنيس "بالعيلامية: إرادابيرنا" وقد خرجوا من ساردايْز، وارتحلوا إلى بِرسِبولِس، الشهر التاسع، السنة 27 (في) هيدالي».

لهذا، شخصية مدير إجماليّ الجهاز الاقتصادي والإداري، أي فَرْنَكا "بالعيلامية: برناكا" (وباليونانية: فرنكايس)، وهو عم الملك أو خاله، وهو يتلقى، في كل مكان، وفي كل وقت، جِراية يومية تتألف من: خاروفين وتسعين مكيالاً من الخمر (مرّيش "=إبريق" و1 مكيال BAR=10 من الدقيق، 0,971) و180 مكيال من الدقيق. وتوضح هذه الجرايات المرتفعة المخصصة له، أنها لم تكن يُقْصَد بها إلى أن تكون لطعامه الشخصيّ، بل لا ريب في أنها موجَّهة لإعالة الخدم الذين يتلقون حصصًا خاصة بهم "أنظر ما يلي". ويفترض أن فَرْنَكا وأشباهه كانوا خليقين بأن يقايضوا على المواد التموينية التي لم يكونوا يحتاجون إليها في الأسواق المحلية، وبالتالي يقومون بتخزينها لتكون مؤوناتٍ لهم، وأن هذا "الانتفاع" المتطفل بالمنتجات الطبيعية كان السبب في أن القوم تحوَّلوا إلى دفع الأجور "الجزئي" بالفضة المقطَّعة نقدًا، مما تُوَثِقه وذلك الألواح الصغيرة في بيت المال. وسوف يصادفنا فَرْنَكا بعدُ أيضًا، في إطار وظيفته، رئيسًا للجهاز الإداري، وفي النص التالي يجري الحديث عنه أيضًا: «كان فَرْنَكا يتلقى 48 مكيالاً من الدقيق من باتيسابا "في" فاراتاوكاش بضعة حصص تموينيّة، فمن أجل يوم واحد، في السنة العشرين، في الشهر . . يتلقى فَرْنَكا، بالاشتراك مع فتيانه (BAR 48)، ويتلقى فَرْنَكا ذاته (BAR 18)، ويتلقى كلٌّ من فتيانه الثلاثمئة (QA 1) لكلٍّ منهم».

وبهؤلاء العاملين التابعين له نكون قد وصلنا إلى المستوى الأدنى من سُلَّم الحصص التموينية: إذ يمثل مقدار (1) و(QA 1,5) هناك، القاعدة، للكبار، بينما يتلقى الأطفال والفتيان قدرًا أقل من ذلك. ويضاف إلى ذلك أن هؤلاء الذين يتلقون أدنى مستويات الأجور قاطبة يتلقَّوْن مخصصات استثنائية (sat. Kamakaš)، ويمكن تقرير وجود تدرجُات في مستويات الأجور فوق مستوى

الأجور الدنيا، وبالتالي أشكال من التصعيد في الأجور، كان من الواضح للعيان أنها كانت تُبَرّر بالتباين في البراعة أو في مستويات التدريب.

لقد تكهَّن أناس بأن الشخصيات التي أحاطت بها الألواح الصغيرة، والتي كان يتم تشغيلها في مجموعات عائلية، وكانت، بالتالي، تعيش معًا، كانت تتلقى، من ناحية أولى، قمحًا أو دقيقًا وخمرًا أو جُعَةً في صورة مخصصات أنموذجية، كما كانت تتلقى تينًا وجوزًا، وحصصًا تموينية من اللحم في صورة مخصصات إضافية أو استثنائية. ومن الناحية الأخرى كانت الاستفادة الخاصة من الأرض "البستان والحقل" وتربية المواشي الصغيرة، من الأمور التي يبيحها القانون، وكانوا يتلقوْن الملابس الضرورية مجلوبة إليهم.

أمّا مَنْ كان أولئك "الموضوعون في خدمة التاج" أكثر من كل من عداهم، كما كان القوم يسمونهم. وكيف كان يسمى، فيما بينهم، الممثلون ذوو الأعداد الجمّة، للقوميات التي تمَّ إخضاعها؟، فقد ظل أناس، زمنًا طويلاً، يفترضون أن المسألة لا بد أن تتعلّق في صدد أولئك الأفراد، بمن يسمَّوْن، بالعيلامية، أرقّاء، أو أناسًا مُسَتَرَقّين "مثل أسرى الحرب. أمّا اليوم فنحن نرى فيهم أناسًا أقربَ إلى أن يكونوا عمّالاً يلتزمون، عن طريق الإدارة الحكومية، بأنشطة محدَّدة يُعْطَوْن عليها الأجور، ويخضعون للرقابة فيما يعملون، حيث تحمل صورة تكليفهم، وتأديبهم، في الأمكنة البعيدة عن مواطنهم، سماتٍ واضحة من القَسْر "التهجير؟" والارتباط بالأرض.

2/ 4/ 2] كبار المسؤولين والعاملون في الخدمة والعمال اليدويون، أملاك الدولة ومواقع الفلاحين: الإدارة والاقتصاد في فارس الإخمينية

أصبحت بِرسِبولِس، عن طريقِ المكتشفات من الألواح الصغيرة، محطّ الأنظار. وقد ظل في طليعتها، وقتًا طويلاً، فَرْنَكا 505-497 ق م، وإلى جانبه ممثله أو وكيله، ثيسافاهوش (Čičāvahuš)، يساندهما المساعدون و"ديوان من الكَتَبة والعاملون"، في بِرسِبولِس والأمكنة الأخرى. وكانت مهمة فَرْنَكا "وثيسافاهوش" تتمثل في تزويد المسافرين المكلَّفين من قبله، كالقضاة، وكُتاب الحسابات ومدقّقيها، وحُداةُ القوافل، والمرافقين في الرحلة من أجل البعثات الرسمية، والعاملين في مجال الرعاية والخدمة من أجل الملك بالمستندات الضرورية لتنظيم أوضاع المختزنات من المؤونة وتنظيم حظيرة خيول الحاكم، وتدبير شؤون العبادة، والعمل على تعبئة أيدٍ عاملة إضافية، وكذلك الإشراف على تسديد الضرائب وريع الإيجارات، والتدقيق فيها. ومن أجل هذا الغرض كان كثيرًا ما يكون في الطريق، وذلك

ما يتضح من خلال ذكر اسمه أو إيراد خاتمه، ومع ذلك فقد كان مكانه الحقيقي إلى جانب الملك، بينما كان ممثله يمارس الاتصال بكليهما عندئذٍ. وقد كانت نظرة وجيزة في عالم مهمات فَرْنَكا قد أتاحت لنا الاطلاع على مهمته المتمثلة في تسليم المنتجات الطبيعية إلى أرتيستون. أما زياراته الرقابيّة، الميدانية، فتنبئ عنها الألواح الصغيرة الخاصة بالتوزيع من دايْنوكا، وراكسا وباراسبا ورونان، من سنة الحكم التاسعة عشرة، أيام داريوس. ولننقل مثالاً على "حدث" اتخذ منطلقَه من فَرْنَكا، فيما يلي: «أخبر سيبينا، قَيِّم الخمر "في راوتنايتنا": هكذا قال فَرْنَكا: "ينبغي تسليم 1404 مرّيش "إبريق" من الخمر إلى رتامازدا . . "من أجل" المخصصات "إلى" العمال اليدويين "في" برسيبوليس . . فلتدعه يأخذ معه "الخمر" من أجل مخصصاتها، في الشهرين الثامن والتاسع، أي في شهرين على الإجمال، في السنة الحادية والعشرين من حكم داريوس. كتب هذا النص سافانتا، ونقل الرسالة "مع التكليف" فارازا، وقد تلقى التكليف بذلك من رييبايا، وفي السنة الحادية والعشرين، وفي الشهر السادس، تم تسليم هذه الوثيقة المختومة».

وينجم عندئذٍ "مسار العمل" التالي: كان فَرْنَكا قد أصدر، قبل شهرين من الحيِّز الزمني الحقيقي الذي تطرأ فيه الحاجة، عن طريق رايبايا، إلى "الديوان" التكليف بإعطاء التوجيه لِـ"قَيِّم الخمر"، رتامازدا لتسليم 1404 لتر من الخمر لمجموعة العمال اليدويين في بِرسِبولِس، وعن طريق فارازا وصل هذا التكليف إلى سافانتا، "الكاتب"، وحرَّر هذا وثيقتين ذواتَيْ مضمون واحد "وبالتالي، أوعز بتحريرهما"، وبقيت إحداهما في المحفوظات في بِرسِبولِس، وأعطيت الأخرى لرتامازدا "نسخةً أصلية"، (وإلى ذلك يشير اسم رْتامازدا المكتوب بالآرامية على النسخة). وفي راوْتاناياشا يُظَنُّ أن رْتامازدا تقدَّم إلى سيبينا بالتكليف الأصلي وتلقى السِلَع التي وصل بها، في الوقت المناسب، أي: في الشهر الثامن، من جديد، إلى بِرسِبولِس.

وكان يوجد، دون مستوى الإدارة المركزية "موظفان"، وكان لقبهما، بالفارسية القديمة، غْرْود باتيش "حارس المنزل" وممثلاهما اللذان كان كلٌّ منهما مسؤولاً، في كل مرة، عن شطرٍ من المناطق التي تتناولها الألواح الصغيرة، عن تعبئة العمال ورعايتهم "وبالتالي، أيضًا، عن الزراعة وعن عمليات تسديد الضرائب". وكان يأتي دونهما مدراء "المكاتب" التابعين لقطاع إداري في حيّ من الأحياء استطاع الباحثون أن يتوصَّلوا إلى ستة منهم، وكان لهم اختصاص في رعاية شؤون البلاط في أثناء الرحلات، في منطقتهم، ويسمى ممثلوهم، بالعيلامية: "أولّيرا" (أي: موظفو التشغيل). أما على صعيد "المحيط" وبالتالي: المكان، فيتميز كبار المسؤولين، تبعًا لاختصاصهم، بمنتجات معينة، وكان لهم ممثلون و"مدراء مستودعات". وكان هناك

رهط من كبار المسؤولين المحليين، من أجل العمال الذي كانوا يُلَخّصون، هم أنفسهم، في مجموعات تحت بند "الأعمال التمهيدية" يشكلون النهاية الدنيا لهرم التراتب الطبقي.

ولا يظهر مسؤول من كبار المسؤولين، يحمل التسمية العيلامية: كاب نيشكيرا "بالفارسية القديمة: "غنزبارا (قيّم بيت المال)" إلاّ في الألواح الصغيرة الخاصة ببيت المال، وهو الذي أقامه خلفاء فَرْنَكا في منصبه، لكي يدفع المبالغ بالفضة المتقطّعة عملاتٍ، للعاملين في خدمة التاج. وكان من الواضح للعيان تمامًا أنه كان يتبعه أيضًا، كل بيوت المال في فارس، وكل العاملين الذين يجري تشغيلهم فيها. وربما كان هؤلاء الأفراد الذي يُعَدّون بالمئات، هم الأقرب إلى أن يُمَيَّزو بأنهم "عمال الصناعات اليدوية المتخصصة"، حيث كانت الكفة الراجحة للقسم الذي يعمل في معالجة الذهب والفضة، وصنع الأثاث والمنسوجات، أي أنه كان يقع عليه عبء إمداد الملك والبلاط بسلع الترف، أو الكماليات. وما من شك في أن بعض الأنشطة مازال حتى اليوم يستعصي حل ألغازه. وكان يوجد في بيوت المال التي كانت، كما سبق أن ذكرنا، مراكز تجميع للنفائس، وكان ثمة موظفون للتأمين والتدبير "يُعْنَوْن"، على النحو ذاته، بتأمين موظفين للتدبير وتأمين "الكَتَبة" للتزويد بالمواد، وبالتالي بالتوريد النظامي للسلع المصنَّعة، وربما يكفي مثال لمجموعة عمل في بيوت المال، هي أقرب إلى التواضع: «تلقىّ العاملون في بيت المال 228 مكيالاً (BAR) من القمح، تمّ تأمينها عن طريق باغايْشاه مدير مستودع فرانتوش" . . "في" فرانتوش، وهم الذين تمّ حساب مخصصاتهم من قِبَل باراتكاما "أمين الخزينة"، حصصًا تموينية لشهر واحد، هو الشهر الثالث عشر، من السنة السابعة والعشرين لرجلين، خياط للزينة الجسدية" لكل نفر 4 مكيالات، وعشرين رجلاً، من العاملين في بيت المال، لكلِ فرد 3,5، وسبعة رجال من العمال اليدويين العاملين في الصناعات الدقيقة، "لكلٍّ منهم" 3، وتسعة عشر رجلاً، "من العاملين في صيانة الأثاث"، لكلٍّ منهم 3، وأربعة عشر رجلاً "من حمّالي الحطب"، لكلٍّ منهم 3، ورجل واحد "خادم في المنزل؟"، "يضاف إلى هؤلاء" 7 فتيان "لكل منهم نصف مكيال، وأربع من النساء لكل منهن 3، وثلاث بنات "ولكل منهن نصف مكيال. ويكون الحاصل 77 عاملاً».

وإلى جانب العاملين في بيت المال كان يوجد بعدُ كثير من الأفراد الذين يعملون في الخدمات التي تؤدّى للحكومة، وبالتالي للملك، ولذلك يظهرون في نصوص برسِبولِس: فكانوا يشغلون المراتب الوسطى والمراتب الدنيا على المستويات الإدارية، كانوا يعملون في الحقول أو في تربية الماشية، أو يحضِّرون الغذاء أو يصنعون أدوات العمل.

وكان كل هؤلاء الأفراد يتقاضَوْن حصصًا تموينيّة في صورة "أجر"، وبالتالي "قوتًا يُقيم أوَدهم" متدرِّجين تبعًا لوضعهم "القانوني"، ومكانتهم، ومستوى تدريبهم. فكيف كان يتم الآن تأمين هذه المخصصات؟ وحتى حين نستطيع أن نحرِّر هِردُت من مأخذ الجهل، حين صرح بأن فارس معفاة من دفع مبالغ الضرائب، فإنّ من الثابت، بلا ريب أنه كان على السكان هناك أن يؤدّوا الضرائب والرسوم "ولكن لم يكن عليهم أن يدفعوا جراية على أية حال. وكانت الضرائب "بالعيلامية" بازيش، وبالفارسية القديمة باجي = ("جزء من الملك") "وضرائب استثنائية؟" تشكِّل، إلى جانب عوائد أملاك الدولة، الأسس اللازمة لاقتصاد إعادة التوزيع في فارس. وعلى هذا فهي تظهر بهذه الصفة أيضًا في الألواح الصغيرة. أمّا مَنْ كان يترتب عليه أن يسدِّدها؟، ومدى ارتفاعها؟، فذلك ما يلتزمون الصمت حياله على نحو كامل تقريبًا. على أن ثمّة كثيرًا من الأمور التي تذهب إلى تأييد قول من قال إن الفلاحين الأحرار، والمستأجرين وكبار المُلاّك، كان عليهم أن يحتملوا أمثال هذه الدفعات "المستقلة عن العوائد التي تأتيهم؟". وقد أراد الباحثون أن يصادروا مصادرة، في عدد من الأبحاث، جهازًا منظَّمًا تنظيمًا صارمًا، يرتكز على "عُشْر"، مع الجهاز الذي يتلاءم مع هذا، أي جهاز المسؤولين"، ومع ذلك فالأسس الفيلولوجية لهذه الأطروحات بعيدة عن أن تُنْقَض.

ولنتجه نحو السلع الكبرى والأراضي العائدة للملك وللنبلاء الذين يرد ذكرهم في الألواح الصغيرة، كما يرد أيضًا في الشواهد المستقاة من بلاد البابليين وأمكنة أخرى.

«أخبر سالامانو أن آرتيستون قالت ما يلي: يجب أن يُسَلَّم من أملاكي، بالعيلامية (أُهْي) في كُغنكا 100 مرّيش من الخمر إلى غوشبانا، مدير الحسابات، ورْتيما "هو" الهيراكورا(؟)، ختمت "هذه" الوثيقة في السنة الثانية والعشرين "وتم تسليمها"».

وإلى جانب أملاك "قصور؟" آرتيستون، يدور الحديث أيضًا عن "قرية" للملكة. كما تتوافر الشواهد التي تثبت أملاكًا مماثلة لابنها آرساميس، ولراتاباما، وحتى الملك ذاته. وكانت لاتزال أكثر عددًا من الأدلة المتوافرة من بِرسِبولِس، تلك التي توجد في النصوص الكلاسيكية وفي الوثائق الواردة من بلاد بابل، لقد سبق أن سمعنا بأنه كان من الجائز أن يحدث مثل الذي كان يحدث في بابل، في بِرسِبولِس، وهو أنه كان يُؤَجَّر قسم من هذا البلد لقاء "دفع فائدة" و(أعمال سخرة). وكانت أمثال هذه الأعمال تبرز بين بعض نواحي أملاك الدولة الملكية وأملاك الدولة العائدة للأمراء، وكانت هذه تتميز بكونها مُدِرَّة للربح و"مسلّية" في وقتٍ معًا. وفي ذلك يكتب كزنفون، الذي كان له القِدْح المعلّى في باب المعرفة بامبراطورية الفرس، قائلاً: «وفضلاً عن ذلك، كان سقراط يقول إنه "أي: الملك" كان يُعنى بأن يتم إنشاء

ما يسمّونه الحدائق في أجزاء البلدان التي يقيم فيها أو كان يزورها، وهي تلك التي كانت تعرف باسم فراديسوي، حافلة بكل ما هو جميل وطيب، مما يمكن أن تخرجه الأرض للناس فحسب، وفيها كان يقضي، هو ذاته، معظم الوقت حين لا يحول بينه وبين ذلك فصل السنة غير المناسب».

وكانت أمثال هذه المنشآت الحدائقية كثيرًا ما تُقْرَن بها نباتات لها منفعتها، ومتنزهّات برّية، كان الملوك الإخمينيون اقتبسوها عن أسلافهم من الآشوريين والعيلاميين. وبالنظر إلى كلمتنا المستعملة في هذه الأيام: فردوس (Paradies) ترجع الكلمة اليونانية (Paradeisos) إلى التسمية الفارسية القديمة (فرديدا/ Praridaida) لمثل هذا المتنزَّه، وهي تنبئ حتى في هذه الأيام، عن الانطباع الذي أحدثه هذا "المرفق" لدى العالم المحيط به وفي العالم الذي جاء من بعده، وذلك أن خمسة عشر من الحدائق التي كانت تسمى (Paradeisoi) يُذْكَرْن في الألواح الصغيرة أيضًا. غير أن هذه التسمية تشير هناك أيضًا إلى أملاك دولة ملكية. وفي وسع المرء أن يكون على ثقة، من أنَّ المكلَّفين الملكيين لم يكونوا يسهرون على أملاك الملك ومتنزَّهاته في فارس ويراقبونها أيضًا فحسب، بل كانوا يسهرون أيضًا على أمثال هذه الحدائق العائدة لأناس آخرين، ويراقبونها: «ولكن كان "الملك" ذاته يتفقّد، فضلاً عن ذلك، البلاد، ومادام لا يجوب آفاقها طولاً وعرضًا، فهو يدقّق في أمورها. ولكن مادام لا يتفقّدها بنفسه فهو يوعز بالبحث في شؤونها بأسلوب المفتشين، بأن يبعث بأناس موثوقين يمكن الاعتماد عليهم. فأما أولئك الحكام "أرخونتس" الذي يعرضون له، كما يلاحظ، بلدانهم، غاصّة بالسكان، ويزرعون الأرض، ويرى لديهم كثير من الأشجار والثمار كما يراها تحملها في كل مرة، يضّم إلى ما يحوزون أراضي أخرى، ويكافئهم بالهدايا ويميِّزهم بألقاب الشرف. غير أن مَنْ يرى بلده غير معتنىً به، قليل السكان، سواء أكان ذلك من جراء القسوة، أم كان من جراء غروره ومجونه، أم من جراء إهماله، يعاقبه ويجرِّده من منصبه ويعيِّن حكامًا آخرين».

ومن أجل مضاعفة مستوى العائد في هذا البلد أو ذاك، دأب الفرس على ممارسة الري الاصطناعي عن طريق استخدام المياه الجوفية التي كانوا يسوقونها في قنوات طويلة تحت الأرض مستفيدين من الانحدارات الطبيعية في تضاريس الأرض، إلى حقولهم. كما أنشئت السدود أيضًا، بالمناسبة، من أجل هذ الغرض وسواه من الأغراض "تعميق مجرى الأنهار، وتخزين مياه الشرب".

وكانت تجارة السلع ووسائل المعيشة، مع ما ينجم من فائض الإنتاج إذ كان مدى مقدرة الإنسان على تزويد نفسه بالحاجات بنفسه وهو المدى الذي كان، في جزء منه، يتجاوز إلى حد بعيد الحدود الخاصة بالممارسة المتبعة في توزيع المخصصات

من المنتجات الطبيعية. وكذلك القَلْبُ الجزئي لهذا النظام إلى دفعات بالفضة المقطَّعة التي تستخدَم نقدًا، يتيحان الإطلاع على حقيقة أن لا بُدَّ أنه كان هناك أسواق محلية كانت تتم فيها مقايضة جزء من الحصص التموينية بسلع "غير سريعة التلف"، أو بالمال. وكان المرء يستطيع أن يظفر بأشياء ما كان ليستطيع أن يصنعها بنفسه، وبالتالي: أن يضعها في القرية الخاصة به، أو عن طريق العمال اليدويين القرويين. «ويتألف الغذاء اليومي "للفرس" . . من الخبز وجاتو الشعير "مازا" وحب الهال، والذرة المملَّحة، وكذلك اللحم المشوي أو المطبوخ، ويشربون، إضافة إلى ذلك، الماء».

الألواح الصغيرة الواردة من بِرسِبولِس تؤكد صحة ما يرويه سترابون عن عادات الفرس في الأكل، وتستكمل روايته: إن الشعير كان في الواقع الفعلي المادة الغذائية الأساس، سواء أكان مطحونًا أم كان مجروشًا، إذ كان يعالج بعد ذلك ليصبح خبزًا أو شعيرًا مهروسًا، على حين كان اللحم "ولاسيما لحم الماعز أو الخِراف، وكذلك لحم الطيور" يشكل الاستثناء. وكان يتمُّ تنظيم ذلك على نحو مماثل لما يسمى (Pastio Villartica)، أي مجلس مدينة لإدارة أمورها اليومية عند الرومان، إذ كان يقرِّر شكل المائدة الملكية في كثير من المتغيِّرات. وفي فارس كان يُشْرَب خمر التمور أو خمر العنب على سبيل الحصر تقريبًا، غير ممزوج، مثلما قرر الإغريق ذلك مندهشين. وكان هناك نوع من خلِّ الخمر يفيد، مقرونًا بالملح، بصفته مادّة حافِظة. أما في عيلام فكان القوم يفضلون، في مقابل ذلك، كما تفيد شهادة ألواح السدود الصغيرة الجُعة "القوية"، حيث كان الفرد الواحد ذاته يتلقى، في فارس، الخمر، وفي عيلام البيرة، مع ذلك مخصصة له بالكمية ذاتها. أما الثمار، كالتين والتمر، ومعهما التوت والخوخ والتفاح والكمثرى والسفرجل واللوز والجوز والفستق فيرد ذكرهن على النحو ذاته. وأمّا الفواكه الأخرى التي كانت تعدُّ في العصور القديمة "فواكه فارسية أنموذجيَّة" كالرمان، والدرّاق، والحمضيات، ضمن أنواع أخرى، فلا نعرفها إلاّ من الرواية الكلاسيكية. وحتى الخضار ومشتقات الألبان يظللن بغير ذكر لهُنَّ في نصوص بِرسِبولِس أو يشكلن الاستثناء "إذا لم يكُنَّ يتوارين وراء كلمات عيلامية"، فمن المظنون على أية حال أنهن يمثلن وسيلة الاغتذاء الأساس.

2/ 4/ 3] الطرق والقنوات والمدن والقرى، والسُعاة والإشارات بالنار: البنية التحتية، وجهاز إبلاغ الأخبار

«وكان الهمبادوش ومرافقوه الأربعة يتلقون ثلاثة مَرّيشات من الخمر، وكان حملة الرماح ومراقبو الطرقات(؟) الذين كانوا يسيرون على طول طريق

رامبيتيي، ويمسحونها "يسهرون عليها؟" قد وصلوا بعدئذٍ بأمر منه "أي: الملك"(؟) إلى هادَهْرا ولبثوا هناك ينتظرون الملك، وتلقوْا، في صورة مخصصات لمدة ستة أيام، في الشهر الثامن من السنة الحادية والعشرين، وحصل كلٌ منهم على (QA 1) "في اليوم"» . . .

وتشكل النصوص التي ميّزها المحقق بأنها "نصوص رحلة" قسمًا ليس باليسير من النصوص الواردة من بِرسِبولِس، إذ تُطلِعنا على شخصيات جمّة العدد تكون مسافرة "في الطريق" في مهمة تتعلق بالخدمة العامة أو بأمر خصوصي، فتنتقل الرسائل، والسلع، والمال، في المناسبات الاحتفالية، ومن أجل تعبئة العمل، أو لأغراضٍ تتصل بالمراقبة. وكان بينها "مراقبو الطرقات"، ولكن كان بينها أيضًا "مرافقون في الأسفار"، يخفِرون الزوار أو البعثات ويتولّوْن حمايتهم، وكان بينهم حُداة القوافل والعاملون في المساعدة، كما تنقل إلينا الروايات سعاة مستعجلين يكونون في طريقهم، منطلقين من لَدُن الملك، أو عائدين إليه: «هناك QA" 1,5" من الدقيق، أمّنها باغادوشتا، وحصل عليها موشكا بصفته ساعيًا مستعجلاً، وكان متوجهًا من لدُن الملك إلى تشيسا فاهوش "ممثل فَرْنَكا"، وكان يحمل وثيقة مختومة بخاتم الملك، في الشهر العاشر».

على أن حُراس الشوراع والسُعاة المستعجلين لا يُعْرَفون لدينا الآن فقط من الألواح الصغيرة على السدود: فهكذا يتكلّم مثلاً، هِردُت، عن الهودوفيلكايْ "حراس الشوارع"، الذين مَكَر بهم الملك دمراتوس الذي كان يعيش في منفاه في سُوْسَ، والذي أراد أن يبلغ أبناء موطنه عن حملة كِسرى الوشيكة، مستعينًا بخبر كان مخبّأ تحت شمع لوح من الخشب. وبحكم كونهم عدّائين سريعين، من عدائي سباق التتابع "تابعين لمدير في جهاز البريد يقال له بلغتهم: أساتنديز"، كانوا يمثلون، إلى جانب نقل الأخبار عن طريق الإشارة بالنار والبريد بطريقة النداء، والبريد المعتمد على النور، وبالتالي، على منشآت عكس الأضواء. السماتِ المميزة في النظام أحدث انطباعًا كبيرًا في نفوس الإغريق والرومان، تواصلت أيضًا، من حيث المفهوم من حياته لديهم، وكان الأساس لذكرها على النحوِ ذاته، والمنقولة المقلّدة، في امبراطورية الفرس، ولاسيما في نظام الطرق فيها. وحين خَلَف الفرس الملوك العيلاميين، والميديين، والآشوريين، والبابليين، والليديين، والمصريين، فقد استطاعوا، من هذه الوجهة، أن يصلوا بينها وبين ما جرَّبوه واختبروه. وكانوا قد عثروا، من ناحية أولى، على طرق القوافل العريقة في القِدَم، وأضيفت إلى ذلك الطرق التي كانت مبلّطة بالقرب من المدن الهامة، أو فيها في المجال الآشوري والبابلي، بالحجر أو الآجر، أو كانت مكسوّة بكساء من الإسفلت. وقد تمّ الآن استكمال شبكة الشوارع والطرق هذه من قِبَل الفرس وتوسيعها، ومَسْحِها. وعلى وجه

الخصوص أصبحت طرق الامبراطورية، التي كان أشهرها تلك التي تغطّي الشواهد الكلاسيكية أخبارها تغطية سخيّة، وهي "الطريق الملكية" الممتدة من سارديْز "وبالتالي من إفسوس"، والتي تمرُّ بآسيا الصغرى وبلاد الرافدين إلى سُوْسَ، تفيد في هذا الصدد، وفي المقام الأول، في النقل السريع للقوات والمواد مثلما تفيد في نقل الأخبار خلال أقصر وقت. وفي مقابل ذلك لن تكون التجارة باستخدام الطرق البرية، بصرف النظر عن تجارة موادّ الترف، ذات أهمية إلاّ في حالة هذه التجارة الأخيرة ذات المسافات الأقصر. ففي الألواح الصغيرة على جدران السدّ التخزينيّ يؤكد على وجه الخصوص خط الربط الطويل بين سُوْسَ وبِرسِبولِس في كثير من الأحيان. وعلى أساس المعطيات الحالية، الجغرافية والطبوغرافية، والمكتشفات الأثرية، والأمكنة المذكورة في النصوص، على هذا الطريق، أن القوم كانوا يعتزمون، لا مجرد متابعة مساره، بل كانوا يريدون أيضًا، أن يقيموا سلسلة تتألف من محطة للبريد عليه. ومن الجائز أن يصح فيه ما يرويه هِردُت عن الطريق الممتد من سارديز إلى سُوْسَ: «هناك، في كل مكان، محطات ملكية وخانات ممتازة والطريق بأسره يذهب بالمرء خلال أراض مأهولة، آمنة».

وكان يضمن حماية البشر والمواد، القلاع وحُرّاس الطرق، كما رأينا، ولذلك فليس ما يبعث على العجب عندنا أن أخبار الملك كان من الممكن نقلها خلال أقرب وقت: «ولكن ما من شيء يمكن أن يصل وصولاً أسرع من هؤلاء السعاة . . والحق أنهم كانوا يقفون، كما يقولون "أي: الفرس" على مسافات تبعد مسيرة كثير من الأيام، كتلك التي يشكلها الطريق الحالي. وكان هناك، على النحو ذاته، كثير من الخيل والرجال، على أهبة الاستعداد، موزَّعين عى المحطات، ولكل مسافة من الطريق، على الدوام، جواد ورجل. ولم يكن ثلج، ولا مطر، ولا قيظ، ولا ليل، يثني عزم فارس منهم عن اجتياز مسافة الطريق التي كتبت عليه بأسرع ما يمكن . . ويطلق على هذا البريد الراكب، عند الفرس، اسم أنغريون».

أما الطرق الأخرى في إيران التي نعرفها فهي الممتدة من بِرسِبولِس إلى إكباتانا في ميديا والتي اكتُشِف منها فقرة منحوتة من الصخر عند بزَرغداي، وكذلك الطريق العريقة في القدم، من بلاد الرافدين، والتي كانت تجد هناك امتدادًا لها على الطريق الذي كان يتابع مساره، عبر بكتريا إلى الهند، ويفضي فوق ذلك، عبر آسيا الوسطى، إلى شرقيّ آسيا. وقد عرِف، فيما بعد، بأنه جزء من (درب الحرير/ طريق الحرير). على أن النصوص الواردة من بِرسِبولِس تشهد على وجود مسافرين من سُوْسَ، وبالتالي، من بِرسِبولِس، إلى ميديا ومصر، وبكتريا، وكرمان وآرييا، وزاغارتيا، وبلاد البابليين وماكا "على الجانب الشماليّ من الخليج الفارسي؟، وإلى أراخوزيا، وكذلك إلى هندوش "[السند؟] جنوبي باكستان؟" والنقيض بالنقيض.

وعلى حين لا تتعلّق المسألة، في صدد الطرق التي كانت تفضي إلى الصحراء بطرق مكتملة ناجزة، بل بدروب صحراوية كانت معروفة حق المعرفة عند حُداةِ القوافل، كانت الطرق في آسيا الصغرى والطرق الإيرانية، التي في كثير من الأحيان، كما ذكرنا آنفًا، وقعت في حوزة الأسلاف الآخرين، من آشوريين وحثيين وأسلاف آخرين، في حالة حسنة للغاية، ومع أنها لم تكن مبلّطة جدًا. يعرف أريستوفان حقًا كيف يروي أن عربات الأسفار كان من الممكن أن يسافر المرء فيها سفرًا مريحًا نسبيًا. وقد كانت هذه الطرق ملائمة على وجه الخصوص للأغراض العسكرية، أي: للنقل السريع للجند والعربات الحربية والمواد والتموين والإمداد، كما كانت ملائمة أيضًا للنقل المدنيّ، للبشر والبهائم، وكذلك لنقل الأخبار.

وكانت أهم هذه الطرق تقاس بالمرحلة والفرسخ Parasange = 5 - 6 كم" إذا صحّ ما يفيده نبأ ميغاسّينيس عن "الهند"، فيما يتعلق أيضًا بالطرق الأخرى في نطاق غربيّ آسيا، وهو أن هذه الطرق كانت مزوّدة بالأعمدة على مسافات تبلغ عشرة مراحل وكانت تُسَجَّل على هذه أيضًا، المسافات والتفرّعات. أمّا أنه كان هناك نوع من الصُّوى أو المعالم، فذلك ما تثبته كلمة فرسخ التي فُسِّرت بأنها "مؤشر أو مُخْبِر" وبأنها إشارة إلى حجر الصُّوى. وما تم اكتشافه من أمثال معالم الطرق هذه في برَزغداي من أوائل العصر الهيلينسي.

ولم يمكن إلاّ منذ عهد قريب فحسب، إثبات أنَّ اهتمام داريوس كان يتجه نحو استكمال بناء إقليم عيلام البحري: ومِنْ ذلك أن سُوْسَ حصلت في أيامه على ارتباط بالبحر، وبذلك تمَّ، عن طريق استيطان الإغريق "المهجَّرين" والكاريين، بما كانوا يتمتعون به من التجربة البحرية في بلاد البابليين الجنوبية وفي عيلام، ضمان المكانة البحرية لفارس في الخليج.

وماذا عن [مدينة] فارس ذاتها؟ وكيف يترتب على المرء أن يتصوَّر استيطانها؟.

«تحيط بفارس، من أحد جوانبها سلسلة من الجبال متواصلة . . وحيث تنتهي الجبال يواجه المرء البحر في صورة سد منيع آخر. وعند سفوح الجبال ينبسط سهل آخر فسيح، أرض خصبة يغطّيها كثير من القرى والمدن . . وما من منطقة أخرى في كل آسيا تُعَد أكثر نفعًا وفائدة للصحة من هذه» . . .

أمّا كُتّاب سيرة الإسكندر، مثل كورتيوس روفوس، هنا، فقد كان الغنى بالسكان وخصوبة الأرض والمزايا المناخية في فارس، بنظرهم، أمورًا جديرة بالذكر. وهذه مزايا ما عاد المرء يُحِسُّ اليوم بها إلاّ إحساسًا داخليًا فحسب. وبذلك يؤكد هؤلاء الكتاب الانطباع الذي يخرج به المرء من الدراسات الأثرية في منطقة برِسبولِس والذي تنقله إلينا الألواح الصغيرة أيضًا: «حصل باغابادوش، مرافق المسافرين،

على 18 مرّيش من الخمر، أمَّنه هوسايا. وقد سَمّى له 547 عاملاً مصريًا، وكانوا في الطريق إلى تاوْكا، وكان يحمل وثيقة مختومة من قبل الباغابانا "المرزبان في عيلام. السنة الحادية والعشرين»".

وإلى هذا المكان (الذي يُظَن أن من الممكن المطابقة بين اسمه واسم طاوكه، وهو الاسم المذكور عند الجغرافي بطليموس) يذكر أيضًا مئات من القرطاش الآخرين، من ثراقيا، وليقيا، كبدوكيا، مطلوبين لعمليات تعبئة للعمل. ولكن هنا، كما هو الحال في الكثير من الأمكنة الأخرى، التي تذكرها الألواح الصغيرة الأخرى، لم يكن من أمرهم أنهم عاشوا هذا الوضع الاجتماعي فحسب وعملوا فيه فلاحين، من الفرس الأحرار، وعمالاً يدويين ومُلاّكًا للأراضي "مشترِكين مع الأفراد الذين يتولّوْن يتم تشغيلهم، من دون أن تفطَن إليهم إدارتنا الملكية واقتصادنا، على الإطلاق". أمّا أن الإسكندر لم يكن أوّل من مَدَّن إيران فذلك ما تستطيع أن تثبته ملاحظة وجيزة عند إراتوثينيس. وهنا يُعَدد الهنديُّ والأرياني (إذ يكون المقصود هنا الإيرانيون على وجه الإجمال بلا ريب)، بحكم كونهم "أهل مدن" (asteioi) من البرابرة، وقد تمكن أناس من إيراد كثير من البراهين المتفرقة على عمليات تأسيس الإخمينيون المدن في إيران، على نحوٍ إضافي. والحق أنه يدخل في عداد هذه أيضًا كثير من مرابع الاستيطان في فارس. وما من شك في أنَّ المنازل السكنية التي أنشئت هناك، على ما يُظَن، بقطع الآجر الطيني المجففة بالهواء، قد درست وتولاّها الفناء، ولم يبق سوى المباني العائدة للمقارّ ومراكز الإدارة، لتكون على هذه الصورة مثالاً لمركز إداري محصَّن مع بيت مال ومستودعات، في منشأة المصاطب في بزَرغداي. ويضاف إلى ذلك أواني المائدة والأثاث والثياب والزينة. وما من شك في أن ذلك وصل إلينا في استعراض مفصّل مترف على سبيل الحصر، وفي صورة قطع مفرَدة أوْ في شكل صور طبق الأصل على النقوش البارزة وعلى المواد الأخرى.

2/ 4/ 4] (ملكات متآمرات) وأمراء أصابهم الخَوَر، حول حجرات الرجالِ والنساء، ومسألة التربية في إيران الإخمينية، إسهام آخر أيضًا في دراسة "الانحلال" المزعوم في أواخر أيام امبراطورية الفرس

«ولكنه، [أي: قورش] لم يلاحظ . . أن أولئك الذين كان يفكّر في أن يسلمهم أملاكه لم تجر تربيتهم على طِراز المعيشة الأبوية، أي: على طراز الحياة الفارسية الذي كان قاسيًا بالنظر إلى أن الفرس كانوا رعاة أنجبتهم أرض خشنة صعبة المراس. وكانت أرضهم فوق ذلك، أهلاً لأن تجعل منهم أقوياء حقًا يكونون على استعداد لأن يعيشوا في العراء، وأن يتخلَّوْا عن النوم، وإذا دعت الضرورة خرجوا

إلى الميادين. بل ضرب صفحًا عن حقيقة أن أبناءه تلقَّوْا، عن طريق ما سُمّيَ حظهم من التربية الميدية الفاسدة، أي: عن طريق النساء والخصيان التي تحوَّلوا بها إلى أمثال هؤلاء الرجال الذين كان يُنْتَظَر أن يكونوهم، إذ كانوا يتمتعون بألوان المتع من دون تربية ولا تهذيب. وحين تسلّموا مقاليد الحكم، هنالك قتل الواحد منهم الآخر بدافع الغيظ والاستياء من أن هذا قد وُضِع معه على قدم المساواة» . . .

وفي الكتاب الثالث من كتابه ‹شرائع› وهو محاورته الأخيرة المستفيضة، يعالج أفلاطون، في نظرته المرتدَّة إلى الوراء، التطوُّر التاريخيّ لأشكال الدولة القائمة أيضًا في امبراطورية الفرس. وهذا يجسِّد له نظامًا للدولة لم يكن، مثل اسبرطة مثلاً، أو كريت، يحرص على علاقة متوازنة بين الإدراك والتبصُّر، والحرية، والوفاق أو الوئام عند المواطنين. وذلك ما كان خليقًا أن يؤمن بقاءهم، بل كان يُصَعِّد سلطان الحاكم على الرسوم والضرائب. وبذلك نشأ من الملكية التي كان يقودها حاكم متفهِّم متبصِّر، حكم استبدادي ثقيل الوطأة. وتلك نتيجة تكررت، بالمناسبة، في أيام داريوس وخليفته. أما علة هذا التطور المنذر بسوء العاقبة فيتكهن شركاء المحاورة، مثلما استطعنا أن نستخلص ذلك من الشاهد المفصَّل، بأنها تكمن في تربية أبناء الملك على أيدي النساء "والخصيان" الموجودين في البيت الملكي، وهي تربية لابد أنها جعلت منهم أناسًا دَبَّ فيهم الخَوَر والوهن وأَفْلَت عنانهم.

وإن المرء ليجد صورة مماثلة للتأثير السلبي لنساء البيت الملكي والحياة في البلاط على وجه الإجمال منذ بداية القرن الرابع قبل الميلاد عند كتيسياس، الطبيب الخاص للامبراطور الفارسيّ أردشير الثاني، حيث يترتب التماس السبب الحقيقيّ لعدم استقرار الحكم الفارسي هناك، لا في تربية أبناء الملك، بل في المؤامرات التي كانت تدبرها النساء والخصيان. على أن التصوُّر الذي يترتَّب إثباته في الأدب اليوناني في تلك الحقبة، بصدد انحلال خصائص الشخصية الفارسية، وما نجم عن ذلك من انحطاط سلطان الفرس بعد حقبة حكم كِسرى، يتضح على وجه الخصوص عند كزنفون وإيسوقراط. أمّا الأول فيُعلي، في الفصل الأخير من الكتاب الثامن، من كتابه ‹كيروبيديا› في صدد مقابلته بين العادات والتقاليد في فارس العصر المتألق العائد لمؤسس الامبراطورية قورش ومعاصريه من الفرس، من شأن التغير الذي طرأ على مضامين التربية، إذ يرى في ذلك أحد الأسباب التي أدَّت إلى الانحطاط، ألا وهو التخلّي عن التعليم الحقيقي الأصيل، وهو فن الفروسية، والصيد، حيث يستطيعون أن يكشفوا عن ذوات نفوسهم ويختبروها اختبارًا باعثًا للشعور بالجد. وإلى جانب ذلك يسوِّغ كزنفون الانعطاف نحو السلبيّ، ذلك الذي كان قد بدأ بموت قورش، ويُفْتَرَض أنه تواصل على خط مستقيم، بما ينطوي عليه الملوك من

انعدام الإخلاص، أو الوفاء بما بذلوا من الوعود، ومن الكفر والتنكُّر للعدالة. ولكنه يسوغ ذلك، على وجه الخصوص تمامًا، بما أصابهم من الوَهْن والخَوَر. على أن هذا الأخير يتجلّى بنظره في الوجبات الكبيرة الدسمة مثلما يتجلّى في الملابس وفي إنشاء القصور، وفي التخلّي عن تقويم الجسد عن طريق الرياضة مثلما يتجلّى في الجرأة على القتال. ويوجّه الخطيب إيسوقراط نحو كل شيء، في مناشداته الكبرى إلى عملية يشارك فيها كل الإغريق، ضد الامبراطور في القرن الرابع، مضيفًا إليها بعدُ الإشارة إلى الضعف العسكري الذي أصاب امبراطورية الفرس في القرن الرابع قبل الميلاد، والذي يراه في الوهن والخَوَر، وفي النفسيّة الاستعبادية عند الفرس.

والآن كان كتاب آخرون، قبل هؤلاء، قد رأوْا أخطارًا تحيق بامبراطورية الفرس ذات البأس الشديد: وذلك أن تصوُّر الامبراطور في صورة طاغية مستبدّ، مثلاً، مع ظهور حتى أرفع حملة الألقاب شأنًا في مظهر العبيد. هذا التصور كانت له جذور في القرن الخامس. فمنذ كتاب أيخيلوس ‹الفرس›، تتمّ، على أساس أقيسة ابتدائية معيَّنة، ومنها، مثلاً، ذلك القياس المتعلق بفَيْض السلطان الشخصي، والغُلُوّ على القوانين والشرائع، وانعدام الالتزام بتحمُّل المحاسبة، وانتشار صحائف الأُبَّهة المطابقة بين صورة الامبراطور "مجسَّدة في كِسرى، بالاسم" والتصوُّر السلبي الذي كان يتشكَّل في تلك الأيام، للطغاة. ويطبع الكتاب ضمن مؤثرات أخرى هذا التصوُّر، بعد ذلك، من جانبه، بطابعه، على نحوٍ دائم، بالغ التأثير. لقد بات ملك الفرس، منذ الآن فصاعدًا، يُعَدُّ "طاغية بامتياز" ووجد الناس بعد ذلك، حين تساؤلوا عن أسباب الانتصارات المدهشة التي أحرزها الإغريق، على وجه الخصوص، جوابًا في تصوُّر لاستقلال البشر الهيلينستيين وطاقتهم ينبثق من وعيهم للحرية الفردية والجماعيّة.

وحتى الفكرة التي تفيد أن السلطة تغري صاحبها بالترف والاستمتاع بالحياة، وتصيبه بالوَهْن والخَدَر، حيث يفقِد الشعب الذي يحكم، عاجلاً أو آجلاً، مقدرته على القتال، ويخضع للطاقة الصلبة عند شعب فقير، غير أنه لم يتطرَّق إليه الفساد، فإنها ليست بالجديدة. فهذا التصوُّر يغدو، في القرن الخامس قبل الميلاد، مرتبطًا بتلك النظريات السوسيولوجية-الطبية، التي تقيم بين المناخ والخصوبة ونوعية البشر في منطقة ما، علاقة مباشرة، مثلما تفعل مثلاً، "الرسالة الهيبوقراطية "في البيئة. وعلى قدر ما يمكن للمرء أن يستنتج من ذلك أن التغيرات في ظروف حياة شعب من الشعوب سوف تحدث آثارها في شخصيته وطرائق سلوكه، تعد هذه النظرية ممكنة الاستفادة منها، من الوجهة العملية. ومن أجل تطبيقها في مضمار تفسير التاريخ، يقدم هِردُت، في طرفة من الطرائف، في خاتمة كتابه، شهادة مؤثرة تشير إلى كرنفون أو إيسوقراط: وذلك أن قورش يشعر أن قومه الفرس يلحّون

عليه في أن يدعهم يخرجون، كما يحسُن ذلك بشعب حاكم، من وطنهم الصغير الخشن، إلى أحد البلدان الغنيّة، التي يستطيعون غزوها، ليستوطنوا فيها، ويقول الملك: «لايَحْسُن بكم إلا أن تُقدِموا على هذا، غير أنه لفت أنظارهم في الوقت ذاته، إلى وجوب أن يعتصموا بالصبر إذا رأوْا أنهم ما عادوا يَحكُمون، بل باتوا يُحْكَمون، إذ دأبت البلدان المسترخية الواهنة على إنجاب الرجال الذين وَهَنوا واستكانوا. وإذ لم يُقسَم للبلد الواحد ذاته أن يُخْرِج من الثمار الناضرة مايَعْدِل في مقداره عدد الرجال الأكفاء للحرب».

ويخبرنا هِردُت أن الفرس اقتنعوا بذلك: «ومع ذلك فقد آثَروا أن يحكموا بصفة سكان أرض من الصخور والحجارة على أن يبتغوا سهلاً جميلاً يَخْدِمون فيه الآخرين».

على أنهم وقعوا، مع الزمن، مع ذلك، ضحية للإغراءات الكامنة في صميمهم، ومَهّدت لهزيمتهم أمام الإغريق، وهم شعب فقير، في بلاد خشنة، الطريق لانحطاط سلطانهم. وعلى كل حال فهِردُت يحلّل الدلالة الأعمق للحدث التاريخيّ.

ولئن لم تكن، بناءً على ذلك، التصوُّراتُ الخاصة بالارتقاء والانحطاط في الأدب اليوناني في القرن الرابع قبل بالميلاد، جديدة بحال من الأحوال، ولم تكن كذلك الأفكار الخاصة بتأثير الترف الباعث للفساد لدى الشعوب المنتصرة، أو التطابق، مثلاً، بين الامبراطور وطاغية أو مالك للعبيد، فقد كان كذلك، بلا ريب وصف بلاط الملك بأنه مرتع لحكم ربّات الحِجال، واللاأخلاق، والمؤامرات، والتزلُّف إلى كتيسياس، ودور أشكال التربية في انحطاط الامبراطورية عند أفلاطون، أو الاستهانة العامة بقدرة الفرس القتالية عند كزنفون وإيسوقراط. أمّا عند الخطيب المُصْقِع فيتجمّع كثير من الأمور ليتحوَّل إلى إزدراء للبرابرة شديد على وجه الخصوص. وكان مفهوم البرابرة الأصليّ عند الإغريق "بموجب أنموذج منتشر بين كثير من الشعوب" يُفتَرَض أن يضع حدًا فاصلاً بين الثقافة الخاصة بهم وكل العالم الخارجي، قد ضاق، منذ منتصف القرن الحاسم فصاعدًا، من ناحية أولى، ليقتصر على الفرس. كما اكتسب، من ناحية أخرى، أيضًا، وبوضوح، ملامحَ تشير إلى التدهور. على أن النمط المعادي الذي نشأ في هذه الأثناء، ولاسيما النمط المنسوب إلى أتيكا، أيْ: نمط كاريكاتور البرابرة، استخدمَه إيسوقراط، فردّه إلى صورة خشنة فجّة، وبسّطه مع ذلك، أيضًا. وكان يفترض في الحرب التي يُؤَمِّلها أن "تتوجه ضد الأعداء بالطبيعة " (physei polemioi)، وبذلك يتوافر لها تسويغر أخلاقي. أما البرابرة فلم يكونوا يستحقون، بسبب طبيعتهم المتدنية، وسوء سلوكهم، شيئًا سوى أن يصبحوا من رعايا اليونانيين، أو يكونوا، كما يقال باليونانية (Perioiken) أي الجوالون، على حد تعبير إيسوقراط بلسانه السليط،

الموجَّه ضد اسبرطة. ولئن كان هِردُت أيضًا قد وجد علة التناقض الذي كانت له آثاره المسقبلية البعيدة المدى، بين عالمَيْ البرابرة وعالم الهيلنيين، آخر الأمر، في التداخل بين مجالات حياتَيْهما الجغرافيَّيْن، وبالتالي أيَّد الانقسام بينهما، حتى مع التضحية بآسيا الصغرى، فقد نادى إيسوقراط، على النقيض من ذلك، بغزو بلاد البرابرة الآسيوية.

فكيف يمكن الآن تفسير أمثال هذه الصور اليونانية الدالة على "الانحلال الفارسي"، وأيُّ مستند يتوافر لها في الروايات الإيرانية؟. ربما كان في وسع نظام التربية الفارسي والعلاقات بين الرجال والنساء أن يفيدانا في هذا الصدد، من حيث كونهما مثالين، وذلك أن المعنى الأعمق الموجود إلى جانب الرغبة في تطوُّر مظاهر الأُبَّهة، والخاص بتكديس الكنوز، والذي غاب عن بال الإغريق أو سكتوا عنه لأسباب تتصل بالجدل والمحاجّة، كان قد بات يشغلنا. وسوف يترتَّب علينا أن نعود، مرة أخرة، إلى الحديث عن الانحطاط المزعوم في روح القتال عند الفرس.

إن كلاًّ منا يعرف كلمة هِردُت التي تفيد أن الفرس كانوا يعلّمون أبناءهم "من الخامسة إلى العشرين، فقط ثلاثة أشياء: الفروسية، والرماية، وقول الحقيقة. وقد كان في وسع المرء أن يضع إلى جانب هذا الشاهد ملاحظات كزنفون في كتابه ‹الزحف/ Anabasis›، وفي الكتاب الأول من ‹كيروبيديا› حول ممارسة التربية في أيام قورش. ولكن في الفصل الأخير من كتابه ‹مرآة الأمراء› يصف كزنفون، بعد ذلك، كما قلنا، انحطاط جهاز التربية. فمن جراء التخلّي عن الفروسية والصيد كان أبناء الملوك والأرستقراطيون خليقين أن يهملوا تقوية طاقاتهم الجسدية وقياسها، وأن يفقدوا حِسَّ العدالة من جراء إباحة الرشوة وسيلةً لتسوية النزاع. والآن بات من الواضح للعيان تمامًا أن مضامين التربية التي تتناقلها روايات هِردُت وكزنفون في أوائل العصر الفارسي تعكس "مدوَّنة للسلوك"، أي: القواعد التي يفترَض أن تشكّل صفات الحاكم. وعلى نحو مماثل لذلك بدقة كان داريوس يفهمها في النقش الكتابي على ضريحه، وكان منهمكًا في اتباعها: «وإذًا فأنا على هذه الصورة وَفقًا لإرادة أهورامزدا، وأنا أحب الحق، وأكره الباطل . . أمّا ما هو حق فذلك ما أستحسنه، وأمّا مَنْ كان عبدًا للأكاذيب فما أنا له بصديق . . وإني لقويّ شديد البأس، بيَديَّ وقدميّ. لقد حنَّكتني التجاربُ فارسًا. وحنكتني راميًا بالسهام، راجلاً وفارسًا، على حد سواء».

ومثل هذه المدوَّنة (kodex)، ومثل هذا التقدير للذات، لا يفضيان بشيء، بالطبع، عن السلوك الفعليّ للحاكم والعدالة والصدق والإخلاص يقرِّرهن، من حيث كونهن فضائل، ما ينفع هذا السلوك. وعندما يشكو كزنفون، في ‹كيروبيديا› من فقدان هذه الفضائل بعد موت قورش مباشرة، عند ذلك لا يفعل هذا، بناءً

على ذلك، إدلاءً منه بحقائق تاريخية، بل يفعله أدبيًا: على أن السجايا الخارجة على النطاق المألوف، عند حاكمه المثاليّ، وضرورة مثل هذه السجايا لعصره هو أيضًا لا تزداد، من جراء ذلك إلاّ وضوحًا. أمّا أنّ ألوان المقدرة العسكرية، وحسن البلاء في مضمار الصيد، ظلاً حتى الأيام الأخيرة، للفرس، يمثلان فضيلَتَيْ الحكام. غير أن اختبار السلاح، والصيد بالكلاب، ظلاً، مع ذلك أيضًا، من السمات المميِّزة للحياة اليومية عند الملوك والنبلاء، فذلك ما ينبئ عنه، حتى في القرن الرابع أيضًا. وفي المجال الزمني الذي يتجاوز هذا كتاب ‹Paradeisoi›، مثلما ينبئ عنه الكثير الذي لا يحصيه العدُّ، من صور العملات، وصور الأختام، والصور المماثلة على النقوش البارزة، اللواتي صوّرن الملك راميًا بالسهام، أو في الصيد. ويترتّب هنا أيضًا أن نذكّر بتأثير هذه الموضوعات في التصوير الذاتي، الفنيّ، في النقوش الكتابية، من الأمراء المحليين في أيام الفرس في آسيا الصغرى، ومن ذلك ما يقال عن سليل الأسرة الحاكمة الليقيّة أربيناس، في نقش كتابي من الشعر، يعود إلى مستهل القرن الرابع، بأسلوب الإشادة والتمجيد: «إنما يميِّزك كل ما يدركه حكماء الرجال، من الرماية بالقوس، والفضيلة، والصيد على صهوة الجواد».

وحتى ملاحظات أفلاطون المتعلِّقة بأسباب الاستبداد الفارسي، لا ينبغي أن تؤخذ على أنها إفادات تاريخية، أو على أنها أوصاف للواقع الفارسي في القرن الرابع؛ وذلك أنها تتبوأ مكانها في النظرية السياسية للفيلسوف، وفي أفكاره بصدد "الشرائع المُثْلى". ولا ريب في أنها، على الأقل، دولة تُحْكَم حكمًا حسنًا تتبوّأ فيها الحياة الأخلاقية الفاضلة لدى المواطنين مكان الصدارة. وهذا يقتضي، فيما يرى أفلاطون، تربية تعرَّضت لإصلاح جذري، وعلى هذا فليس ما يبعث على العجب أنه يرى في التربية الخاطئة لأبناء الملوك، العلة الأساس لانحطاط نظام الدولة الفارسية.

وحتى الدور المُفْسِد الذي كان مقسومًا للنساء في الأسرة الحاكمة الإخمينية، في حالة كتيسياس، لم يكن من الواجب أن يفهم على أنه رَوْسَم "كليشيه" أدبيّ، ففي هذه الأقاصيص يعكس، على نحوٍ لا ريب فيه، الميل إلى الكراهية في جزء من الأدب اليوناني في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، ذلك الميل إلى الإحساس بالنساء على أنهن شيء ينطوي على التهديد للعالم الذي يفصل في أمور الرجال، أي: عالم السياسة. وحين يستكنُّ في أقاصيص النساء اللواتي يتولين حياكة المؤامرات، نواة تاريخية، فهي تلك التي تفيد أنه في النظام الذي يخضع لحكم، يدار إدارة مركزية، داخل مجتمع قبلي في الأصل، كانت الزيجات السياسية يتم إيلاؤها أهمية خاصة من أجل ضمان الولاء. ويضاف إلى ذلك أن مسألة الخلافة على العرش في البيت الملكي الفارسيّ المبنيّ على تعدد الزوجات أمكنها أن تغدو، في بعض الأحيان، ذات أهمية من حيث وجودها. "فالولاءات الموزَّعة" عند النساء، إذا شئنا أن ننظر إلى المسألة

هذه النظرة، مثلما يشير إليها كتيسياس لأيام أردشير الثاني، وكما أشار إليها أيضًا هِردُت، بالنسبة للنساء في محيط كِسرى، ربما أمكن أن تكون تعبيرًا عن أمثال هذه الأشكال من التوتر في نظام الحكم. فأمّا أن تكون ممكنة الاستعمال بمعنى صور الشخصيات النسائية، فلا.

أما سياسة الزواج عند الحكام الإخمينيين، التي كانت أوّل الأمر تحدِّها مراعاة أسر كبار النبلاء "لضمان ولائهم"، ثمّ عن طريق محاولة ربط الأسرة الحاكمة بأسرة مؤسس الدولة "في أيام غاوْماتا وداريوس"، فقد تغيرت في أيام خلفاء داريوس؛ وذلك أن القوم كانوا يطمحون الآن، من أجل ضمان الحكم، إلى الدخول بأنفسهم، قبل كل شيء، في تحالفات داخل الأسرة المالكة. وكانت الارتباطات بطبقة كبار النبلاء تُعْقَد لتسويغ الولاء لها وضمانه بدرجة أقلّ مما كانت تعقد للمكافأة على إخلاص ثبتت صحته وخدماته. وكانت الارتباطات بين الأقارب الأدنين، مثل ارتباط الأخ بأخته، أو زيجات الأب من إبنته، تشغل اليونانيين على وجه الخصوص.

«كانت أولى فظائع قمبيز "قتل أخيه"، كما يقولون، وبذلك بدأت المسألة، وكانت الثانية أنه قتل أخته التي كانت قد ذهبت معه إلى مصر، وكان يضاجعها أيضًا، وكانت، بلا ريب، أخته الحقيقية، من أمه وأبيه. غير أنه كان قد اتخذها زوج بالطريقة التالية: إذ لم يكن من التقاليد المتبعة عند الفرس، بلا ريب، أن يتخذ المرء من أخته زوج، وكانت قد استحوذت على قمبيز رغبة عارمة في إحدى أخواته، فأراد أن يتخذها زوج. ولكن لمّا كان يرى أنه كان يفعل شيئًا مخالفًا للسنن والتقاليد، فقد دعا إليه من يسمَّوْن القضاة الملكيين وطرح عليهم سؤال هل يوجد بند في القانون يبيح لمن يرغب، أن يتخذ من أخته زوج . . فقالوا إنهم لا يجدون بندًا يبيح للأخ أن يتزوج من أخته، ومع ذلك فهناك بند قانوني آخر ينصّ على أن ملك الفرس حُرٌّ في أن يفعل ما يشاء . . وعلى هذا ففي تلك الأيام تزوج قمبيز المحبوبة، غير أنه لم يلبث أن تزوّج أختًا أخرى».

ويتضح أن هِردُت يريد هنا أن يتصوَّر الزواج من الأخوات عند قمبيز في صورة فعلة منكرة أخرى من أفعال قمبيز، وهي أفعال منكرة لم تكن تاريخيّة في جزء كبير منها، ويُظَنّ أننا مضطرون أيضًا، في حالة موت الأخت، إلى أن نكون أقرب إلى أن نتوخّى الحذر فيما يتصل بالدور الإيجابي لقمبيز، وذلك أن زيجاته من الأخوات، ومن المتوفّاه "روكسانيّ" التي ظلت من دون تسمية، ومن أتوسّا، دخلت التاريخ، لأن الارتباط الزوجي بفايديما، أخت أوتانيس، كان من الواضح للعيان أنه ظل من دون أولاد "وبالتالي من دون ابن"، الأمر الذي كان خليقًا، بدوره، أن يجعل من أخيه بردّيا، وذريته ورثة للعرش. ولم تكن أتوسّا، مثل روكساني، فوق ذلك، أختًا شقيقة، بل كانت لقمبيز أختًا من طرف أبيها أو أمها فحسب. وكان هذا

الشكل وحده، من زواج الأخ من أخته هو الذي دخل التاريخ عند الإخمينيين، إذا لم يتزوَّجوا من أفراد أبعد على الإطلاق، من العشيرة، وبالتالي من الأسرة.

وحتى ارتباط أردشير الثاني بأخته أتوسّا، وهو الارتباط الذي انتقده بلوتارخ انتقادًا بالغ الشدة، على أنه زواج يحدث بين المحارم، "حيث يمارس ذلك أيضًا مع الإشارة إلى السلطان غير المحدود للملك"، لا يغدو مفهومًا إلاّ لدى النظرة الثانية: وذلك أنه إذا كان قد قضي الأمر على وجه الإطلاق، ولم تتبوَّأ أتوسّا، ببساطة، مكانة "زوجة الملك" (أي: زوجة الملك الحقيقية)، تظل هي على الدوام والدة وليّ العهد، هنالك يكمن الدافع إلى هذا "الزواج" في رغبة الملك أن يرى، بعد موت باريساتيس، مركز "زوجة الملك" وقد بوّأه شخصية موالية له، وبذلك يكون قد أَمَّن موقع وريث العرش في البلاط.

وكان تعدُّد الزوجات سِمة مميِّزة من سِمات ممارسة الزواج عند الإخمينيين، وكان يفترض أن يصبح الأولاد الذين ينشأون من هذه الأشكال من الارتباط ورثة للعرش "وهذا ما كان الملك يحدِّد له واحدًا من أبنائه"، وأن يصلوا إلى مواقع المسؤولية في خدمة الامبراطورية أو في خدمة البلاط، وأن يساعدوا في ضمان تماسك العشيرة وفي الارتباط بكبار النبلاء.

وقد لقينا أولي قربى البيت الملكي من النساء (بالعيلامية: دُكشِش) أيضًا في الألواح الصغيرة الواردة من بِرسِبولِس: في شخص آرتيستون التي كانت تملك عددًا من الأراضي والمزارع، وفي شخص آرتازوسترا، زوج ماردونيوس، وفي شخص رادوشدوكّا، زوج غوبرياس، وفي شخص رادوشناموبا. وأخيرًا، وبالنسبة لرتاباما، أيضًا، متقلّدةً ملكية إقطاع من الأرض، إذ كان يعمل المئات من العمال "كورتاش إردابامانا" وفي ليتو، وهيدالي وهونار وشيراز. وكانت هي ذاتها كثيرًا ما تكون في الطريق، وكانت تتلقى من أجل هذا الغرض كميات ضخمة من المؤونة، وكانت تمهر كل لوائح الواردات، بالمناسبة، بخاتمها المعروف لدينا.

وكل سيدات البيت الملكي، ما دامت أسماؤهن تذكر في النصوص الواردة من بِرسِبولِس، يظهرن هناك فاعِلات على نحو جليّ صريح، مولعات بالإقدام والإمساك بزمام المبادرة، تقرُّ عيونهن باتخاذ القرار والحَسْم. وهن يشاركن في الاحتفالات والولائم، أو يُقمِن احتفالات خاصة بهن، ثم إنهن يضربن في الأرض ويقدمن التوجيهات، ويراقبن مزارعهن وأملاكهن، والأيدي العاملة فيها. ويذكر مؤرخو الإسكندر النساء أيضًا في عربات تموين الملك وإمداده، خلال حملاته العسكرية. وليس مما يدعو إلى العجب أن بعض اليونانيين الذين يشيدون بالمثل الأعلى للزوجات اللواتي يَعِشْن في عزلة، وصَوْنٍ وعفاف، ينزلون نساء البيت الملكي الفارسيّ، المنزلة ذاتها، أي "البيت".

«وبوجه عام تُعَدُّ الشعوب البربرية غيورة على نسائها غيرة لا حدَّ لها، والفرس يستبقون في ذلك الشعوب جميعًا. ولا يقتصر السهر على الزوجات، كلاّ، بل يجري السهر على الإماء والمحظيّات أيضًا، وعلى نحوٍ صارم، ولا يجوز لعين غريبة أن تقع عليهن. وهن يعشن معزولات في حجراتهن، وإذا لم يكن لهن بُدَّ من السفر، سافَرْن في عربات قد أسدلت عليها الستائر من كل جانب».

وتثبت الألواح الصغيرة أنه لا يمكن أن يرد الحديث عن عزلة كهذه، على أنَّ حقيقة أن الفارسيات كنَّ يتجلَّيْن لعينَيْ مثل هذا اليوناني في صورة جذابة بقدر ما هي ذات خطر، ما عادت تمثل الآن مفاجأة. وإذا كانت النساء الفارسيات، وراء جدران القصر، قد أصبحن فاعِلات، ذوات نشاط في مضمار السياسة، فإن هذا لم يكن من الممكن أن يحدث إلاّ مقرونًا بإلحاق الضرر بالمنزل!. ولقد ظل مثل هذا الفهم للحياة الشرقية في القصر، مع اقترانه بالتصوُّرات الغريبة لتلك الحياة (في "عالم الحريم") يواصل إحداث آثاره.

وكيف يتأتىّ لامرئ أن يفسِّر حقيقة أن هذا التصوُّر "للانحلال الفارسي"، الذي يفترض أن النساء المتآمرات أسهمن فيه إسهامًا كبيرًا، قد أمكن أن ينطلق منه مثل هذا السحر والافتتان؟. لنتناول، مثلاً، مرجعًا هامًا باللغة الألمانية، في التاريخ اليوناني من عام 1977: «على الرغم من موهبة الفرس الجليّة التي لا تخطئها الملاحظة، فإنهم سَرْعان ما وقعوا ضحية احتضانهم للشرق. ولقد تمثلت نهاية الحضارة الفارسية في التسوية بين المستويات المتباينة، لا في إتاحة الفرص لظهور المزايا الفردية، مثلما كان يحدث في بلاد اليونان. وفي مقابل ذلك ظلت هيلاس تُمِدُّ امبراطورية الفرس، المرة بعد الأخرى، وعلى مدى القرون الطويلة، بطاقات جديدة وتبعث فيها حياة جديدة، ولم تتلق، مقابل ذلك، شيئًا، أو لم تتلقَّ لقاءه إلاّ القليل. وكانت ألوان العطاء المقابل، في الغالب، ألوانًا مادّية، غير أن الفكر اليوناني تحوَّل، حقًا، إلى خميرة لعالم بأسره، عالم الغرب والشرق».

وما من شك في أنَّ مثل هذا التقدير تضرب جذوره، من ناحية أولى، في ما سبق أن قدَّمناه من الشواهد القديمة، غير أن أصوله ترجع، من ناحية أخرى أيضًا، إلى النظرة إلى العصر القديم في ألمانيا القرن التاسع عشر. فلقد أتيح لكثير من القراء أن يعرفوا أن إعادة اكتشاف القومية اليونانية في إطار النزعة الإنسانية الجديدة، ومحاولة الربط بين إنجازات تلك القومية ومزاياها، وجوهر الهيلينيين، مثَّلتا الخطوة الأولى في الطريق إلى قياس قيمة العصر الأوربي بالاستناد إلى عصر الإغريق. ونشأت تصوُّرات مؤدّاها أن الألمان يمتّون بصلة علاقة القربى الوثيقة التي تربطهم بأولئك الإغريق القدماء، في الفكر وفي الطبيعة، وهنا وجدت نظرية الروح الشعبي الرومانسيّ والوعي القومي الألمانيّ نقطة انطلاقهما.

على أن ما كان يُحَدُّ من تقدير الإيرانيين القدماء في ألمانيا، على نحو حاسم، فيما تلا ذلك، ذلك التصوُّر الذي كان القوم يتعلّلون به منذ العصر القديم، غير أنه بات الآن أكثر إرهافًا وحدّة. وهو تصوُّرهم للتناقض الذي لا سبيل إلى تخطّيه، بين حب الحرية عند الإغريق، المبجَّلين للغاية، والنزعة الاستبدادية الفارسية. ولكن إلى جانب ذلك "أو بدلاً منه" كان القوم يؤكدِّون أيضًا الفروق بين الإنجازات التي تجد أساسها في التطور الحر للشخصية الفردية عند الإغريق، والتطوُّر المعوّق للطاقات الفكرية، جرّاء حكم الكهنة الثيوقراطي المتسلِّط، كما كان يقال، من جانب جيرانهم الشرقيين. ولم يتغيَّر في هذا التضاد أيضًا شيء من التناقض، حين كان القوم قد أدركوا آصرة القربى بين اللغتين الإيرانية "الآرية" واللغات الجرمانية. وسرعان ما انتهت المسألة في إطار الروح الشعبيّ، أيضًا، إلى افتراض وجود شعب أصلي هندوجرماني عريق في القدم، رفيع المكانة بوجه خاص من الوجهة الحضارية، ووجود تقارب في مضمار العوامل المحِّددة للشخصية والمَعْدِن على وجه الخصوص أيضًا، فيما بينهم الشعوب الهندوأوربية. على أن التقويم الذي نتج عن ذلك، والذي كان أكثر إيجابية على وجه الإجمال للفرس في العصر القديم، أبرز هذا الشعب الذي تميَّز الآن، حقًا، من بين سائر شعوب الشرق، غير أنه لم يغيِّر شيئًا من الموقف الذي ظل بعد ذلك واضحًا، من الطريق الإغريقيّ "أي: الأثينيّ في الأغلب"، وهو طريق تطور الفن والثقافة والدولة. وهذا الموقف هو على وجه الدقة، ذلك الذي مازال مستقرًا في المراجع الخاصة بالحقبة الأحدث.

ولئن كانت أطروحة انحطاط العظمة الفارسية والسلطان الفارسيّ، ومعها أيضًا أطروحة الأخلاقيات الفارسية والمقدرة الفارسية على الإنجاز، في القرن الرابع، تراثًا عامًا مشتركًا للتأمّل والنظر في التاريخ، في ألمانيا القرن التاسع عشر وألمانيا في مستهل القرن العشرين، فإنه لم يكن يوجد، كما كان يوجد في الشواهد القديمة، على الدوام، تطابق وإجماع في وجهات النظر في صدد العلل والأسباب وأشكال ظهور الانحطاط. ومع أن الباحثين كانوا يسترشدون، بهدف تجلية هذه المسائل، في كل العصور، بأفلاطون وكزنفون وكتيسياس وإيسوقراط وآخرين، كان هؤلاء يعتقدون، في أيام الحقبة النازية، أنَّ في وسعهم، بلا ريب، أن يتوصَّلوا، بالبحث والتنقيب، مع ذلك، إلى الأسباب الأعمق للتطوُّر السلبي للامبراطورية الفارسية. ووجد القوم هذه في المؤثرات السلبية التي تحددها البيولوجيا والعرق، لدى الشرق "السامي"، على الفرس "الآريين". أمّا إلى أي شيء أفضى ذلك، فهذا ما وصفه، بلغة "الرايخ الثالث"، عام 1942، المختصّ المعروف بالأبحاث الهندوجرمانيّة، والمختص بالأبحاث الإيرانية، فالتر فسْت، المعروف بكونه عميد جامعة ميونيخ،

أيام إلقاء القبض على الأخوين شُل، على النحو التالي: «تنتهي المسألة إلى تمازج عرقيّ، وبالتالي إلى انحطاط النوع، ثم فقدان الخاصة الشمالية. وذلك أن البعثرة والتضبيع الذي لم يكن ثمة سبيل إلى تجنُّبه، لدم الأجناس العريقة في نبلها في خدمة الامبراطورية المترامية الأطراف. وما حدث من استئصال الشأفة عن طريق المناخ، والانتخاب الطبيعي المعاكس من جراء الحروب، التي لم يكن بُدٌّ من أن تُخاض، شيئًا فشيئًا، من قبل الجيوش المحترفة، وهجرة الأجناس المستقرة التي كانت تتوارث العمل في البلاط إلى العواصم والمدن الكبرى، مثل سُوْسَ، وبابل، وإكباتانا، ومحيطهن المهذّب، المتمدن، وأخيرًا هذا النفوذ الهدام الباعث للانحلال لاقتصاد المال المتطور إلى أقصى حدود التطوُّر في بلاد مابين النهرين، في الاقتصاد الطبيعي التقليدي الموروث، كل هذا كان ينخر في جسد العرق الحاكم وأسسه، من الدم والأرض».

وبعد الحرب عادت إلى الهيمنة، من جديد، صورة التناقض بين النزعة الاستبدادية والتطوُّر المبني على النزوع إلى الحرية، من الانحطاط السياسيّ والثقافي، والعسكري، والأخلاقي في امبراطورية الفرس بعد كِسرى؛ وبالمناسبة، لم يكن هذا في ألمانيا فحسب. وفي السنوات الأخيرة فحسب تحقق النجاح في الاستعاضة عن هذه النظرة المتمركزة على العنصر الهيلنيسي، إلى تاريخ الامبراطورية الفارسية، وإلى العلاقة بين الإغريق والفرس، بحكم متناسب مع تعدُّد الروايات ومقدرتها على الإفادة والتعبير، ومع نقاط القوة والضعف في الحكم الفارسي، ومع التعقُّد وتعدُّد الجوانب الماثلين في العلاقات اليونانية الفارسية.

فلنعد إذًا إلى الرجال والنساء في فارس الإخمينيّة: لم يكن ما يرد في مجال النظر مقصورًا على الطبقة القيادية، في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد، في هذا الإقليم، عندما ننظر في ألواح السور الصغيرة، إذ يذكر هناك أيضًا ألوف من اليد العاملة كانوا يتلقَّوْن الحصص التموينيّة، حيث كان من الواضح للعيان أن ارتفاع مقدار هذه المخصصات، كما سبق أن قررنا، كان يُقْسَم وفقًا للتدريب والنشاط أكثر مما يُقْسَم وفقًا لنوعية الجنس أو العرق. ويبرز من محيط الشخصيات النسائية نساء يقال لهن الأَرَشّاب "أو ما يسمى "الأَرَشّارا"، كن يُلقين 5 بار من القمح و3 مَرّيش من الخمر، وحصة من اللحم. وقد افترض الباحثون أنهن كُنَّ يشرفن وحدهن على الصناعات الملكية، وعلى شيء من قبيل "الخياطات الجماعيات"، ولكن كان يوجد أيضًا أيد عاملة رجالية. ويستفاد من بحث حديث أن "الأراشّارا" التي تظهر بالأحرى، بلا ريب، في صورة "ناظرة" (وحدها)، وتتميَّز باسم الباشاب، لا ينبغي أن تُفْهَم على أنها تسمية تتعلق بنشاط معين أو بإثنية معينة، بل تعود على طبقة من الأيدي العاملة. وثمة تسمية لهذا النوع يعتقد الباحثون أنهم اكتشفوها

في هذا التعبير: (kurtaš f. harrinup)، أي: في المصطلح المخصص لفئة من العاملات الإناث في المقام الأول، على النحو ذاته. وعلى النقيض من كلمة "باشاب" تعد كلمة هارّينوب، مع ذلك، ما يربط المرء بصلة مع ذوي قربى البيت الملكي. وتعد فئتا الباشاب والهارّينوب، على السواء أيضًا، ممن يتلقَّيْن الحصص الخصوصية "بالعيلامية: كاماكاش" وهن اللواتي كان الحديث يدور عنهن آنفًا: «وكان رزابارا وزملاؤه يحصلون على 6,5 مَرّيش من البيرة، مؤمَّنة من ثريباتا، وكان يجري توزيع ذلك على سبع من النساء اللواتي وضعن أطفالاً لتوِّهن "بالعيلامية: راتب": 6 "مع" الأولاد، الذين تتلقى كل منهنّ 1 مرّيش، وواحدة "مع ابنة لها" تحصل على 0,5، السنة 23، في درثيكا "عاملات الرتاباما".

13 بار ميتلي وقمح، يتم تأمينهما من ثريباتا، حصل عليها رزابارا وزملاؤه، وتم التوزيع على سبع من النساء وضعن أولادًا لتوِّهن، وحصل 6 من النساء اللواتي ولدن ستة أولاد، على 2 بار لكل واحدة منهن، وحصلت امرأة واحدة "ولدت بنتًا" على بار واحد "في" درثيكا. "عاملات الرتاباما، السنة الثالثة والعشرين».

وذهبت حصص خصوصية، كما تثبت النصوص، إلى أمهات الرضَّع، حيث كان يجري هنا تفضيل أمهات الذكور على أمهات البنات تفضيلاً واضحًا. وهذا المطلب الذي لا شك في أنه يشمل أيضًا قاطنات فارس الحرائر غير الواردات في الألواح الصغيرة، وهذا ما يذكر، بالمناسبة أيضًا، في الشواهد الكلاسيكية، وهذا ما يرويه هِردُت.

«أما الرجل البارع، فيعترف بحقه، على أثر إثبات حسن بلائه في القتال، إذا كان يستطيع أن يثبت وجود كثير من الأطفال عنده. ومن أثبت وجود العدد الأكبر من الأطفال لديه فسيرسل إليه الملك هدية، من عام إلى عام».

ويتذكر الباحثون كلمات داريوس، من بِسُتون، وهو الذي يُعِدُّ للفرد الموالي له من رعيته تحقيق الرغبة التالية: «إذا لم تكتم هذه الرواية، بل بلَّغتها الناس، فليكن أهورامزدا لك صديقًا، وليرزقك كثير من الذرية التي لا يحصيها عدد، والعمر المديد».

2/ 4/ 5] سحر الجيش، والمرتزقة والحاميات في امبراطورية الإخمينيين

كان سلطان الامبراطور يستند إلى ولاء رعاياه، وكان هذا يثبت لدى إحصاء الضرائب والرسوم والاعتراف بوجوب الالتحاق بالجيش. ومن ناحية أخرى كان النهوض بكلٍّ من هذين العبئَيْن يفيدان الملك أيضًا من حيث كونهما وسيلة

لتأمين الهدوء والنظام في الدولة، وللحفاظ على حدودها. ويُعرَف لدينا جيش الإخمينيين من أوصاف الكتاب الكلاسيكيين: هِردُت، كزنفون، مؤرخو الإسكندر، ومن تصاوير الجند في الفن الإيرانيّ وغير الإيرانيّ "النقوش البارزة من برِسبولِس وسُوْسَ، وتابوت الإسكندر من صيدا، وموزاييك الإسكندر من بومبي، وأشياء أخرى" معروفة جيدة. وفي أيام مؤسس الدولة، قورش كان على القوم أن يتصوّروا هذه القوات في صورة جيش من الميليشيات، وكان على كل جندي أن يقدم تسليحه وعتاده الخاص، الأمر الذي كان يفترض، بدوره، توافر "ثروة محدَّدة". وليس ما يبعث على العجب أن الكلمة الفارسية القديمة التي تعبر عن "سحر الجيش"، أي: كارا، تمثل أيضًا، التسمية الخاصة بالشعب على وجه الإجمال، حيث يقصُر الحاكم، في نقوشه الكتابية، بلا شك، هذا المفهوم، على النبلاء، أي "الكارا" بامتياز. وحتى بعد اتساع المنطقة الخاضعة للحكم كان تعبير "كارا" الفارسيّ يشكل العمود الفقري لجيش الامبراطور. وتمّ تحويل هذا الجيش الآن بلا ريب، إلى جيش عامل على أهبة الاستعداد، كان يؤدي الخدمة فيه، إلى جانب الفرس، على وجه الخصوص، الميديّون وممثلوا القوميات في شرقيّ إيران، وكان يتحمل المسؤولية "جيش الحركة". وإذا اقتضت الضرورة، كمَّلت فصائل من سائر الشعوب التي تم إخضاعها، هذه العصابات التي كانت تشكل النواة "النفير العام للامبراطورية". ثم إن الفرس كانوا يجيِّشون جيوشًا حدودية، وجيوش احتلال متمركزة في القلاع، وفي مقارّ الحاميات، كما كانو يعدّون قوات للاستطلاع. وكان الجيش العامل يُعَبَّر عنه بالكلمة الميدية "سبادا"، وكان يتألف، إلى جانب المقاتلين في العربات الحربية، من فرسان على ظهور الخيل "بالفارسية القديمة: أَسَبارا، وعلى ظهور الجمال "أوشَباري". وكان حملة الرماح "رشتيكا" ورماة السهام "ثانوفانييا"، حيث كان يترتب على كلتا المجموعتين الأخيرتين، كما يُظَن، أن تنقسما بعدُ إلى مشاة "باسِي" وعصابات فرسان. ويرى داريوس الأول في نفسه "أنموذجًا يُحْتذى به"، لجنوده، في نقشه الكتابي الأحدث عهدًا، على قبره: «أما الفروسية فلي فيها القِدْح المُعَلّى، وأما الرماية بالقوس والسهم فأنا الرامي البارع، سواء أكنت راجلاً أم كنت على صهوة جوادي. وأما حمل الرماح فأنا حامل الرماح المُجَلّي، سواءً أكنت راجلاً أم كنت راكبًا».

وفي الموقعة التي دارت رحاها عند كوناكسا عام 401 ق م في مواجهة أخيه قورش الابن، أوعز الامبراطور أردشير الثاني بأن تتخذ قواته نظام الاصطفاف بالصور الموصوفة آنفًا: «وكان قد انتصف النهار، والأعداء "أي: جيش الامبراطور" ما زالوا لا يلوحون للعين. وبعد الظهر، ظهر في السهل، على البعد غبار، مثل سحابة بيضاء، وبعد وقت طويل كان مثل سحابة سوداء، وحين اقتربوا سرعان ما بَرَقت

أيضًا، هنا وهناك، قطع من الحديد، ورؤوس رماح، وتمايزت أوصال جسد القوات. فكان الفرسان في قمصان من الدروع يقفون على الجناح الأيسر للأعداء، كما كان يقال، بقيادة تيسّا فيرنيس، ومن ورائه أولو السلاح الخفيف يحملون التروس ويرتدون الدروع المضفَّرة، ومن ورائهم أولو الأسلحة الثقيلة ومعهم التروس الخشبية التي يبلغ ارتفاعها قامة الرجل. وقيل إن هؤلاء مصريون، ثم الفرسان من جديد ثم الرماة بالأقواس والسهام، وكانوا يزحفون جميعًا، حسب تسلسل القبائل، كل قبيلة من قبائل الشعب لنفسها، في مربَّعات كثيفة، وكانت تتقدمهم عربات تفصل بينها مسافات كبيرة، وكان هذا إذًا ما يسمونه بالعربات المنجلية».

وكان الفرس يُلْزِمون عصابات المرتزقة اليونانية أيضًا، منذ بداية حكمهم، بالخدمة، حيث كان كل جندي، فيما يرويه كزنفون، يحصل على طعام مجاني وسكن (401 ق م)، وعلى دريكة ذهبية واحدة، دخلاً شهريًا. وفي أيام الإسكندر كانت هذه القوات مدمجة بأكملها في جيش الملك، وكان قادتها اليونانيون يرتقون، عن طريق الزواج، وعن طريق قبولهم في محيط "أصدقاء" الملك و"الباعثين لراحته، المواسين له"، إلى طبقة القُوّاد. وينبغي للمرء أن يحاذر من تقويم عملية إلزام المرتزقة بالخدمة بأنها آية على انحطاط القوة الفارسية والفن الحربي الفارسيّ "مثلما فعل ذلك إيسوقراط، الذي يتبع نهجه الكثيرون حتى اليوم". وفي مقابل ذلك تتحدث الحقائق التارخيّة، مثلاً، عن استعادة مصر بُعَيْد حملة الإسكندر، أو ما يسمى "ثورة المرازبة الكبرى"، التي لم يكشف النقاب عنها إلاّ مؤخرًا، على أنها شبح، وكان يُنْظَر إليها حتى ذلك الوقت، من قبل الامبراطور، على أنها تهديد فائق الخطورة". وكانت تعبئة المرتزقة، فوق ذلك، ظاهرة عامة من ظواهر القرن الرابع، وهي تقدم لنا وحدها، المعلومات عن المقدرة على الأداء، والمقدرة القتالية عند اليونانيين ذوي الأسلحة الثقيلة، ودوافعهم للخدمة تحت راية الامبراطور. وقد كانت لهذا أسباب وجيهة، وعلى وجه الخصوص كانت تتوافر له الوسائل الضرورية لخطب وُدِّ المرتزقة، بدلاً من الفلاحين من السكان الذين كانوا يُسْحبون من فلاحة الأرض، وقد كان هؤلاء المرتزقة فوق ذلك يعيَّنون، في المقام الأول في مجال ساحل آسيا الصغرى المطبوع بالطابع اليوناني على أي حال، منذ عهد بعيد. وكان من النادر أن يعيَّنوا بصفة متمركزين، أو حتى على المدى الطويل في قلب الامبراطورية. أمّا أنّ إيسوقراط يجشّم نفسه كل هذه المشقة في الاحتجاج بالافتقار إلى المقدرة القتالية عند الفرس بوجه خاص، فذلك ما لا يجوز أن يثير دهشتنا: وذلك أنه كان يهدف، على وجه الخصوص، إلى أن يشجِّع، عن طريق تأكيد ضعف امبراطورية الفرس، أثينا واسبرطة، وفيما بعد فيليب المقدوني، على الهجوم على بلاد البرابرة. وفي هذه "الإيديولوجية الخاصة بمحاربة

البرابرة من المنتمين إلى الجامعة الهيلينية"، كما سمّوها، لم يكن هناك مجال للإشارات التي يمكنها أن تثبت أن جنده، وحتى مرتزقته، شجعان مخلصون للملك.

ولئن كان يسود في جزء من الشواهد الكلاسيكية ميل إلى التهوين من شأن المقدرة القتالية عند الفرس، فقد كان يسود في جزء آخر منها ذلك الميل إلى الإعلاء من شأنها: إذ يقال إن أكثر من مليونين ونصف المليون من الجند كانوا يشكلون جيش كِسرى، وإن تسعمئة ألف جندي كانوا يشكلوا جيش أردشير الثاني في موقعة كوناكسان، ويقال إن داريوس الثالث خرج إلى القتال بأكثر من مليون محارب. وبأمثال هذه الأعداد المبالَغ فيها يفترض أن انتصارات الإغريق والإسكندر كانت تبدو أكثر تألُّقًا ومفاجأة، كما تكتسب جرأة المرتزقة من الإغريق، من جراء ذلك، في عام 401 بُعدًا جديدًا.

وكان الجيش الفارسي مقسمًا تبعًا للنظام العشري، أي: إلى عشرات، ومئات، وألوف، مع ما يلائم ذلك من الضباط. فكان القسم المؤلف من ألف رجل يعمل بقيادة ضابط يقال له هزاربتيش "قائد الألف". وكان الضباط الأعلى مكانة وأهل القيادة العليا يجري تجنيدهم من طبقة كبار النبلاء، الفرس والميديين، بل كانوا، في جزء منهم، من ذوي قرابة أسرة الامبراطور. وكانوا يقاتلون على رأس عصاباتهم، وكان فريق منهم يفقد حياته في هذه الأثناء. وكان جيش الحاكم يعرف أيضًا عصابات النخبة، التي كان أشهرها تلك العصابة المؤلفة من عشرة آلاف من "الخالدين" (باليونانية athanaoi). وكان يضاف إلى ذلك أقسام كانت أقرب ما تكون إلى أن تسمى "الحرس الشخصي" للملك. ويقدِّم هِردُت هذه العصابات عند خروج كِسرى من ساردايز، قبل مسيره إلى اليونان على النحو التالي: «كان وراءه "أي: كِسرى" . . حَمَلة الرماح، وهم أفضل الفرس وأنبلهم، وعددهم ألف، وكانوا يحملون رماحهم مُشْرَعة إلى الأعلى، كما كان مألوفًا، ثم الفرسان الآخرون، وعددهم ألف، قد اختيروا من أنبل الفرس. وكان يأتي بعد الفرسان عشرة آلاف رجل، قد اختيروا من سائر الفرس "الإيرانيين"، وكان هؤلاء راجلين. وكان لألف منهم، على الرماح، بدلاً من أغماد الرماح، رمّانات من الذهب، وكانوا يحبسون سائرَهم. غير أن الآلاف التسعة الذين كانوا يسيرون في وسطهم، كانوا يحملون رمانات من الفضة، غير أن الرمّانات الذهبية كان يحملها أيضًا أولئك الذين يردّون رماحهم إلى الأرض. وكان يحمل التفاحات أولئك الذين كانوا يسيرون في أثر كِسرى، ملاصقين له . . وكان هؤلاء الآلاف العشرة يُسَمّوْن "الخالدين"، وذلك في الحقيقة لأنهم كانوا لا يكاد الواحد منهم يفارق رهطه، من جراء قوة عليا، أو موت أو مرض، حتى يتم اختيار خلف له، ولم يكونوا قط أكثر من عشرة آلاف، على أنهم كانوا أجدر أن لا يكونوا أقل من ذلك عددًا».

وكان حملة الرماح الذين يبلغ عددهم ألفًا، مع التفاحات على حرابهم، يقفون "حرسًا شخصيًا" بقيادة رجل يقال له "هزاربتيش"، وهو الذي كان، إذا شئنا ذلك، هو من يسمونه شيليارش بامتياز، في الامبراطورية، وكان الضابط الأول في الجيش بأسره، وكان من أهل ثقة الملك المقرَّبين. وحتى حين يؤكد نيبوس أن هذا "وهو هنا: تيثراوستيس" كان ينظم الدخول على الملك، ولا ينبغي لامرئ أن يشبّهه "بكبير الوزراء" أو مَنْ ماثله من أصحاب المناصب الرفيعة إذ لم تكن تُناط به مهمات إدارية. وكان يدخل في عداد عصابة النخبة الذين يقودهم شيليارش أيضًا، داريوس في أيام قمبيز، وكان كل أفراد الحرس الشخصي العائد للملك يُفْتَرَض، كما يروي هِردُت، أنهم سقطوا في معركة بلاتايي.

وفي صدد "الخالدين" الذين يبلغون عشرة آلاف، يفترض معظم الباحثين أنهم يدينون باسمهم لسوء فهم للإغريق: إذ يقال إن هؤلاء خلطوا بين اسمهم الحقيقي "بالفارسية القديمة: أنوشيبا، بمعنى: "الحاشية" والكلمة الفارسية القديمة: أناوْشا "الخالدون"، وما من شك في أن هذه الأطروحة تعرَّضت للنقد. أما أتباع عصابات النخبة فقد كانوا أيضًا، أولئك الذين نسخت صورهم في سُوْسَ "على النقش البارز في الآجر"، وفي بِرسِبولِس "على النقش البارز في الجانب الشرقي من أباندانا"، وهم يرتدون ثوبًا طويلاً له ثنيات، ونعالاً فارسية، وكذلك نطاقًا من حبل يلتوي حول حلاقة شعرهم. ويضع جند الحرس الشخصي النهاية الكروية من رماحهم فوق القدم المتقدمة وقد تنكبّوا، في سُوْسَ أقواسهم وكناناتهم.

«إنهم جنود وقادة آمرون تتراوح أعمارهم بين العشرين والخمسين، منهم الراجلون ومنهم الراكبون ظهور الخيل، وهم مسلَّحون بترس من قضبان الصفصاف على شكلٍ مُعَيَّن، ويحملون إلى جانب الكنانات السيوف والخناجر، ويعتمرون قبعات على شكل البرج، ودروع صدورهم مصنوعة من رقاع من الحديد، وتتألف ملابس القادة من سروايل ذات ثلاث ثنيات، وثوب خارجي مزدوج له أكمام يصل إلى الركبتين، ومع هذا يكون الثوب الداخلي أبيض، والثوب الخارجي ملوَّنًا. وفي الصيف يرتدون عباءة أرجوانية أو ملوَّنة، وفي الشتاء وحده يرتدون عباءة ذات ألوان مختلفة، وأغطية رؤوسهم تشبه غطاء رأس واحدة من السحرة، وكانوا ينتعلون، فوق ذلك أحذية عميقة مزدوجة. ومعظم الناس يرتدون ثوبًا خارجيًا مزدوجًا يصل إلى منتصف الفخذ، مع قطعة من قماش الكتان حول الرأس، ومع كلٍّ منهم قوسه ومقلاعه».

على أننا نصادف بعض أجزاء الأزياء والأسلحة الموصوفة هنا، أيضًا في النقوش البارزة الفارسية، وفي روايات الكتاب الإغريق حول الأحداث القتالية، إذ تفيد هذه أن جندي المشاة كان يحمل سيفًا قصيرًا "أكيناكيس" له قبضة خشبية

ذات رأس معدنيّ وجعبة ملأى بالسهام ذوات الرؤوس البرونزية أو الحديدية، في قوس له نهايتان تتشكلان في صورة رأس حيوان كان يحفظ، مع السهام في صندوق "غوريتوس". أمّا التروس المتَّخذة من قضبان الصفصاف المضفورة فكانت إما صغيرة، على الأغلب وبيضاوية، وإما كبيرة مربعة، وكانت تُتَّخذ غطاءً للرأس قلنسوةٌ من اللبّاد، وكانت الخوذات هي الاستثناء. وكانت عصابات النخبة ترتدي إمّا الزيَّ العيلامي- الفارسي، مع الثوب الطويل ذي الثنيات وإمّا زي الفرسان الميديّن مع السراويل، وكان الثوب الخارجي والنطاق والتدرُّع بالرقاع الحديدية في مجال الصدر، ثابتًا على النحو ذاته.

أما سلاح الفرسان الإخميّ فوصفه كزنفون على النحو التالي: «ووثب قورش "الابن" من العربة، ولبس درعه، وامتطى صهوة جواده، وتناول الحربتين وأمر الجند جميعًا بأن يتسلّحوا التسلّح الكامل، وأن يتقدموا أنساقًا وأرتالاً منتظمة. هنالك اصطفوا بسرعة كبيرة، وكان قورش وفرسانه حوالي ستمئة، وكلهم متدرِّعٌ بدروع الصدر والفخذين، وهم مجهّزوهن بالخوذات . . وكانت الخيل ترتدي، إلى جانب قورش كل واقيات الجبين والصدر، وكان الفرسان يحملون بعد ذلك، السيف اليوناني القصير».

وفي وسع المرء أن يضع إلى جانب هذه الشهادة وثيقة قانونية بابلية تقدم معلومات حول التزام الفارس المدرَّع بالتسلّح الذاتيّ: فقد كان عليه أن يقدم جوادًا له أحزمة وعنان، وفوق ذلك خوذةً ودرعًا حديدية، وترسًا من البرونز ومئة وعشرين سهمًا، وهراوة من الحديد وحربتين من الحديد، وكذلك مقدار مئة مَنٍّ من الفضة، يكون نفقة طعام. وفي صورة تعويض مقابل هذا الالتزام، كان يُمْنَح، مع جند من أجزاء أخرى من القوات، قطعة من الأرض "تكون نوعًا من "الإقطاع".

أما راكبو الجمال وعربات القتال والعربات المنجلية، فقد سبق الحديث عنهم، وكان هؤلاء، يعرضون الفِيَلة، مثل أولئك الذين يكونون عند غاوْغاميلا، وكانوا يأتون في مناسبات خصوصية، أو في مواجهة خصوم خصوصيين، للانضمام إلى القوات. وكانت للفُرْس أيضًا شارات ميدانية، ثبت منها الشارة الميدانية الخاصة بالملك، وفيها شارة التتويج بفعل نسر قد بسط جناحيه فوق لوح يشبه الترس، عن طريق كزنفون "وعن طريق موزاييك الإسكندر؟".

وكانت الحاميات الامبراطورية تغطي أرجاء الامبراطورية، مقسَّمة إلى هذه الموجودة في المدن، "أكرا" وتلك الموجودة في الريف "شورا". وكان الإنفاق على طعامها يكفله المرازبة، من الموارد المحلية، وكانوا يميِّزون قادتها بعلاقة خصوصية بالملك، وكانت مهمة الحاميات حماية البلاد، والتجهيز السريع للعصابات في أوقات

الأزمات.

وفي أيام داريوس وخلفائه كان للفرس أسطول حربي يحافظون على جاهزيته على الدوام، وكان متمركزًا في قيليقيا على وجه الخصوص.

وقد اطلع الباحثون الاطلاع الحسن حقًا حتى على التكتيك الحربي الفارسيّ: كان القوم يقودون معهم مجموعة من عربات التموين والإمداد، ويتموَّنون من المخازن القائمة على طرق السفر في الامبراطورية وكانوا يسيرون ويقاتلون في النهار على سبيل الحصر تقريبًا، وكانوا يبدأون حملاتهم العسكرية في الربيع. وكانوا يعبرون الأنهار بالاستعانة بالجسور والأخشاب الطافية على وجه الماء، أو بالقِرب المنفوخة المتَّخذة من جلود الحيوانات. وكان المألوف أن يبدأ القوم القتال بالإيعاز بتفريغ حمولتهم القاتلة، من السهام، وبالمقاليع التي تقذف بالحجارة وقطع الرصاص، ليرموا على أثر ذلك، الخصم المرتبك من خلال تعبئة ذوي التسليح الثقيل، والفرسان من الجانبين. على أن هذه الحيلة التكتيكية لم تكن تنطلي على الجيوش اليونانية ذوات التسليح الثقيل، وذلك، على وجه الخصوص لأن الهيلينيين كانوا، بدروعهم وتروسهن، أقوياء في الموقف الدفاعي. وكانوا، في حالة أسلحة القتال القريب، متفوقين تفوُّقًا واضحًا، وكان التقدم الفارسي يتوقف إلى حد بعيد، على سلوك القائد الأعلى وتوجيهاته. وكان من الأمور الحاسمة إلى حد بالغ، تلك الهجمات على جسد قورش الابن وحياته، في موقعة كوناكسا، وفرار داريوس الثالث عند إسّوس، ومثلهما غاوْغاميلا، اللواتي كُنَّ حتى الآن، المعارك المفتوحة على وجه الإطلاق.

2/ 4/ 6] أهورمزدا والآلهة الأخرى: الأحوال الدينية في امبراطورية الإخمينيين

لاشك في أنه ما من موضوع يناقش في إطار الأبحاث، حتى اليوم، مناقشة تثير الجدل بالقدر الذي يثيره التساؤل عن القناعات الدينية عند الحكام الإخمينيين "ورعاياهم الإيرانيين". وحين نتناول هذه المشكلة هنا، عند ذلك ينبغي أن تظل خارج نطاق البحث، من ناحية أولى، السياسة الدينية التي كان يمارسها الملوك الذي سبق الحديث عنهم، ثم ينبغي، من ناحية ثانية، تجنُّب الانطباع الذي يفيد أن من الممكن البَتُّ في هذه المسألة هنا، والآن، بتًا نهائيًا. على أنَّ ما يلفت النظر، لدى الوهلة الأولى أنَّ كل شيء في المناقشة كثيرًا ما يُفضي سريعًا إلى مسألة هل كان الإخمينيون الآن زردشتيين، أي من أتباع تعاليم زردشت في صورتهم الأصلية، أم في صورتهم التي تبدَّلت على مَرّ الزمن، أم لم يكونوا كذلك؟. وفي مقابل ذلك يتراجع السؤال عن ماهية القيمة التي يتمتع بها الدين والعبادة في سياق معيَّن، للملوك،

أيْ: عن الوظيفة السياسية للدين، تراجعًا واضحًا. أمّا ماهية المشكلات التي يترتّب على المرء أن يتطرَّق إليها، فربما كان أقرب الطرق إلى إيضاح هذا تلك التساؤلات التي قد يترتّب على المرء في الحقيقة أن يطرحها قبل البتِّ في المسألة الرئيس ذات الصلة بالموضوع هنا، وهي التساؤلات عن "معتقد" الإخمينيين: مَنْ كان زردشت؟، ومتى عاش؟، وأين؟ وما مضمون أناشيده "الغاثاس"؟، وإلى من تتوجَّه؟ وفي أي صورة يترتب على المرء أن يتصوَّر الزردشتية في عصر الإخمينيين؟. على أن هذه الأسئلة لا توجد الآن إجابات عنها أكيدة مضمونة: وذلك أن تاريخ ظهور زردشت وموطنه يُعَدّان موضع نزاع بدرجة لا تقل عن درجة النزاع في صدد مضمون "رسالته" وهدفها، أو في صدد علاقة النصوص الباقية من أيام زردشت بالنصوص العائدة إلى حقب لاحقة "من حيث الزمن والمضمون".

أما الشاهد الرئيس لزردشت وتصوُّراته ولأفكار أولئك الذين يتخذونه مرجعًا لهم فهو ‹الأفيستا›، أي: الكتاب المقدس عند الزردشتيين. ويجب أن يضاف إلى هذه المجموعة من النصوص باللغة الأفستيّة، أيضًا، ترجمتها وتفسيرها "الزند" بالفارسية الوسيطة (كتاب البهلوية). وفي هذه الحالة يتخذ موضوع اهتمام البحث بهذه النصوص الوجهة اللغوية الفيلولوجية "أي: اللغة الأفستية" من حيث كونها اللغة الإيرانية القديمة إلى جانب الفارسية القديمة، والتاريخ الديني، أي: عالم أفكار زردشت والزردشتيين. ثم إن تركيب النصوص ورَصْفَ بعضِها إلى بعض يدين بالفضل إلى التعاون بين "الكهنة" الزردشتيين وأولي السلطان في الدولة، ولاسيما الساسانيين. ولا ريب في أنه لم يصل إلينا من الحجم الأصلي للمدوَّنة عن طريق توسط الطوائف الزردشتية في إيران والهند "البارسيين" إلاّ جزء منها، على أن أقدم المخطوطات لا يرجع، بصورة مطلقة، إلاّ إلى نهاية القرن الثالث عشر من تاريخنا الميلادي. والنصوص المكتوبة بالفارسية الوسيطة تعرض تاريخ "الكتب المقدسة" على النحو التالي: تم تسليم الكتب البالغ عددها واحدًا وعشرين "ويسمى كلٌّ منها (نسك/ nask) من الأفيستا، التي وضعها أهورامزدا، من قِبَل زردشت، إلى الملك فيشتاسبا، وأوعز هذا، إلى دارا دارايان، بإعداد نسختين من كلٍّ منهما وتم حفظ النسخ في أمكنة مختلفة. وبعد إبادة الأفستا، وبالتالي بعثرتها "والاستفادة" من الأفيستا على يد الإسكندر، تولّى الحكام الإيرانيون اللاحقون، وملك الفرتيين فالاكس، وملك الساسانيين أردشير الأول وشابور الأول، وشابور الثاني وكسرى الأول، التجميع الجديد، والتكميل وإعادة الإنشاء والترجمة لـ"الكتب المقدسة". واليوم بات من المعروف، من ناحية أولى، أن النصوص نشأت في عصور متباينة؛ فمنها الأفستية القديمة "الغاثاس" التي نُسِبَت إلى زردشت ذاته، ومنها الياسنا هابتانغهايتي، الأدعية الأربعة الكبرى من "الياسنا 27" التي نشأت قبل بعض

الوقت "قبل قرون؟" من الأفستية الحديثة. ومن ناحية ثانية يفترض على وجه العموم أن النقل المبكِر لهذه الرواية كان يسير بطريق المشافهة، حيث كانت درجة التبليغ المتواصل جيلاً بعد جيل، بدقة حرفية، أمينة على الأصل، للنصوص الأصلية، تلقى التقدير البالغ وتُنْسب إلى مدارس الكهنة ومذاهبهم. ولذلك يعدّ التدوين الخطي للأفيستا في الحقبة الإخمينية مستبعدًا وخارجًا عن نطاق الاعتبار بدرجة مماثلة تمامًا للنظرة التي يُنْظَر بها إلى إتلاف النصوص وبعثرتها على أيدي المقدونيين. وما من شك في أن من الجائز أن يكون حدث في هذه الحقبة، مع ذلك، انقطاع في سلسلة نقل الأجيال بعضها عن بعض بطريق التوارث "من جراء موت الكهنة، من حيث كونهم "كتبًا حية"؟ ومن جراء انقسام الأتباع إلى "مدارس" مختلفة. والحق أنه لايمكن استبعاد وجود أفيستا مثبّتة خطيًا، أرساكيدية "فرتية"، كل الاستبعاد، غير أنها لو وجدت لظلت من دون معنى من الوجهة الفيلولوجيّة. على أن الفولغاتا (أي: الترجمة اللاتينية "للكتاب المقدس") الأفِسْتية ربما كانت تدين بالفضل في وجودها، بدرجة أكبر كثيرًا، لتقديس للنص وتدوينٍ له في العصر الساساني، "وذلك، بلا ريب، في القرن الرابع"، حيث تمَّ، من أجل هذا الغرض، على وجه الخصوص، وضع أبجدية تعد، في هيئتها الشكلية وثيقة الصلة بالفارسية الوسيطة، كما تُعَدُّ، من حيث الأنماط قريبة من اليونانية. على أن غزو المسلمين إيران أحدث تشرُّدًا في الطوائف، وإضعافًا للتوارث الدينيّ، وألحق الضرر بممارسته على صعيد العبادة والطقوس الدينية، الأمر الذي عاناه أيضًا ذلك التبليغ المتواصل من جيل إلى جيل، للأفيستا. واليوم يعرف الباحثون أن كل مخطوطاتنا تعود إلى مخطوطة أساس من القرنين، التاسع والعاشر للميلاد.

أما الأفيستا التي وصلت إلينا فقد عرفنا عليها المستشرق الفرنسي أ هـ أنكيتيل-دوبرون (A. H. Anquetil-Duperron) في القرن الثامن عشر، في أوربة، وهي تُتَخَّذ حتى اليوم "كتابًا مقدَّسًا" عند الزردشتيين. ولا تمثل مجموعة متجانسة، بل تتوزَّع في كتب، وفي صيغ وقوالب من دون سياق ثابت يربط بينها، وما من شك في أنها تنطوي على توجيه واضح نحو الاستعمال في مجال الطقوس الدينية. وهذه الأجزاء يحمل كلٌ منها على حدة، التسميات التالية: 1) "الياسْنا " (القربان)، وهو رصف لنصوص خاصة بالطقوس، يقع في 72 فصلاً. يلفت النظر منها الأغاثاس والياسنا هابتانغ هاييتي ("ياسْنا الفصول السبعة") من حيث كونها أقدم الأجزاء. 2) الفيسبراد "فيسبيريد" ("دعاء لكل الحُماة")، وهو مجموعة من الاستدراكات على الياسنا، مع نداءات لها صيغها وقوالبها تعد ذات أهمية في أعياد الفصول. 3) الإكسوردا أفيستا (الأفيستا الصغرى) وهي خلاصة من السِّفر بأكمله من أجل استعمال العامة، ومن أجل صيغ الدعاء وقوالبه، للمناسبات المختلفة. 4) سيرو

10 "الأيام الثلاثون" مع إحصاء عدد الآلهة اللواتي يحمين أيام الشهر. 5) الياشْتس، ويتضمن 21 نشيدًا إلى الآلهة الرئيسة، وبينها تلك التي تحفظ، إلى جانب الغاثاس، معظم المعلومات عن بدايات الزردشتية وتطوُّرها، 6) الفيديفداد "القانون المضاد للدايفاس"، ويقع في 21 فصلاً، يشرح منها الفصلان الأوَّلان نشوء الكتاب، على حين يتألف سائر الفصول من التعليمات الخاصة بالتطهُّر والتكفير والكفارات، باستثناء الفصل التاسع عشر الذي يتحدث عن تعرُّض زردشت للمحنة والابتلاء. 7) شذرات.

ولا يمكن تحديد نشوء النصوص الأَفِستيّة، لا من الوجهة الزمنية، ولا من الوجهة الجغرافية على وجه الدقة. إلاّ أن اللهجة المحلية للبيرسيس "فارِس" تخرج عن النطاق المألوف من هذه الوجهة، ولذلك فليس مما يبعث على العجب أن يحدّد المرء موطنها، سواء في الشمال الغربي أم في الشمال الشرقي، وسواء في منطقة مشهد، بخوارزم، أم في بكتريا، مارجياني، ولكن يمكن تحديد الموطن أيضًا في سيستان. أما في مسألة التأريخ فتميل أغلبية واضحة من الباحثين اليوم إلى الفهم الذي يفيد أن الغاثاس نشأت حوالي عام 1000 ق م، حيث تمَّ تحديد فترة حياة المبشِّر بها، زردشت، على حين يكمن تاريخ أهم نصوص القسم الأحدث من الأفِسْتا ببضعة قرون بعد ذلك التاريخ، كما يفعل ذلك كثيرون في الحقبة الإخمينيّة. وفي مقابل ذلك يُعَدُّ الاجماع في حكم المفقود في صدد كل المسائل الأخرى، وهنذا ينطبق على الفهم المرتبط بالنص واللغة، للغاثاس، وعلى الأجزاء الأخرى من الأفِسْتا، كما ينطبق أيضًا على تأويلها، وعلى "مكانتها في الحياة"، وكذلك على شخص مؤسس هذه "الديانة". بل تختلف النظريات حتى حول الطريق الذي اتخذته هذه الرسالة داخل إيران؛ ومِنْ ذلك أن بعض الباحثين يعتقدون أن من الممكن أن تكون المسألة انتهت إلى نوع من الانشقاق بين "مدرستين" في الغرب "القيادة التعليمية" للكهنة، من السَّحَرة، في ميديا"، وفي الشرق "بمركز هام في أراخوسيا"، حيث نشأ، في أراخوسيا/ سيستان قسم كبير من الأفيستا الأحدث عهدًا، ووصل "في أيام داريوس الأول" إلى فارس. ويقال إن التقاليد الأراخوسية والميدية امتزجت هناك. وما من شك في أن اللغة الشرقية اتخذت صفة لغة الكنيسة المعتمدة. وثمة آخرون يفترضون أن العقيدة الزردشتية جاء بها الميديون والفرس إلى الغرب في صورة كانت قد أصبحت متغيرة ومختلفة عن تصُورات زردشت في مستهل الألف الأول. وتمَّ إدخال مزيد من التعديلات عليها فيما بعد، بتأثير الحضارات المتقدمة في بلاد مابين النهرين، وبتأثير حاجات حكم الإخمينيين المستقر الموطّد الأركان. وهناك، مرة أخرى، أناس يتكهنون بأن زردشتية الشرق استطاعت أن ترسِّخ أقدامها في العقود الأخيرة من حكم الميديين، الذي كان يشتمل على شرقي

إيران، في الغرب أيضًا "بمساعدة "مبشرين" وعن طريق وساطة "أبناء الأمراء في بلاط الميديين". ويقال إنه ينبغي النظر إلى الإخمينيين على أنهم كانوا منذ البداية زردشتيين مؤمنين. وسواء بالنسبة لممثلي التأريخ المتأخر لزردشت، أي: بإدخاله فيما بين القرنين السادس والسابع قبل الميلاد، والذين يتبعون تقليدًا ساسانيًا، والذين يعطون لزردشت تاريخًا يسبق الإسكندر بمئتين وثمانية وخمسين عامًا، أم بالنسبة للتأريخ المبكر لمؤسس الديانة وكتابه الغاثاس، فإن تقدير قرب الملوك من رسالة زردشت "أو خلفائه" يُعَدُّ مشكلة مركزية. وما من شك في أن هذه المشكلة تُحَلُّ بطرق متباينة إلى أقصى الحدود: فإذا عَدَّ فريق من الباحثين كل الملوك أتباعًا حقيقيين لهذه التعاليم، قَصَر آخرون هذا، من جديد، على الحكام منذ أيام داريوس فصاعدًا، ورأى آخرون أن ذلك أحرى أن يعود إلى المغتصب غاوْماتا الذي أسقطه داريوس. وفي هذه الأثناء توضع وراء الملوك، في تنميتهم للزردشتية، على الأغلب، دوافع سياسية عملية، أكثر منها دينية.

وإذا أراد الباحث أن يثبت وجود ارتباط بين القالب الديني عند الإخمينيين والقالب الزردشتي، وبالتالي، أن يدحض وجود هذا الارتباط، كان من المهم قبل ذلك أن يكشف عن بعض الخصائص الرئيسة في الزردشتية، في تطوُّرها. وذلك أن الغاثاس من حيث كونها أناشيد زردشت تُلَقِّن نظامًا دينيًا يتحدَّد من خلال عمل إله واحد، هو أهورامزدا، الرب "الحكيم"، وبالتالي، النبيه اليَقِظ. ويقف إلى جانبه "في نظام أدنى"، في صورة تصوُّرات مشخَّصة، عدد غير محدود من الأهورامَزْدا[تِ]، بصفة مساعدين إلهيين؛ ويشار إلى هؤلاء، جزئيًا، بأنهم أبناؤه وبناته. وبين هؤلاء يتبوّأ آسا، أي: الحقيقة، مكانة خاصة. أما في الأفيستا الأحدث عهدًا فقد تبدَّلت الصورة إلى حدّ أن أهورامزدا الآن، هو ومعه ستة من الـ"الذوات" أو "الجواهر"، وهم الأميشاسبينتاز (الخالدون الباعثون للراحة والسكينة)، ويشار إليهم في البحث أحيانًا بأنهم "أشكال مجازية" أو بأنهم "كبار الملائكة". وهذه المجموعة يشار إليها بأنها، على النقيض من الغاثاس، استكملت تكوينها في هذه الأثناء، وأن لها علاقة بنظام التقويم من حيث كونها الأرواح الحارسة للأيام السبعة الأولى من الأسبوع الأول من كل شهر.

على أن صلة القربى اللغوية بين الغاثاس والرِغفِيدا الهندية، التي تمثل حجة رئيسة لتأريخ الأناشيد بمنعطف الألفية، تُوَجِّه الباحثين نحو عقد المقارنة في جانب المضمون الديني أيضًا: هنالك يتبيَّن الآن أنه يوجد في الرغفيدا مجموعة من الآلهة الأصليين، يقال لهم: أشوراس، كانت تلحق بهم، على نحو مطّرد الزيادة، سِمات سلبية، ويتردَّوْن إلى دَرْك الشياطين الذي يخوضون نزاعًا وجدلاً مع "الديفات" الطيبين. أمّا في إيران، أي: في الغاثاس، فإن المرء يلاحظ تطوُّرًا معكوسًا: فهنا

تظل الأهورات جواهر إلهية، بينما تتحوَّل الديفات إلى شياطين، وهذه الطبقة من الآلهة القديمة لايعود يُنْظَر إليها على أنها جديرة بالتبجيل أو العبادة، ويتم إبعادها عن البانثيون. أما ما يتعلق بمجال العبادة أو الممارسات الطقسية فإن بعض الأمور يؤيّد أن زردشت يضع في الاعتبار تقديم قرابين مذبوحة من الحيوانات "أو يجعل بعض شكلّياتها موضع الشك"، ويحرِّم الاستمتاع الطقسي بشراب مسكر، هو الهاوْما "في شكل قوي على وجه الخصوص، وغير ممزوج؟".

وفي الأفيستا الأحدث تظهر "بعد بضعة قرون؟" تعاليم زردشت، إلى جانب إضفاء الصفة المنهجية على "الطبيعة" الإلهية، وهي متغيرة إلى حد أنها تواصل لعن الديفات في الحقيقة، إلاّ أنها سمحت لجزء من البانثيون الهندوإيراني، مع ذلك بالعودة إلى محيط الآلهة ذوات التمييز بالسِمة الإيجابية. وكان بين هؤلاء من احتفظ باسمه، مثل ميثرا، الإله الهندوإيراني للتعاهد وفايو. وثمة آخرون، مثل فيريثرانيا ولأناهيتا، وهم الآن معروفون بالاسم الذي كان فيما سلف يمثل صفتهم المفضَّلة. وأما متى، وكيف، ولماذا حدث هذا التطور، فذلك ما لا سبيل إلى استجلائه. وإذا كان بانتؤون الأفيستا الأحدث عهدًا، الآن، يترتب تمييزه بأنه متعدد الآلهة بوضوح، وذلك بالطبع مع وجود أهورامزدا المهيمن، فإن التمييز المفعم بالمعاني، للمزدكية الأصلية، أصعب بمدى بعيد للغاية: "وذلك أن أهورامزدا يوجد الآن مقرونًا ببعض الآلهة التي مازالت لا تتصف بصفة اللألوهية بالفعل، والأخرى اللواتي ما عُدْن آلهة "ديفات"، ولكنهن يتبوَّأن، كلهن مكانهن في المحيط الديني "ليكلينز". فهل نواجه الآن ديانة وثنية متعددة الآلهة، متغيِّرة لا يقرُّ لها قرار، أم نواجه ديانة توحيد "متغيرة لايقر لها قرار"؟.

وما زال هناك بعض الكلام الذي يقال في الأخلاقيات والأخرويات في المذهب الزردشيّ / المزدكي: ففي الفيديفداد، وهو من الأعمال المتأخرة في التقليد الخاص بالأفيستا الأحدث التي يمكن أن يرجع تأسيسها إلى الحقبة الإخمينية، تظهر الزردشتية مطبوعة بالطابع الثنويّ بوضوح. فثمة إله للخير، يرتبط بالنور، هو أهورامزدا، وإله للشر يؤتى به مرتبطًا بالظلمة، وهو أنغرا ماينيو، يديران العالم بصفته كلاً، وهو عالم خلقاه بنفسَيْهما، ولكلٍّ منهما مجال تأثيره فيه. وكان كلاهما قد قاتل منذ البداية من أجل السيطرة والسيادة. والإنسان مطالب بالانحياز إلى طرف معين في هذا النزاع ينتهي معه بالحسم النهائي لصالح الخير، وبلوتارخ أيضًا يعرف هذه الثنويّة: «ويتخذ بعضهم، أي: الحكماء، إلهين يكونان على الدوام في نزاع، ويجعلون من أحدهما خالقًا للخير، والآخر خالقًا للشر، وآخرون يسمون الكائن الأفضل الرب، ويسمون خصمه، أو منافسه: الشيطان، وهذا ما يفعله، مثلاً، زردشت، الكاهن، الذي يقال إنه عاش قبل حرب طروادة بخمسة آلاف عام.

وهذا يسمّي أحد الجوهرين هورومازِس، والآخر آرايْمانيوس، وكان يُعَلِّم في الوقت ذاته أن ذاك . . يشبه النور، وهذا يشبه الظلمة والجهل. ولكن ميثراس يقف بين كليهما في الوسط».

ثم ينتهي بلوتارخ إلى الحديث عن التصوُّرات الأسطورية عند الفرس، وهي التي تفيد ما يلي: «كان هورامازيز قد ولد من أكثر الأنوار نقاءًا، ولكن أريامانيوس ولد من الظلمة، وكان كلاهما في صراع بينهما. فخلق الأول ستة من الآلهة . . وخلق أرايْمانيوس العدد ذاته من آلهة كانت تشكل، في كل شيء نقيض الأولى. وعلى أثر ذلك زاد هورومازِس في حجم ذاته ثلاث مرات، ونأى عن الشمس حيث بات بعدُه عنها معادلاً لبعد الشمس عن الأرض، وزيَّن السماء بالنجوم، وكان أحدها سيريوس، الذي جعله حارسًا وناظرًا على كل شيء، ثم خلق، من جديد أربعة وعشرين إلهًا وجعلهم في بَيْضة أَوْصَدَها عليهم. ولكن الذين أنجبهم أرايْمانيوس، والذين كانوا يماثلون هؤلاء، عددًا، ثقبوا البيضة . . ولذلك يتحرَّك مزيج الخير مع الشر. ولا شك في أن ثمة عصرًا سيأتي يهلك فيه أرايْمانيوس بفعل الطاعون الذي نشره هو بنفسه، وبفعل المجاعة ويبيد ويتولاه الهلاك الكامل. هنالك تغدو الأرض منبسطة أيضًا ومستوية، وكل الناس لن يكونوا إلاّ سعداء الآن، بصرف النظر عن طراز معيشتهم، وشكل حكومتهم، ولغتهم».

ثم إن الاختيار بين الخير والشر "للكائنات الروحانية وللفانين"، مؤسَّس حتى في الغاثاز، أمّا أن يكون التقابل بين أهورامزدا وأنغرامانيو كان يستبق نظرية الإلهين "سبينتا ماينيو" الطيب، والرح الشرير "أنغرا ماينيو" دون مستوى أهورامزدا، فذلك ما يُعَد موضع نزاع شديد في مجل البحث.

فلنعد إلى المسألة التي انطلقنا منها، وهي: هل ثمة إشارات إلى شكل من أشكال دين زردشتيّ عند الإخمينيين؟، وبذلك يتضح أنه بالنسبة لارتباطٍ مُصادَر كهذا، إذا وجد على الإطلاق، فلا يمكن أن يرد في الحُسبان سِوى قالب العقيدة الوارد في الأفيستا الأحدث عهدًا: ثم إن النقاط التي هي موضع النزاع هي التالي: عندما يتحدث داريوس في نقوشه الكتابية عن أهورامزدا على أنه "أعظم الآلهة طُرًا" "هايا ماثيستا باغانام"، وعندما يذكره مقرونًا بكل الآلهة "هادا فيزايبيش باغيبيش" الذين لهم وجود "أوتا أنيياها باغاهاتا تيين هاتييْ" عند ذلك لا يكون دينه هذا، بلا ريب، دينًا يمكن أن يُعَدَّ قائمًا على التوحيد. وهل تُعَدُّ "مزدكيَّته"، وأهورامزدا يلقى التوكيد الواضح عنده أيضًا، الآن مزدكية التصور الإيراني القديم للآلهة أم هي ذات صلة بالمزدكية الواردة في الأفيستا الأحدث عهدًا؟. وعندما يتحدث داريوس عن "الباغا" الأخرى ولكن الأفيستا تتحدث عن كائنات، أو جواهر إلهية جديرة بالتبجيل، على أنها "اليازاتاس"، يتجلى في ذلك الاختلاف بين كلا التصوُّرين، أو

تصف أشكال الباغا في النقوش الكتابية الملكية بأنهم كائنات إلهية من دون مزيد من التحديد النوعيّ، بينما تذكر اليازاتا على أنها عضو في مجموعة من الآلهة يترتب إدراكه بطريقة أقرب كثيرا؟. وهل يُعَدُّ المثل الأعلى في التربية الذي يشهد عليه هِردُت، عند الفرس، وهو "قول الحقيقة" (أليثيزيستهايْ) ومقابله "الكذب" (drauga)، مُمْكِنٌ المقارنة بالنقيض "أشافند دروغفانت" في الأفيستا؟. وهل تعدُ الدايفا، في النقش الكتابي العائد لكِسرى، والتي يكافحها ذلك الملك، مما تترتَّب رؤيته قبل خلفية النبذ الزردشتي للديفاس والاستغناء عنها؟. وهل يتناقض دفن الملوك في المنزل "قورش" أو في الحفر الصخرية "داريوس وخلفاؤه"، تناقضًا واضحًا مع الوصية التي تشهد عليها الفيديفداد، وهي تعريض الجثمان للشمس "كما يُروى ذلك عن هِردُت بالنسبة للكهنة"، أم هل تنعكس في ذلك مرحلة من التطور في الزردشتية تتميز في نظام الدفن أيضًا من خلال التعدد "مع وضع خصوصي للملوك؟".

وربما بات من الواضح ماهية الأرض الصعبة التي يتحرَّك المرء عليها عند ما يطرح السؤال عن المعتقد الديني للملوك الإخمينيين. وعلى كل حال يجوز للمرء أن يتمسَّك بأن داريوس استطاع، بتفضيله لأهورامزدا، من ناحية أولى، أن يتابع أمرًا معروفًا، وأن يَعِدَ نفسه ويُمَنّيها، من ناحية أخرى، بمساندة هامة تتهيّأ له من الاعتقاد بهذا الرب "وبسويغ" لادعائه الحق في السلطان. أمّا أنه كان مرتبطًا بهذا الرب "وبالعقيدة الزردشتية، بأي صورة من صورها" ليصل حبل ما انقطع بسبب مجرد اعتبارات سياسية انتهازية أنه كان يشعر، في قرارة نفسه بأنه قريب منه، فتلك مسألة لا يكاد يكون من الممكن الإجابة عنها. ومع ذلك فعلى النقيض من الرعية الزاردشتية، التي تعد "الحقيقة" و"الكذب" عندها فقط نقاط استدلال ذات تعلق أخلاقي، يحاولون أن يوجِّهوا حياتهم تبعًا لها، يتجلى بالنسبة للملك، في صورة الكذب "درافغا" كل ما يتوجه خلافًا لمشيئة الرب يعلن تسويغ حكمه الخاص بالاستناد إلى الأسرة الحاكمة. وبموجب ذلك يتسم بهذا كل شكل من أشكال التمرُّد أو الاغتصاب. وما يسمونه "رتا" هو، بموجب ذلك ما يعلن الملك أنه كذلك، ويُعَد عند اتباعه في المضمار السياسيّ فضيلة من فضائل الرعية.

«5 الإرتِبة (=15 بار) من الشعير، كان يحصل عليها الأُمبابة، أي: الكاهن "الشاطين": 1 إرتبة لقاء التضحية باللان، 1 من أجل "الرب" درفا (زرفان؟)، 1 للرب رهفا ريرا، 1 للأرض 1».

وفي صدد الممارسة الدينية في فارس نريد، مرة أخرى، أن نستشير الألواح الصغيرة الواردة من بِرسِبولِس، فهي تثبت أن الملوك كان يسمحون للرعية بتبجيل عدد كبير من الآلهة كما سبق أن أكّدنا ذلك في موضع آخر، بالنسبة لقورش

وكِسرى "بل كانوا يساندونهم في ذلك". فهم يظهرون في مناطق تَحُفُّ بها تماثيل الآلهة الإيرانية في تلاحم كثيف"، ومنها فيزيي باغاودرفا* "زرفان؟" وهفاريرا* ونارياسانغا* وردانا فرافارتيس*"؟" وسبانتارا غرديا*، وميزدوشيش وبرتاكاميا، ولكن كان يدخل في هذا أيضًا الأنهار بصفتها مستقبلات للقرابين. وبينما كانت العبادة في المنطقة العيلامية تكاد تكون مقصورة على آلهة العيلاميين حصرًا، ومنها، مثلاً: هُمبان أو نابيريشا، والإله البابلي أداد. وبالنسبة لأهورامزدا توجد "حتى الآن" عشرة دلائل فحسب. ومع ذلك يعتقد القوم أن من حقهم أن يَروْا في القربان المسمى "لان" عبادة القربان الرسمية من أجل هذا الرب، ومن أجل هذا القربان لا تستعمل الحصص التموينية الواردة من الملك فحسب، بل تكون هذه هي القربان الوحيد الواسع الانتشار، والذي يتلقى مخصصات منتظمة مطّردة.

أما الكهنة فإن مما يلفت النظر في صددهم أنه كانت هناك فئة منهم هي"الأترافاكشا"، كانت مختصة بالقربان المقدَّم إلى "لان". وحتى الكهنة كانوا يتمتعون، جزئيًا، بالحق في تقديم التضحية، غير أنهم يتمتعون أيضًا، في إطار عبادة الآلهة الإيرانية الأخرى، بهذا الحق. وكان الكهنة الذين يحملون التسمية العيلامية "الشاطين" يتميزون بالمرتبة الأولى في ممارسة عبادة الآلهة الأجنبية، غير أنهم كانوا يستطيعون أيضًا أن يقدِّموا القرابين للآلهة الإيرانية. ونحن نعرف عن الكهنة، بالاستناد إلى الشواهد الأكثر تباينًا، أنهم كان يُلْقى على عاتقهم، إلى جانب المهمات الدينية مهمات تربوية، وإدارية ومهمات أخرى أيضًا، ويضاف إلى ذلك أنهم كانوا يمارسون دورًا في تتويج الملك ودفنه، وكذلك في تأويل الأحلام، كما كان يفترض تصورهم يلعبون دورًا أيضًا بصفتهم حاملين للتقاليد السياسية والدينية. ومهما يكن الاتجاه الديني الذي كانوا يمثلونه في أي عصر من العصور، فإنه يظل من الأمور التي لا تنازع فيها أنهم كانوا هم الذين دخلت عن طريقهم الزردشتية إلى فارس أيضًا وتبوّأت مكانها؟، أم هل كان قسم منهم فحسب قد تمّ إدخالهم في الزردشتية" ومع ذلك ظل قسم آخر لم يدخل فيها؟، أم هل كان داريوس أوّل من جعل من الكهنة حَمَلةً للوظيفة الزردشتية؟ هذه مشكلة لا نود أن نتابعها بعد.

3] «فصل عارض»: السيادة المقدونية على إيران

لقيت سيادة الأباطرة من عشيرة الإخمينيين نهايتها حين تمكن الملك المقدوني الإسكندر "الثالث" من الاستيلاء على مقار الملك، وحطم، بعد وفاة خصمه، داريوس الثالث، المقاومة لحكمه في إيران الشرقية بوحشية بالغة. وفي مواجهة الإغريق كان قد أذاع بينهم أن هذا المشروع يأتي في صورة حملة انتقامية من حملة كِسرى على بلاد هيلاس، أمّا أهدافه الحقيقية، وهي غزو امبراطورية الفرس وإقامة حكم خاص به في المناطق الواقعة بين اليونان والهند، فلم تتبيَّن لبعض المعاصرين والمشاركين في الحملة إلاّ على نحو تدريجيّ. واصطدم بانعدام فهم صريح عند كثيرين جهدُه في سبيل الحصول على مساندة الإيرانيين والحصول على الاعتراف منهم، إذ أعلن أنه المنتقم لداريوس القتيل، وأخذ بالعادات والتقاليد الإيرانية، وارتدى الأزياء المألوفة في البلاد، ونظم الفصائل العسكرية المحليّة وزوَّج الأميرات الإيرانيات ومن بنات الأمراء الفارسيين، وعهد إلى كبار النبلاء الإيرانيين بمهمات في محيطه، أو عهد إليهم بالمرزبانيّات. والآن يمكن التدليل على هذه "الحملة الإخمينية" التي قام بها الإسكندر ليس بعد فاة داريوس فحسب، مثلما لبث

الباحثون يعتقدون ذلك على الدوام حتى الآن، بل يمكن ذلك بالاستناد إلى مجرد انتقاله إلى منطقة الامبراطورية الإخمينية. وما من شك في أن المسألة تحتاج من أجل الكشف عنها إلى تحليل دقيق لتاريخ الإسكندر الذي وصل إلينا من الطريق الغربي وحده. وهذا التاريخ يبيّن أن الإسكندر لم يكن مطّلعًا على مبررات الحكام الإخمينيين اطلاعًا فائقًا فحسب، بل كان يفعل كل شيء لكي يكون منصفًا لهذه المبررات وفيًا لها، ذاتها؛ ففي آسيا الصغرى كان يتظاهر بأنه المدافع عن السلام والنظام والحامي له، وفي مراسلاته مع داريوس بعد موقعة إسّوس، كان يتصرّف تصرُّف المنافس له على عرش الإخمينيين. وطالب داريوس بالقتال في سبيل الحكم "كما يليق بملك إخميّ"، وكان يعنى بشؤون الجند ودولة البلاط العائد للإخمينيين، واتهم داريوس بأنه اعتلى العرش بغير وجه حق، أيْ بأنه ملك غير شرعيّ. وعزا نجاحه إلى إرادة الآلهة، حيث لا يمكن أن يكون قصد بذلك إلاّ إلى الحُماة الإلهيين للامبراطورية وللأسرة" الإخمينية.

لقد كان في وسع المرء أن يوضح ماهية قوة الجاذبية التي كان في وسع الملكية الفارسية أن تمارسها على رجال أولي مطامح كبيرة مثل الإسكندر "وحتى على فيليب؟". ارتباطه بأسرة، وبفكرة وقوع اختيار الرب عليه، وتمثيله لهذا الاختيار، وبادعائه الحق في السيادة على العالم، وتصوُّره لعلاقة بين الملك والرعية، والمكانة البارزة في مواجهة الأرستقراطية. وحتى إقامة الإسكندر في فارس تشهد على جهده، لكيلا يؤكد الانقطاع في حكم أسلافه، بل لكي يجتذب إلى جانبه نبلاء القبائل الفارسية والسكان على الإجمال، عن طريق الاعتراف بالعظمة الفارسية واحترام تقاليدها: ولهذا السبب كان الحضور الشخصيّ، هنا في قلب الامبراطورية "التي كان داريوس قد تخلّى عنها"، ذا أهمية له. وكان يمارس تبجيل قورش، وكان يسعى إلى المتابعة الظاهرية له والسياسته، بينما كان يعمل على إخماد ذكر كِسرى عن طريق إشعال النيران في مصاطب بِرسِبولِس، وعلى نهب الخصوم المحتملين بسرقة النفائس والكنوز المكدَّسة هنا؟ أمّا أن النار التي أشعلها الإغريق في مقر الملك فقد تمّ تأويلها، على أنها علامة على النهاية المظفرة للحملة العسكرية الانتقامية وبأنها أوضحت لأهل البلاد، في مقابل ذلك، أن التسوية مع المنتصر هي وحدها التي يمكنها أن تعود بالمزايا على المدى الطويل. فقد جاء ذلك، في هذه الأثناء، موافقًا لرغائب الإسكندر ومقاصده على وجه الإطلاق.

على أن قتل داريوس على يد بيسوس سَهَّل على المقدونيّ مجهوده في سبيل الحصول على المساندة العامة في إيران، تسهيلاً إضافيًا. وبتكريم الخصم الميّت، وبالاعتراف به سلفًا له في الحكم، استطاع الإسكندر أن يظهر أنه المنتقم لداريوس الذي بات عليه أن يخلفه. ومن أجل ذلك أيضًا مارس مراسيم البلاط الفارسي في

وقت ظهر فيه بيسّوس يحمل اسم أردشير "الرابع"، وأوعز بقتل خصمه وفقًا للتقليد الفارسيّ. ويمثل هذا المظهر أثار استياء محيطه المقدوني القديم وهواجسه، مع ذلك، من دون أن يتمكن، بصورة عابرة، حتى في فارس، من أن يحول دون المقاومة لحكمه. وكانت القسوة الوحشية وموقف من لا يرجو لشيء وقارًا، هما اللذان أعاناه على النصر. وبهذين كان يتم تسويغ سمعته السيئة في وسط التقليد الزردشتيّ في إيران. ولم يَعُدْ بتخفيف حدة التوتُّر إلاّ الزواج من ابنة الأمير البكتري، روكساني، واحتفالات الزفاف في سُوْسَ، والمهرجانات في أوبيس، واستهجانه للحريق في برسِبولِس، وقبل كل شيء سياسة مَرْزُبانه بوكيستاس في فارس. إذ لم يكتفِ هذا ببذل جهوده للتأكيد على قربه من الشعب" عن طريق ارتداء الثياب الميدية، وتعلّم اللغة الفارسية، وإدخال العادات الفارسية. وكان من الواضح للعيان أن ذلك تكلّل بالنجاح، بل أضاف إلى ذلك تعاونه مع أرستقراطية هذا الإقليم.

وبينما ظلت فارس هادئة، بفضل جهود بوكيستاس، من بعد وفاة الإسكندر، كانت الأمور تتخمَّر وتتفاعل في الأجزاء الأخرى من الامبراطورية، حتى في أيام الإسكندر أو بُعَيْد ذلك. ففي بكتريا بذل السكان المحليون المعونة لثورة المستعمرين الإغريق، وكان من الواضح للعيان أن ذلك كان في إطار طموحهم إلى زعزعة أركان الحكم الأجنبي المقدونيّ. وفي الهند اضطرَّ حاكم الموريا، كاندراغوبتا، الحاكم الدائر في الفلك المقدونيّ في البنجاب إلى الهرب، وفي ميديا أتروباتيين سوَّغ المرزبان الإخميني السابق ومرزبان الإسكندر، أتروباتيس "منذ عام 323 ق م؟" وجود منطقة للحكم خاصةٍ به، وأسرة حاكمة خاصة به. ثم إن ولاة "المرزبانيات العليا"، أي تلك المأخوذة من فارس، وهي كرمانيا وآرييا/ درانجيانا وأراخوسيا وغيدروزيا وبكتيريا سوجديالبي وباروپاميسادايْ" وقفت في عام 16/317 ق م إلى جانب أويمينس في القتال ضد أنتيغونوس. ومع ذلك فقد كانت هذه، في سلوكها السياسي والعسكريْ الملموسَيْن أقل استهداءاً وتوجُّهاً بموجب تصوُّرها وجوب مساعدة أويمنيس "والملوك" على الانتصار، منها بالتوجّه بموجب الفكرة الهادفة إلى اكتساب النفوذ والمقدرة على التأثير وترسيخ القدم في المنصب. وفي برسبولِس حدث في تلك الأيام، قبيل المعركة الحاسمة بين أويمينيس وأنتيوفونوس، مأدبة قرابين أعدَّها بوكيستاس، ويصفها ديودور على النحو التالي: «وبعد أن كان القوم قد جاؤوا، من فارس كلها تقريبًا، بقدر كبير من الحيوانات المقدَّمة لتكون قرابين، وبكل ما تمسُّ إليه الحاجة، فيما عدا ذلك من أجل الاحتفالات والاجتماعات الدينية، أقام هو [أي بوكيستاس] احتفالاً على شرف الجيش، وتجمَّع المشاركون في أربع من الدوائر المتحدّة المركز، كان أكبرها يحيط بسائرها، وبلغ حجم نطاق الدائرة الخارجية عشرة مقاييس بُعدِيّة، وكانت تتشكل من المرتزقة

وكتلة المتحالفين، وكان يشكل الدائرة الثانية، البالغ حجم نطاقها 8 مقاييس بُعْدِية، المقدونيون الذين يحملون التروس الفضية، و"الرفاق" الذين حاربوا تحت لواء الإسكندر، وكانت الدائرة الثالثة، البالغ حجم نطاقها 4 مقاييس بُعْدِية، تتألف من رجال قعدوا إلى المائدة، من قادة الصف الثاني، ومن "الأصدقاء" والقادة خارج نظام الجيش، والفرسان، وفي الدائرة الداخلية التي يبلغ حجم نطاقها مقياسَيْن بعديَّيْن، كان يوجد الستراتيجيّون، والهيبارش، والفرس الأكثر نبلاً على الإطلاق، كلٌ على أريكته، وفي المنتصف تمامًا كانت تنتصب المذابح للآلهة والإسكندر وفيليب».

أما المأدبة التي كانت مراسيم التضحية ونظام القعود فيها يتماشيان مع العادات والتقاليد الفارسيّة، فيترتَّب تفسيرهما بأنهما تعبير عن علاقة وثيقة العرى بوجه خاص، بين بوكيستاس والأرستقراطية المحلية، وما كان من الجائز على الإطلاق تصوُّرها من دون المشاركة الفعّالة من جانب المسؤولين المحليين، ومن جانب السكان. وكان من الآلهة التي تلقى التبجيل من يمكن التكهن بأنهن آلهة فارسيات أيضًا، إن لم يكنّ موضوعات حتى في تلك الأيام، مع الآلهة اليونانية المقدونية والآلهة الإيرانية، على قدم المساواة، في جوانب هامة. وكانت ألواح المباركة في المذابح، ذات النقوش الكتابية الخاصة بالتقدمة، لزيوس ميجيستوس، ولأثينا بازيلايا، وأبولّو، وأرتميس وهيليوس، ممن عثر عليهن في برسبولِس. وربما كان من الجائز أن يورِدُهن المرء مقرونات مع هذه الاحتفالات. وفي المعركة الفاصلة بين أويمينيس وأنتيوفو، بَدَّل بوكيستاس الجبهات، ومع ذلك فلم يَحُلْ هذا بينه وبين تجريده من منصبه، وهو ما احتجَّ عليه نبلاء القبائل عبثاً.

وفيما بين عامَيْ 312 و301 ق م أخضع سلوقوس (السلوقي)، بالانطلاق من قاعدته في بابل، كل إيران، ومع ذلك فقد أخفق في القتال ضد غوتبا التي تنازل عنها، في إطار عملية تعويض عن تحالف، "وتقديم الفيلة الحربية" عن منطقة نهر السند، العليا، وقندهار، وباروميساداي وأوستا وأخوزيا. وظلت على استقلالها ميديا، وأوستاراخوزيا، وكذلك أتروباتيني خوارزم التي استطاعت، منذ أواخر الحقبة الأخمينية، أن تحصل على استقلالها، وأن تصمد في وجه الإسكندر. وكان من الأمكنة التي حظيت بالأهمية الخصوصية عند السلوقيين "مثلما كان قد حدث من قبل في أيام ملوك الفرس في منطقة "بكتريا /سوجديا" اللتين أصبحتا، عن طريق عمليات تأسيس المستعمرات، وإنشاء التحصينات، في مأمَنٍ من غارات البدو. ومن التأسيسات المبكِّرة المعروفة لدينا، للسلوقيين في إيران، رهاغا "بالقرب من طهران"، وهاكاتومبيلوس "؟" و"شهري قوميس" وأنطاكية فارس، وأنطاكية المارجياني "بالقرب من مرو" وأمكنة مماثلة لهؤلاء في الاسم في

أريبيا وسوتيرا و"سكيثيا" وكذلك، وعلى وجه الخصوص، أي إكسانوم، على نهر الأكسُس، وهي من الأمكنة التي شهدت على وجودها الآثار.

ولئن ظل القوم وقتاً طويلاً يفهمون سياسة السلوقيين في الشرق على أنها "مَقْدَنة" وعلى أنها تقطيع للأواصر التي تربط بتقاليد الأسلاف السابقين وإجراءاتهم في الحكم "وبصورة جزئية أيضًا، على أنها تقطيع للأواصر التي تربط بالإسكندر"، فقد تبدَّلت هذه الصورة في السنين الأخيرة تبدُّلاً حاسمًا. فاليوم يعرف الناس مواصلة سياسة الإسكندر من خلال السلوقيين في هذا المجال "مثلاً: عن طريق أواصر الزواج السياسيّ من أسر حاكمة ليست باليونانية، وعن طريق اجتذاب المحليين من أهل البلاد إلى المهمات العسكرية والإدارية وإلى الخدمة لدى البلاط أيضًا"، وكذلك في سبيل وصل ما انقطع من النماذج الفارسية "ونماذج بلاد الرافدين" التي يُحْتذى بها، في اتخاذ المقارّ، وفي إقامة المؤسسات الإدارية ومؤسسات البنى التحتيّة، وكذلك في نماذج العلاقات الشخصية، وفي فن البلاط الذي يُرَدُّ إلى الملك ويعود عليه، ولاسيما في إيديولوجية الحاكم. ثم إن القوم نَأَوْا بأنفسهم، في الوقت ذاته، عن التصوُّر "الذي صودِرَ أيضًا حيال الامبراطورية الأخمينيّة بطريق الخطأ، إذ انعكَسَ التباين في الحضارات، وفي العلاقات بين المركز والمحيط، في ضعف الامبراطورية، وفي البذرة المكرَّسة، بصورة مسبقة، والتي تفضي إلى الانهيار. وفي إشارة إلى إيران، قصد الباحثون، فيما سلف، إهمالاً "واعيًا، مقصودًا" لهذه المناطق وشؤونها، وكذلك استبعادًا لأرستقراطيتها من النخبة الموجودة في الامبراطورية، في مقابل اهتمام من الدرجة الأولى من الملوك بمشكلات غربيّ الامبراطورية، وأرادوا أن يتبيَّنوا، هنا في الشرق، على وجه الخصوص، منذ مرحلة مبكرة، إضعافاً للطبقة العليا، السلوقية، وإخفاقًا للعلاقات اليونانية المقدونية-الإيرانية. أمّا اليوم فمن الثابت أن السلوقيين قد وُفِّقوا، عن طريق الإجراءات السياسية والعسكرية، إلى الإمساك بزمام الأمور في أجزاء كبيرة من إيران وإبقائها تحت سيطرتهم حتى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد تقريبًا، قبل أن تتراجع، بفعل الضغط المتزامن الشرق، "الفرتيين"، ومن الغرب "روما". ونتيجة لهذا التطور كان رعاياهم الإيرانيّون يتابعون أهدافهم الخاصة. كما طرأ تغيُّر أيضًا على تصوُّرنا للعلاقةِ بين الفئات السكانية، ذلك التصوُّر الذي لا ينحلّ في العلاقة بين اليونانيين وأهل البلاد. ففي كل أجزاء الامبراطورية تقريبًا كان يعيش، منذ الحقبة الأخمينية تقريبًا، أناس متباعدون من حيث الثقافة والإثنية، في تجاور مباشر. وكانت العلاقات فيما بينهم مما يترتب أن يتم تصوُّرها، لهذا السبب وحده، في صورة أكثر تعقيدًا مما اعتاده الناس بوجه عام. وفي مواجهة هذه الخلفية تمّ تحديد مفهومات جديدة أيضًا، كالهليستيّة والهَلْسَتة، اللتين يوجد لهما تاريخهما الخاص، تحديدًا جديدًا.

ولم يكن آخر الأسباب الذي يتمثَّل في المكتشفات الأثرية في المواقف الي تسيطر عليها الرواية والتقليد المتوارث، مقنِعًا، فهو يلقي الضوء على تاريخ إيران في ظل الحكم المقدوني، مقسَّمًا تبعًا للأقاليم والثقافة. أما ميديا فيثبت نقش كتابي عُثِر عليه في لاذقية/ نهاوند، على الطريق من بابل إلى إكباتانا، من عام 193 ق م لا مجرد عبادة الأسرة الحاكمة الموجَّهة توجيهاً مركزيًا، عند السلوقيين، وهي العبادة الي توسَّعت هنا لتشمل زوجة أنطيوخوس الثالث، لاووديكه، بل يثبت، في الوقت ذاته، وجود دولة مدينة في ميديا الوسطى "منذ أنطيوخوس الأول؟"، مع ارتباطاتها ببلاد مابين النهرين وشرقيّ إيران وبفارس.

وقد أمكن التدليل فوق ذلك على وجود موقع حامية عسكري في سلوقية في كهوف كارافْتو عند الحدود بين أذربيجان وكردستان، ويمكن، بلا شك، أن توضع إلى جانبها أمكنة مماثلة لها من الوجهة الاستراتيجيّة، ولا تقل عنها في الأهمية. وكان موقع ضرب النقود السلوقية، في إكباتانا خلال مجمل القرن الثالث، من المواقع الي يمكن إثبات أنها كانت تعمل، وكان القصر الأخميّ، يفيد السلوقيين بصفته مقرًا للحكام.

أمّا في فارس فلم يصطدم الحكم السلوقي، إذا اصطدم على الإطلاق، بمقاومة محلية، إلاّ في البداية فحسب. بل كان الأمراء المتقلِّدون للمناصب هناك بتكليف من السلوقيين، منذ نهاية القرن الثالث، أو منذ مستهل القرن الثاني قبل الميلاد، "والذين كانوا يسمّون أنفسهم فراتاراكا"، وقد باتوا معروفين لدينا، على وجه الخصوص، عن طريق عملتهم، يؤكدِّون في الحقيقة ارتباطهم بالأخمينيين عن طريق الأخذ بطقوس ومراسيم محدَّدة، غير أنهم لم يكونوا يفهمون أنفسهم مع ذلك، كما هو ظاهر للعيان، على أنهم أخمينيّون وأباطرة، أما ولاءهم الذين يمكن إدراكه من وجهة التمثيل بالصور "أي من الوجهة الأيقونية"، حيال السلوقيين، فلم يتخلّوْا عنه إلاّ بعد أن تبيَّن انهيار الحكم المقدوني في إيران لكل ذي عينَيْن، ثم وقفوا إلى جانبهم مرة أخرى حين ظهر الفرتيون أولو البأس الشديد في بلاد ما بين النهرين. على أن هؤلاء لم يجدوا بدورهم، مشكلة في ترك أهل البلاد المحليين في فارس يحافظون على مناصبهم ومراتبهم، بصفتهم "ملوكًا" يتمتعون باستقلال ذاتي جزئي، وكانوا في ذلك مشابهين للسلوقيين. على أن هذا كان الأمر الذي كان له وقع أسهل كثيرًا عندهم، إذ لم يكن الحكام الفرس ينطوون على ما يدع لأحد مجالاً لأن يتكهَّن بوجود مطالب أو ادّعاءات حقوق تتخطى حدود الإقليم. وليس ما يدعو إلى العجب أنه حتى أهل جنوبي غربي إيران اللاحقين، أي: الساسانيين، كانوا يضيفون حقبة حكام العصر هؤلاء على أنهم "أنصاف ملوك". وفي تخطٍّ لذلك، لم يكن في وسعهم أن يتبينوا ذكرى تاريخية حقيقية تجاه أسلافهم الأخمينيين،

وحتى حين كان "الفراتاراكا" يتظاهرون بأنهم زردشتيون متفانون في عقيدتهم، أو بأنهم يمثلون حزبًا دينيًا ذا نزعة قومية، أو، على سبيل المثال، "أميرًا من أمراء الكهنة (أي: كاهنًا)"، لم يكونوا كذلك. ففي الحقبة السلوقية كانت وظيفتهم، بلا ريب، وعلى وجه الخصوص، من نوع سياسي إداري عسكري، وسيكون الكهنة قد أدّوا لعصرهم مهمات وواجبات مماثلة لما كان يحدث أيام الأخمينيين. أمّا أن يكون هناك، في حالة الكهنة الزردشتيين، محافظة على ذكريات سلبية تجاه الإغريق "أو تجاه الإسكندر وحده"، فقد تم تأكيد ذلك، إذ يصبح هذا التقليد مقياسًا يُقاسُ عليه من الوجهة السياسية، مع ذلك، في الحقبة الهيلينستية وذلك أن الحقبة الطويلة من الحكم السلوقيّ الذي لم يتعرَّض للأخطار لا تثبت مجرد أن هذا الإقليم لم يكن يمثل بؤرة من بُؤَرة المقاومة للنزعة الهيلينستية"، بل تجلو هؤلاء السادة الأغراب أيضًا في صورة أناس يألفون التقاليد الخصوصية في هذا الصقع. أمّا إلى أيّ مدى يمكن أن يقال إن فارس تمّ إضفاء الطابع الهيلينستيّ عليها، في القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد، فذلك ما لا سبيل إلى تقريره بالبحث والتمحيص. على أن المكتشفات الأثرية التي تحققت حتى الآن يبدو أنها أقرب إلى أن لا تشير إلاّ إلى مجرد حضور مقدوني ضعيف، ثم إنه ينبغي لنا، بالنظر إلى افتقارنا إلى الرواية الخطية، أن يُحَذِّرنا مثال أنطاكية في فارس من استخلاص استنتاجات متسرِّعة.

وكانت الفرق الميدية والفارسية، تشكل أيضًا في أيام السلوقيين، العمود الفقري للجيش في هذا المجال، مثلما يثبت ذلك ثورة مولون. وإلى جانب ذلك يستبعد وضع ميديا الاستراتيجيّ، على الطرق التي تصل بين بلاد الرافدين وشمال شرقيّ إيران، أداءَ فارس لوظيفتها من حيث كونها همزة وصل بين جنوب شرقي إيران وسوسياني. وكذلك يثبت أداؤها لوظيفتها من حيث كونها منطلقًا لعلميات في الخليج العربي-الفارسيّ، عدم اهتمام السلوقيين بهذه المجالات.

أما في سُوْسَ، وفي سوسياني، فيثبت الحضور السلوقي أثريًا كما يثبت بالاستناد إلى علم النقوش الكتابية، من وجوه عِدّة: وذلك أن النقوش الكتابية، تشهد، في المستعمرة اليونانية المقدونية العائدة إلى مملكة سلوقيا على الفرات "سُوْسَ"، على عبادة الحاكم، مثلما يشهد مقر الحكام السلوقيّ، والحامية السلوقية في هذا المكان، ومثلما يشهد الموظفون الماليّون، والمدرسة اليونانية، على السواء. وما عاد يثير العجَب الحضور اليوناني في سُوْسَ، وبقاء اللغة والكتابة والمؤسسات اليونانية حتى مرحلة متقدمة في الحَقبة الفرتية، من تاريخ المدينة.

وعلى حين تُعدُّ آريا ودرانجيانا "سيستان"، من الممتلكات السلوقية، بلا منازع، مع دليل هو أقرب إلى الضعف حتى الآن، من الناحية الأثرية، على الحضور اليوناني في هذه الأمكنة، لم يستول الفرتيون على هركانيا إلاّ بعد

أنطيوخوس الثالث، بصورة نهائية، بغض النظر عن غارات البدو التي كانت تحدث من حين إلى آخر؟ وإن كان من الممكن أن تكون مارجياني، أي: تركمانستان الجنوبية، وحاضرتها اللاحقة، مرو، قد ضاعت في وقت أسبق، وهنا تمكن الباحثون السوفييت في الآثار من تحديد موقع أنْيوخيا في المارجياني غيبيور كيل، وهو الموقع الذي اشتمل على تأسيس ثانٍ، من قِبَل أنطيوخوس الأول، حيث كانت القلعة القديمة الأخمينية تتقاطع مع الشارعين الدائريَّيْن الرئيسيَّيْن اللذين يسير كل منهما نحو الآخر، بزوايا قائمة، على طول المدينة؟. على أنّ فرتيا، المنطقة التي أعطت اسمها الخلفاء السلوقيين في إيران، سوف تشغلنا أيضًا. أمّا هنا فلن نزيد على أن نشير إلى أنَّ المراكز الأولى للسلطان الفرتي كانت محصورة في الجزء الشمالي من هذا الإقليم "تركمانستان الحالية"، بالقرب من العاصمة عشق آباد، وأن السلوقيين لم يفقدوا المناطق الواقعة في جنوب سلاسل الجبال التي تحمل اسم كوبيت داغ، وبينالود والإلبورز، إلاّ في القرن الثاني، وعلى نحو تدريجيّ أيضًا.

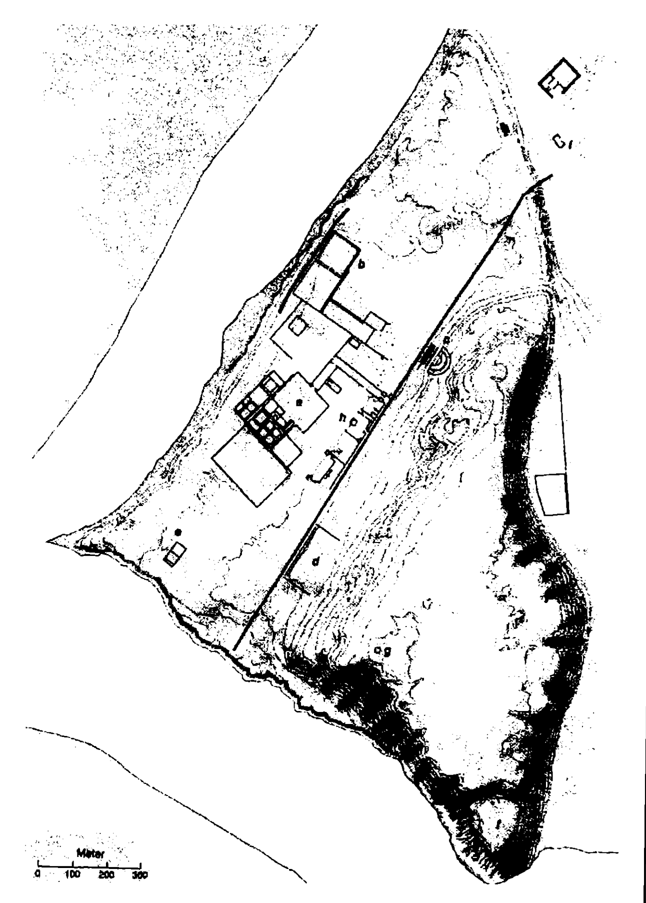
وعلى حين تم التنازل عن نهر السند، وغيدروزيا، وقندهار، وباروباميساداي، ووادي سوات، وأراخوزيا الشرقية بموجب اتفاقية سلام عُقِدَت بين سلوقوس الأول وكاندرا غوبتا، ظلت أراخوزيا الغربية "ومعها قندهار، المركز الأخميني القديم" ردحًا من الزمن بعد ذلك في امبراطورية السلوقيين، غير أنها ذهبت بعد ذلك إلى ابن كاندرا غوبتا، بيندوسارا، أو إلى أسوكا. على أن النقوش الكتابية في الصخر، العائدة إلى هذا الحاكم الهندي الأشهر في العصر القديم ومعاصر أنطيوخوس الثاني، تثبت، في صياغاتها اليونانية والآرامية، من الوجهة اللغوية والوجهة الظاهرية، في الصياغات الهندية للمرسوم 13، من حيث المضمون أيضًا، وعلى نحو صريح، وجود اليونانيين "يوناس" والإيرانيين "كامبوجاس" في امبراطورية أسوكا، وتأثُّرها الحقيقيّ أو المأمور به بالإقامة البوذية للحياة على أساس المسؤولية الاجتماعية والتقوى، وعلى نحوٍ معكوس، تأكّد تأثُّر حكام الموريا، السياسي والثقافي بالنماذج الأخمينية.

وفي نهاية القرن الثاني، قبل الميلاد احتلت قبائل الساكين أراخوزيا ودرانجياني، التي أعطت اسمها للإقليم الذي كان آخر ما تمت تسميته من الأقاليم "سكاسْتانا-سيستان". ويعدُّ التاريخ الفرتي-الساكي-اليوناني-الهندي-الكوساني، للأجزاء الجنوبية الشرقية من امبراطورية الأخمينيين السالفة، من الموضوعات التي يشتد التنازع فيها أكثر ما يشتد، في إطار البحث في التاريخ القديم، ولا بُدَّ أن يظل هنا خارج نطاق بحثنا.

ومن الأصقاع التي تتركز عليها الأبصار بوجه خاص تمامًا، من خلال المكتشفات الأثرية والنُميّات وعلم النقوش الكتابية، بكتريا التي كان أشاد بخصوبتها

مؤرخو الاسكندر. وكانت بكتريا وسوجديا تشكّلان، في العصر الأخميّ، وفي العصر السلوقيّ، على السواء، مرزبانيّة مشتركة. وكان من الواضح أن حدود مناطق السهوب التي لا يمكن ضبطها، على نهر السرداريا "حاكسارتيس"، مثل التعرُّف على اسكندرية إيشاتي "=أنطاكية"، يتمُّ إثباتها بلينين آباد، وكان يوجد قبلها منطقة احتكاك عريضة بين السهوب التي تنطبع بالطابع البدويْ وبين سكان الواحات المستقرين، وتقدِّم إلينا نظرة إلى المناطق الهيلينستية المكتشفة حديثاً في بكتريا، التي يمكن، من وجوه عِدّه، تفسيرها بأنها مواقع مشتركة، سلوقية/ يونانية/ بكترية، تتيح للحاميات على نهر الأُكسُس، قبل كل شيء، آيْ إكسانوم، إطلالة على الحياة اليونانية في شرقي إيران (الرسم 5): وذلك أنها تأسست في أواخر القرن الرابع، وشهدت ذروتها في ظل ملوك بكتريا من الإغريق، وتمَّ التخلّي عنها بعد غارات البدو في القرن الثاني قبل الميلاد، وعُثِر في هذا المكان، ضمن أمور أخرى، على مسرح، وعلى تيمينوس "مدرسة ثانوية" وعلى قصر، وعلى عدد من "المنازل الخصوصية" وقلعة، ومعبد، وعلى رقاع من الأرض محدَّدة بحدود، تستخدم لأغراض إدارية، وكانت تحصينات من الآجر الطيني تُحدِق بالمستوطنة، وفي هذا المكان تمتزج الأساليب الفنية اليونانية والبكترية والأخمينية وأساليب بلاد مابين النهرين، بعضها ببعض، ولا بُدَّ أنَّ كثيرًا من الإغريق كانوا موجودين فيها، ومما يشهد على ذلك، إلى جانب أسماء الأشخاص اليونانيين والمقدونيين، وعمليات تكريس الآلهة الإغريقية، شاهدان مؤثِّران على وجه الخصوص من الشواهد الكتابية: ففي عام 1966 عثِر في مجال الهيرونز "مكان دفن مؤسس المدينة"؟ كينياس، على قاعدة تمثال ترجع إلى بداية القرن الثالث، عليها نقشان كتابيان: فإلى اليسار قصيدة إبيغرام "وهي قصيدة قصيرة تُخْتَتَم بفكرة بارعة أو ساخرة أو منطوية على التناقض" تتحدث عن أَنَّ رجلاً معينًا من أهل الإكليروس أَوْرَد هناك نسخة من مبادئ معبد كهَّان دلفي، أي الحكماء السبعة، وعن يمين هذا خمسة من الأمثال الأخيرة البالغ عددها، على الإجمال، اثنَيْ عشر مثلاً، أو قولاً مأثورًا. ويُظَنُّ أن الأمثال السبعة الأولى قد تمَّ إيرادها في موضع لم يصل إلينا، ويأتي نصّ قصيدة الإبيغرام على النحو التالي: «نُظِمت هذه الكلمات الحكيمة حقًا، والصادرة عن رجال مشاهير يتمتعون بشهرة بالغة، لدى بيثو، ذي المقام القدسيّ الرفيع "في دلفي"».

وهناك تم تثبيت هذه الكلمات المضيئة المشرقة، إلى المدى البعيد، كلمات كليركوس، بعناية ودونت ونُظِمَت، في مقبرة كينياس."



الرسم 5: آيْ إكسانوم

آيْ إكسانوم، وقد رُسِمت مباني القصر "a"، المدرسة الثانوية "b"، المسرح "c"، مستودع الأسلحة والمؤَن "d"، أحد البيوت الريفية المترفة "e"، القلعة فوق الأكروبوليس "f"، منصة المعبد "g"، المعبد في الشارع الرئيسي "h"، والمعبد عند باب المدينة الشمالي "i".

المبادئ الخمسة الباقيات، هي التالية
أمّا حين كان طفلاً فقد أنبته ربه نباتاً حسنًا،
وحين بلغ أَشُدَّه، يافعًا، كان رابط الجأش، ثَبْتَ الجنان،
وحين استوى رجلاً، في منتصف العمر،
أوتِيَ الحكمة، وفَصْلَ الخطاب.
وحين تقدمت به السنُّ، باتَ الناصحَ الأمين.
وحين وافاه الأجل لم يكن يُكدِّر صفو أحد.

وكان ذلك الرجل المدعو كليرخوس، المعروف لدينا منذ عهد بعيد، بأنه الفيلسوف المَشّائي، من رهط أرسطو، من بلدة سولويْ، بقبرص، أي أنه لابُدَّ أنه قام، في عام 300 ق م برحلة إلى الشرق قادته أيضًا إلى مناطق إيران الشرقية التي كان يقطنها الإغريق، ومن هناك إلى آيْ إكسانو. أمّا أنه التقى هناك بجمهور يهتم به، فذلك ما تثبته الأقوال المأثورة من دلفي، مثلما يثبته التعبير المدوَّن على ورق البردي وعلى جلد من رَقِّ الغزال، وكلاهما لم يُحْفَظ لنا، والذي يمكن تفسيره بأنه جمل مستخلصة من محاورة حول نظرية أفلاطون في الأفكار، وبالتالي بأنه مقطوعة من ثلاثة أبيات من البحر اليَمْبي. وقد عثِر في الشرق على شواهد أخرى مما يسمى بايديا (Paideia) اليونانية = "التهذيب" ، مثلاً، في تشيفاتيبه، في واحة بالكس، في صورة قصيدة الإبيغرام في تاكست-سانغين عند التقاء نهري فاكش وبانش، بحكم كونها نقشاً كتابيًا لواحد من أهل بكتريا، يتبرَّك به عند إله نهر أُكسُس على تمثال برونزي لسايلِن، وفي قندهار في صورة نقش كتابي يتبرَّكون به. وحتى مراسيم آسوكا اليونانية التي سبق ذكرها، في المكان، لا تعد مجرد شواهد على الحضور اليوناني في غربي أراخوزيا، بل تنبئ في الوقت ذاته عن حُسْن اطلاع الحاكم، أو أولئك الذين ينقلون مراسيمه من لغة البراكريت-الهندية مع المصطلحات الأفلاطونية الأَرُسْطَوِيّة.

وحتى سوجديا أثبتت، في هذه الأثناء، بفضل بعض عمليات التنقيب عن الآثار وعمليات المسح، أنها إقليم ذو طابع يوناني، وفي مَرَقَنْدَه "سمرقند" مثلاً، وهي الواقعة عند المركز الأخميني القديم، ومقرّ المَلِك، ثبت أنها مستعمرة يونانية، اسمها "أفراسياب".

وبعد حملة أنطيوخوس الثالث على الشرق انفصلت بكتريا انفصالاً نهائيًا عن الامبراطورية السلوقية، وباتت الدولة البكترية-اليونانية التي يحدُّها من الجنوب جبال هندوكوش، ومن الشرق جبال باداكشان، وأصبحت فيما بعد تضمّ سوجْدْيا أيضًا، بينما كان التقدم نحو الجنوب يؤدي، على المدى الطويل، إلى نشوء ممالك

مستقلة، هندية يونانية، امتد بها العمر إلى ما بعد انهيار "المملكة البكترية" اليونانية، (في عام 130 ق م)، بعد نصف قرن. وكان النفوذ الهيلينستي يواصل حياته في هذه المناطق، ولاسيما في فن قندهار البوذيّ، وفي شماليّ هندوكوش استقر، في نهاية القرن الثاني شعب يقال له يووه شين "لعله الشعب الطوخاري؟"، وكانت منهم عشيرة الكوسانا التي باتت، على مر الزمن، في وضع يمكّنها من إقامة امبراطورية امتدت من آسيا الوسطى إلى الهند. وفي ظل الحكام المنتمين إلى هذه العشيرة شهدت إيران الشرقية أيضًا ازدهارًا جديدًا. وأثبتت تجارة الحرير أنها مَدِرَّة للأرباح على محور غير عاديّ، كما اشتد تكثيف العمل في الزراعة. وكان يُدْفَع بعمليات الإعمار وبناء المدن، قُدُمًا إلى الأمام، وهنا استقر الرهبان الهنود، "البوذيّون". وكان ما يظل ينبئ عن ذلك، منذ تلك الأيام، ذلك النفوذ اليونانيّ الذي مازال له وجود يتمثل في الأبجدية اليونانية "المعدَّلة" التي تحوَّلت، في إطارها، اللغة البكترية إلى لغة مكتوبة، كما تمّ نقش الأساطير اليونانية، وأسماء الآلهة اليونانية على العملات في كوسان، منذ أيامها الأولى.

4] إيران، منذ أرساكس الأوَّل إلى أرتبانُس الرابع، حكم الفرتيين

4/ 1] الشواهد

4/ 1/ 1] النقوش الكتابية، نصوص مسمارية، الكتاب اليونانيون والرومان، والصينيون، اللغات ونظم الكتابة، والروايات المدوّنة في دولة الأرساكيين*.

كان الملوك الإيرانيون الذين نُسِبوا إلى مؤسس الأسرة الحاكمة، أرساكس، فسُمّوا بالأرساكيين، وسُمّوا بالفرتيين نسبةً إلى مركزهم الأول في إيران، فرتيا، يحكمون إلى زمن تصل بدايته، على آخر تقدير، إلى عام 140 ق م، امبراطورية متعدّدة الثقافات والإثنيات. وحين تحقق لهم الظفر في معاركهم ضد السلوقيين وحلفائهم، لم تكن لامبراطوريتهم في الحقيقة أبعاد الامبراطورية الإخمينية أو الامبراطورية السلوقية في أيامها الأولى، ومع ذلك فقد كانت لاتزال تضم، على أية حال، الجزء الأكبر من إيران وكل بلاد الرافدين على الدوام تقريبًا، وكان

* سلالة فرتية 247 ق م - 224 م.

الأرساكيون يمارسون تأثيرًا كبيرًا في تاريخ إرمينية، كما مارسوا هذا التأثير، بصورة مؤقتة، في سورية وآسيا الصغرى، الأمر الذي أدى، في حالتيْه، إلى ألوان من النزاع مع روما، وفي المعارك ضد الجيران في الغرب، تمكنوا من الصمود وترسيخ أقدامهم، إذا نظرنا إلى المسألة على وجه الإجمال، بالقدر ذاته الذي صمدوا به في وجه غارات البدو في الشمال الشرقي، ثم إن النهاية المفاجئة للامبراطورية الفرتية التي قررت مصير التاريخ الإيرانيّ بما يعادل ضعف ما فعله الإخمينيون تقريبًا، جاءت في مستهل القرن الثالث، حين تحدّى "ملك جزئي" مهووس بالسلطة، ذو طموح فوق المقاييس، من فارس، هو أردشير، السيد الأعلى، الفرتيّ، أرتبانُس "أردفان" الرابع، وهَزَمه.

ومثلما حدث في امبراطورية داريوس الأول، كان يجري، في منطقة حكم الأرساكيين، التحدُّث بكثير من اللغات: فكانوا يتحدثون، في إيران، على وجه الخصوص، بالفارسية الوسيطة، والفرتيّة، والسوجدية، والخوارزمية والبكترية، وفي المناطق الأبعد باتجاه الغرب من إرمينية، كانوا يتحدثون بلغات القوقاز المختلفة، وبالبابلية، وكانوا يتحدثون، في بلاد الرافدين، وفي الأجزاء الأخرى من الامبراطورية بالآرامية بمتغيّراتها المختلفة، وكانوا يتحدثون في دول المدائن اليونانية، أي: في الدول التي تقوم كلٌ منها على مدينة فحسب، مثل سُوْسَ، أو سلوقيا دجلة، باليونانية. وقبل أن نتمكن من التوجُّه نحو كل لغة من اللغات على حدة، مازال هناك بعض الكلام الذي يقال عن الحِقبة الإيرانية الوسيطة من تاريخ اللغة الإيرانية التي يترتَّب أن تُحْسَب ضمنها اللغات الخمس المسمّاة أوّلاً. ولمّا لم يكن هناك استمرار من الحقبة الإيرانية القديمة المتقدمة، في مضمار استعمال اللغة المكتوبة، فمن الممكن أن يشار باسم اللغات الإيرانية الوسيطة، إلى تلك اللغات التي يبدأ استعمالها الخطّي وتناقل الروايات بها في حقبة مابعد الإخمينيين، على أن تكون سابقة على الحقبة الإسلامية ‹Schmitt›. ويجب أن يلاحظ في هذه الأثناء، أنَّ أربعًا من هذه اللغات، أي: الفارسية الوسيطة، والفرتية والسوجدية والخوارزمية، كانت تكتب بنُظُم كتابية انبثقت من الآرامية، على حين أن البكترية، كما سمعنا، كان يتمّ تدوينها، في متغيِّر محلّي للأبجدية اليونانية. ومثلما كان يحدث في أيام الإخمينيين كان لايزال هناك الآن أيضًا كتّاب آراميون، يعملون بصفة مترجمين و"محررين" في "الدول الجزئية" من الامبراطورية. وسرعان ما بات هناك أيضًا، بلا ريب، أناس محلّيون خبراء بالآراميّة.

وقد أدّى هذا إلى أنَّ النظم الكتابية أخذ يتطور بعضها متفرّعًا من بعضها الآخر، وتراجع التمكّن من الآرامية. وكان يتم فرض تدوين كل لغة من اللغات الأم على حِدة، وهو التدوين الذي كان مازال يحدث أول الأمر، بأسره، بالكلمات

الآرامية، بالكلمات على نحو مطّرد الزيادة. وفي هذه الأثناء كانت القوالب الآرامية تتحوّل، شيئًا فشيئًا، إلى رموز تستخدم استخدامًا تقليديًا، أو كما يقولون، استخدامًا متغاير الكتابة (heterogramm)، وقد ينبغي للمرء أن يذكر أن هناك أشكالاً من الصّك أو النحت متباينة تُعْرَف لكل اللغات الإيرانية الوسطية، أو حتى لهجات محلية. ولئن كان علم اللغة في مستهل هذا القرن، يعرف الفارسية الوسيطة وحدها معرفة أدَقّ، فقد افتتحت رحلات الأبحاث، وعمليات التنقيب والأبحاث اللغوية، في هذه الأثناء، آفاق النطاق العريض الكامل لهذه الحقبة اللغوية. وما يدخل في باب اللغات الإيرانية الغربية الوسيطة اللغة الفرتية والفارسية الوسيطة: وذلك أنهما ينبغي النظر إليهما على أنهما "لهجتان تحوّلتا إلى لغتين من لغات الأدب من بين عدد كبير من لغات غربي إيران ولهجاتها المحلية غير المعروفة لدينا" ‹Sundermann›.

أما اللغة الفرتية فهي لغة المَرْزبان القديم فرتيا، وقد أصبحت في أيام الأرساكيين تلقى الرعاية بصفتها لغة البلاط والإدارة في امبراطوريتهم. ولا ريب في أنه لم يصلنا من هذه الحقبة إلاّ قليل من الشواهد المدوَّنة بالفرتية، وذلك أن الأدب والأحاديث الدينية كان يجري تناقلهما وتوارثهما من جيل إلى جيل بطريق المشافهة على الأرجح، وظلت العملات ردحًا طويلاً من الزمن، تحمل الأساطير اليونانية. وكانت الكتابة الفرتية تستعمل في تلك الأيام الكلمات الآرامية واستعمالاً بلغ منه أنه من أجل هذا وحده كانت الثروة اللغوية المشهود لها "ولاسيما أسماء الأعلام" تأتي ضئيلة. ونحن لا نجد أنفسنا على أرض أكثر صلابة إلاّ مع توافر شواهد تلك الحقبة التي أعقبت حقبة حكم الأرساكيين. ولقد أَسْهَم فهم الصياغات الفرتية للنقوش الكتابية الملكية في الحقبة الساسانية في القرن الثالث، والأعمال الأدبية العائدة للطوائف المانوية الفرتية في القرون الممتدة من القرن الثالث إلى السادس، من فرتيا، ومن آسيا الوسطى، في هذا التقدم المَعْرِفيّ إسهامًا حاسمًا.

ويشار باسم الفارسية الوسيطة إلى اللغة التي انبثقت من الفارسية القديمة "من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرنين الثامن والتاسع"، والتي تطورت منها بعد ذلك، من جانبها، الفارسية الحديثة. وحتى القرن الثالث تحولت هذه، في أيام الساسانيين الذين ينتمون إلى هذا الإقليم، إلى لغة الدواوين والتعامل في الامبراطورية. أما نصوص الفارسية الوسيطة من الحقبة الفرتية فتوجد في الحقيقة في صورة أساطير وجيزة ذات قوالب ثابتة، على العملات العائدة للفراتاراكا "أنظر ما سبق" في جنوب غربي إيران، ولخلفائهم منذ القرن الثاني قبل الميلاد فصاعدًا. وكل شيء غير هذا لا يرجع إلاّ إلى الحقبة الساسانية أو حتى إلى حقبة متأخرة أكثر منها.

ونقول في صدد لغات شرقيّ إيران الوسيطة: أمّا سوجديا وحاضرتها سمرقند

فقد سبق الحديث عنها، وقد أصبحت لغة سكانها "السوجدية"، عن طريق التجار، على (درب الحرير/ طريق الحرير) باتجاه الشرق، ذائعة منتشرة. على أن معظم الشواهد لا يرجع في هذه الأثناء إلاّ إلى الحقبة الساسانية وما بعدها. أما الحقبة الأرساكيّة فلا يدخل فيها سوى الأساطير المنقوشة على العملات وحدها وهي التي تعود إلى القرن الثاني. وأما اللغة الإيرانية القديمة في خُوارَزْم، أي: المنطقة الواقعة عند المجرى السفلي لنهر الأُكسُس "آمو داريا"، مع مصبه في بحيرة آرال، فقد وصلت إلينا في صورة خوارزمية وسيطة في كتابات وجيزة على الأواني والأطباق، وعلى العملات والخشب والجلد، وكان لها القول الفصل في البكترية اليونانية، وفي الأيام الأولى من الامبراطورية الكوسانية، وفي البداية، في اللغة اليونانية، وفي السياق الرسميّ، وهكذا تمّت الاستعاضة عنها، فيما بعد، بالبكتريّة المكتوبة، في متغيّرها المحلّي، المتطوّر من الكتابة اليونانية. وقد توافرت لها، في هذه الأثناء شواهد، سواء في مضمار النميّات أم في إطار السلسلة الكاملة من النقوش الكتابية.

وإلى جانب الإيرانية كان يجري التحدُّث، في إمبراطوية الأرساكيين بعدُ أيضًا، بلغات أخرى، منها الإرمينية، حيث لم يكن يُعْرَف، في صورة شواهد غير مباشرة على الإرمينية السابقة على الطور الأدبيّ، ولا تبدأ الرواية المدوَّنة إلاّ بدءًا من القرن الخامس فصاعدًا، سوى الأسماء، ولاسيما العائدة للمواقع الجغرافية في الرواية اليونانية الثانوية. ومثلما لا يمكن توقُّع شيء مختلف في حالة التداخل الوثيق بين التاريخَيْن الإيراني والإرميني، استُعيرَت أيضًا، في الحقبة الفرتية، كلمات فرتية لا يُحصيها العَدّ. ودخلت في الإرمينية وتمّ تبنّي أسماء أعلام إيرانية. ثم إن الإيرانية لم يكن يجري التحدُّث بها، في هذه الأثناء، من النبلاء، ومن متقلّدي الوظائف الإدارية الكبرى أيضًا، وبالتالي كان يتم فهمهما، بل كان يجري التحدُّث بها وفهمها على وجه الإطلاق أيضًا من قبل الشعب البسيط.

كما أنَّ نفوذ اليونانيين واللغة اليونانية في امبراطورية الأرساكيين ينعكس، إضافة إلى انعكاسه في الأخبار المتصلة بإضفاء الطابع الهيلينستي على البلاطين، الفرتي والأرمي "أنظر ما يأتي بعد هذا"، أيضًا، في حقيقة أن الملوك كانوا "يقدمون" أنفسهم على عملاتهم من خلال أساطير دينية يونانية. وقد وصلتنا نقوش كتابية من أيامهم، مِنْ ميديا ومن إرمينية، ومن بلاد الرافدين ومن سوسياني.

أمّا الآرامية، التي كانت اللغة العالمية في الامبراطورية، فقد أصبحت لغة شعبية عند الفرتيين. وهناك نقوش كتابية جمّة العدد، من منطقة الامبراطورية تمثل لنا من حيث كونها أنموذجًا لنُظُم الكتابة في الآرامية والإيرانية الوسيطة، وكتابات اليهود البابليين والمنديين، برهانًا على التأثير الدائم لهذه اللغة.

وأمّا البابلية "الأكّادية" فيتحدث عنها الكاتب الروائي يامبليخوس، في القرن الثاني، قائلاً أنها كانت لايزال يَتحدَّث بها في أيامه. وأما الخط المسماري فقد كان قد خرج عن نطاق الاستعمال منذ مرحلة أقْدَم، وذلك أن أحدث نصوصنا تاريخًا، بالخط المسماري، وهو نص ذو مضمون فلكيّ، يرجع إلى عام 75/74 م. ثمَّ إن مثال دورا أوربوس [بالقرب من الصالحية في سورية] يتيح تصوُّرًا جيدًا للكيفية التي كان يبدو بها التعدُّد الإثني-اللغويّ في امبراطورية الأرساكيينن على الصعيد الميدانيّ. ففي هذا المَرْبَع الذي أسَّسه سلوقوس الأول، وغزاه الرومان عام 165 م، واستولى عليه الساسانيون استيلاءًا نهائيًا عام 256 م، توجد شواهد على وجود متزامن لأسماء يونانية - مقدونية، ولاتينيّة، وبابليّة، وتدمريّة، آراميّة، وعربية نبطيّة، وإيرانية.

فإذا حاولنا أن نقدِّر مدى أهمية الشواهد الكتابية العائدة إلى الحقبة الفرتية، سواءً تبعًا لمضمونها أم لارتباطها بمكان أو زمن معين، يترتب إيلاء مكان الصدارة، ضمن أمور أخرى، للوثائق المدوَّنة على شظايا من الصلصال "أوستراكا" والواردة من المراكز الأرساكيّة القديمة، أي: مراكز نيسا، في تركمانستان وشهرقوميس "هيكاتومبيلوس؟" على رَقّ من جلد الغزال، من أفرومان في غربيّ إيران، وعلى رَقٍّ من جلد الغزال، وعلى ورق البرديّ، من دوارا وفي نيسا "أنظر ما بعد هذا". وفي المقر الأرساكي الأصلي في تركمانستان "بالقرب من عشق آباد الحالية وجد المنقِّبون السوفيييت أكثر من ألفي أوستراكا تتضمن 2758 نصًا "أرشيف" معيّن (اللوح XVb) وهي نصوص تقدم، على وجه الخصوص، معلومات حول توريدات الخمر من حقول الكرمة ذات السلع المتباينة، وعن معابد، أو شخصيات متفرقة إلى القصر "في القرن الأول قبل الميلاد". وتذكر متقلِّدين فرتيين للمناصب الرفيعة بألقابهم. وما من شك في أن ما يسمى بالأوستراكا يمكن تفسيره بأنه ملاحظات واردة في تسجيل مؤقت، سوف يتبعه تجميع على مادة أخرى للكتابة "جلد؟"، ولننقل هنا من نقش كتابيّ أنموذجي على شظية من الصلصال: «في هذا الإيكسوم "الإبريق من الصلصال"، يوجد، من كَرْم أوزباري، التابع لعزبة فرياباتيكان، التي تدخل في ملكية المرزبان، 17 ماري "= 1 م = حوالي 11 لتر" من الخمر، تم توريدها عن عام 188 "من الحقبة الفرتية = 60 ق م" وجيء بها من هوماياك، مُورِّد الخمر من مواليد آرتاس فاناك».

ويلي ذلك أيضًا ملاحظة إضافية: «و2 ماري و 1 كغ من الخمر أصابتهما الحموضة».

وبموجب ذلك تمَّ هنا، في صورة ضريبة، توريد خمر من حقل كرمة بالقرب من نيسا، في حصن مهر دادكيرت "نيسا، القديمة"، بعد نقلها إلى إبريق، واستهلكت

فيما بعد، وتبيّن لدى المراجعة وجود بقية، في هذه الأثناء، غير صالحة للشرب.

وفي حالة ما يسمى "وثائق أفرومان" التي اكتُشِفت عام 1923، في كهف صناعي من الصخر في كوه- سالان، في كردستان الإيرانية، وهي اليوم محفوظة في المتحف البريطاني، تتعلّق المسألة بوثيقتين يونانيّتين ووثيقة فرتية على رَقّ من جلد الغزال. وعلى حين تشهد الوثيقتان اليونانيّتان على بيع نصف كَرْم من العنب باسم دادباكان، في مكان يقال له: كوبهانيس، تصرِّح الوثيقة الفرتية، العائدة إلى عام 33 م، بنقل حق التصرُّف في نصف كَرْم آسّمَك الموجود عند الأرض الزراعية" من باتاسباك، ابن الجنّد من بود، إلى أفيل ابن الباشنين وأخيه لقاء 65 دراخما. وقد أصبحت هذه النصوص، في مضمار تاريخ البحث، وثيقة الصلة بالموضوع على وجه الخصوص بسبب أسماء المعنيّين، وبسبب العدد الجمّ من الشهود. وهناك شيء مماثل ينطبق على جلود رقّ الغزال وعلى ورق البرديّ من "دورا"، إذ يوجد بينها الرَّق رقم 10، الذي يتضمن عقدَ قرض مكتوبًا باللغة اليونانية، يرجع إلى عام 121 أو 122 م، ويُعدّ لبناء، فوق الاستشهاد بأسماء وألقاب مختلفة، معلومات هامة حول الأحوال المتعلقة بالسياسة الداخلية والسياسة الخارجية في تلك الحقبة. وهناك اثنتان من الأوستراكا الأقل أهمية، والمكتوبتان بالخط الفرتيّ، من شهر قوميس، تختتمان مجموعة الشواهد هذه.

ومما لا يقل أهمية عن ذلك تلك الرواية بالنقش الكتابي على الحجر والبرونز: وذلك أنَّ هناك نقشَيْن كتابيَّيْن على الصخر، بالخط الفرتيّ واللغة الفرتية، من إكسونغ-نوروزي في إكسورستان (بتاريخ حوالي عام 140 م) يميّزان أهمّ شخصيات النقش البارز على الصخر الذي يتمُّ إيراده هناك، باسم ميثريداتيس، ملك الملوك" وكابنيشكير، حاكم سُوْسَ. على أن اللقب المميِّز للملوك الإيرانيين، تكون تمت، بهذا النقش الكتابيّ، لأول مرة، الشهادة به للأرساكيين. وثمة نقشان كتابيّان، فرتيّان، من سار بول زوهاب، في جنوبي كردستان، بلا تاريخ، على الطريق من كرمنشاه إلى بابل، يتم الربط بينهما وبين العرض التصويري لتقليد رجلٍ منصبًا من قِبَل ملك اسمه غوتارْزيز، هُوِّيته متنازَعٌ فيها. أما الآبدة الأخيرة التي يترتّب عرضها بمزيد من التفصيل، مع النقش الكتابي الفرتيّ فيها، فهي بشاهدة الضريح الخاصة بالمَرْزُبان زكسفازاك السوسي، العائدة للعام 215 م، والتي يُناوِل عليها "ملك الملوك" أرتبانُس "أردقان" الرابع، مرؤوسه خاتم الحكم والسيادة.

أما النقوش الكتابية الآرامية فلا يستحق الذكر منها، على وجه الخصوص إلاّ النقش الكتابي البارز العائد إلى أيام الفرتيين، من اللغة العيلامية "أنظر ما يلي". وتضاف إلى ذلك الشواهد المكتوبة بطريقة قصيدة الإبيغرام، من آشور "النقوش الكتابية التذكارية" وما يسمى الهاترا، أي: مركز التجارة الغني الخاص بالقوافل،

في شمالي العراق، حيث ألحقت أسرة حاكمة عربية تعمل في خدمة الفرتيين، بالامبراطورين الرومانيَّيْن، طراجان وسبتيموس سيفيروس، الهزائم المنكرة، غير أنها اضطرت آخر الأمر إلى الخضوع للساسانيين، بعد تحوُّلها إلى جانب الرومان.

وثمة نقوش كتابية باليونانية تتوّج نقشًا بارزًا من بِسُتون، يتلقى فيه ميثريداتيس مراسيم التقدير والاحترام من أربعة من حملة الألقاب"؟" وعلى مقربة شديدة منه، صورة تمثل قتالاً بين فرسان تابعين للملك غوتارزيز، الذي لايزال هناك نزاع حول هُوِّيَتهِ حتى اليوم. أما النقوش الكتابية الواردة من سُوْسَ فقد سبق الحديث عنها في الفصل المتقدم، وما من شك في أنه يبرز من بينها النسخة المنقوشة في الحجر، لرسالة من الملك أرتبانُس، من عام 21 م، إلى حاكمَيْ المدينتين الدولتين، وهما أنطيوخوس وفراتيس، يؤكِّد فيها اختيارًا كان محل النزاع، للإدارة المرتَّبة وفقًا للأنموذج اليوناني في إدارة المدن. ونتج عن هذا أن سلوقيا، على نهر الإيليوس "سُوْسَ" كانت تخضع مباشرة للملك، مثلما كان الحال في الحقبة السلوقية. على أن ما كان يدفع إلى الحديث عنه في الحقبة الأخيرة ذلك النقش الكتابي باللغتين، اليونانية والفرتية، على فخذَيْ تمثال صغير لهرقل، من سلوقيا، إذ يَرِدُ هناك، في النص اليوناني: «وفي عام 462 حسب التأريخ اليوناني [أي: في عام 151 م] قاتل ملك الملوك أرساكس فولوجيزيس ابن ميثريداتيس، ميسيل، الملك ميثريداتيس "ميريداتيس" ابن باكوروس، الذي كان من قبل ملكًا، وطرد الملك ميثريداتيس من ميسين، وغزا كل ميسين. أمّا هذا التمثال للإله هرقل [بالفرتية: فيريثراغنا] الذي خرج به من ميسين، فقد نصبه في معبد الإله أبوللو، [بالفرتية: تير]، وهو الذي كان يقعد قبالة الباب البرونزي».

وبموجب ذلك يثبت النقش الكتابيّ أن الأرساكيين كان في وسعهم أن يستعيدوا، في الحقيقة، بعد حملة الشرق الكبيرة التي شنّها طراجان عام 117 م والاتفاقيات مع هدريان، المكاسب الإقليمية الرومانية التي حققها هذان في العراق، الشمالي والأوسط، غير أنهم لم يكن في وسعهم أن يعيدوا إلى نطاق سيطرتهم ميسين، مرة أخرى. وكانت هذه المنطقة ذات الأهمية غير العادية سواءً من الوجهة العسكرية أو الاقتصادية، في جنوبي بلاد الرافدين، بما تتمتع به من خطوط التواصل باتجاه سورية "تدمر" ونقاط اتصالها بالبحر، حتى الهند، وما وراءها، قد ظلت حتى انتصار فولوجيزيس الرابع، "دولة دائرة في الفلك الرومانيّ؟" مستقلة في ظل حكام أرساكيين أيضًا. وكان تمثال هرقل يعلن الآن، في سلوقيا الفارسية، عن وحدة الامبراطورية التي تمَّ الظفر بها من جديد.

ومن بلاد الرافدين وصلت إلينا آخر الوثائق الأكادية بالخط المسماري، وهي تقدِّم، مثلاً، النصوص الإدارية من بابل، التي تتناول، كلها تقريبًا، معبد مردوك

هناك، حتى عام 92 ق م، بل تتناول التواريخ الحولية والنصوص الفلكية، وحتى الطوالع (خرائط الخطوط) حتى عام 75 م. وفي هذه الشواهد البابلية المتأخرة يُذْكَر أيضًا متقلدون للمناصب فرتيّون، ومنهم، مثلاً، البهاتو "مقدّم المدينة"، وكذلك كبار المسؤولين عن المعبد وأعضاء مجلس بلدي كان يُعَدُّ في الوقت نفسه أيضًا عضواً مدنيًا أعلى في المدينة. على أن نصوص الخط المسماريّ المؤرَّخة تتيح لنا في هذه الأثناء أيضًا أن نحيط بأمر القتال بين السلوقيين والفرتيين على بابل، بمزيد من الدقة وبموجب ذلك استُعيدت بابل بعد ذلك، مرة أخرى، فترة وجيزة (130-129/128) من الملك السلوقي أنطيوخوس السابع، ثم سقطت في عام 127/128 من جديد في أيدي الفرتيين، ثم احتُلت فترة وجيزة من قبل هيسباوسينيس "من ميسينه" ولم تصبح، بصورة نهائية، ومن دون منازِع، في حوزة الأرساكيين، إلاّ منذ عام 126 فصاعدًا. أما سنوات الفوضى والعَماء، الممتدة من عام 141-126 ق م والتي تنعكس بطريقة تنمُّ عن الاستعداد والقابلية، في توارث هذا المجال، فقد ظل يتطلّبها زمنًا طويلاً هذا الظرف المتمثل في أن أورك، على مَرّ الزمن، تفقد أهميتها على نحوٍ حاسم في جنوبي بلاد الرافدين، ودُمِّرت المعابد الكبرى هناك وتمَّ التخلّي عنها. وثمّة وثيقة أرساكية من هناك تثبت الآن أن مقدسات بيت ريش وإيريغال كانت تُزار، على الأقل حتى ربيع عام 108 ق م، وأن أجزاءًا من خدمة المعبد، وبالتالي عائداته، كان يتم إيجارها، وبالتالي تنقل حقوق التصرُّف فيها إلى آخرين. ويحق للمرء أن يكون مَشوقًا يستبدُّ به الفضول في صدد ماهية وجهات النظر الجديدة المتعلِّقة بالحكم الفرتي في بلاد الرافدين، التي يمكن أن تساعدنا في الوصول إليها عمليات التنقيب هناك، وإنقاذ المزيد من محفوظات ألواح الصلصال. ومن الأنواع الخصوصية "العائدة إلى الحقبة السلوقية الفرتية"، أي: ما يسمونه بالنوع الإغريقي-البابلي 16، وهو، في جزء منه، قطع من ألواح من الصلصال صغيرة حقًا، فيها نصوص أكادية أو سومرية، كتبت كتابة معدَّلة، بالأبجدية اليونانية. ولايزال يحتدم النزاع حتى اليوم حول الكُتّاب الذين يكلّفون بالكتابة، والفرضية الكامنة وراء هذه القطع المكتوبة، وتفسيرها.

وحتى في أثناء هذه النظرة الشاملة إلى الرواية الخطية، يقف التقليد الأدبي في الغرب عند نهايته، على الرغم من أنه يتوافر لنا، بالقطع المجتزَأة من أبولودوروس أرتيميتا، وإيسودوروس شاراكس، نصّان مكتوبان من قِبَل رعايا يونانيين للأرساكيين. أما أبولودور، الذي لا نعرف التواريخ الخاصة بحياته وسيرته، فقد كان مؤلف "تاريخ للباريثيين" كان يشتمل على أربعة كتب على الأقل. ولم يتبقَّ لنا سوى قطعة مجتزأة عند أثينايوس، وبعض إشارات عند سترابون الذي يؤكِّد مع ذلك، دقة معلومات أبولّودور عن امبراطورية الفرتيين. وإلى جانب دراسة المراجع

الثانوية "مثل كُتّاب الإسكندر، وأوائل الجغرافيين" يدّعى الناس لأبولودور فضلاً في استطلاعات خاصة على الصعيد الميدانيّ، منها، مثلاً، دراسة محفوظات أرتيميتا وسلوقيا، وكذلك استدراك معلومات عند مواطنيه الإغريق، والتجار والمسافرين. وأما إيسودور، الذي ينتمي إلى خاراكس في ميسينه، والذي لاشك في أنه عاش لحظة الانتقال من عصر إلى آخر، "أي أنه كان مخضرَمًا"، فقد وضع رسالته الوجيزة "محطات فرتية"، التي تصف الطريق الذي يعبر امبراطورية الفرتيين من زويغمار على الفرات، إلى الإسكندرية في أراخوزيا. وكان من الواضح للعيان أنه كان يربط في هذه الأثناء، بين المعلومات الرسمية العائدة إلى أيام ميثريدا الثاني (23/124-87/88 ق م) ومعلوماته الخاصة. وما يستحق الذكر أيضًا، رواية تتوافر في صورة قطعة مجتزأة، عن صيد اللؤلؤ في الخليج الفارسي.

ولعل مما يتسم بالأهمية الخصوصية في صدد عرض التاريخ الفرتيّ، كتاب التواريخ الفيلبيّة (histories Philippicae) تروغوس، من بلاد الغال، لبومبييوس، من بلاد الغال الجنوبية، وهو أوّل مؤلف في التاريخ العام للأدب الروماني، ويقع في 44 كتابًا، منذ نهاية القرن الأول قبل الميلاد. وفيه يأتي، بعد تاريخ الامبراطوريات الأولى في الشرق الأوسط والأدنى، ذلك التاريخ الخاص بمقدونيا "ومن هنا أيضًا جاء عنوان هذا السَّفْر"، وتاريخ امبراطورية الفرتيين حتى عام 20 ق م. وينتهي الاستعراض بعد لمحة وجيزة عن التاريخ الأول لروما، بانتصار أغسطس في إسبانيا في عام 19 ق م. ومن المؤسف أن السَّفْر الذي خلّفه تروغوس ضاع في أواخر العصر القديم، ولا يتوافر لنا اليوم إلاّ في صورة خلاصة عند يوستين "القرن الثالث"، مقترنًا بالبيانات الوجيزة حول المضمون "المقدمات" الأصلية. أما الرجل الضامن لتروغوس في صدد القسم الخاص بالفرتيين، فقد كان كاتبًا غير معروف لدينا، ويريد فريق من الناس أن يَروْا فيه أبولودوروس. ومن الأمور ذات الأهمية من أجل فهم التاريخ والحضارة الفرتيّتَيْن، أيضًا، وصف فرتيا بقلم سترابون في كتابه "الجغرافيا"، وكذلك استعراض آريان بدايات الفرتيين في كتابه "فرتيكا" الذي لم يُنْقَل إلينا إلاّ في صورة شذرات. وثمة كتاب آخرون، من الغرب يسهمون بمزيد من المعلومات: فمنهم بوليبيوس الذي يسهم بمعلومات حول حملة الشرق التي شنها السلوقي أنطيوخوس الثالث، وهي الحملة التي قادته إلى مواجهة الفرتيين أيضًا، ومنهم فلافيوس يوسيفوس الذي يسهم بمعلومات حول العلاقات اليهودية الفرتية، وبلوتارخ، في ترجمتَيْه لكراسّوس وأنطونيوس اللذين كان كلاهما مغلوبًا على أمره في مواجهة الفرتيين، وأبيان، وأسيوس ديو وتاتسيتوس، حول العلاقات الرومانية الفرتية، وبلينيوس، الأب، بأخباره حول الجغرافيا التاريخية لآسيا، وأخيرًا أدباء أغسطس، الذين يميّزون جيرانهم في الشرق بأنهم عدوُّ روما الذي ينبغي أن

يُحْمَل على محمل الجدّ، غير أنهم يفهمون أنفسهم على أنهم المبشرون بالسياسة الأوغسطية تجاه الفرتيين، وأوجه نجاحها.

ومما يُعَدُّ معروفًا بدرجة أقل كثيرًا من هذه النظرة من جانب الغرب، روايات الجغرافيين التاريخيين الصينيين: ومِنْ ذلك أنَّ سيما كْيان، كبير أمناء المحفوظات في بلاط الامبراطور فو-دي، يتحدث عنه فريق من الناس بصفته "هِردُت الصين". وفي كتابه ‹تدوينات تاريخية – شي- جي› الذي فرغ منه في عام (98 ق م) يتحدث عن بعثة صينية، زارت، فيما زارت، مناطق فرغانه، وسوجْديا، وبكتريا، وأنَّ بان غو وبان زهاو، وهما أخوان من حقبة أسرة هان، استأنفا "حوليات الحقبة الأولى من أيام أسرة هان، "شي-جي"، كما كتبا أيضًا، وصفًا لفرتيا، وأنَّ فان يي، يذكر، أخيرًا، وهو الذي لم تكتمل "حولياته عن الحقبة الأخيرة من أيام أسرة هان" إلاّ في القرن الحادي عشر في نصّها الحالي، في الفصل 118، عن "بلدان الغرب" أيضًا، رحلة واحد من أصحاب المناصب الصينيين، جابَ، في عام 97 م، أنحاء فرتيا "آزهْسي"، ووصل حتى الخليج الفارسي.

وثمة شيء أخير: وذلك أن الرواية المتوارثة، الإيرانية الأخيرة "أي: الآثار الزردشتية المدوَّنة والكُتّاب الفارسيين بالعربية" مازالوا يحتفظون بمعلومات عن الحقبة الأرساكية في إيران، ولكن ما من شك في أنها تعرَّضت للاختصار والتشويه من جراء التقليد الساساني المتأخر، بما ينطوي عليه من التهوين من شأن العظمة الفرتية وإنجازاتها. وفي مقابل ذلك بعد "التقليد الكاياني"، أي: استعراض تاريخ ملوك إيران الأوائل، الأسطوري، منبعًا، بلا ريب، والمطبوع بطابع الحقبة الفرتية على نحوٍ حاسم وسوف يترتَّب الحديث عن هذه أيضًا.

4/ 1/ 2] نيسا وبِسُتون وتانغ سرفاك، رهينا والتماثيل البرونزية، الشواهد الأثرية على العصر الأرساكي من إيران

لقد اكتشف المكتشفون معظم المواقع الفرتية في إيران، في تركمانستان، وكردستان، وخوزستان، وبرأيهم تقوم بدور الممثل لهذه المواقع، تلك الأمكنة المذكورة في عنوان هذا الفصل. أمّا نيسا، الواقعة بالقرب من عشق آباد، عاصمة دولة تركمانستان، فقد كانت من أقدم مقارّ الملك عند الأرساكيينن. على أن موقعها يوضح أن البارنيين الذين أغاروا بعد على فرتيا لم يسيطروا بادئ ذي بدء إلاّ على الجزء الشماليّ من هذه المَرْزُبانية، ولم يعمدوا، بحال من الأحوال، مثلاً، إلى قطع الروابط السلوقية من ميديا إلى شمال شرقيّ إيران. ثم إن المنقبين السوفييت عثروا، في نيسا، على بقايا مستوطنتين يمكن تفسير إحداهما بأنها "نيسا الجديدة" المدينة الحقيقية، والأخرى "نيسا القديمة" بأنها الحصن الملكي، مع القصر الملكي

والمباني الخاصة بالمعبد، ولكن فيها أيضًا المخازن وحجرات الكنوز. وقد كانت نيسا في العصر الفرتيّ محاطة بسور تحصينيّ جبّار، وكانت تظهر في جزئها الجنوبيّ قلعة، وكان يوجد في شمالي المستوطنة، على مقربة مباشرة من سور المدينة مجمّع من المباني ، سقط مع ذلك في مرحلة مبكّرة، وتمّ تحويل أنقاضه إلى أمكنة الدفن "وهي حجرات من الطين المدكوك" العائدة إلى الأرستقراطية الفرتية. وعلى النقيض من نيسا الجديدة، التي ظلت عامرة بعد انهيار امبراطورية الأرساكيين، تعرَّض الحصن المعروف باسم نيسا القديمة، في القرن الثالث م للنهب وسُوِّيَ بالأرض، ومع ذلك فقد أتاح بذلك للمنقِّبين مَدْخَلاً أَبْسَط. فعلى ارتفاع خمسين مترًا فوق المنطقة المحيطة بالحصن، لا بُدَّ أن مهردات كيرت، كما كان هذا اسمه، وكان على مرتفع طبيعي، كان يحدث في النفوس أثرًا كبيرًا في العصر القديم بشكله ذي الزوايا الخمس، وسمك جدرانه البالغ خمسة أمتار، وارتفاعه البالغ 20-25 مترًا. وفي داخل القلعة اكتشف المُنَقِّبون، إلى جانب المخازن وحجرات المؤونة المذكورة آنفًا والتي كان يوجد فيها الجزء الأكبر من الأوستراكا، قاعة ذات فخامة وأُبَّهة، يقارب شكلها المكعَّب، كان القوم يودّون أن ينظروا إليها على أنها قاعة العرش. وأضيف إلى ذلك معبد، وعلى وجه الخصوص "مبنى مكعَّب" كان يُفْهَم أنه بيت الكنز، يبلغ طول كل جانب من جوانبه ستين مترًا، وتمتد حول ساحة داخلية كبيرة هنا حجرات طويلة يمكن الدخول إليها من الفِناء، وكان الناظر يجد فيها أشياء قيِّمة، وقِطَعًا من الحليّ والزينة، من أنواع شتّى، كان الناهبون لا يلتفتون إليها، أو يحطمونها، أو يطرحونها جانبًا، بغير انتباه، أو كانوا قد سرقوا أكبر أجزائها قيمة: فمنها المعادن الثمينة، والعملات، والعُدَد والأدوات المُتَّخذة من الذهب والفضة، والعاج، ومنها التماثيل المنحوتة من المرمر، والمواد القيِّمة المستوردة، والملابس والأسلحة. وكانت هذه الأشياء تفيد الملوك الأرساكيين بصفتها ضرائب وأُعْطيات على السواء، مثلما كانت تفيد الإخمينيين أمثال هذه التي يخرجونها من بيوت كنوزهم. وكان مما يُحْدِث في نفوس المنقِّبين أثرًا خصوصيًا، عشاق الفن القديم الذين كانوا يقتنون أكثر من 50 رْهيتا "وهي قرون من العاج التي تُتَّخذ للشراب" وكانت تنتهي في نهايتها المُدَّببة، بشكل يمثل إنسانًا أو حيوانًا، وكان الناس يفكرون في استعمالها في إطار الطقوس أو المراسيم، بسبب وزنها. وكانت هناك "قطع كلاسيكية" برأس آدمي وجسم فرس، وأشباهه، وبشخصية أفروديت، وقطع "شرقية" ذات نهايات يُقْبَض منها عليها، تظهر عليها أشرطة للزينة، وعليها مشاهد ديونيزية، كما تظهر آلهة الألمب البالغ عددها أثني عشر إلهًا. ويمكن، بالاستناد إلى معرفة الفنانين، واطلاعهم، أن تُخْتَتَم بمواد من الأسطورة اليونانية. أمّا أين نشأت هذه القطع، ومَنْ كلَّف الصانعين بصنعها فذلك أمر يحتدم فيه

النزاع. وباستثناء نيسا، وقع الباحثون في الآثار أيضًا، في أمكنة أخرى من جنوبي تركمانستان، على مدن، وحصون ومستوطنات فرتية.

ويعرف من المقارّ الفرتية اللاحقة، ما يسمونه بالهيكاتومبيلوس "أي: المدينة ذات الأبواب المئة"، التي يُعْتَقَد أن القوم اكتشفوها من جديد في شهر-ي قوميس، عند دامغان، إلى الجنوب من إلبوروز، حيث استطاع الباحثون أن يلاحظوا، إلى جانب البقايا السلوقية، على وجه الخصوص، الأشكال المختلفة من فن بناء القباب الفرتية.

فلنَلْقِ الآن نظرة على غربي الامبراطورية، إلى ميديا، هنا حيث أوعز الملوك بأن يُخَلَّدوا في المكان ذاته الذي خُلِّد فيه داريوس الأول: إلى بِسُتون. أمّا أنَّ الأرساكيين كانوا، بالطبع، على استعداد لترتيب رواية عن فَعالهم، وإعداد النقش الكبير البارز على الصخر لملك الإخمينيين، من الوجهة التاريخية، فذلك ما يمكن التشكك فيه. بل إن كْتيسياس نفسه، كانت لديه، في القرن الرابع، هذه الآبدة، "وقد أراد أن يُنْزِل فيها ما يسمى البارادايزوس" الخاص بالملكة الأسطورية سميراميس" على أنّ ما كان معروفًا لدى الفرتيين، بالطبع، كما كان معروفًا لدى السلوقيين، إنما هو السمة "القدسية" لهذا المكان. ولئن كان هياكنثوس ذاته، وهو ابن بانتوخوس، أراد أن يأتي إلى هنا، من أجل "نائب الملك" السلوقي كليومينيس، في صيف عام 148 ق م بنقش بارز لهرقل، فقد أوعز، أيضًا، مثريداتيس الثاني، وملك يدعى غوتارزيز، بأن يُخَلَّدا في بِسُتون، مع اقتران ذلك، في كل مرة، بالنقش الكتابي "أنظر ما سبق" حيث تظهر صخرة منحوتة، واحدة، ملكًا يقال له فولوجيز "؟" في موقف تقديم القربان أمام مذبح "وعلى جانبيه اثنان من حملة الألقاب والمراتب". وأمّا أن ميديا، بما فيها من مقر الملك في إكباتانا، كانت تُعَدُّ عند الفرتيين إقليمًا هامًا في امبراطوريتهم، فذلك ما يكشف عنه النقش البارز المذكور آنفًا، وهو نقش "سار-ي بول زوهاب"، وأمكنة ميدية كان قد تمّ اكتشافها حتى ذلك الوقت، من أمكنة الاستيطان والدفن، العائدة إلى أيامهم.

والشيء ذاته ينطبق على الجانب الظاهري من جنوب غربي إيران، حيث عثر الباحثون في سُوْسَ وفيما جاورها، ولاسيما في عيلام (في جبال بختياري) على آثار جمّة العدد من الحقبة الفرتية: ومن الآثار المشهورة على وجه الخصوص تلك النقوش البارزة في الصخر، ذوات العدد الجمّ، من هذا المكان "وبصورة جزئية: نقوش كتابية آرامية"، التي اختصّ منها النقش المأخوذ من تانغ سارفاك، بالموضوعات "الملكية"، مثل التتويج، والصيد، وإظهار التقدير والاحترام من قبل حملة الألقاب والمراتب المحليين وكذلك إثبات حُسنِ البلاء في ساحة القتال. ولمّا كانت موضع النزاع في تأريخها، وكانت إيرانية في أسلوبها وتقاليدها، فهي تشكل حلقة الوصل بين

فن الآثار ذوات النقش البارز الإخميني ونظيره الساساني. وما من شك في أن من الواجب أن نراعي مسألة أن العيلامية تمكنت من الحفاظ على استقلاليتها سواء من الوجهة الثقافية أم من الوجهة السياسية، في ظل الفرتيين أيضًا، وفي كثير من الأمور. ولما كان حكام عيلام يَدّعون أنفسهم يُصَوَّرون من دون أن تكون لهذا علاقة بأسيادهم الأرساكيين، وكانت النقوش البارزة في موضوعها التقليدي، لا تشير، فوق ذلك، إلاّ إلى آثار ضئيلة من العلاقة بالفن الفرتي في بلاد الرافدين، فربما كان من الواجب أن تكون أقرب إلى أن تكون "فرتية-عيلامية".

فَلْنَبْقَ لحظة ماكثين لدى الفن الفرتي: وذلك أن مَنْ يشتغِلْ به سوف يقرر أن معظم الأعمال الفنية التي يشار إليها، بوجه عام، بأنها "فرتية" لا ترجع إلى مراكز الامبراطورية أو حواضرها، بل إلى أطرافها المحيطية، كالعيلامية مثلاً، غير أنها ترجع، قبل كل شيء، إلى بلاد الرافدين "هاترا"، وحتى إلى ما وراء حدود الامبراطورية "دورا، تدمر، كومّاجين". ومن الناحية الأخرى، تظهر الأمكنة الإيرانية، مثل نيسا، وبِسُتون، قَدْرًا كبيرًا من التأثُّر بالفن الإغريقي الهيلينستي "وإن كان ذلك، أيضًا، مع الاستفادة منه وفقًا لقوانين خاصة تمامًا". أما أن الباحثين، يتحدّثون، على الرغم من ذلك، في صدد الحقبة الواقعة بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الثالث ميلادي في صدد المجال الممتد من بادية الشام وآسيا الوسطى، عن "فن فرتي" فمَرَدُّ ذلك إلى سِمات أسلوبية محدَّدة في الفن الذي أبعد عنه الفرتيّون بأنفسهم عنه، وبالتالي، في الفن الذي نشأ في المناطق الواقعة تحت سيطرتهم أو الخاضعة لنفوذهم، وهي السمات التي يدخل فيها، ضمن أمور أخرى، جبهيّة العرض. لقد كان القوم يكرّسون عناية خاصة لرسم التفاصيل، كتفاصيل الزي الفرتي، مثلاً، أو حتى للزينة التي تُتَّخذ فوقه. أما مسألة اختراع العَرْض، أو التصوير، الجَبْهي للشخصيات، في فن النقش البارز، وفي فن التصوير، فمسألة يشتد فيها النزاع. وأمّا أصل ذلك فيُظَنُّ أنه يرجع إلى أولى القبائل البدوية الإيرانية، أو إلى سورية والعراق.

ولمّا كانت أشهر أمكنة "الفن الفرتي"، وهي هاترا في شماليّ العراق، بما فيها من "الأواوين المميِّزة" (وهي حجرات كبيرة مكشوفة من أحد جوانبها، مقبَّبة السقف، وذات مسقط مرَّبع، تقع خارج إيران بفن نحتها المعماريّ التشكيليّ المتناسق، وزخرفتها الجصيّة، وكذلك بالأشكال المعقَّدة من نحت الحجر، فإننا نصل، مع اختتام هذا الفصل، أيضًا، إلى الحديث عن عمل فنيّ من إيران ذاتها، ألا وهو التمثال البرونزي الشهير لأمير "شامي في جبال زاغروس "خوزستان"، وهو محفوظ لنا كاملاً حتى ذراعيه وقد تمَّ صب الرأس الصغير نسبيًا، منفصلاً عن الجذع، غير أنه يستقر على القفا منسجمًا من دون حاجة إلى رَتْق أو إضافة. وتشير ملامح

الوجه إلى لشاب، في ميعة الصبا. أما تعبير الوجه فثابت غير متغيّر. على أنّ ما يلفت النظر، إلى جانب الشاربين الطويلين، واللحية على الوجنتين والشعر المنتفِش، الذي يمسك به ويلم شعثه شريط، زِيُّ الرجل: فهو يرتدي إهابًا قد رُدَّ بعضه على بعض، وهو يبرز عُرْيَ الصدر، ويمسك به حزام مشدود، كما يرتدي ثيابًا للساقين فضفاضة، يحيط برقبته طوق، وعلى جنبه خنجران يَتَدَلْدَلان. ويتبيّن الناظر، من خلال ثيابه، وتسليحه وزينته، الإيرانيَّ الأرستقراطيّ "العيلاميّ؟". ومع ذلك يعتقد المرء، بسبب التخلّي عن حيوية التصوير وطبيعيَّته، أنه يرى، أمام عينيه، بالأحرى، أنموذجًا أكثر مما يرى فردًا بعينه. ولا يتغيَّر شيء من هذا الانطباع من جرّاء ما ينبعث من الشخصية من إشعاع السلطة، والسكينة والقوة. ولم يكن من قبيل العبث إتقان أغسطس ما أتقنه، في الاحتفال بنجاحه الدبلوماسي وتغلبه على الفرتيين في عام 20 ق م. كما لم يكن من قبيل العبث احتفاله بأنه كان يحاول، في برنامج مصوَّر تمتد أبعاده في أرجاء الامبراطورية، أن يسلب خصمه الشرقيّ هذا السلطان: وذلك أن تماثيل برابرة الرومان الحمّالة، الضارعة المتوسّلة، الملوَّنة، التي تقف منتصبة متوكِّئة، تحكم عليه بإظهار الاحترام المُذِلّ، كما تحكم عليه بأن يخدم كما يخدِم العبيد.

ولم تتحوَّل عملات الأرساكيين، عند المؤرخ، إلى منتجات هامة من نواتج حكمهم، بسبب الأساطير الدينية المرتبطة بها فحسب، بل تحوَّلت إلى هذه الصفة أيضًا بسبب مضمون تصاويرها. ولا ريب في أن مسكوكات العملة الفرتية التي تمّ إدخالها بُعَيْد منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، تميَّزت من تلك التي نشأت منها على وجه الخصوص في إكباتانا وسلوقيا على الدجلة، بسِمات خصوصية. كان معدن العملات الرئيس الزئبق، وكانت العملات النحاسية تُصَكّ من أجل مصالح محلية. وقد تخلّى الأرساكيّون عن العملة الذهبية، خلافًا لأسلافهم الهيلينستيين. وكانت القيم الإسمية الرئيسة للنقود تتمثل في الدراخما التي تزن 4 غ من الفضة بمقياس أيكا، وإلى جانبها التيتزا دراخما التي لاشك في أنها فقدت من وزنها ومن مضمونها من الفضة، بوضوح، على مَرّ الزمن، على النقيض من الدراخما. أما قطع الأربع دراخمات فتعدُّ أيضًا ذات أهمية، لأنها تظهِر علامات ترمز إلى شخصيات معينة من أساتذة صك العملات، وتواريخ بموجب نظام التأريخ في الحقبة السلوقية "تبدأ في الشرق بالأول من نيسان، 311 ق م" واسم شهر التقويم المقدوني.

أما الصورة فتظهر تبعًا للأنموذج الهيلينسي، وبالطبع مع صكٍّ إيراني واضح. فالوجه الأمامي يحمل رأس الملك "الذي ينظر، في العادة نحو اليسار"، وفي حالة أوائل الحكام، بالقبعة الأنموذجية للمحاربين من البدو، وفيما بعد بات يظهر بالإكليل الهيلينسي، وبالْتيارا الملكية الإيرانية. وكان يُصَكّ على الوجه الخلفي من

قطع الدراخما، بالطريقة المقَوْلبة، صورة أرساكس الأول، على عرشه ينظر ناحية اليمين، مصكوكًا، أوَّل الأمر، على "الأومفاليس"، ثم، مثل زيوس، مستويًا على العرش. أمّا دراخمات التيترا فتظهر الملك على عرشه مع قوسه، أو في صورة "نيقوفوروس". وثمة دراخمات أخرى تحمل مشهدًا مع إلهة الحظ أو القدر (Tyche) أو تحمل الملك على جواده "عند التتويج؟". أما قطع النقد النحاسية فكانت أكثر تغيُّرًا وتبدُّلاً من حيث التمثيل بالصور، وكانت توجد على الوجه الخلفي للعملات الفضية الفرتية، في العادة، أيضًا، الأساطير الدينية اليونانية التي لم يتطرق إليها الفساد إلاّ في منتصف القرن الأول، شيئًا فشيئًا، وتمَّ استكمالها بأساطير دينية فرتية، وهي مرتبة في صيغة الجر بالإضافة، وبالتربيع، وتسمي، على الدوام، اسم الحاكم المنتمي إلى الأسرة الحاكمة، أرساكس، وتميِّز الحاكم تمييزًا إضافيًا، بأنه "الامبراطور" أو "ملك الملوك". وفي البداية كانت للألقاب الأخرى، على ما يبدو، دلالة خصوصية، ومع ذلك فاللقب يتكرر تكرارًا مُقَوْلبًا: "باسيليوس باسيليون أرساكو أو يرجيتو ديكايو إيبيفانوس فيلهيللينوس "عملة" ملك الملوك أرساكس الحاكم، صاحب الأيادي البيض، العادل، البارز، صديق الإغريق". ولما كان اسم الملك الفعلي، في البداية، لا يذكر إلاّ في المناسبات الخارقة للعادة، ومنها، مثلاً، عندما يظهر ملوك مناوئون، هنالك لا يكون من السهل تبيُن، اسم الحاكم المصوَّر "وبالتالي لا يكون من السهل، على الدوام، تأريخ العملة". ولن يكون هناك بُدٌّ من أن تشغلها الأساطير باليونانية وتصوير الحاكم ذاته، بأنه "صديق الإغريق".

وكان السادة الدائرون في فلك فارس، من العيلاميين والخاراكيين يتمتعون، أيضًا، بالحق في صك العملة التي يراعون وجوب كونها على غرار العملة الفرتية. أما في شرقي إيران "سيستان" فتظهر، منذ نهاية القرن الأول قبل الميلاد، عمليات صك زائدة العملات أرساكية يتم الربط بينها وبين أسرة بهلوا الحاكمة المحلية "من أسرة سورين الفرتية؟".

4 / 2] الملك ورَعيَّته

4 / 2/ 1] المَلَكية في دولة الأرساكيين

يتوافر لدينا اطلاع على بدايات حكم الأرساكيين بدرجة غير كافية، ولاسيما من شواهد الغرب المتأخرة. وذلك أن الكتاب الذين هم على شاكلة تروغوس / يوستين، وسترابون، وأريان، تساورهم الهواجس في هذا الصدد، حول الكيفية التي

أمكن بها أن تتكوَّن أسرة حاكمة باتت كبيرة بالانطلاق من بدايات ضئيلة، وبات من الواجب أن تُحمَل على محمل الجد بصفتها منافسة لروما. فلندع أول الأمر سترابون يدلي بدلوه في هذه المسألة: «وفي تلك الأيام "أي: في أيام الحرب الأهلية بين السلوقيين، سلوقوس الثاني وأنطيوخوس هيراكس، 240/-39 قبل 236"، أغار أرساكس، وهو سكيثيّ، مع بعض الداهريين "وأعني الأبارنيين، كما كانوا يسمّون، على بدو يعيشون على نهر الأوخوس" في فرتيا وغزا هذه المنطقة. وفي البداية كان أرساكس ضعيفًا، وكان يتورَّط، على الدوام في معارك مع أولئك الذين سلبهم أرضهم، مثلما فعل ذلك خلفاؤه أيضًا، ومع ذلك فقد بلغوا بعد ذلك من القوة مبلغاً عظيمًا، وكانوا في هذه الأثناء يستولون على الأراضي المجاورة خطوة فخطوة عن طريق الحروب الناجمة، إلى أن تمكَّنوا، في النهاية، من ترسيخ أقدامهم، أسيادًا في كل البلاد في الداخل "شرقيّ" الفرات . . والآن باتوا يتمتعون بالسيادة على قَدْرٍ من الأرض والشعوب "الإثنيات" بلغ منه أنهم باتوا يمثلون، فيما يتعلق بحجم دولتهم، نوعًا من الخصوم المنافسين للرومان، وكان السبب في ذلك أسلوب حياتهم وعاداتهم التي كانت تنطوي على الكثير مما هو مطبوع بالطابع البربري، وطابع السكيثيّن ومع ذلك فقد كان ما هو أكثر من ذلك هو أنّ هذا عاد عليهم بالهيمنة والنجاح في الحرب».

وحتى تروغوس ويوستين يرسمان هذه الصورة عن ارتقاء الفرتيين الذي لم يكن من الممكن وقفُه، ويصفان أولى التطوُّرات مع ذلك، وصفًا أَدَقّ: «كان الفرتيوّن الذين آلت إليهم السيادة على الشرق، كأنما بعد اقتسام لدائرة الأرض، منبوذي السكيثيين وكانوا قد أُخْرِجوا من سكيثيا نتيجة للمعارك الداخلية، وهكذا استقرّوا في الأرض الجرداء بين هِرْكانيا وشعوب داهِر، والآريين، والسبارنيين، والمارجيانيين، ورسَّخوا أقدامهم بطريقة الاختلاس. ولمّا كان هؤلاء الجيران الحدوديون في البداية لا يطالبون بحقٍّ ما فقد وسَّعوا فيما بعد في مواجهة محاولة إعاقتهم، منطقتهم، توسيعًا بلغ منه أنهم لم يكتفوا باستيطان سهول عريضة عميقة إلى حد يتجاوز الحدود والمقاييس، بل استوطنوا أيضًا الأراضي الجبلية والتلال الشديدة الانحدار. ومن هنا يتَّفق أن الجزء الأكبر من المنطقة الفرتية كان إمّا شديد الحرارة وإما شديد البرودة، لأن الجبال يستقر عليها الثلج، وفي الأرض المنبسطة تسود حرارة لاهبة. . وفي هذا الوقت، أي وقت حرب الإخوة السلوقيين، خرج أيضًا تيودوتوس "ديودوتوس" الذي كان يتولى أمر ألفٍ من المدائن البكترية، وتُوِّج ملكًا، ثم حَذَت حذو هذا أيضًا شعوب الشرق بأسره، وخرجت على المقدونيين. وفي هذا العصر كان يعيش أرساكس، وهو رجل يُعَدُّ، في الحقيقة، غير ثابت الأصل والنسب، ومع ذلك فقد كان يتميَّز بما أثبت من شدة البأس ومَضاء العزيمة. وحين عرف هذا، وهو

الذي اعتاد أن يعيش من قطع الطريق والنهب والسلب، من طريق الشائعات، أن سلوقوس قد هُزم على يد الغاليين "عام 239 ق م"، هنالك أغار، بعد أن تحرَّر من الخوف من هذا الملك، بعصابة من اللصوص، على منطقة فرتيا، وانقضَّ على واليها، أندراغوراس، وجعل من نفسه، بعد التخلص منه، سيدًا على القبيلة، وبعد وقت ليس بالطويل، استولى أيضًا على مملكة الهيركانيين، وهكذا. وحين أوتي السيادة على شعبين، ينشئ لنفسه، بدافع الخوف من سلوقوس ومن ملك البكتريين، تيودوتوس، جيشًا شديد البأس. ولكن حين تحرر من الخوف، من جرّاء موت تيودوتوس، عقد تحالفًا وصلحًا مع ابنه، الذي سُمِّي، بدوره تيودوتوس. وبعد وقت قصير اصطدم بالملك سلوقوس الذي زحف لمطاردة الخارج المنشق، وظل بذلك منتصرًا، وهذا اليوم، يحتفل به الفرتيون منذ الآن فصاعدًا، احتفالاً كبيرًا، على أنه بداية حريتهم.

وحين استُدّعِيَ، على أثر ذلك، سلوقوس، بسبب قلاقل جديدة، حظي بحرية التصرف وإطلاق اليد، لتشكيل امبراطورية الفرتيين من جديد. فكان يجنِّد الجند، ويؤسس أمكنة محصَّنة، ويؤمِّن المدن، كما أسس على جبل أباوُرتينون مدينة سمّاها دارا، وكان نوع مكانها وموقعها مُهَيّا بحيث لا يمكن أن يكون هناك مكان محميّ أكثر منه، ولا أكثر جمالاً وسحرًا . . وهكذا أصبح أرساكس، بمملكته التي تأسست لتوِّها، وتمَّ تنظيمها وتدبيرها لا يقل خلود ذكرٍ عند الفرتيين عمّا كان لقورش من خلود الذكر عند الفرس وعما كان للإسكندر عند المقدونيين، وعمّا كان لرومولوس عند أهل روما. وحين مات بعد ذلك وقد بلغ من الكبر عتيًا أَوْلى الفرتيون ذكراه الشرف المتمثل في أنهم باتوا يطلقون، منذ الآن، فصاعدًا، اسم أرساكس، على كل ملوكهم».

ويُقَدِّم آريان، الذي لا يتوافر كتابه (فرتيكا/ Parthika) إلاّ بعد إعادة نظر فيه من قبل فوتيوس وسينكيلّوس، رواية مختلفة كل الاختلاف، إذ يفيد هذا أنَّ الأخوين أرساكس ومثريداتيس "ويقول سينكيلّوس إنهما من سلالة أردشير الفارسيّ" قتلاً، بالاشتراك مع خمسة من المتآمرين معهم، فيريكليس "ويقول سينكيلّوس: أغاثوكليس"، الذي عيَّنه أنطيوخوس تيوس "الثاني"، مرزبانًا لفرتياب، انتقامًا لإهانة لحقت بهما على يد المرزُبان.

وقبل أن نتمكن من التوجُّه نحو مسألة ماهية "الإيديولوجيات" السياسية، وبالتالي، التقاليد التي تستكن وراء هذه الروايات، يترتَّب علينا أن نقول بعض الكلام أيضًا في التاريخ الحَوْليّ لحكم الأرساكيين، وجغرافيتهم وتاريخهم: وذلك أن شقيق أرساكس، الذي يذكره أريان، أي: ميثريد، رجل متنازَع على حقيقته التاريخيّة. فالأمكنة الأولى للفرتيين (البارينيّين): نيسا، ودارا "مدفن أوائل الملوك"

وأساك "مكان تتويج أرساكس الأول" تقع على مسافة بعيدة، إلى الشمال من جبال إلبورز، بل يُظَنّ أنها تقع إلى الشمال من كوبيت داغ "ونيسا تقع عند عشق آباد ودارا عند أبيفارد، بين عشق آباد ومرو". ولابد أن ترجع بداية حساب التاريخ عند الفرتيين (Ara)، وهي عام 239 ق م إلى أولى البدايات على الإطلاق، عند البارنيين. ولم يبدأ الخروج الحقيقي للفرتيين على سلطان السلوقيين إلاّ بعد عام 239 ق م. ومن الممكن أن يكون الفرتيون تمكّنوا، بعد انسحاب سلوقوس الثاني، من احتلال بعض الأمكنة جنوبيّ سلسلة الجبال "هيكاتومبيلوس"، ولكن فقدوها من جديد، في وقت يرجع، على أبعد تقدير، إلى أيام أنطيوخوس الثالث الذي ظهروا في أيامه بصورة الدائرين في فَلَكه. ولم ينقضّوا بعد ذلك على مناطق الشعوب الواقعة في السفوح الشمالية لجبال إلبورز، إلاّ في أيام فراتيس الأول "بعد عام 180 ق م"، وتخطّوْا ذلك في أيام خلفائه ليصلوا إلى الأقاليم الواقعة جنوبيّ الأراضي، بل لم تصبح كوميسينه مع جبل الهيكاتومبيلوس جزءًا ثابتًا من دولة الأرساكيين إلاّ في أيام ميثريداتيس الأول.

ولنَعُد الآن، أدراجنا إلى الأساطير الدينية المتعلقة بتأسيس الدولة: وذلك أن يوستين حين يشبّه أرساكس بقورش، تكون لهذا أسبابه الوجيهة. فالنسب البسيط المتواضع واللصوصية والنهب أشياء تُرْوى حتى عن مؤسس امبراطورية الإخمينيين "وفيما بعد، عن ساسان، جدّ قبيلة الأسرة الحاكمة التي خَلَفَتْهم". وقد كانت الحكايات من هذا النوع تضرب بجذورها في أعماق الرواية الشعبية الإيرانية، وكانت ما تفتأ تُزَوَّد بأسماء جديدة، ومَنْ بات عظيمًا بالانطلاق من أمثال هذه البدايات المتواضعة، كما يُؤوِّلون التاريخ، فهو يستحوّذ، من ناحية أولى، على الموقف السياسي والعسكري الذي يمكّنه من الحِفاظ على ما اكتسب، أو يمكّنه حتى من استكمال بنائه، وسوف يظل، من ناحية أخرى، واعيًا لبداياته على الدوام، ولن يدع نفسه يتطرَّق إليها الفساد عن طريق الثراء العريض والترف. على أن مراعاة ذكرى مؤسس الدولة، مثلاً، عن طريق قبول اسمه اسمًا رسميًا للجالس على العرش، إنما هي تعبير عن هذا التكوين الواعي للتقليد. وفي أساطير الملوك الإيرانيين، يجري، فوق ذلك، تأكيد ارتباط الارتقاء الاجتماعيّ بالأسرة الحاكمة القديمة: فهذا قورش يفترض أنه كان ابنًا منبوذًا لملك الميديين، أستياجيس، وساسان الذي كان يحكم قبل الإسكندر، يفترَض أنه كان ينتمي إلى أسرة دارا. فهل كانت تتم مصادرة لارتباط مماثل بالإخمينيين أيضًا لصالح أرساكس؟. فلنتذكر إعادة النظر التي تولاّها سينكيلّوس، لكتاب (فرتيكا) الذي وصفه أريان حيث يوضع أردشير على قدم المساواة مع أرساكس على أنه جَدُّه، وهو يوضع، حسب المألوف، على قدم المساواة، مع الملك الإخمينيّ الثاني، المماثل في الاسم، الذي يقول عنه كتيسياس إنه كان يسمى، قبل

ارتقائه العرش، أرساكاس /أرساكس/ أرسيكاس. والآن تأكّدت، بلا شك، متغيرات داينون في الأسماء أو آرسيس ="هوْ آرسيس" عن طريق شهادة الاستشهاد باسم آرسيس، على أنه آرشو في نصوص البابلية المتأخرة، الفلكية، حيث لا يبقى سوى أن نتساءل، أليس من الممكن أن تكون صيغة التصغير الملائمة لآرسيس، وهي آرسيكاس "أرساكاس، أرساكس" هي التي أنشأت، بلا ريب، ارتباط الأرساكيين بالإخمينيين؟. ولعل مما يُحيل إلى الأسلاف الإيرانيين في الحكم أيضًا، ملاحظة أخرى لأريان، إذ يفترض أن أرساكس وميثريداتيس تخلّصا من المَرْزُبان السلوقي، بخمسة من المساعدين، وما لا ريب فيه أن رقم السبعة الدال على عدد المتآمرين لم يتطابق بطريق المصادفة مع عدد قتلة غاوْماتا "داريوس ومساعديه الستة، ويفترض أن يضفي ذلك على هذا الانقلاب، بلا ريب، مظهرًا وطنيًا، إيرانيًا. على أننا نعرف قصة مماثلة أيضًا، مستقاةً من محيط ميثيريداتيس الأول، حول بونتوس، عند ثورته على أنتيغونوس. ولا يمكن الارتياب في أن هذا الميراث وسلسلة النسب ركبهما الفرتيون: فإلى جانب أردشير، الوارد عند أريان، والمتآمرين السبعة، يوجد مقابل ذلك اسم المزرعة آرتاخْشَهْراكان، على قطعة مجتزأة من الصلصال، من نيسا تعود إلى عام 92 ق م. كما يَرِد الأخذُ بلقب ملكي إخميّ، والتقييم المَرْويّ أيضًا، عن باحث عالميّ مسلم، هو البيروني، للأرساكيين، بأنهم "ملوك الطوائف" (أي: الملوك الجزئيّون الإيرانيون) بعد الإسكندر، بسبب تحدُّرهم من أسرة ملكية فارسية قديمة. وهناك كثير ما يؤيّد أن الملوك الفرتيين كانوا ينظرون، في إطار نظرتهم إلى الخلف، إلى تأسيس الدولة الناجح، وفي إطار جهودهم في سبيل الحصول على الاعتراف بسيادتهم، إلى فرتيا نظرتهم إلى وطنهم"، ويرون أنهم "اكتشفوا" ملكًا إخمينيًا يكون له جَدًا. ومن الممكن بعد ذلك أن نتكهَّن، بأن ميثريداتيس الأول، الذي كان أوّل من تقلَّد اللقب الإخميي، "ملك الملوك"، كان له إسهام لا يستهان به في إنشاء هذا التقليد. وهذا ما يضفي على المسألة معقولية تاريخية أيضًا، إذ تحوَّل الحكم في أيامه، آخر الأمر، من حكم لفرتيا، إلى جحيم ينسِف كل حدود إيران، التي كان يترتَّب عليه تسويغها من الوجهة التاريخية. أمّا أن خلافة الإخمينيين ظلت برنامجًا إيديولوجيًا للأرسكايين، فذلك ما كشفت عنه المطالبة الواردة عند تاتسيتوس، باستعادة الأراضي الفارسية القديمة من الرومان، من قِبَل أرتبانُس الثاني، في عام 35 م: «وكان يشير، في الوقت ذاته، إلى الحدود القديمة، الفارسية المقدونيّة، ويعلن، بالتهديدات المتبَجّحة، أنه سيزحف على المناطق التي كان يحكمها قورش، والإسكندر من بعده».

وأمّا أن أرتبانُس كان يستشهد بالإسكندر، وأنه كان، بذلك، يتصرف تصرُّفَ من يرى أنه خليفة الملوك السلوقيين، فذلك ما يقودنا إلى سؤال: كيف يمكن تقويم

الميراث الإغريقي من قبل الفرتيين؟. وبالطبع، لا يمكن أن يرد حديث عمَّن كانوا مرغَمين على ذلك بالنظر إلى افتقارهم إلى تقاليد ثقافية خاصة بهم، حتى عندما جعل التقليد الساساني المتأخّر من الفرتيين، لأسباب مفرطة في الوضوح، حكامًا أجانب، وملوك طوائف تسلّموا الحكم بعد التوقف التَعِس في التاريخ الإيراني "حملة الإسكندر". ومن الناحية الأخرى فإن تعلّقهم بالنزعة الهيلينستية لا يمكن تفسيرهُ التفسير الكافي بضرورات سياسية لا شك في وجودها، ومنها، مثلاً، الحِفاظ على ولاء الرعايا الإغريق. وذلك أن الانفتاح الأرساكيّ على اللغة والثقافة اليونانيتين يوضح، إلى جانب أمور أخرى، المشهد المشهور الذي يقال إنه انعكس، فيما يروي بلوتارخ، في البلاط الملكي، بعد الانتصار الفرتي على كراسوس 53 ق م: «وبينما كان يحدث هذا، كان أوربديس "ملك الفرتيين" قد عقد معاهدة صلح مع الأرمنيّ أرتابازيس، وخطب أخته إلى ابنه باكوروس، وتبادلا المآدب والدعوات إلى مجالس الشراب، وكانت هناك أيضًا، في هذه الأثناء عروض فنية من أصل يوناني، لأن أوربديس لم يكن يجهل اللغة والأدب اليونانيَّيْن، بل كان أرتابازيس يكتب التراجيديات شعرًا، ويكتب الخطب ويدوّن الأسفار التاريخيّة التي بقي لنا منها بعضها. وحين جئ عندئذ برأس كراسّوس على الأبواب، كانت الموائد قد رُفِعت لتوّها، وكان ممثل تراجيديّ، يقال له ياسون دي ترالاّيْ، يترنَّم، في أغانيه، بمشهد من مسرحيات يوريبيد في الخمر. وبينما كان القوم يمطرونه بوابل من الاستحسان دخل سيلاكيس باب القاعة، وأدّى التحية بالسجود، وألقى برأس كراسوس في وسط القاعة. . غير أن ياسون سلّم قناع بينتويس لواحد من أعضاء الجوقة، وأمسك برأس كراسوس وجعل يترنم، بأقصى قدر من الحماسة لباخوس، إله الخمرة، بالأبيات التالي:

وها نحن أولاء، نأتي، من الجبل

ببقرة مذبوحة لتوِّها، إلى المنزل

ألا إنها لغنيمة صيد رائعة!».

وما من شك في أن التعلُّق الملكي بالنزعة الهيلينستية لا يمكن وضعه على قدم المساواة مع الصداقة المطلقة لليونانيين، إذ كان المبدأ الخاص بالسلوك يتمثل، دائمًا، في المنفعة الخاصة.

ولا يترتّب تفسير سياسة الملوك الفرتيين بروح من الانعطاف المعادي للإغريق، بل ينبغي تفسيرها بأنها توجُّه وتشدّد نحو التراث الإيراني، في القرنين الأخيرين من حكمهم. وما يقدّم الشواهد على ذلك ظهور الأساطير الفرتية على عملاتهم، والتقليد الزردشتي المنسوب إلى الملك فولوجيزيس، الذي كان يحافظ على الأفيستا. ولكن مما يدخل في هذا الباب أيضًا، التنمية الخصوصية لتقاليد الإيرانية الموروثة.

أما أنَّ المعرفة التاريخية الدقيقة بالإخمينيين وبالإسكندر كانت خليقة بأن تتلاشى في مستهل الحقبة الساسانية، وبالتالي، وبلا ريب، أيضًا، في أواخر الحقبة الفرتية "أنظر ما يلي"، فذلك ما لم يكن أحد ليتكهّن به، بلا ريب، في أيام أوربديس. فكيف يمكن تفسير هذا المضمون في الذاكرة التاريخية؟. لقد أكّدنا منذ هنيهة أن الحضارة الإيرانية القديمة، كانت على الدوام حضارة مشافهة على نحو صريح، وكان بين المواد البطولية التي كانت محبوبة بوجه خاص، ومن أجل ذلك كان يجري تناقُلُها وتوارثها، تلك المواد التي كانت تتحدث، في قالب ملحَميّ، عن الملوك المنتمين إلى أسرة الكيبيانيّين من شرقيّ إيران، والذين كانوا يخوضون معارك دائمة مع أعدائهم الطورانيين. وفي "الياشتس" من الأفيستا، حظيت هذه الأساطير البطولية بمسْحتها الزردشتية. ولابُدَّ أنَّ هذا التقليد الموروث، من شرقيّ إيران، تراكم على سائر التقاليد المحلية أو الإقليمية حتى حجبها، الأمر الذي أدى، في فارس، إلى تلاشٍ للذاكرة الأصلية، التي تذكّر بالميديين الإخمينيين. والحق أن الساسانيين، كانت لهم، في بِرسِبولِس وفي نقش رستم، وفي أمكنة أخرى، أوابِدُهم الماثلة أمام أعينهم، ومع ذلك فلم يكونوا يعرفون ما هو أكثر كثيرًا من أنّ هؤلاء "الأجداد" كانت لهم امبراطورية كبرى تصل إلى أمداء بعيدة في الغرب. وفي الوقت ذاته كان يجري توسيع نطاق التقليد الموروث الملحمي، في الحقبة الفرتية. وكان الأمراء والحكام الدائرون في فلك الامبراطوريات المجاورة، يجدون مُدَّخَلاً إليها بفَعالهم الجيدة، وكان الغوسان، وهم نوع من منشدي قصائد الغزل الفرتية، "على غرار ما كان يعرف في أوربة العصر الوسيط" باسم (Minnesanger) يلقون التقدير في بلاط الملوك والمحبة بين صفوف الشعب، وكانوا يشهدون مناسبات الدفن والأعياد، وكانوا يمثلون خطباء المديح والهجّائين ورواة الأقاصيص والموسيقيين في شخص واحد. وكانوا رواة الفَعال الجيدة العائدة إلى الماضي، والمفسّرين لحقبتهم، هم ‹Boyce›. وحين توارت أيضًا الذكرى المرتبطة بالملوك الأرساكيين، و"بيوت الأمراء" الفرتيين، من ذاكرة الإيرانيين، "وكانت تُزاح جانبًا، بلا ريب، أيضًا، عن قصد ووعي، من قبل الخلفاء الساسانيين"، نشأ من بقايا تقاليدهم الملحمية، ومن الأساطير الأخرى، والمواد الأسطورية في شرقي إيران "ومنها، مثلاً، حلقة الأساطير التي تدور حول البطل رستم، المنسوب إلى سيستان" ومن التقليد الموروث الكيبياني، ذلك القالب الخاص "بالتاريخ القومي الإيراني"، الذي طبع بطابعه الأدبين، العربي، والفارسي الحديث، إلى حد بعيد، بعد أن تمّ، في الحقبة الساسانية، تجميعه واستكماله وتدوينه.

أما حكايات البطولة والحب والمغامرات، التي كانت تروى في بلاط الأرساكيين الملكي، أو في منازل السادة والوجهاء الفرتيين، وبالتالي، تُغَنّى، فينبئ عنها نصٌ يتوافر لنا بصفته شعرًا فارسيًا حديثًا يعود إلى القرن الحادي عشر، وصياغة

جيورجية نشأت عنه، من القرن الثاني عشر. ومع ذلك فمادته التاريخية ترجع إلى الحقبة الفرتية: وهو "فيس ورامين".

لقد كان يجري مرارًا تأكيد مماثلته لـ"تريستان وإيزولده"، وهو يتحدث عن الحب الجامح العاصف الذي ينشأ بين رامين وعروس أخيه، الملك موباد، وهو يدع كلَّ المعنيين يسقطون في الإثم والمعاناة، غير أنه ينتهي آخر الأمر، بالعاشقين، إلى التئام الشمل من جديد، بلا ريب:

يتحدث فخر الدين الجرجاني الذي نقل الترجمة من الفارسية الوسيطة، في الأصل الفرتي، إلى النص الفارسي الحديث، إلى مَنْ كلَّفه بهذا العمل:

وقلت: "إنها لقصة جميلة حقًا.
فأنا لم أسمع قطُّ عن ستة من الحكماء
ولم أرَ قطُّ أفضل منها، وإنها تحاكي على وجه الدقة
حديقة ملأى بالأزهار.
ولكن لغتها بهلوية [الفارسية الوسيطة]
والقراء لا يدركون المغزى.
[..]
ولكن لو قُدِّر لخبير أن يبذل قصارى الجهد مع هذه القصة
لحظيت بجمال يضاهي كنزًا من الجواهر.
لكن لأن هذه قصة مشهورة
تنطوي، في تفاصيلها، على عجائب لا تحصى
وحين سمع المعلم هذه الكلمات مني
توّج هامتي بتاج الشرف:
والتمس مني أن أُزَيِّن القصة،
مثلما يفعل شهر نيسان، بالحديقة:
وطُلِب إليّ أن أسرد القصة
وأن أبذل قصارى جهدي، وأن أُطَهِّرَها من تلك المفهومات التي لا دلالة فيها،
لأن تلك المفهومات كانت قد تقادمت وولّت أيام مجدها.

4/ 2/ 2] الفرتيوّن والإغريق واليهود: حول العلاقات الاجتماعية في دولة الأرساكيِّين

ونحن لا نعد مطّلعين على الأحوال والتطورات الاجتماعية في إيران الأرسكايين إلاّ بدرجة غير كافية إذا ما قارنّا ذلك باطلاعنا على هذه الأحوال في أيام الإخمينيين

والساسانيين. وهذا ينطبق بمقدار خصوصيّ على أوائل الأيام التي سبقت تأسيس الامبراطورية الفرتية. وقد استطعنا أن نأخذ عن تروغوس/ يوستين، أن البارنيين إنما أغاروا على المناطق الفرتية في جنوبي تركمانستان الحالية بدافع الحاجة والاضطرار، واستقروا هناك لأسباب ليس آخرها إغلاق الأبواب المؤدية إلى العودة، ورسَّخوا أقدامهم هناك. أمّا كيف يترتّب علينا أن نتصوَّر البارنيين قبل إغارتهم، حين كانوا بَدْواً يعيشون على اقتصاد الرعي المتبدِّل تبعًا للمواسم السنوية، أو حين كانوا مُرَبّين للماشية نصف مستقرين "وفلاحين"، فذلك أمر لا سبيل إلى الفصل فيه. وكانت فرتيا، أو بعبارة أفضل، ذلك الذي احتلوه أول الأمر، تعد في نظر الكتاب في العصر القديم، كما سمعنا، بلادًا غير مضيافة. أمّا أن هذه الصورة عامة غالبة "ربما لكي تدع ارتقاء الفرتيين يبدو خارقًا للعادة على وجه الخصوص، وكذلك، بلا ريب، أيضًا، لكي تجعل الاعتياد الخصوصي على القسوة وشظف العيش، وعلى الموقف الحربي عند البارنيين أمرًا جليًا مفهومًا فذلك ما تتوافر من أجله إشارات جمّة العدد: فقد كانت فرتيا، في الحقبة الإخمينية على أية حال، "غنية بالخلق" إلى حد يبلغ منه أن والد داريوس لم يستطع أن يصمد في وجه أبيه هِشْتاسبيس بعد استيلائه على السلطة، ولم يتمكن من مصالحته إلاّ بعد تضحيات كبيرة. وكان في الأبافورتين التأسيس الجديد لدارا من قبل أرساكس، وهي مكان الدفن الأول للأسرة الحاكمة، وهو المكان الذي كان معروفًا عند بلينيوس، الأب، بأنه موضع الخصوبة الصريحة "أي: إمكانية رعاية المرء شؤون بيته بنفسه"، وأن الفرتيين استطاعوا أن يؤسسوا في هذه المناطق "أستاوينه، بارثيينه، أبافورتينيه" مدنًا ومستوطنات، فذلك أمر يجب أن لا يُعزى إلى الموهبة الخصوصية بمقدار ما يُعزى، بالأحرى، إلى الأحوال التي رأَوْها عند إغارتهم على البلاد هناك. على أن عمليات المسح الأثرية استطاعت أن تثبت وجود مستوطنات من المدن شرقيّ عشق آباد، كانت لها أهميتها في العصر البرونزي وفي أوائل عصر الحديد. ولابُدَّ للمرء أن يربط "ازدهارها"، مثلما يربط أيضًا ازدهار الأمكنة اللاحقة في هذه المناطق، بريّ مساحات واسعة من الأراضي، وبوجود الواحات. ولم يشأ الباحثون أن يربطوا مهمة هذه المستوطنات، التي تعود إلى أوائل أيام عصر الحديد ونشوء "حضارة" جديدة قبل منتصف الألف الأول، بتغلغل الشعوب الساكيّة، إلاّ في الآونة الأخيرة، وهي الشعوب التي انصهرت مع السكان الأوتوختون "الإيرانيين أيضًا"، والتي كان زعماؤها القبليون، من ناحية أخرى، يشكلون شيئًا من قبيل "طبقة عليا" في هذه المناطق، وقد حافظوا على هذا المركز في الحقبة الإخمينية أيضًا، فيما يقال. وإذا صحَّ هذا كان من الواجب أن يتصوَّر المرء تغلغل البارنيين في صورة عملية مماثلة، تنتهي المسألة فيها إلى طرد

الطبقة العليا الإقليمية أو الاتحاد معها، وبالتالي، إلى امتزاج السكان الأصليين بالسكان المهاجرين.

وأمّا الكيفية التي يترتّب على المرء أن يتصور بها علاقة الأرستقراطية البارنية "الفرتية" بسائر السكان البارنيين، وبالشعوب الإيرانية التي تمّ إخضاعها، فذلك ما يعطينا المعلومات بصدده نصّان كلاسيكيّان. ففي النص الأول يعبر يوستين عن رأيه في الأحوال الاجتماعية في امبراطورية الفرتيين، وفي النص الآخر يصف بلوتارخ زحف الجيش الفرتي قبل المعركة التي دارت عند كارهايْ ضد كراسّوس. وإليك أوّلاً، يوستين: «كانت إدارة أمور الشعب بعد خروجه وانشقاقه عن الدولة المقدونية، واقعة في أيدي الملوك، ويلي الملوك، أولاً، تبعًا للمرتبة، المستشارون وهم يخرجون من صفوفهم قائدهم في الحرب مثلما يخرجون كبار سياسييهم في السلم. ولا يتألف جيشهم، مثل جيش الشعوب الأخرى، من الأحرار، بل يتشكل، في معظمه، من العبيد الذين تكبر كتلتهم من يوم إلى يوم، إذ لا تتوافر إمكانية لإطلاق سراحهم ولذلك يظلون، جميعًا، عبيدًا، منذ ولادتهم. ويعلمونهم، بعد ذلك، بالطبع، بمثل العناية التي يعلمون بها أبناءهم الذين ولدوا أحرارًا، ركوب الخيل بنشاط ورَمْي السهام. وكلما كان الواحد منهم أكثر ثراءًا، ازداد ما يقدمه إلى مليكه من الفرسان في حالة الحرب، وهكذا اتفق أن أنطونيوس حين خرج إلى الميدان للقاء الفرتيين، تصدى له في الحقيقة خمسون ألفًا من الفرسان، ولكن لم يكن هناك من الأحرار سوى أربعمئة. وأخيرًا فقد كان الفرق بين العبيد والأحرار هو أن أولئك يسيرون على الأقدام، غير أن هؤلاء يتحركون على ظهور الخيل».

وفي ترجمته لكراسّوس يقدم بلوتارخ القائد الفرتيّ عند كارهايْ، سورِيناس، وجنده، على النحو التالي: «ولكن سوريناس لم يكن أيَّ قائد يتفق وجوده، بل كان هو الثاني بعد الملك، في ثرائه، ونُبْلِه، وسمعته، وكان الأول في الشجاعة والذكاء المتفوّق بين المعاصرين الفرتيين، وكان يتميَّز، فوق ذلك، بضخامة جسم ووسامة لا يتوافران لغيره. وكان إذا ارتحل وحده بشخصه، نُقِل متاعه، دائمًا، على ألف جمل، وكان يسوق، فوق ذلك زوجاته الإضافيات معه في مئتي عربة، ومعه ألف فارس مدرَّعين ومعهم أيضًا مزيد من الفرسان الخفاف يشكلون حاشيته. وكان يمتلك، على الإجمال، من الفرسان والتابعين والعبيد، ما لا يقل عن عشرة آلاف، وكان يمتلك، من أجداده، الحق في أن يكون أول من يضع الإكليل على رأس من يرتقي العرش من ملوك فرتيا، في كل مرة».

على أنَّ الحديث خليق أن يذهب بنا إلى مدى بعيد للغاية لو أردنا أن نفصّل القول في كيفيّة تفسير التعارض عند يوستين وتزوغوس "وهو أن العبيد يتعلّمون ركوب الخيل، والعبيد لا يسيرون إلاّ على الأقدام"، وفي الكيفية التي كان يتألف بها

الجيش الفرتي، عند كارهايْ، الآن، بالفعل. ثم إن ما يفترض أن يكون موضوع اهتمامنا هنا إن كان هناك، على ما يبدو للعيان، مجموعات من الأشخاص من الفئة المسماة (pelatoi) السكان الفلاحين، الفرتيين، الأوتوختون، الذين كانوا يلتزمون تجاه مالكي الأراضي النبلاء، من البارنيين المهاجرين، بضرائب وخدمات معينة، على حين كانت المسألة، في حالة الفئة المسماة (douloi)، تتعلَّق بأفراد أكثر ارتباطًا، وربما وقعوا، بحكم كونهم تابعين، في أيدي النبلاء البارنيين لكونهم أقنانًا، تسلمُّهم الأراضي التي تمَّ غزوها. وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك عبيد "يتم تحصيلهم بالشراء" في دولة الفرتيين، ومِنْ ذلك أن بلينيوس الابن، يتحدث إلى طراجان عن رجل يقال له كالّيدروموس، كان عبدًا للملك باكوروس. ويقول ديودور إن أويهيميروس "هيموروس"، الوالي الفرتي، قد استرقَّ كثيرًا من البابليين وبعث بهم إلى ميديا بصفتهم غنيمة حرب. على أن النشر الكامل للأوستراكا، من نيسا، وتحليلها الدقيق سوف يساعدنا بعدُ على استخلاص كثير من النتائج فيما يتعلق بسكان فرتيا غير النبلاء.

ثم إن الشواهد الكلاسيكية تقنعنا، داخل طبقة المهاجرين أيضًا، بوجود أشكال من التمييز الاجتماعي: وهكذا يفصِل أميانوس مارسيللونوس، على النحو ذاته، بين النبلاء والعامة، مثلما يفعل تاتسيتوس، وبينما كان الأخير يضع، في الحرب، مثل حاشية النبلاء، الفرسان الذين يرمون بالسهام، كان الأرستقراطيون قد خرجوا، بصفة فرسان مدرَّعين، للقتال. ويبرز داخل طبقة النبلاء أولئك الذين يتمتعون، سواء عن طريق الأصل أو الثروة، أو على أساس امتيازات معينة، بقوة خصوصية وبعلاقة خصوصية بالملك؛ ويشير سينيكا إلى هؤلاء بأنهم العظماء (megistanes).

وكان يدخل في ما يسمى (otdo probulorum) (تروغوس) عند الفرتيين، سوريناس، ومونيسيس، على السواء، وكان هذا الأخير قد توجَّه، بدافع الخوف من الملك فراتيس عام 37 ق م إلى أنطونيوس. واستطاعت عشائر معينة من النبلاء، مثل السورين والكارين وجيف، وعشائر أخرى، أن تمدَّ نفوذها وتنقذه لتنتهي به إلى الحقبة الساسانية.

ثم إن العدد المذكور عند أريان بصدد المتآمرين السبعة، على فيريكليس "أندراغوراس" يعكس هذه الفكرة عن عشيرة النبلاء التي تُغْدَق عليها الامتيازات، أيضًا. ومن المؤسف أننا لا نملك شواهد من العصر الفرتي مثلما تشهد لنا، فيما بعدُ، النقوش الملكية الكتابية الساسانية، من القرن الثالث، على تقسيم النبلاء إلى أربع فئات من حيث المرتبة، وهي "في تسلسل نازل": الشهرداران ("الملوك"، و"الحكام")، والفاسبوهران "الأمراء"، والفوزورغان "الوجهاء"، والأزَدان. وفي

وثيقة مدونة على رَقّ من جلد الغزال، من دورا، من عام (121 م)، يجري الحديث عن المانيسوس، ابن فراتيس، وعن الستراتيجوس في العراق، ويقال إن هذا قد احتل مرتبة هاتيسا، ويُعَدُّ من "الأحرار". ولما كانت كلمة "أزدا" يمكن أن تعني "الحر" أيضًا، فمن الجائز أن يوضع الأزادان على قدم المساواة مع ":الأحرار" (وهم الأحرار عند يوستين). أمّا الفوزورغان فربما أمكن للمرء أن يتبيَّنهم فيمن يسمَّوْن (megistanes)، الذي يشير إليهم سينيكا بأنهم رؤوس أنبل العشائر. أما مسألة هل انتهت الأمور في امبراطورية الفرتيين إلى تشكيل حقيقي، بكل معنى الكلمة، لطبقات المراتب، فلابُدّ أن تظل مفتوحة للبحث بالنظر إلى الافتقار إلى شواهد أكثر قدرة على الإبانة والدلالة. ومع ذلك فإن الأخذ بنظام الألقاب الهيلينسي في البلاط يؤيد وجود تسلسل في المراتب في البلاط على الأقل.

ولا شك في أن أرستقراطية الفرتيين لم تكن ممكنة الظهور والتجلّي في حالة الحرب فحسب، بل كانت ممكنة التجلي بهذه الصفة في أوقات السلم أيضًا. ويعد "أمير" إقليم شامي، بإكليله، وبطَوْق عنقه، وبحزامه، وبملابسه التي تلفت الأنظار على وجه الخصوص، من الأمثلة الملموسة على هذا.

وكيف يترتَّب على المرء أن يتصوَّر العلاقة بين الملك والنبلاء؟. يتضح أن المسألة انتهت، في الطور الأول من حكم الأرساكيين، إلى تبدُّل في البنية أو التركيب، جعل من "قائد الجيش"، "ملكًا، بتأثير الانطباع الذي يفيد استحواذَه على فرتيا، والتعريض المتزامن لحظر "أشكال الاكتساب أو الامتلاك، عن طريق "التتويج". أما أنَّ أرساكس كان يتمتع، حتى قبل إغارته على فرتيا، بامتيازات معينة كانت تتجاوز حدود مَنْ يقال فيه إنه "الأول بين أناس متساوين"، فذلك أمر يظل غير معروف. على أن ما يشهد، على النفوذ الأصلي لزعماء سائر العشائر البارنية، مثلاً، حق التتويج الذي تتمتع به "أسرة" سورين، و"المجلس" الذي يذكره سترابون باسم (synhedrion) "بوسايدونيوس"، والمؤلف ممن يسمَّوْن (syngeneis) "وهم، في الحقيقة، ذوو قرابة الملك، وهم، هنا، النبلاء المقرَّبون من الملك، وكذلك من السوفوي (sophoi)، أي "الحكماء" والـ(magoi)، أي: "السحرة" أو "الكهنة"، الذين كانوا يسمون الملك (kathistasthai). وبالاستناد إلى الظرف المتمثل في أنه لم يكن يرد في الاعتبار عند النبلاء، في أثناء مناقشاتهم الخاصة بالملوك، مطالبون بالعرش من خارج عشيرة الأرساكية، يحق للمرء أن يستنتج أن امتياز الأرساكيين في مسألة تعيين الملك لم يكن يتعرَّض للتشكيك.

«ومات هذا "أي: الملك فريابيتيس الأول" بعد حكم دام خمس عشرة سنة، مخلِّفًا ولدين ميثريداتيس وفراهاتيس "فراتيس". وكان أكبرهما، فراهاتيس، هو الوارث للعرش حسب عادة القبيلة، وقد أخضع، في حربٍ له، الماردبين، وهم

شعب شديد البأس، غير أنه مات بعد وقت ليس بالطويل، حيث كان خلّف في هذه الأثناء، في الحقيقة، عددًا من الأبناء، غير أنه أوصى بأن يخلفه أخوه ميثريداتيس، متجاوزًا أبناءه» . .

ويفيد تروغوس/ يوستين، بناءً على هذا أن الملك ذاته كان يتمتع بالحق في تحديد خليفته، حيث كان من المألوف أن يكون وريثه أكبر أبنائه. وكان يترك للنبلاء بعدئذٍ "وبالتالي لعضو المجلس أمر تأكيد تحديد الخليفة. أما أنه لم يكن بُدٌّ، في أثناء تنفيذ هذا التأكيد، من مراعاة بعض الشكليات فذلك ما تكشف عنه طُرْفة رواها لنا تاتسيتوس: «وبينما كان يفكّر "أي: ميثريداتيس، حفيد فراتيس الرابع، ومنافس أرتابلانوس الثاني"، في اليوم الذي يفترض فيه أن يتقلّد زمام الأمور في صورة احتفالية، تلقى رسالة من فراتيس وهويرون كتبها أهم رجال الدولة، يرجون فيها منه تأجيلاً وجيزًا، فقرر انتظار هؤلاء الرجال ذوي النفوذ، وخرج في هذه الأثناء إلى قطسيفون، مدنية مقر الملك، وحين حبسوه يومًا بعد يوم، وضع تيريداتيس، في حضور جمهور غفير من أسرة سورينا، بموجب تقاليد البلاد، الإكليل الملكي على رأسه . . ذلك لأن فراتيس وهيرون، وكل الآخرين، الذين لم يشاركوا في الاحتفال باليوم المحدد للتتويج، توجهوا، بدافع الخوف من ناحية، كما توجه بعضهم بدافع الشعور بالحسد، لأبداجيزيس، الذي كان يحاول الآن الاستحواذ على البلاط وعلى الملك الجديد، من جديد، نحو أرتبانُس».

وليس مما يبعث على العجب، أن النبلاء، الذين كانت تشد أزرهم حشود فلاحيهم الذين كانوا يدفعون الفوائد، كانوا بعد اختتام الغزوات الكبرى، التي كانت قد ربطت الملك والنبلاء بأهدافهم، أباحوا لأنفسهم، في أوقاتٍ كانت مواتيةً له، الحق في إقحام أنفسهم في الاضطرابات والقلاقل المتصلة بالعرش، بل حتى الحق في إقامة علاقات مع القوى الخارجية من أجل هذا الغرض، وحتى خلع الملك الطاعن في السن عن العرش.

«وعلى هذا فقد طُرِد ميثريداتيس "الثاني"، ملك الفرتيين بعد حربه الإرمينية، بسبب قسوته، من قبل مجلس الشيوخ الفرتي، من مملكته، ويستحوذ أخوه، أوربديس على العرش الحالي» . . .

أما أن المرء يستطيع أن يشتق من ذلك، بالطبع، تطوُّرًا من الملكية الوراثية إلى الملكية المبنيّة على الانتخاب، فذلك أمر يجوز الشك فيه، ولا يزيد عن ذلك، تسويغًا، أن يرى المرء في التاريخ الفرتيّ الانحلال ذاته"، وبالتالي، "عملية تدهور"، نسبها الباحثون تجنيًا، إلى امبراطورية الإخمينيين بعد كِسرى أيضًا. وقد ينبغي للنجاح الكبير الذي حققه الفرتيون في مواجهة ميسينه، والذي يقدم عنه المعلومات تمثال هرقل، وانتصار آخر الملوك، أرتبانُس، على روما، والمقاومة الطويلة التي أبداها

الأرساكيون الأرمن في مواجهة الساسانيين، أن يُحَذِّرَنا من الاستنتاجات المتسرِّعة. وقد كانت ألوان الصراع بين الملك والنبلاء تُحْسَم لصالح هذا الطرف تارة، ولصالح الطرف الآخر تارةً أخرى، تبعًا لشخصيات الملوك وللوسائل التي تكون متاحةً لهم، مثل قوات المرتزقة، ومطامح زعماء العشائر، كلٍّ على حدة، أو مطامح ذوي قرابة الأسرة الملكية، وكان هذا يتأثر إلى حد بعيد أيضًا بالموقف السائد في السياسة الخارجية.

وأما الكيفية التي يترتَّب على المرء أن ينظر بها إلى النقل الممكن للملكية، وبالتالي تأكيد هذه الملكية، ونقل حقوق الانتفاع أو تأكيدها، من الملك إلى النبلاء، ومن هؤلاء إلى السكان التابعين لهم، وهل كانت الواجبات والخدمات تُبْنى على علاقة إخلاص شخصية، كانت تُقْسَم عليها الأَيْمان في جو احتفالي، فذلك ما لا يستطيع المرء حياله إلاّ أن يتكهَّن. ومادامت الحال على هذه الصورة، فلا ينبغي للمرء أبدًا أن يستخدم مفهومات من قبيل "النظام الإقطاعي"، أبدًا، وينبغي أن لا يستخدم مفهوم "وضع الحاكم الدائر في فلك حاكم آخر" إلاّ مع الحذر الذي يوصى به. وكان يوجد في قلب البلاد الخاضعة للحكم الفرتيّ، إلى جانب النبلاء، والفلاحين والعمال اليدويين من السكان ذوي الأصول المتباينة، والوضع القانوني المتباين، "طبقة وسطى" يمكن تصوُّرها على أنها تتألف من أفراد لم يشأ القوم أن يتخلَّوْا عنهم في مقارّ الملك وفي الإدارات المنزلية في بيوت النبلاء: وأولئك هم الفنانون والعاملون في الفنون والصناعات اليدوية، والتجار، والأطباء، والخصيان والآخرون من "العاملين"، وكذلك "المنشدون" (غوسان) الذين سبق ذكرهم.

ومن بين سكان المناطق التي تمَّ إخضاعها يفترض أن يكون موضع اهتمامنا هنا، من باب التمثيل بأمثلة فحسب، الإغريق واليهود. أمّا أن النزعة الإغريقية في امبراطورية الفرتيين، بعد إخراج السلوقيين لم تكن تواصل حياتها، بحال من الأحوال، في مجرَّد فنها وثقافتها، بل واصلت حياتها، أيضًا، في مقوِّماتها الشخصية والمؤسَّسية، فذلك ما تثبته، إلى جانب عملات الأرساكيين، مكتشفاتٌ أثرية ونقوش كتابية من بلاد الرافدين وإيران. ومِنْ ذلك أن نقشًا كتابيًا إغريقيًا من عام 109/110 ق م، يتضمن إدراجًا للائحة الشباب اليافعين"، الفائزين في مسابقات الرياضة البدنية، وأنه كان هناك "مجتمع محلي" مقدوني في بابل "أهي المدينة الدولة؟"، ذُكِر أن لديه مسرحًا يونانيًا وسوقًا شعبية يونانية، ومدرسة ثانوية، يختص بهِنّ. وكانت المدن (poleis) اليونانية، التي تأسست، بلا ريب في القرن الثالث توجد، كما تفيد النقوش الكتابية أيضًا، في سُوْسَ "سلوقيا على نهر أويليبيوس، "أنظر ما بعد هذا"، وعلى نهر سيلو "أباميا سيلاياز". أما سلوقيا على الدجلة ودورا أويروبوس، من حيث كونهما أهم مستوطنتين تحت الحكم الفرتي، فسيرد

الحديث عنهما فيما بعد. وقد شارك الإغريق في طبع الحياة الفكرية في هذه الأمكنة بطابعهم أيضًا، مثلما فعل الرواقيّ أرخيدوس "الذي يظن أنه تلميذ من تلاميذ ديوجينيس ("البابلي" من سلوقيا) الذي أسس في بابل، أيام الفرتيين، مدرسة فلسفية. ومثلما فعل الجغرافيّان ديونيس وإيسيدور الخاراكسي، والمؤرخان أغاثوكليس البابلي، وأبولودور أرتيميتا. وكان اليونانيون ومعهم البابليون الذين يحملون أسماء يونانية "يعملون أيضًا في خدمة الوجهاء الفرتيين، مثل إكسينون الذي كان ساعيًا لوالي بابل". وظلت القاعدة المعمول بها في سلوك الفرتيين تجاه الإغريق بالطبع، هي المنفعة الخاصة: فإذا ظهر الأجانب في صورة "طابور خامس" لدولة خارجية، كما حدث في سرينكس عام 209 ق م، قبل هجوم أنطيوخوس الثالث، أو في بابل، بعد انتصار فراتيس الثاني على أنطيوخوس السابع، تصرفوا حيالهم بالقوة والعنف.

ولنتوجّه الآن نحو مدينتين يونانيتين لنتناولهما بمزيد من التفصيل. ففي سُوْسَ تمكّنت الأبحاث الأثرية من إثبات وجود توسّع فائق للمدينة، ونشاط عمراني مكثّف في ظل الحكم الفرتي. على أن الأمر المثير للاهتمام هو التبدُّل الذي يحدث متزامنًا مع التبدُّل في البنية الاقتصادية للمدينة وفي سوسيانه: وذلك أن سُوْسَ، من حيث كونها عقدة مواصلات تجارية يتم فصلها عن سُوْسَ التي هي أراض مجاورة تستخدم للزراعة المكثّفة. ثم إن النقوش الكتابية اليونانية تكشف عن اهتمام النخبة اليونانية بتنمية هذا الأساس لثروتها، غير أنها تثبت في الوقت ذاته أيضًا الاستقلال المحدود للمدينة بالنظر إلى الإشراف الملكي الأعلى. أما سلوقيا على الدجلة التي يفترض أن يتمّ إدخالها هنا بصورة استثنائية في مجال تأمُّلنا، على الرغم من أنها تقع خارج إيران، فتعد شاهدًا جديرًا بالملاحظة جاءنا، بوجه خاص، على العلاقات بين الملك ورعيته اليونانيين: وإليك رواية تاتسيتوس عن تاريخ هذه المدينة في مستهل القرن الأول.

«إنها تمثل الحد الأقصى من التواضع الذي أعلى من شأن سلوقيا، إنها مدينة شديدة البأس، تحيط بها الأسوار، ولمّا تنحدر بعدُ إلى دَرْكِ البربرية، بل حافظت على تقاليد مؤسسها سلوقوس وهناك ثلاثمئة من المواطنين الذين اختيروا حسب ثروتهم أو ذكائهم، يشكلون نوعًا من مجلس شيوخ، والشعب يعتمد على القوة المتوافرة في يده، ومادام كلا الطرفين متحدين فهم ينظرون إلى الفرتيين نظرة المتعالي، مستهينين بهم، ولكن إذا تنازعوا ذات مرة واستغاث كل منهم طلبًا للعون من الخصوم المنافسين، خرج الفرتيّ المدعوّ لنصرة طرف على آخر، باليد العليا. وهذا ما حدث لهم من حين تُوِّج أرتابوناس ملكًا، إذ تخلى هذا عن الشعب في سبيل منفعته الخاصة، وأسلحة للنبلاء: ذلك لأن حكم الشعب قريب من الحرية،

والحكومة الأقل رجلاً تكون أقرب إلى التعسّف الذي يصدر عن ملك. وحين وصل ميثريداتيس الآن، غمروه بمظاهر التشريف التي كانوا يغدقونها على ملوكهم القدماء، وعلى أولئك الذين أخرج العصر الحديث منهم قدرًا أكبر بعد. وفي الوقت ذاته صدرت عنهم عبارات الازدراء بحق ذلك الذي كان في الحقيقة أرساكيًا من جانب أمه، غير أنه لم يكن ندًا له فيما عدا ذلك. ونقل ميثريداتيس سلطة الحكم في سلوقيا إلى الشعب».

ويلفت نظرنا، من ناحية، أن تاتسيتوس أيضًا يستخدم كليشيه الانحطاط أو الانحلال "في مدينة أو شعب" بتأثير عادات وتقاليد "بربرية"، كما يتضح من ناحية أخرى أن المطالبين الفرتيين بعرش أرتبانوس وميثريداتيس كانوا يؤثرون بحظوتهم أحزابًا متباينة في سلوقيا: فأما أرتبانوس فكان يحابي الطبقة العليا اليونانية من سكان المدينة البالغ عددهم، فيما يقال 600000 نسمة، والتي كانت تتحكّم أيضًا في مجلس الشيوخ. وأما ميثريداتيس فكان يحابي الشعب الذي لم يكن القوم يريدون أن يعرفوا فيه سوى الأجزاء غير الإغريقية من السكان، على وجه الخصوص "السكان المحليون، اليهود، السوريون"، ومع ذلك فالمعقول أكثر من هذا هو أن المسألة صراع بين حزب أوليغاركي "يعتمد على الأقلية" وحزب "ديمقراطي" في المدينة على غرار ما يسمى (staseis)، "أي: أشكال التنازع والمشاحنات الداخلية" في المدن اليونانية في العصر الكلاسيكي، وهو نزاع لم تكن اللحظة الإثنية فيه حاسمة. وكان "حزب الشعب" في المدينة يراهن على ميثريداتيس، ونجح في الدفاع عن المدينة، بعد إخفاقه، عام 35-42 م في وجه أرتاجوس. ولم تُسلّم سلوقيا إلاّ لولده فاردانيس، الذي ظهر، منذ حزيران 42، في المدينة بصفة صائغ للنقود ووضع ما يسمى الـ(Boule)، بالصورة والكتابة على الوجوه الخلفية للعملة. أما ما يقال عن إضفاء الصفة الشرقية على المدينة بعد هذا العام فأمر لا يمكن ملاحظته والاتفاق عليه من الوجهة الأثرية ومن وجهة نظر علم النُمّيات. وأما أنَّ كلاًّ من آرتبانوس وميثريداتيس، على حد سواء، لم يكونا يضعان نصب أعينهما سوى منفعتهما الخاصة فذلك ما يستفاد من تاتسيتوس، كما يستفاد أيضًا من مكتشفات النُمّيات، التي تثبت، في صدد عام 24/23 م، إصدار عملات ملكية برونزية بدلاً مسكوكات المدينة، أي إنه يثبت بذلك تدخُّلاً من جانب أرتبانوس في الاستقلال الذاتي للمدينة التي مازالت تسيطر عليها ما تسمى ال(Boule)، ويضاف إلى ذلك أن هذا الملك تنازل عن صفة "الفيلهيلّيني/ Philhelene".

وحتى مراكز الحياة اليهودية في دولة الفرتيين كان لها وجود، منذ وقت طويل، في بلاد الرافدين، ومن ذلك، مثلاً، ما يوجد في نصيبين ونيهارديا. ومع أنه لا يُعْرَف شيء عن الحياة الداخلية والفكرية لهذه الطوائف، فإن من الثابت، بلا ريب، أنها

شهدت فترة من الهدوء، وأنها كانت تمارس ألوانًا من الاحتكاك الوثيق والإيجابي مع أسرة الحاكم، وهذا ما يتضح مثلاً، في مشاركة اليهود في الثورات على طراجان، في بلاد الرافدين 116 م. وكان اليهود، فوق ذلك، يباشرون، في الموقع الحاسم، تنظيم تجارة الحرير، وكان ثمة حاكم بالوراثة للطائفة اليهودية في بابل، من أسرة الدافيديين "ريش غالوتا" يمثل حتى فترة آخرها، على أبعد تقدير، في القرن الثاني، الأقلية اليهودية لدى البلاط، وكان يتمتع أيضًا بكفاءات ذات طبيعة إدارية سياسية. ومع عمليات الاضطهاد الديني في فلسطين بعد ثورة بار كوخبا 135 م جاء مع اللاجئين، أيضًا، التقليد المدرسي الفلسطيني إلى بلاد الرافدين.

4 / 3] الطرازبة والتجار والجند والكهنة: الإدارة والاقتصاد والجيش والعبادات في إيران الأرساكية

وعلى النقيض من السلوقيين، ومن بعدهم الساسانيين، لا نُعَدّ مطّلعين على الإدارة في دولة الأرساكيين، إلاّ بقدر غير كافٍ البتة. وذلك أننا نفتقد الأخبار من الجانب الغربي، أي: الأخبار التي كان في وسع المرء أن يعيد تركيب النقوش الكتابية السلوقية ونقوش الأختام ونقوش المراسيم بالاستناد إليها، ويعيد، بناءً عليها، تركيب إيران في بُناها الإدارية. ولا يقع البصر إطلاقًا على تطوُّرات محتملة، أو تغيُّرات في النهاية، وبذلك لا يستطيع المرء أن يقدم في هذا الصدد إلاّ تكهُّنات حول ماهية العلاقة التي كانت قائمة بين الوحدات الإقليمية الساسانية المبكرة المشهود لها شهادة حسنة وبين عصر الفرتيين المتأخر.

«هناك، على الإجمال ثماني عشرة مملكة في دولة الفرتيين، فبهذه الطريقة كانوا يقسمون الأقاليم بين كلا البحرين، مثلما سبق أن أكدنا، وهما البحر الأحمر في الجنوب وبحر قزوين "أو البحر الهركاني" في الشمال، ومن هذين تمتد إحدى عشر مملكة يطلق عليها اسم "الممالك العليا"، من حدود إرمينية وسواحل بحر قزوين إلى السكيثيين . . أما سائر الممالك السبع فتسمى "الممالك السفلى"».

فإذا طلبنا هذا الخبر من بلينيوس الأب، في عصره، تكلَّم الجغرافيّ الروماني هنا عن "الإمارات" التي كانت تابعة لملك الفرتيين، وكان في وسع حكامها أن يحملوا لقب الملك على وجه الإطلاق، ولا ريب في أن مما يجب أن يُعَدَّ فيها، فارس، وعيلام وميسينه "خراكينه"، وهاترا، وأوسرهويين وأديابين وميديا أتروباتين، وهركانيا، على ما يُظَن. ونحن نطّلع، بالاستناد إلى النقش الكتابي العائد للملك الساساني الثاني، سابور، أيضًا، على ممالك سيفان "على البحر الأسود"، وفيروزان، "إلى

الشرق منها" وأرمين "إرمينية" وبالاساغان "غربي بحر قزوين" وكِرْمان ومكران وتورجستان، والهند "إذ ينضم إليها كل ما يقع شرقي كرمان" وساكستان "سِسْتان" ومرو، وخوارزم "خورزميا". ومن الجائز أن يكون معظم هذه موجودًا في أيام الفرتيين. غير أن ملوكها الإقليميين استُبدِلوا أيضًا، بأمراء من الأسرة الملكية الساسانية.

ولكن المرء يستطيع، بالنسبة لفارس، ولأجزاء أخرى من الدولة أيضًا، أن يثبت أنَّ الفرتيين كانوا، في أثناء إنشاء حكمهم، يعملون في هذه المناطق بتكليف من السلوقيين "أو أنهم تُركوا في مراكزهم، حكامًا قد باتوا مستقلين ماداموا يعترفون بالسيادة الفرتية عليهم". وبهذا الاعتراف تمَّ أيضًا، بعد ذلك، تأكيد الحق الإقليمي في صك العملة، "أو التحديد الجديد لوزنها"، مع ارتباط ذلك بامتيازات أخرى. وكان "ملوك الطوائف" هؤلاء يمارسون، من جانبهم، سياسة مستقلة قائمة بذاتها، في ظل شروط أولية سياسية محدَّدة. وكانوا يتدخلون في معارك الصراع على العرش. وحين ساند إيزاتيس أديابينه أرتبانوس الثاني، تحوَّلوا إلى صفوف الأعداء، مثل ملك ميسنه بعد حملة طراجان، أو كانوا يطمحون إلى الاستقلال الكامل عن الامبراطورية. وكان من المألوف أن يكون هؤلاء الحكام ملتزمين بتلبية مطالب الجيش فيما يتصل بالأرساكيين. وفي الأجزاء ذات الأهمية الخصوصية، من الامبراطورية، مثل ميديا، أو إرمينية، كان يتم تعيين أفراد من أسرة الأرساكيين ملوكًا. وليس ما يبعث على العجب أن امبراطورية الأرساكيين في القرن الأول كانت تبدو للرومان (بلينيوس) أقرب إلى صورة تكتُّل من الممالك، منها إلى دولة موحَّدة. ولا يمكن، بالطبع استنتاج ضعف الدولة أو قوتها بالاستناد إلى هذه البنية فحسب.

وكانت توجد، إلى جانب "الممالك" مناطق ذات اتصال مباشر بالدولة، يديرها "مرازبة" "وبالتالي: (استراتيجيين)"، كما كان الحال في العراق. ويتحدث تاتسيتوس عن "الولايات، أو المقاطعات" من حيث كونها وحدات إقليمية. ويسمي إيسيدور الخاراكي الأقاليم باسمها "خوآرين، كوميسين، إلخ . . ". بل يظهر، في نقش كتابيّ من بِسُتون لقب "مَرْزُبان المرازبة"، ومن المفهوم أن هذه محاكاة لِلَقب "ملك الملوك".

على أن كبار المسؤولين يذكرون لنا أيضًا، الأوستراكا من نيسا، ومِنْ ذلك، أيضًا، "المرازبة"، ويذكرون لنا "موكيزًا" بمعنى: حامي المناطق الحدودية، كما يذكرون الديزبي، (قائد الحصن)، ويُروون لنا، من دورا، كلمة (hargbad)* "باليونانية: arkapates"، بمعنى "جابي الضرائب الأعلى" (أو "قائد حصن"؟).

وكان كبار رجال الدولة يتمتعون بملكيات هائلة من الأراضي في إيران، منها

السورين في سيستان، وفي أمكنة أخرى، ومنها الكارِن في منطقة نهاوند في ميديا. أما هل فرضت على هذه الممتلكات الرسوم والضرائب، ومتى، وكيف، فذلك ما لا نعلمه.

ولا نكاد نملك، أيضًا، معلومات عن الزراعة في إيران أيام الأرساكيين، إذا ضربنا صفحًا عن الأبحاث الأثرية في سوسيانه، التي تثبت للحقبة الفرتية تحسينًا للتقنيات الزراعية، وخطوات من التقدم في زراعة الأرز. ولا ريب في أنهم كانوا يحرصون على تعويض سُوْسَ عن مكانتها الآخذة في التضاؤل من حيث كونها مركزًا تجاريًا. وظلت المدينة تشكل سوقًا إقليمية على الأقل.

على أننا أفضل اطلاعًا على التجارة في دولة الفرتيين، ولاسيما التجارة الخارجية، التي كان فيها الفرتيون، أو الأفراد الذين يعملون بتكليف من الفرتيين، يتحكمون بتبادل السلع على الطريق البري، في اتجاه غربي-شرقي، وفي نقيضه. على أن ارتباط تجارتهم مع الشرق بالوسطاء الفرتيين، إضافة، أيضًا، إلى الظرف المتمثل في أن النقل البحري أرخص إلى حد بعيد، أغرى الرومان بأن يحاولوا الاحتكاك بالجزيرة العربية وبالهند، ولاسيما على الطريق البحري. ولأسباب كثيرة لم تستطع التجارة البحرية، مع ذلك، أن تزيح التجارة البرية عن مكانتها تمامًا. وإلى جانب الارتباط بين سورية والصين عبر العراق وإيران "درب الحرير/ طريق الحرير"، لعبت التجارة البرية البحرية المُوَلَّفة، أيضًا، دورًا هامًا وهي التي كان خطّها يؤدي، من سورية إلى جنوبي العراق، ومن هناك إلى البحر، نحو الهند "ولكن كان الخط يتواصل أيضًا، عبر البر، نحو الشرق". وكان يشارك في هذا الارتباط سكان تدمر في سورية "الوسطاء" الذين كانوا ينقلون، بصفتهم "تجار ترانزيت"، السلع بين سورية وميسينه. والحق أن نجاحهم يرتبط ارتباطًا حاسمًا بالعلاقة الطيبة بين الامبراطورية الرومانية وامبراطورية الفرتيين. وما من شك في أن اهتمام كلتا القوتين العظمَيَيْن بهذا النوع من الاتصالات كان يبلغ من حجمه أن التدمريين تمكنوا، وقتًا طويلاً من العمل غير المتعرِّض للإعاقة نسبيًا، وهذه المصلحة المشتركة بين التدمريين والرومان توضح عرض كارا كالاّ على أرتبانوس الرابع الذي يتحدث إلينا عنه هيروديان: «وفضلاً عن ذلك "كان كركلاّ قد شرح، من قبلُ المزايا العسكرية السياسية للتوافق الوثيق في مسار الدولتين، والتي كان يريد أن يضع لها الأسس عن طريق رابطة زواج"، فإنه لن يظل من الصعب طلب التوابل التي تُزْرَع من قبلهم [أي: الفرتيين] في الأرض، ولن يظل من الصعب، من ناحية أخرى، طلب ملابسهم الرائعة، والمعادن التي يصنعها الرومان، وكذلك طلب أشغالهم اليدوية التي تستحق الإعجاب، من ناحية أخرى، أو تهريبها بأعداد غير كافية، على أيدي التجار، إلى البلاد. وبدلاً من ذلك، سيكون كلا الطرفين خليقًا أن

يستفيد من الاتحاد بين البلدين، في ظل سيادة المنفعة المشتركة وغير المعوَّقة».

وقد كانت لأهل تدمر مصانع في مراكز التجارة الفرتية، ومثلها في سلوقيا، وبابل، وفولوجيزياس وسباسينو خاراكس. والتفاهم الودّي بين روما والفرتيين، في أيام الامبراطور هدريان وأنطونيوس بيوس تثبته النقوش الكتابية المتعلقة بالقوافل التدمرية، التي كانت تنساب بكثرة في هذه الحقبة، ولكن يثبته، مثلاً، أيضًا، وجود معبد يخدم عبادة الامبراطور الروماني في فولوجيزياس. ثم إنّ نقشًا كتابيًا ثنائي اللغة يونانيًا تدمريًا مأخوذًا من الساحة العامة في مدينة إغريقية (Agora)، يرجع إلى عام 138 م، يشهد على تكريم مجلس المدينة رحّالة تدمُريّ يضرب في الأرض العريضة: «. . الذي كان يبدي استعداده للتعاون في كل لحظة، مع التجار الذين كانوا في سباسينو خاراكس، وقصَّرت بهم وسيلة المال، والذي ذهب بمحض إرادته، إلى أوربدِس، ملك عيلام بصفة مبعوث» . . .

وبموجب ذلك لا يثبت النقش الكتابي مجرد الأواصر التي تربط بين تدمر "التي كانت في تلك الأيام مستقلة عن دولة الأرساكيين" بل يثبت أيضًا الروابط التي كانت تجمع بين سباسينو خاراكس وسُوْسَ. وهناك شواهد مستمدة من علم النقوش "إبيغرافية" تثبت أيضًا ارتباط التدمريين بالبحرين وبدلتا نهر السند، وبالهند.

وبينما كانت تطلب من قِبَل الرومان، من الهند، قبل كل شيء، التوابل "كالفلفل" والمنكِّهات، والعطور والحجارة الكريمة، واللآلئ، كانوا يُوَرِّدون، بأنفسهم، إلى جانب الأقمشة الكتانية، قبل كل شيء، الأواني الفضية والذهب والخمر. غير أن الهند كانت تُشَكِّل أيضًا محطة تجارة ترانزيت للسلع الواردة من الصين، ولاسيما الحرير الذي كانت الرغبة فيه شديدة للغاية، والذي كان، فيما عدا هذا، يمكن طلبه عن طريق إيران، أيضًا. وكان الفرتيون يستوردون من الصين أيضًا، وفوق ذلك، "الحديد المشهور" والمشمش والدرّاق. ولكن كانت تصل، في الاتجاه المعاكس "الثمار الفرتية"، ومنها الرمان والأعناب والنباتات المعمرة العلفية، ومعها أيضًا الخيول النيسيَّة من ميديا، إلى الشرق، حيث كانت تشتهر بأنها "خيول السماء". ويقدّم لنا القسم الغربيّ من درب الحرير/ طريق الحرير إسيدور الخاراكسي في كتابه (stathmoi Parthikoi). ويستفاد من هذا أن محطات الانطلاق كانت، في الغرب: أنطاكية على العاصي وزويغما على الفرات، حيث كان المرء يستطيع،من هناك، أن يصل عن طريق سلوقيا/ قطسيفون/ فولوجيزياس، ومن خلال جبال زاغروس، وعبر بِسُتون وإكباتانا ورهاغا، والأبواب القزوينية، وكوميسينه، وهركانيا، وآساك ونيسا، والمارجياني "مرو" وأريبا "هرات" والدرانجياني وسيستان، إلى أراخوسيا "ألكسندربوليس/ مدينة الاسكندر". وفي إيران كان يمتد أيضًا طريق، كما سبق أن ذكرنا، من أقدم العصور أيضًا، من دامغان إلى هرات، ولم يكن يلامس

هركانيا والمناطق الواقعة إلى الشمال من كوبيت داغ، غير أن هذه كانت تبدو في نظر إيسيدور، بصفته من الرعايا الفرتيين، أقل أهمية من تلك كانت تمتد إليها مقار المُلْك الفرتية الأولى، فيما تمتدُّ إليه. وكان خط "درب الحرير/ طريق الحرير" المألوف يمتدّ، بالمناسبة، منطلقًا من مرو، عبر أفراسياب "سمرقند"، متابعًا طريقه نحو الشرق.

أمّا ما يقال في أمر الجيش الفرتي: فنحن غير مطلعين في هذا الصدد إلاّ الاطلاع غير الكافي، وذلك عن طريق الإشارات المتناثرة هنا وهناك، عند الكتاب القدماء، وعن طريق المكتشفات الأثرية، من سلاح، وأشياء يتجهّز بها الجيش، ولاسيما عن طريق رسوم أشخاص المحاربين الفرتيين في النقوش البارزة، وفيما يسمى "الغرافيتيّ (Graffiti). وكان الشيء الحاسم الذي يُعَوّل عليه بالنسبة للقوة العكسرية الضاربة عند الفرتيين، سلاح فرسانهم المقسَّم إلى ما يسمى سلاح فرسان المدرَّعين بدروع ثقيلة، وسلاح فرسان رماة السهام. وكان يترتب على كلا هذين القسمين من القوات أن يكمّل بعضهم بعضًا من الوجهة التكتيكية: فحين كان الفرسان المسلحون بالأقواس والسهام يُكَلِّفون بمهة إمطار العدوَّ بوابل متواصل من السهام، فيستنزفوا قواه ويُضْنوه، كان سلاح فرسان من يسمون الكاتافراكت (Kataphrakt)، يقود فرسانه، في العادة إلى الهجوم الجبهيّ على القوات المعادية التي أصابها الوَهْن. وفي مواجهة ذلك، لم يكن المشاة يتسمون، على ما يبدو للعيان، إلاّ بأهمية ثانوية. وبالطبع يفترض، تبعًا لما أثبتته "حوليات أربيلا" المسيحية السورية، أنه حُشد، في أيام فولوجيزيس الثالث عام 136 م، عشرون ألفًا من الجنود المشاة في وجه الألانيين، على أن المرتزقة الذين كان الملك يلزمهم بالخدمة لم يكونوا عسكريين فحسب، بل كانوا أولي أهمية أيضًا من حيث كونهم رهينة فاوست الملكية في مواجهة قوة كبار النبلاء المالكين للأراضي، إذ كان يتجنَّد الجيش الفرتي من فئتَيْ (doulai, douloi)، من داخل طبقة هؤلاء النبلاء في العادة.

وكان خفاف الفرسان يرتدون رداءًا طويلاً يُشَدُّ بحزام حول الخصر وسراويل فضفاضة كانت نهاياتها تندسُّ في الحذاء الطويل الساقَيْن، وكان سلاحهم الحاسم هو القوس المركَّب، وفي حالة "الفرسان المدرَّعين" "الكاتا فِراكت"، بحكم كونهم، وهم، بالطبع، من خِفاف المدرَّعين، الأخفَّ دروعًا. وكان هؤلاء معروفين منذ الحقبة الإخمينية، وكانوا محمّيين في الحقبة الفرتية، سواءًا أكانوا فرسانًا أو كانوا خيلاً، بقطع من الحديد ودروع من شرائح الحديد، وبالتالي، بأغطية من الدروع. وقد أطلق الرومان على هؤلاء الفرسان المدرَّعين بدروع كاملة، فيما بعد، اسم (clibanari)، وكان سلاحهم الرمح، الذي كان كثيرًا ما ينفذ من رَجُلين "نتيجة لعنفوانه" كما يقول بلوتارخ. ولم يكن بُدٌّ للرومان من مجاراة المقدرة القتالية

والتكتيك عند الجيش الفرتيّ، مرارًا، ولاسيما في حالة كراسّوس، في عام (53 ق م) في الموقعة التي دارت عند كارّهاي: «وبينما كان الرومان لايزالون مأخوذين بالفزع من جرّاء هذا المدير "وهو الصوت الناجم عن قرع الطبول الضخمة"، أخرج الفرتيون أسلحتهم من أغمادها، وباتوا يتألّقون، هم أنفسهم تألّق النار، في خوذاتهم، ودروعهم، ذلك لأن الحديد المارجياني يشعّ البريق ويتوهّج بنور ساطع، وكذلك كان حال الخيل المغطّاة بصفائح الدروع الفولاذية والحديدية . . وبدأ الفرتيوّن، من جانبهم، بالرماية، من مسافة بعيدة، على الأعداء من كل ناحية، لسِهام حسنة التسديد . . . ، بل كانوا يرمون رماية تُصْدِر نبالاً شديدة التوتر، شديدة البأس، من أقواس كبيرة قوية، كانت ترمى بمقذوفاتها بعنفوان كبير نتيجة لانحنائها الشديد . . ولكن حين رأو [أي: الروم] أنه كان هناك كثير من الجمال المحمّلة بالنبال، واقفة على أهبة الاستعداد كان الأعداء الواقفون قبالتها وهم أقرب ما يكونون إليها، يروحون ويجيئون من حولها، ويستخرجون منها ذخيرة جديدة . . هنالك خانت كراسّوس شجاعته . . "وبعد هجوم" سلاح الفرسان الروماني يتوقّع الرومان اشتباكات بالقتال القريب"، غير أن الفرتيين لم يضعوا قبالة الرومان سوى الفرسان المدرَّعين، في الجبهة، أما سائر الفرسان فتركوهم على غير انتظام، لكي يركضوا حواليهم بخيلهم، ويثيروا من حولهم، على الأرض الرملية، سحائب هائلة من الغبار، حيث ما عاد في وسع الرومان أن ينفذوا إليه بأبصارهم من خلال الغبار، وأن يتمكّنوا من التفاهم بينهم عن طريق النداءات، بل باتوا محشورين في حيِّز ضيّق، وكان يُدْفَع ببعضهم إلى بعض، ويزدادون تعرُّضًا للإصابة بالنبال على نحو مطَّرِد، ويموتون ..

وكان "النُّبْل الفرتي" مشهورًا ذا سمعة أيضًا، وكان ثمة وابل من السهام يصدر من الرماة بالقوس، لراكبين باتجاه الخلف، في حالة إيهام بالهرب، وكانت خيول الفرتيين المرسومة في بصمات الأختام، من نيسا، على أوائل النقوش الساسانية البارزة وعلى العملات، يُشاد بذكرها في كل مكان بسبب جمالها وضخامتها، وكانت تتبوّأ، كما يفيد تروغوس/ يوستين، مركزًا محوريًا في الحياة الفرتية.

وكانوا يتحركون على صهوات الخيل في كل وقت، يمتطونها في الحرب كما يمتطونها وهم يأكلون، ولكن مع كل عملية عمومية أو خصوصية، وفي حالة تبديل المكان وفي حالة التوقُّف، على حد سواء، وفي حالة التجارة والحديث على حد سواء: فكل شيء يحدث وهم على ظهور الخيل».

والباحثون يفترضون بوجه عام، أن الأرساكيين كانوا، مع كل تسامحهم السياسي في مواجهة العبادات الأخرى، مرتبطين على الدوام، بالعقيدة الزردشتية، مهما يكن شكلها أو قالبها. ومن المؤسف أن أهم شواهدنا لا تتعلّق في صدد الأحوال

الدينية في عصرهم، بقلب البلاد الإيرانية على وجه الخصوص، بل بإرمينية وآسيا الصغرى "وبالتالي: ببلاد الرافدين، مع ما في هذه البلدان من العبادات والتصورات العقائدية المختلفة غير الإيرانية". ويجوز للمرء أن يورد من البراهين على زردشتية الأرساكيين بلا ريب: شواهد من نيسا، تثبت وجود سادن للنار، وكاهن/ ساحر، وكذلك استخدام التقويم الزردشتي. وإشارة يوستين إلى تعريض الميت "وكانت الجنازة تتم على وجه العموم حيث يدعون موتاهم تمزق أجسادهم الطير والكلاب، إربًا إربًا، ولا يُغَطّون سوى الهيكل العاري، بعد ذلك بالتراب". ثم إلى دور الملك الفرتي فالاكش "فولوجيزيس" بصفته جمّاعًا للأفيستا في التقليد الزردشتي.

ومما لفت أنظار الكتاب الغربيين، فوق ذلك، من خصوصيات الحقبة الفرتية أن نار الملك التي تظل تستعِر أبدا بسبب في أساك والزيجات بين الأقرباء الأدنَيْن، وفي السياق الإيراني الهجت، كان الإيرانيون يستخدمون حساب الوقت والتواريخ الخاص بهم، الذي يبدأ بالأول من نيسان "=14 نيسان" 247 ق م. ثم كان يظهر هذا العدُّ في بعض الأحيان أيضًا، خارج إيران، إلى جانب العَدِّ وَفْقًا للتأريخ السلوقي. وهكذا يتم تأريخ كتاب أرتبانوس الثاني إلى سُوْسَ على النحو التالي: في عام 268 بموجب التأريخ الملكي، وفي عام 333 وفقًا للعَدّ القديم 21 م. وفي مقابل ذلك تحسب شواهد قبر إكسفاساك من سُوْسَ، وحدها، بموجب نظام التأريخ الأرساكيّ "باستعمال أسماء الأشهر والأيام الزردشتية" في عام 426 في شهر شباندرمات، ميهرتاغ 14 أيلول 215.

5] إيران من أردشير الأول إلى يزدجرد الثالث - حكم الساسانيين «224-651 م»

5 / 1] الشواهد

5/ 1/ 1] النقوش الكتابية الملكية، الرومانية البيزنطية، والأخبار المدونة عن الإمبراطورية الساسانية، السورية المسيحية، والمانَوِيّة، والإرمينية والعربية: اللغات، والنظم الكتابية

حين خسر ملك الفرتيين أردفان "أرتبانوس" الرابع، حياته في القتال الذي دار في موقعة 28 نيسان 224 مع متحدِّيه أردشير، كان هذا بداية النهاية للحكم الأرساكي الذي دام نحو خمسمئة عام، في إيران. وتوصَّل السادة الجدد من "آل ساسان، الذين بدأوا ارتقاءهم بصفتهم حكامًا محليين لإصطخر، عند بِرسِبولِس،

وكانوا قد وسَّعوا نطاق حكمهم، منذ عام 206/205، على حساب سائر "ملوك الطوائف" في الجنوب، في السنين التوالي، إلى امتلاك كل الأراضي الفرتية، ومعها شماليّ شرق الجزيرة العربية. وفي هذه الأثناء ورثوا، إلى جانب الكثير من الحوافز في المضمار الاقتصادي والاجتماعي والثقافيّ، أيضًا مشكلات السياسة الداخلية المرتبطة بحكم إيران وبلاد الرافدين، والخصوم الكامنين، المحتملين في الغرب والشرق "الرومان، وشعوب السهوب"، والخصومة بين الملكية والنبلاء المالكين الأراضي. وعلى الرغم من الأزمات الكبرى التي نشبت في نهاية القرن الثالث "الحرب الأهلية والهزيمة في مواجهة روما"، وفي القرن الخامس الهزائم في مواجهة الهفتاليين، والمجاعات والثورات الشعبية" ثَبَّتَ الساسانيون أقدامهم وحافظوا على عرشهم وحكمهم، من جانبهم، على مدى أكثر من أربعمئة عام. وكانت نقاط الذروة في حكمهم في هذه الأثناء، أيام حكم أردشير الأول وابنه شاهبور/ شابور الأول، وكذلك شاهبور/ شابور الثاني في القرن الرابع، وحكم كِسْرى الأول في القرن السادس. وبحكم نفوذهم الذي كانوا يمارسونه في تصوير "التاريخ الوطني الإيراني"، أصبح الساسانيون، إلى جانب الملوك الأوائل، الأسطوريين، والكيبيانيين في شرقيّ إيران، في البلاد، هم أنفسهم، حكام إيران بامتياز، وباتوا يواصلون حياتهم في ملاحم الفردَوْسي والنظامي، على نحو مماثل بدقة لحياة الآخرين في الحوليات وكتب التاريخ الإسلاميّ، أو للحياة الواردة في كتب التسلية الأدبية الشعبية.

ومما يسعدنا، ونحن الذين ننظر اليوم في الساسانيين أن هؤلاء يشعرون، ولاسيما وملوكهم الأوائل، بأنهم ملتزمون بالتعبير عن حقوقهم التي يدَّعونها، وأهدافهم، بقَدْرٍ كبير، تعبيرًا مدوَّنًا، تصويريًا، وبنقوشهم الكتابية، وبعملاتهم، على السواء. ومن أجل ذلك لم يكن من قبيل المصادفة أنها وصلت إلينا بِنَسخ جمّة العدد. وحتى المعاصرون الذين يمارسون الكتابة، والذين جاؤوا من بعدهم، من الرعايا المسيحيين، والمانَويين، ومعهم المؤرخون الرومان والبيزنطيون، أو مؤرخو صدر الإسلام، دخلوا في نزاع مع دولة الساسانيين، سواء أكان ذلك لأنهم ناقشوها بقولهم إنها دولة تضطهد الدين، أم لأنهم شهدوا خصمًا عسكريًا، أو كانوا عاشوه. وسواءً أكان ذلك لأنهم كوَّنوا لأنفسهم أفكارًا في هذا الصدد، مثلما كان مما لا بُدَّ منه ربط تاريخ الجاهلية في إيران بـ"التأريخ الخلاصي " الذي تمَّ التمهيد له ببعثة النبي محمد.

على أن المصادر التي تتدفق بغزارة أكبر من تلك التي تتدفَّق، مثلاً، من أجل الامبراطورية الأرساكية لا يجوز أن تغرينا، بالطبع، بأن نجمع كل الروايات المتوارثة، بعضها إلى بعض، مهما يكن أصلها، ومهما يكن عمرها، كما يفعل المرء في حالة اللغز أو الأحجيّة، لكي نرسم صورة لإيران الساسانية. وذلك أن مثل هذا التصرُّف

خليق أن تطرأ عليه تغيُّرات وتطوُّرات ليست في مجال النظر، وأن يهمل إلى حد مفرط، الظروف التي يختصّ بها كل نوع من الأنواع، أعني ظروف نشوء الشواهد والدوافع عند من "أنشأها" أو كلّف بإنشائه. ولعل من المنظورات الأخرى المُتاحة، التفريقُ بين المصادر تبعًا لتاريخ نشوئها ومكانه، ولغتها، والثقافة التي ترتبط بروايتها أو توارُثها، وتقسيم هذه المصادر إلى مصادر أولية، وثانوية، ومصادر من الدرجة الثالثة. وبالنسبة للرواية الخطيّة سوف تنتج عندئذ الصورة التالية، يجب أن يدخل في عِداد شواهد الدرجة الأولى، النقوش الكتابية ذوات اللغتين، أو اللغة الواحدة، العائدة للملوك الساسانيين، اللواتي يعد منهن نقش (resgestae) العائد إلى شاهبور/ شابور الأول، عند كعبة زارْدُمشْت في نقش رستم عند برِسبولِس (ÉKZ)، والنقش الكتابي العائد لمنافس غاليريوس، الملك غارسيه، من بايكولي (NP i) والشواهد الذاتية العائدة لموباد "الكاهن" كيردير، من دون شك، بمثابة الشواهد الأقوى حجّيةً. وذلك أن تلك النقوش تعدُّ، أولاً، حاسمة قطعية لمعرفتنا بالأيام الأولى للبلاط الساساني، إذ يذكر في بعضها أهم المتقلّدين للمناصب العليا في الدولة، مع ألقابهم ووظائفهم، ثم إنها تقدم، ثانيًا، الملوك بألقابهم وبكلمتهم، بصفتهم ممثلين لتصوُّر نوعيّ للملكية، على أنها درجة متوسطة، بين الإله أهورامزدا ورعايا الملك. ويجب، ثالثًا، تقويم بعضها، بأنها "تقرر عن أفعال" وهي تشكّل بذلك تصحيحًا، قبل كل شيء، للرواية الرومانية والعربية، ولعل ما يُفْهَم بحكم البدهية، أن أمثال هذه النقوش الكتابية لا يمكن تقويمها إلاّ على أنها شهادة من جانبٍ واحد إلى حد فائق، من أجل الفهم البدهي عند المكلّفين بإنشائها، في نصوصها الأصلية، والمباني في "الأمكنة المقدسة" بحم كونها وثائق دالة على علاقة وثيقة بـ"الأجداد الأوائل" وبالآلهة، في نسخها، التي لم تحفظ لنا، بحكم كونها جهودًا من أجل التبرير وإضفاء المشروعية، مبنية على المقبول الخارجيّ.

ويصف شاهبور/ شابور أفعاله على النحو الآتي: «أنا، الإله شاهبور/ شابور، الذي يُبَجِّل مازدا، ملك الملوك، في غيران وأنيران " خارج إيران"، والذي يرجع نسبه إلى الآلهة، ابن الإله أردشير، الذي يعبد مازدا، ملك ملوك إيران، الذي يرجع نسبه إلى الآلهة، وحفيد الإله باباغِ، أنا حاكم دولة إيران، الذي يملك الأقاليم والإثنيات التالي . . والبشر الذين جعلنا نُخرِجرُهم من الدولة الرومانية، من خارج إيران، وأدخلناهم في دولة إيران، في فارس، وفي فرتيا، وفي سوسياني، وفي العراق، وفي كل الأقاليم الأخرى التي ملكنا فيها أملاكًا للتاج، نحن وأبونا وأجدادنا، وأجدادانا الأوائل، "وهي الأملاك التي تسمى باليونانية (ktesmata)"، وهناك تمَّ توطينهم، والتمسنا شعوبًا أخرى، كثيرة، وأقدمنا على اقتراف البطولات وفَعال المجد، فأتينا منها الكثير الذي لم يُدوَّن هنا . . ومن أجل ذلك أمرناهم بتدوينها لكي يعرف من

يكون بعدنا، أفعال المجد وفَعال البطولة، ويعرف حكمنا».

وأمر شاهبور/ شابور بأن يؤتى بنقشه الكتابي (res gestae) إلى موضع تمّ انتقاؤه، عند مبنى يقال له "كعبة-ي زاردوشت" في نقش رستم، بالقرب من إصطخر وبِرسِبولِس الذي أُنْشِئ، في الحقبة الإخمينية "وبالنسبة لشاهبور/ شابور: في حقبة الأجداد الأوائل" قبالة الجدار الصخري مع أضرحة ملوك الفرس "أنظر ما يأتي فيما بعد"، وأمر بأن توضع في ثلاث لغات: بالفارسية الوسيطة والفرتية واليونانية. أما نارسيه، الذي لم يكن له أن يحظى "عرشه" بالقتال، ويتقدّم حسابه في نقشه الكتابي ذي اللغتين، الفارسية الوسيطة والفرتية، عند آبِدة بايكولي، في كردستان العراق، وهو الذي تتناول أشكال نزاعه مع خصمه المنافِس فاهرام الثالث والاعتراف الذي أعقب ذلك "والتتويج" من قبل عظماء الدولة. وأخيرًا كيردير، الذي أصبح في النصف الثاني من القرن الثالث واحدًا من أشد الرجال بأسًا في الدولة، واختار أربعة من الأمكنة "الملكية" البارزة، لكي يقدم معلومات عن ارتقائه الاجتماعي والسياسي، وما بذل من الجهد في سبيل الزردشتية، وعن تجربته الروحية في رحلة إلى العالم الآخر. ويَبْرُز من بين سائر النقوش الكتابية العائدة إلى الحقبة الساسانية النقش الكتابي المبارك لـ"حاكم" المدينة بيشابور "فيهشابور" من أجل شاهبور/ شابور الأول الذي يُطْلعنا على "حقبة ساسانية"، والنقش الكتابي الذي لم يكتشف إلاّ في الآونة الأخيرة، وهو نقش أبنون من بارم ديلاك، الذي يؤكد، بتأسيسه لمعبد من معابد النار المقدَّسة، بمناسبة انتصار شاهبور/ شابور الأول على الرومان، تاريخ المعركة التي دارت رحاها عند ميزيكا، عام 244 م.

والآن هَلُمّ إلى التقليد الثانوي الذي يُقْسَم قبل كل شيء، إلى التقليد المعاصر الذي يُعَدُّ بعيدًا عن إيران، وهو التقليد اليوناني الإيراني، وكذلك التقليد المتوارَث، اللاحق، على الأغلب، والمحلي، السوري، والمانوي. ويُعَدُّ كاسيو ديو وهيروديان المرتكز عليه جزئيًا، حاضرين هنا، على الرغم من التباين في إمكان الركون إليهما والاعتماد عليهما. فهما شاهدان مشتركان على ارتقاء الساسانيين في أيام أردشير، حيث لم يكن هناك مَن كان على استعداد لأن يتبيَّن حجم "الخطر الفارسي" إلاّ واحد منهم، هو هيروديان. ويترتب أن يذكر أيضًا، هليودور الحمصي الذي ندين بالفضل لنقشه المعروف باسم إيثيوبيكا في وصفٍ دقيق للفرسان المدرَّعين الساسانيين وجد تأكيدًا له مؤثرًا، في النقوش البارزة والغرافيتي والمكتشَفات الأثرية.

ويبرز، من لدن الكتاب اللاحقين في الغرب، أميانوس مارسيللنوس من أنطاكية على العاصي الذي يصف في سَفْرِه التاريخي، الذي يأتي متابعًا لتاتسيتوس، الذي لم

يتبقَّ محفوظًا لنا إلاّ جزئيًا، الحروب الساسانية- الرومانية في القرن الرابع، بالانطلاق من نظرته الخاصة، وذلك أنَّ بْروكوب، من قيسارية بفلسطين، الذي يتحدث، بصفته من الأصدقاء الموثوق بهم للقائد البيزنطي بيليسار، في ثمانية كتب، عن الحروب ضد الفرس والفاندال والقوط في القرن السادس. ثم إن أغاثيا القادم من آسيا الصغرى، الذي حاول في كتابه التاريخيّ أن يستأنف عمل بْروكوب من الوجهة التاريخية والشكلية، ويزعم أنْ قد أتيحت له نظرة في المحفوظات الملكية للساسانيين.

وفي إطار التقليد المسيحي المتوارث تقدم أفعال الشهداء الجمّة وتصرفاتهم، معلوماتٍ حول فجر تاريخ المسيحية في دولة الساسانيين، وبَدَهِيَّتها والسياسة الدينية للحكام. ونحن ندين بإشارات قيِّمة أيضًا لحوليات "في الإطار المحلي" وتاريخ الكنائس، مع حَوْليات دقيقة دقة باعثة للدهشة جزئيًا، وتتسم بقيمة عالية لشهادتها. وهذا ما يترتب توكيده، على الرغم من أن تواريخ النشر المتأخرة، والتوارث الضئيل للمخطوطات وضآلة التدوين لسِيَر الأولياء والقديسين، والنزعة الشكلية المُقَوْلبة، يُرْغِمْن على تقويم تاريخي بتّسِم بالحذر. وهناك فريق من كُتّاب الحوليات، والشهداء وكُتّاب سير الأولياء والقديسين استمد معرفته من مصادر ليس آخرها أنه تحوَّل من الزردشتيّة إلى المسيحية، وأنه مارس وظائف هامّة في خدمة "ملك الملوك"، ولهذا السبب كان حسن الاطلاع على مؤسسات إيران الساسانية وبُناها الاجتماعية وعاداتها وتقاليدها. وكانت الدرجة العالية التي تميز الرواية المتوارَثة لسير القديسين تُحْدِث أثرًا يَدُل على المحافظة على الأخبار وتوارث التقاليد والتوجيهات الدينية والقواعد المتصلة بحياة المجتمعات المحلية، أو الطوائف الدينية.

وقد جاء في خبر عن أحد الشهداء، ورد من أديابنه، هنا، بسطوره الأولى: «وفي العام السابع والثلاثين من اضطهادنا "في أيام شاهبور/ شابور الثاني في القرن الرابع"، صدر أمر صارم وأصاب الموباديين عنف حلّ بكل الطائفة المسيحية، ينص على تعذيبها بألوان التعذيب وتقتيلها رجمًا بالحجارة، وبالقتل، ثم إن الرعاة البارعين الذين لم يكونوا يختفون في هذه الملاحقة، كانوا يُتَّهمو من عباد الشر الوقحين، الذي تحدَّثوا إلى القضاة قائلين: "المسيحيون يفسدون تعليمنا ويعلمون الناس ألا يعبدوا إلهًا واحدًا، وأن لا يُصَلّوا للشمس، وأن لا يقدِّسوا النار، وأن يُدَنِّسوا الماء بالغسل القبيح، وأن لا يتزوَّجوا، وأن لا ينجبوا البنين والبنات، وأن لا يخرجوا مع الملوك إلى الحرب وأن لا يقبلوا، وأن لا يذبحوا الحيوانات من دون وَخْزِ ضمير، ويأكلوها، وأن يدفنوا الموتى في الأرض، وأن يقولوا إن الله، لا الشيطان، هو الذي صنع الأفاعي والعقارب وكل ديدان الأرض، كما أنهم يفسدون كثيرًا من

عبيد الملك، ويعلمونهم السحر الذي يسمونه كتبًا مقدسة، وحين سمع هذا أولئك القضاة، استشاطوا غضبًا كان يستعِر فيهم استعار النار في الحطب».

ثم إن مضمون المناقشة يفترَض أن يشغلنا أيضًا بتفاصيله.

ففي إطار الرواية المانوية، وضعتنا الكتابات الأصلية للمانويين من مصر الوسطى، في أجزاء يؤسفنا أنها ضاعت في غمرة قلاقل الحرب، عام 1945، وكذلك مكتشفات النصوص المستفيضة من العصر الوسيط، من تركيةٍ وصينية قديمة، مأخوذه من حوض التاريم في تركستان الصينيّة في مستهلّ هذا القرن، تضعنا، لحسن الحظ، في الوضع الذي لا يضطرُهم بعد ذلك إلى أن يَرَوْا تعاليم ماني، والأيام الأولى من تاريخ التبشير عند المانويين، وكذلك علاقتها بالسلطات الساسانية، السياسية والدينية، من زاوية النظر الخاصة بخصومهم المسيحيين والزردشتيين، وحدها، بل يتمكنون أيضًا من التنفيذ اللاحق في مواجهة خلقيّة الفهم البَدَهي، الخاص وتكوين التقاليد الخاصة، والحكم عليها. والحق أن هذا الأثر المكتوب يتألف، في معظمه من نصوص "وبالتالي: من مخطوطات" عائدة إلى النهج القديم، غير أنه يتضمَّن أيضًا بقايا "كتب" وضعها ماني، مؤسس الديانة ذاته. وما اكتسب أهمية خصوصية في هذا السياق "مدوَّنة مانية الكولونية" (CMC) وهي مخطوطة ضئيلة للغاية، بخط اليد على رَقٍّ من جلد الغزال، يُظَنُّ أنها ترجع إلى القرن الخامس، وضعها البحث في ماني، على وجه الخصوص في صدد المسائل المتعلقة بالوسط الدينيّ الذي نشأ فيه هذا المؤسس لتلك الديانة، على أساس جديد.

ويترتَّب أن يذكَر هنا أيضًا، المؤرخون الأرمن الذين لا تُعَدُّ شهادتهم ذات شأن لمجرد أن إرمينية كانت خلال الحقبة الساسانية، وثيقة الارتباط بإيران، بل تعد ذات أهمية أيضًا لأنها تسهم بفيض من الملاحظات الفردية المتفرقة حول تاريخ الساسانيين وحضارتهم في بقلب البلاد، ويجب التحذير الصريح من تقدير قيمة شهادتهم فوق قدرها، ومن الثقة العمياء بأخبارهم، وذلك على وجه الخصوص، بالنسبة لأوائل أيام الحقبة الساسانية، وذلك أنَّ النزعة الأرمنية، وهذا يعني، من طرق عديدة، أيضًا، لا يمكن التغاضي عنها النزعة المعادية لإيران، ومعظم الأعمال يرجع إلى القرن الخامس "أغاثا نفيلوس، فاوستوس البيزنطي "بوزنتال"، إزنيك الكوغي، غاسار الباربي" أو حتى من القرن التاسع فحسب "التاريخ الشامل لموسيس الخوريني".

وعلى العتبة الفاصلة بين الرواية المتوارثة، الثانوية والثالثية، ولاسيما العائدة إلى أوائل أيام الحكم الساساني توجد الشواهد الأدبية باللغة الفارسية الوسيطة، في صياغتها الدينية، التي تسلك نهج الأفيستا، بصورتها المرتبطة بالملحمة والبلاط.

ويجب أن يُلاحَظ في هذه الأثناء أن معظم النصوص لم تدوَّن إلاّ في الحقبة الساسانية المتأخرة وحتى في العصر الإسلاميّ، على أن أقدمها يرجع حتى إلى القرن الثالث عشر. وكان السبب في هذا التدوين المتأخر يرجع من ناحية، إلى السِمة الشفهية على نحو حاسمٍ، للثقافة الإيرانية، كما يرجع، من ناحية أخرى، إلى الحرج، وإعادة النظرة والتفكّر في المسألة، وهي إعادة النظر الناجمة عن الغزو الإسلامي بالرجوع إلى نقاط الذروة في "الدين الحنيف"، الذي كانوا يشيرون إلى أنفسهم بأنهم من أهله. ولا ينبغي في هذه الأثناء، بالطبع، أن نستبعد أن تكون بعض التفصيلات التاريخية العائدة إلى أوائل أيام الحكم الفارسيّ ظلت باقية على مر الزمن. وما من شك في أنه ينبغي للمرء أن ينزع إلى التشكك فيما يتعلق بإمكان التعويل على بيانات تتصل بزمن مضى وباتت تفصلنا عنه مسافة شاسعة. وهذا الميل إلى الإسقاط المرتدّ للمؤسسات، والعادات والتقاليد والظروف في أيام مؤسسي الدولة بعد، على النحو ذاته، ظاهرة معروفة في حضارات المشافهة، مثل التطور العضوي، غير المقصود، للرواية المتوارثة. وفي غير هذه الحالة قد يكون من الجائز أن تسير الأمور تبعًا لهذه التحقيقات في صدد الكتاب الديني، الذي يترتّب، في حالته، أن يكون الانطلاق، على وجه الخصوص، من أجل الطقسي التعبُّدي، أو من أجل مجال "النصوص المقدسة"، من تمسك أقوى وأطول ديمومة، بالنص، هنالك سيكون الكهنة الزردشتيون المدَّربون تدريبًا خصوصيًا، كأنهم "كتب حيّة". قد أحدثت آثارها على نحو يحافظ على التقاليد.

لقد سبق الحديث عن تدوين "التاريخ الوطني الإيراني" في الحقبة الساسانية المتأخرة في الجزء الأرساكيّ. على أن تلخيصه في نهاية أيام حكم، كسرى الثاني (590-628) في شكل (كتاب السادة) كان من الممكن في هذه الأثناء أن يكون مسوغًا بالحاجة إلى تذكر الماضي المجيد بالقياس إلى حاضر باعث للكآبة. وكانت النتيجة على أي حال هي بالتاريخ الطويل لإيران من أول الأباطرة، غيبيومارد، إلى حكم كسرى الثاني، الذي يستهوي بعصورٍ حكم فيها خمسون ملكًا وملكة، يستطيع المرء في حالتهم أن يتبيَّن، على الرغم من كل محاولات الربط والتوحيد، بين المواد، في بعض المواضع حلقات الأساطير التي كانت في الأصل مستقلة، فُرادى. ثم إن ما يثير الاهتمام أنّ هذه العصور "البطولية" كان يحل محلها حكم القاعدة، فترات كان المتنبؤون والشخصيات التي تعيش عيشة القديسين أو الأنبياء فيها، يطرحون مسائل أخلاقية، ويَدَعون الحروب تتراجع إلى الخلفيّة. وبذلك يتجلى "التاريخ الوطني"، نوعيًا، في صورة مزيج من المواد البطولية، والأقوال المأثورة عن الملوك و"الحكماء"، والمجادلات الكهنوتية والتأملات الفلسفية، والتعاليم الأخلاقية، والوصايا الملكية، وخُطَب العرش، التي يَتِمُّ فيها، المرة بعد الأخرى، العودة إلى إبراز

مسائل العدالة، والتديُّن، والتبدُّل الأنموذجي في الحياة. غير أن كتاب السادة لم يَك مجرد "كتاب تاريخيّ" شبه حكوميّ، بل كان أيضًا، وسيلة للتسلية الأدبية والتربية الاجتماعية، وكان يُفْتَرَض أن يبشِّر بالمُثُل الأخلاقية والسياسية-الاجتماعية، وبالتالي، بفضائل الرعية التي كان الملوك الساسانيون يرَوْن حكمهم مؤسَّسًا عليها، وكان يفترض بقاؤهم على مر الزمن، على أساسها، ثم إن سِيَر الملوك، والأبطال و"الحكماء" كانت تشكل الخلفية التي أمكن تجسيد أمثال هذه المُثُل تلقاءها، وفي هذه الأثناء كان التمييز بين الأسطورة والمادة الأسطورية والواقعة التاريخية، شيئًا ينتمي إلى الدرجة الثانية.

والحق أنه قد تبقىّ لنا من سائر الآثار المدوَّنة بالفارسية الوسيطة أكثر مما تبقى لنا من الآثار المدوَّنة بالفرتية، وإذا فصل المرء، مع ذلك، أدب التوجيه الديني، هنالك لا يبقى إلاّ القليل من الأمور الأخرى، ومنها، مثلاً: قصيدة أيادغاري زاريران "ذكريات تتصل بـ z". وكانت أمثال هذه القصائد تُغَنّى في العادة، مقرونة بالموسيقى. وكان البلاط الساساني يساند الشعراء والمغنين، ومِنْ ذلك أنه قيل عن وهرام الخامس، إنه أنعم على هذه الشخصيات بأرفع المراتب في البلاط، وقد شهد شعر المغنين انهيار الدولة، وأصبح، ولاسيما في الريف، محلّ الرعاية حتى في الحقبة الإسلامية. ومن المؤسف أنه لم يصلنا إلاّ القليل من الأعمال الأدبية، إذا ما قيست إلى الأعمال المتوافرة في الأصل، حتى من الحقبة الساسانية، إذ ضاع الكثير منها إبّان غزو المسلمين إيران، أو من جرّاء الغزوات التالي. ووُضِعَت أعمال أخرى، من قِبَل المتعصبين المتدينين على لائحة الممنوعات. ثم إن أعمالاً أخرى "تعرَّضت للإهمال" عن طريق التحويل من نظام الكتابة الآرامي، الفارسيّ الوسيط إلى نظام الكتابة العربي. ولا تحدث الآثار المدوَّنة، من الترجمات العربية والفارسية الحديثة والاقتباسات، وكذلك عمليات التجميع بالببليوغرافي والملاحظات، إلاّ انطباعًا يسيرًا واهيًا، عن فيض التراث الساساني المكتوب واتساع نطاقه: وعلى كل حال فإن المرء يعرف أن الأدب الفارسي الوسيط كان يشمل، إلى جانب التراث "المدوَّن الديني"، الأعمال التاريخية والجغرافية والتعليمية والفلكية والكتب الخاصة بدراسة البلدان وكتب وصف الرحلات والعناوين الخاصة بالسلوك الحسن وقواعد اللياقة، وكتب بالقانون، والروايات التاريخية والأناشيد وأدب التسلية الشعبي، والمزيد من الأمور الأخرى.

وحتى عندما تقع هذه منّا موقعًا ثقيلاً، بسبب فيض المعلومات التي تقدمها، تتميز الأعمال الموضوعة في كتابة التاريخ الفارسي-العربي "ولاسيما حينما يتعلّق ذلك بحقبة الحكم الساساني، المبكّرة"، تميُّزًا صحيحًا، بأنها رواية متوارثة "ثالثية". وإنما تكون "ثالثية" لأن التاريخ العالمي للأدب، باللغة العربية، إنما يدين بالفضل

في صورته الساسانية، قبل كل شيء للتقليد الفارسي الوسيط المتأخِّر، وتكمن قيمته في نقل الموروث الساسانيّ الذي يفترض في العادة أنه قد ذهب به الضياع. وما من شك في أن ذلك يكون في انقطاع ذي ثلاث وجوه، في التدوين الساساني المتأخر، وفي التنقيح أو التحقيق، وفي الترجمة التي تمت في صدر الإسلام، وفي إعادة النظر، وكذلك في الصورة التاريخية الإسلامية النوعية. أما إلى أي مدى تمَّ تغيير صورة المعرفة بالعصر الساسانيّ الأول عمدًا، أو قَلْبه من حيث التشكُّل العضوي، فذلك أمر لا سبيل إلى البت فيه على الإجمال. إلاّ أن المقارنة المبنية على الإنصاف وحكم الضمير، بين الرواية العربية المتوارثة والرواية الأوَّلية، يمكن أن تتيح للناظر أن يأمل في خطوات من التقدم في المعرفة، مثلما يتيح ذلك التحديد الدقيق للمعنى "الحقيقي" لهذه الآثار المدوَّنة تمييزًا لها عمّا يبتغيه منها البحث في هذه الأيام.

5/ 1/ 2] فيروز آباد، نقش رُستَم، بيشابور وطاق-ي بستان؛ الأواني الفضية، والعملات، والأختام، والمراسيم: شواهد أثرية وشواهد نميّة من الحقبة الساسانية من إيران

وفي السياق الضيق، من حيث الحيِّز والعلاقة الموضوعية بالشواهد الإبيغرافية، توجد النقوش البارزة العائدة للملوك الساسانيين، التي لاشك في أن أشهرها النقوش البارزة الخاصة بتنصيب أردشير الأول، فالنقوش البارزة" التي تتضمن الأقاصيص التاريخية العائدة لابنه شاهبور/ شابور. وبإيرادها "المواقع المقدسة" العائدة إلى "الأجداد الأوائل"، وبالتالي مواقع ألوان النجاح العسكري الكبرى، وبربطها بين الحدث الكوني والحدث العالمي، وكذلك بِسِمتها المركَّبة التلخيصية، تعدُّ النقوش البارزة، على النحو ذاته شواهد بليغة على الفهم البَدَهي، وعلى جهد التبرير الملكي. وحتى بالنسبة لملامح الوجه تعد هذه حاسمة قطعية لأنها تصوِّر الحكام، من وجوه عديدة، في محيط ذويهم وفي وسط عملة الألقاب والمراتب. وقد بقي محفوظًا لنا أكثر من ثلاثين نقشًا بارزًا عائدًا للملوك الساسانيين، لا يعود إلاّ القليل منها، إلى خارج إقليم فارس الذي يمثل موطنهم. وقد كُلِّف بعَمَل كلِّها تقريبًا من قِبَل أوائل حكام القرنين الثالث والرابع. أمّا من حيث موضوعها فيغلب عليها موضوع تتويج الملك "من الآلهة"، وثمة نقوش بارزة أخرى تظهر الملك عند انتصاره على أعداء الامبراطورية، أو في ساحة القتال، أما سائر هذه النقوش فيمثلها الملك مستويًا على عرشه أو وسط حاشيته. وقد وجد الساسانيون، من أجل التصاوير التي تتضمنها، النماذج في فن النقوش البارزة الإيرانيّ القديم. وما من شك في أن الباحثين لم يُجاوزوا الحق حين أشاروا إليها بأنها تمثل ذروة فن التشكيل الإيراني في الصخر في إيران القديمة. أمّا "دلالة" الصُوَر فمختلف فيها. هل يوجد، على

الإطلاق تحديد موحَّد للهدف، بصدد كل الموضوعات؟، أو لِنَقُلْ، أَفَلا يترتَّب على الباحث، بالأحرى، أن يفسِّر بعضًا منها بأنها شهادات على الحدث التاريخيّ أضفيت عليها الصفة المثالية، وأن يفسر بعضًا آخر منها بأنها صور تمثيلية للملوك تنطوي على "حقائق" ذات سَرَيان عام؟.

فلنُلْقِ نظرة أكثر دقة على اثنين من أشهر النقوش البارزة، وكلاهما من الجدار الصخري في نقش-ي رُستَم تحت أضرحة الإخمينين. فهنا، من ناحية أولى، النقش البارز (ANRm I) الذي يمثل تتويج أردشير الأول، والصورة الأولى في الصخر من نقش-ي رُستَم، وأردشير الأول يُظهر الملك على صهوة جواده، على الجانب الأيسر، وهو يتناول خاتم الملك من الإله أهورامزدا الذي يمتطي صهوة الحصان أيضًا. أما الشخصية التي وراء الملك فتمثل فتاة، وكلا الرأسين الواقعين تحت حوافر الخيل فيمثلان هامَتَيْ غريمَيْ الملك والإله: فمثلما يهزم أهورامزدا "الشيطان" أهريمان، كذلك ينتصر أردشير على آخر الملوك الفرتيين، أردفان الرابع.

والباحثون يعرفون شاهبور/ شابور، الساسانيّ الثاني، أيضًا، صورة تتويجه وهو على صهوة جواده. وهنا يفترض أن يدور الحديث عن نقوشه البارزة التي تمثل انتصاره ولاسيما أشهرها، الذي يخلِّد انتصاراته على الامبراطورين الرومانيَّيْن، فيليب العربي "معاهدة الصلح المفروضة عام 244 م وفاليريان "الأَسْر عام 260 م": وفيليب جاثٍ على ركبته، وفاليريان "يقبض عليه" شاهبور/ شابور". أما فيليب، بالأسلوب الروماني، رحمة الملك المُظَفَّر، وأما فاليريان فيتصرف تصرُّف الفرس، وكأنه واحد من رعايا حاكمهم. وفي مقابل هذا النقش البارز توجد بعدُ أيضًا أربعة من نقوش بارزة يمكن مضاهاتها به، وقد صُوِّر، على ثلاثة منهن، في صورة شخصية ثالثة، مقهورة من قِبَل شاهبور/ شابور، الامبراطور الرومانيّ غورديان الثالث، وهو يرقد وقد اتجه وجهه نحو الأرض، تحت سنابك خيل الساسانيّ. وهذه الصور المنقوشة تظهر كأنها محفورة في الصخر، في شكل "عمليات تخليد" مرتقية بالمكان والزمان، عائدة لشاهبور/ شابور المُظَفَّر، "نقش شابور الأول في كعبة زاردوشت".

«وحين كنت قد وصلت، بادئ ذي بدء، إلى سدّة الحكم في الدولة، حشد الامبراطور غورديان من دولة الرومان بأسرها من القوط والجرمان، جيشًا، وأتى بلاد الرافدين يحارب امبراطورية إيران ويحاربنا، وعلى حدود بابل، عند ماشيك "باليونانية: ميزيخه" نشبت بين الجانبين معركة كبرى، ولَقِيَ الامبراطور حتفه، وأَبَدْنا الجيش الروماني، هناك اختار الرومان فيليب ملكًا لهم. وجاء الامبراطور فيليب إلينا، يلتمس شفاعة، ودفع فداءً لحياتهم خمسمئة ألف دينار والتزم بدفع الجزية إلينا . . وفي الحملة الثالثة، حين خرجنا إلى كارّهاي وإديسا "الرُّها"

وحاصرناهما، هنالك تقدَّم منا الامبراطور فاليريان . . وخضنا مع هذا الامبراطور معركة طاحنة، وأخذنا الامبراطور ذاته أسيرًا بيدَيْنا، نحن».

وبعد فترة توقُّف طويلة، من القرن الرابع إلى القرن السابع، إذا لم يكن هذا الطرف يرتكز على "مصادفة تتصل بالرواية"، "أعيد اكتشاف" فن النقش البارز من قِبَل آخر الساسانيين العظماء كسرى الثاني، وسيلةً من أجل تصوير الملكِ ذاتَه: ففي "الإيوان الكبير"، إيوان طاق-ي بستان، في ميديا "عند كرمنشاه" يتجلّى الملك حاكمًا قد اختاره الرب، وفارسًا بارعًا، في صورتين أخريين في قلب عملية صيد الخنازير البرية والأيائل.

وقد وصل إلينا، بالمناسبة، من شاهبور/ شابور الأول وكسرى الثاني، أيضًا، تمثالان عملاقان، نسختَيْن نادرتَيْن من فَنّ النحت الساساني. ومازالت هندسة عمارة الأوابد، الساسانية تُحْدِث، حتى اليوم، أثرًا كبيرًا في النفوس، وهذا ينطبق على منشآت المدينة وقصورها مثلما ينطبق على المباني المقدَّسة، والجسور والحصون. أمّا التأسيس الأول لمدينة أردشير فكان تمجيدًا لأردشير، وهذا منشأة مستديرة، كالدائرة يبلغ قطرها نحو (2 كم) في سهل فيروز آباد "فارس"، ولها محوران يتقاطعان بزوايا قائمة. ثم تَمَّ تقسيم القطاعات التي نشأت بهذه الطريقة، مرة أخرى، إلى خمسة أجزاء، وكانت هذه الوحدات الأصغر ترتبط فيما بينها بشوارع تتشكل على شكل حلقات، وفي مركزٍ محاط بالأسوار يبلغ قطره نحو 450 مترًا كان يوجد مبنى للعبادة مدرّج بمصاطب، وبرج يرتفع ثلاثين مترًا مازال من الممكن مشاهدة بقاياه حتى اليوم. ومازال يجري حتى اليوم "حل الألغاز" المتعلِّقة بالأصول المفاهيمية لهذه المنشأة القائمة في المدينة، والغرض المنشود من البرج.

أمّا بيشابور (veh-sabuhr) (مدينة شاهبور/ شابور الجميلة) ذات المسقط المربَّع، المؤسسة على الطراز الخاص بميادين سباق الخيل، فقد كانت المقرّ الرئيس للساسانيّ الثاني في فارس، ويبلغ حجمها 155 هكتارًا، وهي تستند إلى الجبال، حيث يتولى حصنٌ حماية المدينة. وكان يوجد، في الجزء الشرقي، القصور، ومنشأة تحت الأرض فسَّرها الباحثون بأنها مكان للعبادة. وعلى النحو ذاته أُسِّست في عهد هذا الحاكم الكبير جُنْدَيْسابور "مكان جيش شاهبور/ شابور" وهي تُعْرَف أيضًا باسم /فيه- أندياك- شابور "التي تحتوي على ما هو أفضل مما لدى أنطاكية". وقد جعل شابور هذه المدينة" أفضل من أنطاكية، وبالتالي بنى: بيت لابات "في الشواهد السورية". وعلى بعد نحو ثلاثين كيلو مترًا إلى الشرق من سُوْسَ، كان شابور قد نقل إلى هنا، من أنطاكية، العمال والمختصين ووطّنهم "وفيهم كثير من النصارى"، وسَرْعان ما تحوَّلت المدينة، على أثر ذلك، إلى حاضرة ثقافية علمية، متطورة، لها مدرستها الكبيرة الخاصة بها، قد وصلت، أيضًا، إلى مكانة الموقع

الرئيسيّ لصناعة الحرير الفارسيّ وشهرته القصوى، وسوف تصادفنا بعدُ أيضًا بصفتها مركز للنصارى في خوزستان.

وقد ثبت لدينا وجود مدن ساسانية أخرى في إيران، من الوجهة الأثرية، ومازالت مشهورة باسمها أكثر من اشتهارها بأي شيء سواه. ومع ذلك ففي كثير من الأحيان يتعذّر تحديد موقعها، أو تكون قد وضعت لها، فيما بعد، أسس جديدة، وظلت مدينة التتويج وقلب الامبراطورية في عهد الساسانيين أيضًا، قطسيفون (قطسيفون) على الدجلة، وعُرِفَت، مقرونة بالتأسيس الجديد لمدينة في- أردشير، باسمها العربي، "المدائن".

ومازال كلا المقرَّين الأوَّلَيْن لأردشير على الطريق من شيراز إلى فيروز آباد. أما قلعة دوكستار، وهي قصر ذو تحصين قائم على هضبة صخرية تشرف على هاوية تقطع الطريق إلى فيروز آباد، وهناك أكطاش داه، على سفحها، في السهل، وهي أكبر كثيرًا (55 x 104) متر، تصاغ في صورة إيوان تقوم حواليه حجرات جانبية كبيرة وثلاث حجرات ذوات قباب، حيث كان يوجد المجال السكني في سلاسل من الغرف مقبَّبة مكسوَّة بالصلصال في كلا الطابقين العلويَّيْن، أمّا قصور شابور في بيشابور فقد أصبحت مشهورة على وجه الخصوص بموزاييكها المشكَّل وَفْقًا للأنموذج الروماني "أو وفقًا لكسرى الأول." ومبنى المقر في قطسيفون بسبب قنطرة الإيوان الهائلة التي مازالت باقية لنا "طاق-ي كسرى"، والذي يقال إنه عانى في حرب الخليج، أما المنشأة الساسانية المتأخرة في قصر شيرين، في المنطقة الحدودية بين العراق وإيران، فقد وقعت ضحية للاشتباكات بين هاتين الدولتين في الثمانينات "من القرن الماضي".

كما يُعْرَف أيضًا نحو عشرين من إنشاءات الجسور والسدود من الحقبة الساسانية، وأنشأ الكثيرون من أسرى الحرب الرومان، بالإضافة إلى ذلك، منشآت تحصينية، كالقلاع والأسوار الواقية من أجل مدن وأقاليم بأسرها. وتعد الأعداد التي لا تحصى من المعابد المقدسة، للنار، التي يمكن تصوُّرها في الغالب على صورة طاق مغلق، مثل طاق شاهار، "والطاق مبنى ذو أربعة قناطر" إشارة إلى عقيدة معظم الإيرانيين في تلك الحقبة، وهي الزردشتية. ولعل أهم الأمكنة المقدسة في أواخر الحقبة الساسانية ما نَقَّب عنه المنقِّبون الألمان وكشفوا عنه، في طاق سليمان، في أذربيجان، وهو منشأة شامخة الذرى ذات أبواب قدسية ودنيوية، يمكن المطابقة بينها وبين الأمكنة الأكثر تباينًا على الإطلاق الواردة في الأدب القديم في تلك الحقبة.

ومن المواد المرغوب فيها، في مضمار تجاه القطع الفنية، أطباق اليد الفضية الساسانية، وأعمال أخرى مما يسمونه (Toreutik)، وعلى الرغم أنّ المُكلَّفين

بصنعها، والغرض الكامن وراءها، وبالتالي، استعمالها والنماذج المصوغة على شاكلتها أمور يظلَلْن غير واضحات، فإن من الثابت مع ذلك، أنه، منذ أيام شابور الثاني، كان الملك يُعْرَف بها، وبتاجه من حيث هو فرد، ويوجد في نقطة المحور، وبصفة الصياد، مُظْهِرًا حسن بلائه، أو مستويًا على عرشه، في حلقة من أهم الشخصيات في بلاطه. أما المنفعة التي هي أقرب إلى أن تكون سياسيةً منها إلى أن تكون عملية، والمتوخّاة من هذه القطع، التي يرى المرء أنه يترتب تصوُّرها على أنها الأقرب إلى أن تكون هدايا ملكية ضمن نظام لتبادل الأعطيات والهدايا، فيتم التعبير عنها أيضًا من خلال حقيقة أن الملك كان يملك، منذ القرن الرابع وحتى القرن السادس، على ما يبدو ظاهرًا للعيان، احتكار صناعة الأواني الفضية. وقد أعرب الباحثون عن تكهُّنهم بأن الأواني المعدنية، بما تنطوي عليه من رسالة مُرْسَلَة من الملك، من حيث كونه يمثل "النقطة المحورية في الدولة" و"المقاتل الذي لا يمكن أن يُهْزَم، ضد كل ما يهدده" إنما حلَّ، بفنه التمثيلي، السياديّ، محلَّ النقش البارز، الذي كانت دلالته ومعناه يتحققان تثبيت دعائم الأسرة الحاكمة.

وربما كان هناك أمور مازال من الممكن أن تقال في صدد المنتجات الأخرى التي أخرجها الفن الساسانيّ، حل المواد المستعملة في المنسوجات الحريرية الساسانية، مثلاً، وآثارها في فن النسيج في الغرب، غير أننا نريد الاكتفاء بالحديث عن الكامييات (الحجارة الكريمة المصقولة ببراعة فائقة، والتي تمثل أشكالاً تجسيدية معينة) ، وقطع الزجاج، أو قطع الجصّ الزخرفية الساسانية المشهورة.

وهناك بعض الكلمات التي مازال من الواجب أن تقال في حجارة الأختام الساسانية، والمراسيم والعملات اللواتي أصبحن، في نقشهن التصويري، يمثلن توليفًا لشواهد قيِّمة للمؤرخين. ومِنء ذلك أن الأختام دمغات المراسيم، تمثل، بما تتضمنه من ذكر اسم المالك ولَقَبه والبيانات المتعلقة بمنصبه، يجْعَلْنا في الوضع الذي يُمَكِّننا من التعرف على "كبار المسؤولين" في الدولة وفي مضمار الدين والكهنوت، وكذلك في مضمار تشخيص الناس، وعلم الأسماء المتصل بهم، وكذلك العملات "أي: صورها وأساطيرها، وكذلك أسلوبها وتقنية الصكّ" أن يتعرَّف على أسماء الحكام الساسانيين وتسلسلهم. وفي حالة الكتل الصلصالية الممهورة ببصمات خاتمهم "بصمات المراسيم"، من حقبة أواخر العصر الساساني، من قصر-ي أبي نصر في فارس، وعن طريق طاق-ي سليمان، تجلية مسألة هل كانت هذه الأختام تفيد في ختم السلع أم في ختم الوثائق. وكانت أختام البصم المرفقة بحبل يطوِّق العنق، أو تتخذ شكل خاتم حول الإصبع، وهي على الأغلب من أحجار شبه كريمة تحمل، في حالة القطع الممتازة، أساطير، وتُظْهِر، في الوجه الأمامي صدر الملك، على أن يكون لكل ملك تاجه الخاص به الذي لا يمكن الخلط بينه وبين تاج غيره.

كما تظهر أسطورة وصورًا لرجال ونساء، ومشاهد للتتويج، ومشاهد صيد، ومشاهد مآدب، وحيوانات، وتصاوير للآلهة.

وعلى الوجه الخلفي تظهر معبدًا للنار، وألسنة لهيب يمكن أن يضاف إليه شخصيتان مساعدتان وتمثال نصفي، في وسط ألسنة اللهيب. وكانت العملات الذهبية والنحاسية كثيرة التداول، وكانت معظم القطع مصكوكة من الفضة "الرقيقة"، وكانت الأسماء الرئيسة للعملة، كما كان الحال عند الفرتيين، الدراخما التي يبلغ وزنها 4 غم، وفي أيام شابور الثاني بدأ صكٌ جديد لها، ربما كان سببه يتمثل في العمل على كسب المرتزقة من آسيا الوسطى. وكانت مواقع صك العملة، ومواقع تسميات دواوينها واردة غير أنه لا يمكن إعادة تركيبها، في العدد والنوع، إلاّ بصعوبة، فتصبح البيانات الخاصة بسنة الإصدار منذ أيام كافاد الأول متماشية مع النظام والأصول. ومما كان يشكل مشكلة في حد ذاته إصدارات الحكام الساسانيين في المناطق السالفة التي كانت تعود إلى الدولة الكوسانية، التي توجد فيها، حتى اليوم محاولات تأريخ متقابلة، متباينة إلى أقصى حدود التباين.

5/ 2] الملك ورعاياه

5/ 2/ 1] شاهانشاه إيران وخارج إيران، النظام الملكي في امبراطورية الساسانيين

«هذه صورة الإله الذي يكتسح ويدمر بأمر مازدا "بالفارسية الوسيطة: باي"، شابور، صورة ملك الملوك في إيران وغير إيران "شاهنشاه إيران وخارجها" (وبالفرتية القديمة: شاهنشاه أريان وخارج أريان) "وبالإغريقية: باسيلويس باسيلون آريانون، كاي أنريانون"، الذي يرجع نسبه إلى الآلهة "بالفارسية الوسيطة: كي شير أزيازدان، وباليونانية: إك جينوس ثيون" ابن الإله الذي يدمر بأمر مازدا، أردشير، ملك ملوك إيران الذي يرجع نسبه إلى الآلهة، وحفيد الإله باباغ، الملك».

وهذا النقش الكتابي في الصخر، العائد إلى شابور الأول، من نقش-ي رجب، عند بِرسِبولِس يوضح، بتسمياته ذوات النزعة إلى السيطرة والهيمنة، باختصار وإحكام، البَدَهية الملكية. فهي تضع شابور، في علاقته مع سائر الحكام في ألامبراِطورية وفي المناطق المفتوحة، ومع الأراضي، والآلهة، والأسلاف، في موقع التحكم والسيطرة. فلننظر في هذه العلاقات عن كثب إلى حد ما، وبمزيد من التفصيل: فالحق أن لقب "ملك الملوك" كان من العلامات المميِّزة للأسر الحاكمة في

الحقبة السابقة على الساسانيين في إيران، ومع ذلك فلم يكن مرتبطًا بكلمة إيران، على أن الساسانيين ابتدعوا مفهوم "إيرانشهر" (بلاد الآريين) ليكون مفهومًا سياسيًا، ليضفوا على أنفسهم، من ناحية، صفة المشروعية بصفتهم ورثة الامبراطورية الإيرانية السالفة، العائدة للأجداد الأوائل "الإخمينيين"، وبصفتهم خلفاء أيضًا لأوائل الملوك الأسطوريين، وبصفتهم أتباع العقيدة الزردشتية المتأصلة في إيران. وكانوا يريدون، من ناحية أخرى، بتصورهم لإيرانشهر موطنًا سياسيًا ودينيًا وثقافيًا، لكل القاطنين هناك، ويهدفون من وراء ترسيخ جذور هذه الفكرة في عصر يرجع إلى الوراء رجعة شاسعة، إلى ابتداع هوية جديدة لأنفسهم، ولرعاياهم. وقد جعل أردشير نفسه، بصفته "ملك الملوك" فوق كل حكام إيران الآخرين، بل كان شابور يُدْخِل في هذا النطاق حتى المناطق المفتتحة حديثًا "وأمراءها".

على أن تسمية الملك نفسه بأنه إله "بالفارسية الوسيطة: باي، وباليونانية: ثيوس" تثبت أن الرعايا لم يكن عليهم أن يتصوَّروا الحاكم في صورة مجرد، أي: سيد أعلى، كائنًا مَنْ كان، بل كان عليهم أن يتصوروه ملكًا ذا صفات إلهية. وما من شك في أن الإشارة إلى الأصل الإلهي توضح أنه كان من الواجب أن يكون هناك فرق بين الملوك والآلهة، مثل أورمَزْد أو أناهيتا التي كان الساسانيون يضفون عليها صفة الحكم والسيادة. والحق أن هذا لا يتضح في الصياغة اليونانية، التي تستعمل مفهوم ثيوس للملك والرب، غير أن هذا يتضح بلا ريب في الصياغة الفارسية الوسيطة. فهناك يحظى الملك بصفة (بغباي/ bag-bay)، أما أورمزد فيحظى بالكلمة التي ترجع إلى الأفيستي، أي، باللغة الكهنوتية، بكلمة دالة على أرواح تأتمر بأمر أهورامزدا (Yazd, Yazata). وبالنسبة لإيرانييّ الحقبة الساسانية، كان هناك، بموجب ذلك، نوعان من الآلهة: أولهما الامبراطور وآباؤه الملكيون، سواء أكانوا أحياءً أم أمواتًا، أي أنهم أناس عظماء، وهم، بالنتيجة، كائنات مادية، ولكن الثاني هم الأجداد الأولون البعداء، وهم الآلهة بالمعنى الحقيقي، أي أولئك الذين يترتب تصوُّرهم في صورة كائنات روحانية" ‹Humbach›.

«وعلى أساس أن الآلهة جعلت منها ملكًا خاصاً بها، وأننا نرتاد، بمعونتها هذه البلدان الكثيرة ونستولي عليها، من أجل ذلك أسَّسْنا أيضًا في كل بلد من البلدان، وبأعداد كبيرة، نار فهرام وأولَيْنا كثيرًا من ألوانًا من المعروف والخير، وجعلنا المنشآت المكرّسة للآلهة كبيرة».

ويؤكد شابور في هذا الموضع، موقفه من الآلهة، الذي لا يُبْنى على الأصل والنسب بل على العلاقة الوثيقة مع الآلهة. فهو يتصرف على أساس أنه أداتها ووسيلتها، ومن أجل ذلك تُوليه الحُظْوة لديها. وفي امتنانٍ منه لها، يتولّى، كما فعل

الملوك من قبله ومن بعده، رعاية العبادة الزردشتية: فهو يشعل النار ويزيد بذلك المواقع التي تُعْبَد فيها الآلهة، وهو يولي "الكهنة" ألوانًا من الخير والمعروف "عن طريق تقديم الهدايا؟"، وهو يُظْهِر أنه ممن يشجعون الديانة الزردشتية ويُنَمّونها. ويمكن استقاء المعتقد الشخصي للحاكم، وسياسته تجاه العبادات الأجنبيّة، كما سوف نرى، من أمثال هذه التصريحات الهادفة إلى التأثير في الخارج وإلى إضفاء المشروعية، بلا ريب، بسهولة ويُسْر. على أن ذكر شابور النيران يذكرنا بأنه يُرى، على الأوجه الخلفية للعملات الساسانية أيضًا، نار، وقد فسَّر الباحثون هذا بأنه "نار الملك" الشخصية، التي أوقدت عند ارتقائه العرش. على أن "نار الملك" ينبئنا بها النقش الكتابي المذكور آنفًا، والموضوع برقم 262، من بيشابور، والذي يقدم الدليل على "حقبة ساسانية" منذ عام 206/205 م: «في شهر فرافاردين، من العام 58 "من هذه الحقبة"، وفي سنة 40 من نار أردشير، وفي العام 24 من نار شابور، ملك النار» . . .

وينتج أن المناداة بأردشير ملكًا "واتقاد ناره" يمكن تحديدها بعام 24/223 م، من التقويم الساساني، وأن تعيين شابور "واتقاد ناره" يمكن تحديدهما بعام 40/239 م. وقد تعرفنا على "نار الملك" منذ أيام الإخمينيين والفرتيين، على أن الأخيرين دأبوا على عادة إيقاد النيران من أجل خلاص الأرواح لذوي قرابة البيت الملكيّ الراحلين.

وكانت الشخصيات المساعدة تحرس النار على الوجه الخلفي للعملات، وكان يُرى في لهيبها، منذ أيام هورمِزْد الثاني، إضافة إلى ذلك، تمثال نصفي. ولقد همَّ الباحثون أن يفسِّروا هذه الشخصيات، تبعًا لغطاء رأسها، بأنها تمثل الملك مع شيطانه، أو الملك مع شيطان واحد من أسلافه الراحلين "مع اختلاف التيجان" أو تمثل "الملك مع الإكسفرّاه"، وهذا ما يمكن مقارنته بآلهة الحظ اليونانية تيش (Tyche)، أو إلهة الحظ الرومانية فرتونا، غير أنها تمثل أيضًا الكهنة، في صورة الملك وكهنته، أو الملك في اثنتين من الوظائف. أما التمثال النصفيّ فقد فُسِّر بأنه يمثل إلهة حظ الملك المصوَّر على الوجه الأمامي، أمّا أن فكرة إلهة حظ الملك، من حيث كونها شرطًا أوّلاً ضروريًا لاصطفائه من قِبَل الآلهة ترتَّب عليها للملكية الساسانية أثر عميق، فذلك ما يتضح في الحكاية المسرودة في "رواية أردشير" حول ملاحقة أردفان أردشير الهارب: «وحين وصل "أردفان" إلى مكان آخر، سأل الناس عن ذينك الفارسين "أردشير وفتاة من البلاط"، متى مرّا، فقالوا: "في منتصف النهار مرّا، بسرعة الريح، وكان كبش يجري "بإصرار ومواظبة" إلى جانبهما، وبدا هذا غريبًا في نظر أردفان، وقال، فلتفكرّوا في أننا نعرف الفارسين، ولكن ما الذي يفترَض أن يعنيه هذا الكبش؟ وسأل القاضي، فقال: لم يصل إليه بعدُ بريق حظ السيادة على الكيبانيين، ولا بد لنا أن "نواصل" الركوب، لأن من الممكن أن نتمكن من الإمساك

به قبل أن يصل إليه بريق الحظ هذا (ويتحدث الناس بعد ذلك إلى أردفان، قائلين إن الكبش قاعد على صهوة جواد أردشير). وقال القاضي: فلتكن خالدًا، لقد وصل بريق الحظ إلى أردشير، وما عاد في وسع أي حكيم أن يمسك (به)».

وينتج عن هذا أنه "مَنْ كان على الدوام مستحوذًا على إلهة الحظ، فهو الحاكم بموجب الحق والشرع، ولا بد للتمرُّد عليه أن ينتهي، بالضرورة، إلى الإخفاق.

أما في النقوش الكتابية العائدة إلى أوائل الملوك، فيتم تسويغ مشروعية الحكم أيضًا عن طريق الإشارة إلى أسلافهم في الحكم، أي أنه يتمُّ، من قبل شابور عن طريق علاقته بأبيه أردشير، وجده باباغ، ومثلما فعل الفرتيون فعل الساسانيون، غير أنهم قاموا أيضًا بمحاولة العودة إلى مؤسسي الدولة. ففي روايته عن أفعاله، يتحدث شابور الأول عن "أمتعة التاج" (بالفرتية: داست جيرد، وباليونانية: كتيسماتا، أي: أمتعة تاج والده، و"أجداده"، (نياغان/بابّوي) وعن "أوائل أجداده" (أهيناغان/ بروغونوي) الذين يترتَّب على المرء أن يفهم أردشير على أنه سليلٍ زعمائهم الأوائل، من عشيرة الساسانيين وزعماء الساسانيين غير المعروفين، كلٍّ باسمه، من الحكام الإخمينيين. وإلى هذا الفهم البَدَهي الملكي يرجع الكتّاب الرومان، مثل كسيوس ديو، أو هيروديان، أو أميانوس مارسيللينوس، عندما يتحدثون عن مطالب الساسانيين الموجهة إلى الرومان بوجوب إعادة ممتلكاتهم إليهم "أي إلى البروغونوا، وبالتالي إلى المييوريس". أما في إيران ذاتها فنجد، أيضًا، أمثال هذه العمليات التي هي الردّ، أو الإعادة إلى مؤسس العشيرة "الإيبونيمي" في الحقبة السابقة على الإسكندر، وردّ السيادة التي نجمت عنه، أي سيادة "ملوك الطوائف"، إلى الملوك الأوائل الأسطوريين. وفي رواية عن أردشير ذكرناها لتوِّنا، من أواخر الحقبة الساسانية، يقال هنا عن ساسان الذي يظهر هنا على أنه والد أردشير "وزوج ابنة باباغ"، ما يلي: «وكان ساسان راعيًا لباباغ، وكان يلازم الماشية الصغيرة أبدًا، وكان ينتمي إلى سلالة دارا، سليل دارا "أي داريوس" وقد كان أجداده، في أثناء الحكم الفاسد الذي كان يمارسه الإسكندر، في المنفى والخفاء، وكانوا يتعاملون مع الرعاة الأكراد».

وقد أصبح أردشير أبنًا لمؤسس عشيرة ساسان، وسيكون هذا قد تعرَّف، بدوره على دارا "داريوس الثالث" الذي كان الساسانيون تعرّفوا عليه عن طريق الصياغة الفارسية الوسيطة لـ"رواية الإسكندر" وانضم إليهم. ويذهب الطبري خطوة أبعد أيضًا وهو الذي أخذ عن إعادة النظر العربية في "كتاب أنساب الأشراف" سلسلتين من سلاسل الأنساب، نُقِلت الثانية منهما إلى هنا: «ولكن بعد بيان آخر، تكون شجرة نسبه: أردشير- باباغ- ساسان- باباغ- زارير- بيهافاريد- ساسان الأب- بهمان- اصفنديار- فيشتاسب- لوهراسب، ونهض الآن كما زعم ليثأر لدم أبيه،

دارا، ابن دارا، وحفيد اصفنديار، ويحارب الإسكندر، ويقتل المشرفين على بلاطه، وكان يريد، كما أعلن، أن يرد الحكم من جديد إلى الأسرة الحاكمة الشرعية، وأن يقيم تلك الأسرة كما كانت على الدوام في أيام أجداده الذين عاشوا قبل ملوك الطوائف، ويوحِّد الامبراطورية من جديد بزعامة واحدة وملك واحد».

وقد نجح الربط بالكيبانيين "حتى وإن ما عاد هناك أمثال هؤلاء الأرساكيين المعروفين، زارير وبيهافاريد، الذين شاركوا في دخول هذا الباب"! أما إلى أيّ مدى غيَّرَ الجمّاعون من الحقبة الساسانية المتأخِّرة الأيام الأولى من تاريخ الساسانيين، وبالتالين إلى أي مدى شوّهت الرواية الشفهية المتوارثة صورة بدايات الأسرة الحاكمة، فذلك ما يكشف عنه، لا مجرَّد إخراج الأرساكيين من "التاريخ القومي"، وعمليات التركيب بالخاصة بالأنساب والسلالات، بل يكشف عنه أيضًا الهدف المزعوم عند أردشير، وهو الإعراض عن حكم الفرتيين (حكم "ملوك الطوائف")، عن طريق "مَرْكزّة الحكم". واليوم يعلم الباحثون أنَّ الأرساكيين، يجمع بينهم أكثر مما يفصل بينهم: في ربط الملكية بـ"أسرة حاكمة". وفي تقسيم الأرستقراطية إلى فئات من النبلاء، كل فئة على حدة، وذلك تبعًا للأصل، والسمعة والأهمية السياسية، وفي تنظيم إدارة الامبراطورية، وفي علاقة الملكية بالنبلاء، وفي استمرار نفوذ الأجناس الفرتية ينعكس التراث الأرساكيّ بطريقة تلفت النظر. وليس ما يبعث على العجب في الحقيقة أن يدخل المرء في حسبانه أن الساسانيين إنما وصلوا إلى السلطة بصفتهم "ملوك طوائف" فرتيين، وأنه لم تكن قد مضت إلاّ عقود قلائل منذ سقوط الأرساكيين، لقد كان التأثير الأرساكي في النظام الملكي والإدارة، والبنية الاجتماعية و"التقليد التاريخي" المتوارث، خلال الحكم الفرتي الذي دام ما يقارب خمسمئة عام في إيران، أكبر من أن يتمكن الساسانيون من أن يفكروا في استبدال كل شيء فرتيّ بشيء جديد، بل على النقيض، إذ لم يكن الاستقرار في الداخل ممكنًا إلاّ عن طريق الاستمرارية في التنظيم والاستمرارية الشخصية أيضًا. على أن العناصر الجديدة في السياسة الساسانية توجد في مجالات أخرى: في تجديد وضع الجبهة في مواجهة روما، وفي تأكيد أقوى "الطابع" الإيراني للملكية والدين. ففي إطار الرجوع الأقوى إلى الآلهة الزردشتية، وفي الكفاح في وجه روما، وفي تنمية المزدكية، انبثق في هذه الأثناء حساب سياسي صريح، لا لَبْس فيه: ينبغي للحروب ضد روما أن تخدم، في المقام الأول، هدف توطيد أسس الحكم وإضفاء المشروعية، والقُرْب من الآلهة، ذلك القرب الذي تُمارَس له الدعاية، من أجل الضمان المقدس لبقاء الحكم، أما النزعات إلى مركزة الحكم فظاهرة ترجع إلى حقبة متأخرة، وسوف تتضح، قبل كل شيء، في إصلاحات كِسْرى الأول، ولسوف نرى بعدُ أن الرواية العربية المتوارثة بالفارسية الوسيطة أيضًا، لم يكن

لها بُدٌّ أن تكون تحالفًا وثيقًا، مُصادرًا من أجل حقبة أردشير، بين العرش والهيكل، من حقبة متأخرة كثيرًا.

فماذا نعرف عن التسويات الخاصة بخلافة العرش في العصر الساساني؟. لقد كان الملك الحاكم يحدد وريثه، كما كان الحال عند الأرساكيين، وفي حالة التسويات غير الواضحة، أو عندما يتم تجاوز امتيازات خاصة مزعومة، كانت الأمور تنتهي، عند الساسانيين أيضًا، إلى ألوان من التنازع على العرش كانت تتيح، بدورها، لكبار النبلاء "وللكهنة" الفرصة لفرض نفوذهم. ويصف مثل هذا النزاع، وبالتالين حلّه الذي كان ذا فائدة بالقياس إليه، الملك نارسيه، في نقشه الكتابيّ على برج بايكولي، حيث يتحدث في أثناء ذلك، عن الرسائل المتبادلة قبل اعتلائه العرش والخطب التي ألقيت عند المناداة به ملكًا "بالنص الحرفيّ"، لكيلا يدع مجالاً للشكوك في مشروعيته خلافته.

وقد بذل كسرى الثاني أيضًا جهدًا كبيرًا في سبيل تسويغ ادعاءات حقه في العرش، كما تدل على ذلك الروايات العربية والبيزنطية، إذ يقال إنه كتب إلى شوبين يقول له، في رسالة موجهة إلى خصمه ومنافسه فهرام السادس، ما يلي: «إن كِسْرى، ملك الملوك، والحاكم على الحكام، وسيد الشعوب، وأمير السلام، والبركة على البشر، الإله الطيب بين الآلهة، والإنسان الذي يعيش أبدًا، والذي هو، بين البشر، الإله الأحسن سمعة، والذي طبّقت شهرته الآفاق، والمنتصر، الذي يرتفع حين ترتفع الشمس، والذي يهب لِلَّيْل نور عينيه، والمشهور عن طريق أجداده، والملك الذي يكره الحرب، والمواسي، والذي أسدى أياديه البيض إلى الساسانيين وأنقذ للفرس الملكية، إلى "فهرام" قائد الفرس، صديقنا . . ثم إننا تولينا العرش الملكي بصورة نظامية، ولم ننقض العادات والتقاليد الفارسية ولا انتهكنا حرمتها . . ولقد عقدنا العزم على أن لا نخلع الإكليل، وعلى أن نتوقّع حتى أن نحكم عوالم أخرى، إذا كان هناك وجود لهذه العوالم . . وإذا كنت ترغب في حسن سير أمورك فلتفكر فيما يجب عمله» . . .

وما يتعلق بالحقبة الساسانية أمكن للباحثين أن يستدلّوا على وجود شيء من قبيل "مجلس مستشاري" الملك، وأن ينزعوا إلى إيلائه وظائف معينةً في حالة التسوية الخاصة بخلافة العرش. وما من شك في أن التقليد المتوارث حافل بالثغرات إلى أقصى الحدود "نقش بايكولي" وبالتالي، ملوّن باللون الزردشتي "رسالة تانزار". وما يتعلق بنارسيه وأسلافه، قد يفكر المرء في استطلاع شكليّ لآراء كبار حملة الألقاب والمراتب في الدولة يوثّقه حقٌّ قديم في الإدلاء بالرأي، أو، بالأحرى، حق الموافقة والمساندة، المحفوظ للنبلاء: «نحن "والمتكلم أردشير الأول" . . اخترنا شابور ملكًا "؟". ألا إن شابور لهو الذي ينبغي أن يقول ذلك!". ولكن من يعرف بأنه يوجد

[في إيرانشهر] رجل أكثر منحًا للعدل من الملك(؟) شابور، الذي يخدم الآلهة بحماسة اكثر والذي بمقدوره حماية إيرانشهر أو حكمها [على نحو] أفضل فليتكلم.

أمَّا التتويج والتنصيب، للملك الجديد فيجوز للمرء حقًا أن يتصوره على النحو التالي: ففي المكان الذي حدَّدَ فيه القوم اسم الحاكم الجديد، كان يحدث تنصيبه على العرش، وفي حضور أمراء الأسرة المالكة، وكبار رجال الدولة والرجال العاملين في خدمة البلاط والدولة، كان التاج يوضع على رأسه"؟". وما من شك في أن هذا الحدث موصوف، من وجهة نظر رجال الدين، وصفًا حِسيًا مجسَّدًا:

في هذه الليلة يُعِدّون التاج، في قاعة الاستقبال، وينصبون العرش هناك. ويتخذ حملة الألقاب والمراتب أمكنتهم، مرتَّبين كلٍّ حسب مرتبته. ويتوجه الموباد "عميد الكهنوت الزردشتي" والهربيد "الآخرون من كبار المسؤولين الدينيين"، والعظماء، وحملة الألقاب والمراتب وأركان الدولة إلى مؤتمر الأمراء، فيتقدَّمون تلقاءهم ويقولون: لقد أتينا بنصيحة الرب ومشورته، نصيحة أعلى المتعالين طرًا، ولقد أوْلانا نعمته بوحي سعيد، وأخبرنا بما هو الأفضل. ثم يقول الموباد بصوت عال: ولقد حيَّت الملائكة مثل هذا الرجل ملكًا، بل ابن مثل هذا الرجل أمّا أنتم، أي مخلوقات الله، فلتتقبَّلوا الرسالة عسى أن تكون لكم شيئًا جديدًا ينطوي على الخير. ثم ينصب القوم وليّ العهد على العرش، ويضعون التاج على هامته . . ».

وفي فصل ثانٍ، احتفاليّ على وجه الخصوص، يفترض عندئذ، حسب ما هو مألوف، أن يكون تمَّ التنصيب المقدس "التتويج" في معبد من معابد النار، وفي هذه الأثناء لا يبدو أن مكانَيْ التتويج الزمني والكهنوتي قد تمّ تحديدهما، خلافًا لما كان عليه الحال عند الإخمينيين.

أمّا أنَّ الساسانيين عرفوا، على النقيض من "الأجداد الأوائل" مشاركة في الحكم من قِبَل وليّ العهد، فذلك ما يثور حوله جدل كثير حتى اليوم، من خلال مثال الحكم المركّب (Synarchie)، من أردشير الأول وشابور الأول، ويمكن تقرير وجود تكريم خصوصي، وبالتالي إضفاء للصفة المثالية، على أردشير، مؤسس الدولة، منذ أيام ناساريه، غير أن هذا يتعرَّض للتصعيد مرة في أواخر الحقبة الساسانية.

5/2/2] شهردار، فيسبور، فوزورغ، وأزاد، ومنداغ- دوداغ وكاداغ: حول العلاقات الاجتماعية في الامبراطورية الساسانية

«هذا هو مدى رمية السهم منا، نحن الإله الذي يعبد مزدا، ملك ملوك إيران وخارج إيران، الذي يرجع نسبه إلى الآلهة، وهو ابن الإله أردشير، الذي يعبد مزدا،

ملك ملوك إيران، الذي يرجع نسبه إلى الآلهة، وهو حفيد الإله باباغ، الملك، وحين أطلقنا هذا السهم، أطلقناه قبل الملوك "شهرداران" والأمراء "فاسبوهراغان" والكبراء "فوزورغان" والنبلاء "أزادان"». . .

وفي نقشه الكتابي المأخوذ من هاجيآباد، يحصي شابور الأول أربع "فئات" من الأرستقراطيين الذين يتماشى تسلسل مراتبهم مع أهميتهم السياسية، وفي الوقت ذاته مع سمعتهم، ويتم اشتقاقه من مقاييس الحسَب، ثم إن الملك نارسيه يُعَوِّل في نقشه الكتابي المأخوذ من بايكولي، على النحو ذاته، عليهم، على أنهم الشخصيات ذوات الحكم القطعي الحاسم فيما يتصل بالاعتراف به. وتستكِنُّ وراء هذه الفئة الأولى، التي يشار إلى العضو الفرد فيها، بالفارسية الوسيطة، باسم "شهردار"، وبالترجمة اليونانية باسم (res gestae)، وإلى شابور بصفته (despotes ton ethnon)، وإلى أسر حاكمة محلية مع أبنائها الذين عهد إليهم "ملك الملوك" بحكم أجزاء ذات أهمية خصوصية في الدولة. أما "الطبقة" الثانية "بالفارسية الوسيطة: فاسبوهراغان" (وباليونانية: hoi ek baseleon) فتشمل أعضاء العشيرة الساسانية من دون نسب مباشر إلى الحاكم. وأمّا الطبقة الثالثة "بالفارسية الوسيطة: فوزورغان" فتمثل زعماء أهم أعراق النبلاء، ولاسيما الفاراز والسورين الفرتي والكارين، وسادة أونديغات، وكذلك الآخرين من ذوي قرابة كبار النبلاء، وأخيرًا يفهم من كلمة "أزادان" سائر نبلاء الإيرانيين.

وفي رواية شابور لفَعاله، يجري استعراض كل المعاصرين الذين ينتمون إلى فئات النبلاء الأربع، في سياق الالتزام المشترك بالتضحية من أجل خلاص الروح للأحياء والأموات، بأسمائهم، ومع وظائفهم في حالة كون هؤلاء ممن يتقلّدون المناصب. أما نقش نارسيه الكتابي فيوضح، مرة أخرى، أن "ملك الملوك" والنبلاء كانوا يرتبطون فيما بينهم بشبكة من الالتزامات، والارتباطات المتبادلة، ولكن كانوا يرتبطون أيضًا بشبكة من المصالح المشتركة. أمّا أن هذه "البنى الطبقية" لم يجرِ إنشاؤها، أوّل ما جرى، من قِبَل الساسانيين، بل تمّ الأَخْذُ به من قِبَل الفرتيين، فذلك ما يشير إليه مجرد نهاية الصيغة التي يتم فيها تقديم فئات النبلاء: "الملوك وأمراء الأسرة المالكة والأمراء الآخرون والنبلاء، من فارسيين وفرتيين". وكانت العشائر الفرتية الموالية تضمن الاستمرارية، غير أنها تستكمَل الآن بعشائر فارسية، من دون أن تضطر إلى التخلّي عن مكانتها التي يُعَوِّل عليها. وفي الحقبة المتأخرة ترتقي "أجناس أخرى" أيضًا إلى صفوف الكبراء. أمّا أن كبار النبلاء كان يتم إشراكهم في أحداث المناداة بولي العهد ملكًا، بصفة مستشارين أم بصفة موافقين أو مؤيدين، فذلك ما سمعناه من قبل.

«وبينما كان هذا يحدث في بلاط كونستانتيوس . . كان يجري استصحاب

أنطونيوس "وهو روماني منشق، هارب إلى معسكر العدّو" إلى المقرّ الشتوي للملك "شابور الثاني"، واستُقْبِل هناك بذراعين مفتوحتين وأنْعِم عليه بمرتبة "التيارا"، وهو شرف يتمكن المرء به، من المشاركة في المائدة الملكية ويحظى به الرجال ذوو الاستحقاق، لدى الفرس، بالإذن بالإدلاء بنصائحهم في المؤتمرات وطرح وجهات نظرهم».

وإلى جانب الملْكية الخاصة، الموروثة، كان القرب من الملك يعكس، كما تكشف عن ذلك رواية أميان، مثلما كانت الثياب المعينة تعكس ذلك أيضًا، مكانة شخصية لا يكون، في حالتها، مقياس المنزلة الحاسم، بالنسبة للأرستقراطية، متوقّفًا، مع ذلك، على اللقب وعلى الإنعام الملكي بمقدار ما يتوقف، بالأحرى، على الأصل والنسب. وهذا ما يشهد عليه أيضًا، بروكوب بالنسبة لعصر كافاد "القرن 6/5": «وفكر [كافاد] في القانون الذي لا يسمح للفرس بأن يعهدوا بالمناصب (archai) إلى الأجانب، بل يعهدوا بها إلى أولئك الرجال الذين تكتَب لهم مكانة الشرف الملائمة المعنية (time) تبعًا لأصلهم ونسبهم».

وكان يدخل في باب العلامات المميزة للمكانة الارستقراطية "التْيارات" التي يذكرها أميان، والتي كان من الممكن، في حالتها، أن تشير إلى ألوان محدَّدة، ورموز شبيهة بالشعارات الأُسَرية، إلى مراتب ومقامات معينة، ويضاف إلى ذلك أيضًا الأحزمة المطعَّمة بالحجارة الكريمة، والأقراط.

وعلى الرغم من أن أمثال شارات التقدير هذه كان يمكن الإنعام بها من قِبَل الملك أيضًا، كانت مرتبة النبيل الفرتي أو الفارسي، ردحًا طويلاً من الزمن، مستقلة عن إنعام الملك أو الحظوة لديه. ولم يتغير هذا إلاّ في أواخر الحقبة الساسانية، حين بات حمل الأحزمة والخواتم والمشابك، والشارات الأخرى، يفترض، بصورة أولية، موافقة الملك. ومثلما يؤكد تيوفيلاكت، باتت المرتبة التي يتم الإنعام بها تلقى تقديرًا أعلى من تقدير الاسم والنسب. وكان قد بات من الممكن تدعيم السلطة الملكية، بعد الأزمة الكبرى في الدولة والامبراطورية منذ منتصف القرن الخامس. وذلك أن الهزائم الكارثية التي تكبدها بيروز الأول (459-484 م) في مواجهة الهيفتاليين في الشرق، وفترة الجفاف التي طالت سنواتها، وارتباط الدولة الهيفتالية بالجزية، وكذلك الإثقال المزدوج على الفلاحين من قبل أصحاب الأراضي، وفرض الدولة الضرائب، من ناحية، والاحتلال الهيفتالي لأجزاء من البلاد، من ناحية أخرى، كل هذا أدّى إلى حركات هرب من البلاد، وإلى الاحتجاج الثوري العنيف من سكان البلاد. وفي هذه الأثناء، كانت هذه النظرية الاجتماعية عند مزدك، قد التمست، التسويغ الديني الأخلاقي لفعل هؤلاء، ضمن أمور أخرى، "أنظر فيما يلي هذا" قبل كل شيء، في الملكية الجماعية المطلوبة للأراضي. غير أن الأمور انتهت إلى

إضعاف النبلاء نتيجة لما تكبدوا من الخسائر في الحروب وللأعمال العدوانية من جانب الفقراء، والمنازعات والمشاحنات داخل إطار الارستقراطية ذاتها، في صدد رد الفعل الملائم على هذه الأزمة. أما مسألة هل كان كبار مُلاّك الأراضي هم الذين ناؤوا بالعبء الرئيس من معاناة الثورات، أم كان هؤلاء هم النبلاء الأقل شأنًا، فتلك مسألة نترك البحث فيها الآن. على أن الإصلاحات التالية التي قام بها كافاد الأول كانت، على أي حال، ذات طبيعة مبدئية. فيها وذلك أنها لم تُوَسِّع الفَرْضَ المباشر لضرائب الأرض على الأراضي الزراعية العائدة للنبلاء من مُلاّك الأراضي فحسب، بل حدَّدت، من خلال نظام جديد للنبلاء، والجيش، التكوين الاجتماعي للدولة، وموقف الحاكم من الأرستقراطية تحديدًا جديدًا في أساسه. ويقول الطبري في ذلك، ضمن أمور أخرى أن كسرى أمر بقطع رؤوس المزدكيين، وتوزيع ثرواتهم على المحتاجين، وبقتل الكثيرين الذين سلبوا الناس "أي: النبلاء" أملاكهم، وإعادة هذه الأملاك إلى أصحابها . . أمّا أبناء النبلاء فأمر بأن يُسَجَّلوا على اسمه، إذا كان القائمون بإعالتهم قد ماتوا، وتزويج بناتهم من أبناء طبقتهم، وزوّدهم بالوسائل المتوفرة لدى الدولة. أما هم أنفسهم فزوَّجهم من نساء من الأسر النبيلة التي كان يدفع لها المهر، وأغناهم، غير أنه أمرهم بأن يظلوا في بلاطه، ليستعملهم في مناصبهم الرفيعة . . ثم إنه فحص الفرسان "الأساورة" أيضًا، ومَنْ كان منهم غير ذي ثروة، سانده بهدية من الخيل، وعيّن له عطاءً ثابتًا أيضًا . . واختار الحكام البارعين والعمال والولاة، وأصدر إلى كلٍّ منهم أوامر مُلِحّة.

ويتضح أنَّ كلاًّ من ردّ الأملاك القديمة إلى النبلاء، وتحويل الأراضي التي باتت لا سادة لها، قد حدث بأمر الملك، وأنه قد أضيف إلى ذلك نوع من "نبلاء الوظائف والدواوين، وأنه قد تمّ بالفرسان، إنشاء نبلاء عسكريين يلتزمونٍ تجاه الملك بالالتحاق بالجيش. وكان يفترض بهؤلاء النبلاء أن يحلّوا، في الظاهر، محلّ عصابات الأنصار التابعين للكبار النبلاء والذين كانوا يتجهزون ويتسلّحون بأنفسهم. وهذه قوات لم يكن الحاكم يستطيع أن يعتمد عليها بالفعل أبدًا. ويقدم لنا الكتاب العرب طبقة من النبلاء جديدة أدنى "أو أنها ارتقت حديثًا"، وهم الدَّهاقِنة الذين كانوا يتولون إدارة شؤون القرية بحكم كون الواحد منهم أغنى المالكين للأرض فيها، بل كانوا يملكون قرى بأسرها. أمّا أولئك الذين كان الملك شجعهم بتوزيع الأرض والمال والمعونات الأخرى عليهم فكان ينبغي أن يظلوا على الصعيد المحلي، "في مواجهة تلك الأقسام التي تشكل حرجًا للملك، من كبار النبلاء، والفلاحين الذين من المحتمل أن يثوروا وأن يحتجوا، مشايعين للملك، وأن يقفوا إلى جانبه في حالة الحاجة إليهم، من الناحية العسكرية أيضًا.

ومنذ أيام خلفاء كسرى المباشرين، انتهت الأمور مع ذلك، مجدَّدًا إلى أشكال من

التوتر بين الملك والنبلاء، وذلك أن قادة الجيش، ولاسيما أولئك الذين ينتمون إلى الفئة التي أنشأها كسرى، من السباهبيد الأربعة، والذين عُهد إلى كل واحد منهم بربع الامبراطورية، والذين اختُصّوا برفع الضرائب عن الأراضي، واستعمال أجزاء من هذه الضرائب لإعالة قواتهم، حاولوا أن يمارسوا سياسة خاصة بهم، وأن يظهروا، إذا اقتضت الضرورة، في صورة المطالبين بالعرش. وكان أشهر هؤلاء فهرام كوبين، من عشيرة مهران، الذي جرَّب، في أيام هورمِزد الرابع، الثورة، واستولى على التاج عام 291/590 م. والذي ظلت ذكراه تواصل حياتها في قالب روائيّ، على الرغم من كل الجهود المعاكسة المبذولة من جانب قاهره، كسرى الثاني. وحين أعاقه كسرى الثاني بمَرْكَزة الإدارة المالية، عن تنفيذ مطمحه بصورة عابرة، أتيح لهذا النبيل العسكري والإقطاعي، آخر الأمر، مع ذلك، أن يتآمر على الملك الذي كان الناس يأخذون عليه أنه كان يسلك سلوك الطغاة تجاه النبلاء، والتحصيل المُرْهِق لضرائب الأراضي، وخوض الحروب المسرفة في الطول والحافلة بالخسائر. وبعد موت كسرى ظلت المَلَكية آلة بين أيدي أحزاب النبلاء المختلفة التي تخاصم بعضها بعضًا، ثم إن ألوان النجاح السريع للجيوش الإسلامية والانهيار العاجل للحكم الساساني في إيران لم يكونا يقدمان إلّا الشهادة المفرطة في بلاغتها على التجزؤ الباعث للشلل في مصالح الطبقات القيادية في الدولة، في هذا الطور الأخير من تاريخ إيران قبل الإسلام.

وحتى في الشواهد الإيرانية من القرن الثالث "النقوش الكتابية، والنقوش البارزة، والعملات" يتاح لذوي قرابة البيت الملكي من النساء قدر غير عادي من الاهتمام بأمرهن وإيلائهن التقدير والاحترام، ومن ذلك أن النار توقد للأهمّ منهن "من أجل خلاص أرواحهن، وفي سبيل مجدهن اللاحق"، وأن القرابين تُقَدَّم من أجلهن. على أن بعضهن يتميَّز تميُّزًا أكبرَ بعدُ، بلقبٍ ما، مثل آدور-أناهيد، ابنة شابور الأول، التي يشار إليها بلقب: "ملكة الملكات" (بالفارسية الوسيطة: بامبيشنان بامبيشن، وباليونانية باسيليساتون باسيليسون" ويذكر اسمها قبل أبناء الملك، أو إكسورانزيم، (ملكة الامبراطورية/ tous ethnous fosilissa) التي تتقدم في سلسلة تقدمات القرابين على آدور-أناهيد، ويمكن أن يُنْظَر إليها على أنها زوج شابور. وممن يُذْكَرْن أيضًا، إذا شئنا أن نكتفي بذكر أهم النساء في الدولة الأولى، دينغ، والدة باباغ، "وجدة أردشير" التي يشار إليها أيضًا بلقب "ملكة الملكات"، وكان القوم يفسرون هذا اللقب أيضًا بمعنى الدلالة على العلاقة الزوجية بين "ملك الملوك" وطرفه المقابل الأنثوي، وتكون بذلك، أرادت أن تثبت أنها لشابور ابنةٌ لأب، ولأردشير زواج أختٍ من أخ لها. ومع ذلك فما من شيء يشير إلى ذلك. فاللقب إنما هو إثبات للمكانة الخصوصية لهاته النسوة، التي تنجم عن أصلهن. ولا يعد إشارة

إلى شكل من أشكال الزواج بالغ الضيق بين ذي القرابة الماسّة في الدم، يدخل في باب الزنا بالمحارم، تمارسه الملكات، معروفًا لدينا كثيرًا من إيران الساسانية على وجه الإطلاق "أنظر ما يلي". ففي النقوش البارزة العائدة إلى الملكات تظهر عضوات من الأسرة الملكية مثلما يظهرن على العملات، ومنهن، مثلاً، نساء فهرام الثاني، الذي يدع صورته تظهر، حسب الأنموذج الروماني" مع الملكة وولي العهد، كما يتم تخليد النساء على الجواهر، مثل ديناغ أخت أردشير. وفي ملكية الأختام التي تصوّرهن أنفسهن ما عاد مما يبعث على العجب الآن أن النساء استطعن أن يرتقين العرش قبل انهيار الدولة مباشرة، مثل بوران أو أختها أزارميغدوكست، حتى وإن كان هذا يحدث من جراء الافتقار إلى المرشحين لهذا من الرجال.

§. . ولقد كتبت هذا النقش الكتابي أيضًا لأني، أنا كيردير، كنت منذ البداية، أكتب الوصايا والاتفاقيات، للملوك "شهر داران" وللسادة "إكسفادايان" فوق مقدسات النار، وكنت أختم للكهنة، وكنت كثيرًا ما أضع اسمي في المواضع "المختلفة" على الوصايا والمعاهدات والوثائق، لكي يعلم كل من يرى في الزمن اللاحق، معاهدة، أو وثيقة، أو وصية، أو أي رقعة أخرى مكتوبة، أني أنا ذلك المدعو كيردير، الذي سمّاه شابور "الأول"، ملك الملوك، كيردير، والموباد والهربيد، والذي سمّاه هورمزد "الأول" ملك الملوك وفهرام "الأول" ملك الملوك ابنا شابور "كيردير، وموباد الأورمزد". وفهرام "الثاني" ملك الملوك، ابن فهرام "الأول". كيردير، موباد فهرام السعيد والأورمزد.

على أنَّ هذه اللعنة المشرفة لكيردير التي يرويها، هو ذاته، لمن يولد بعده، والمأخوذة من نقش راغاب، العائد إلى نهاية القرن الثالث الميلادي، والتي يوسّعها في موضع آخر بعدُ، بالإشارة إلى أن فهرام الثاني قد أولاه مركز إنسان كبير ومرتبته (vuzurg)، وجعل منه "الموباد والدافار "القاضي" في الدولة، يقودنا إلى "الكهنة" وحملة الألقاب والمراتب الدينيين في الحقبة السسانية. ثم إن ارتقاء كيردير، الذي يخلّد نفسه في الصورة أيضًا إنما حدث من النشاط والعمل بصفة هربيد، أي: بصفته مسؤولاً دينيًا من المرتبة الدنيا، أو الوسطى على كل الأحوال، بمهمّات لا يمكن تحديدها بدقة، مرورًا بمنصب الموباد، ووصولاً إلى منصب الموبادات والدادفارات في الدولة. أمّا مسألة هل ارتقى بنفسه بذلك، حقًا، إلى مرتبة زعيم "الكهنة" الزردشتيين، بموجب ذلك وكان يتبعه موبادات آخرون، هم الكهنة البسطاء يتولون الإشراف على أمكنة النار المقدسة، الأقل أهمية "آدوران"، وكذلك الموغماردات، بصفتهم مشرفين على نيران فاهرام الإقليمية، الأكثر أهمية، فذلك ما لا يمكن البتّ فيه. وما من شك في أن من الثابت قطعًا أنه أصبح بذلك رجل الدين وحامل الألقاب الأشد بأسًا في الامبراطورية.

ومنذ القرن الرابع يبدو كأنما حدث بعد ذلك تمييز أشدُّ وعلى غرار السلطة الملكية، إضفاءً للصفة الإقليمية على المناصب ومجالاتها، ذلك لأن ملفات الشهداء السوريين "النصارى" تفرِّق بين زعيم الموبادات (res mobad) وموباد إقليمٍ ما. وإلى مِهْر- نارسيه، القائد الشديد البأس في أيام الملوك: يزدجرد الأول، وفرهام الخامس، ويزدجرد الثاني، يُرَدُّ إنشاء المناصب التي تمثل الذرى أو القمم، السياسية والعسكرية والدينية: إذ يقول الطبري إنه أَمَّن لأبناءه الثلاثة: زورفانداد، وماه- غوشناسب وكاردار، مناصب الهربيدان هربيد "أكبر الفلاحين" (المحصِّل الأعلى للضرائب على الأراضي)، وبالفارسية الوسيطة "فاستاريوسان سالار" و(أكبر المحاربين) "القائد الأعلى للجيش"، وبالفارسية الوسيطة "آرتيشتاران سالار". وهنا لا ينبغي أن يهمنا أن نتمكن من أن نتبين في هذا الألقاب أصداء "الطبقات" الأفستيّة، التي توجد في صفوف الكهنة والفلاحين والمحاربين، بل تبين، بالأحرى الظرف المتمثل في أنَّ الميل إلى إضفاء التراتب الهرمي على المناصب والمراتب كان قد فرض نفسه.

أما الطبقات الوسطى في دولة الساسانيين فلا نعرف عنها إلاّ القليل حقًا، ولكن ما من شك في أنه يحق للمرء أن يَعُدَّ منها مسؤولي الدولة الأَدْنَيْن، مثلما يُدْخِل فيها ذلك الجزء من سكان المدن الذي يعمل فيها في مجال الفن والعلم اليدوي وفي تجارة التجزئة "أنظر ما يلي"، والجزء الوارد مثلاً في ملفّات الشهداء المسيحيين، ولكن يمكن أن نلمس ذلك في منتجات عمل ذلك الجزء. ويضاف إلى ذلك "المختصون"، كالعارفين بالطب والباحثين في الفلك و"العلماء" والمطربين والعاملين في الخدمة في بلاط الملك، وفي أراضي النبلاء، وتجّار الجملة.

وأخيرًا فلنتوجه نحو السكان العاملين في الزراعة، الذين كانوا يشكلون جمهور سكان البلاد مثلما كان عليه الحال في كل المجتمعات القديمة، وإلى غير الأحرار. ففي التراث الزردشتي تُعَلَّق أهمية كبيرة على الصراع بين "المساكين" (الشّكوه) و"السادة" (خفادي). ثم إن الثورات الشعبية التي نشبت في نهاية القرن الخامس وفي مستهل القرن السادس تعدُّ، عندنا، برهانًا واضحًا على وجود أشكال التوتر الاجتماعي في دولة الساسانيين، ولاسيما في أوقات الأزمات.

أمّا أن قسمًا كبيرًا لم يكن ينوء بعبء ارتفاع الضرائب وطريقة فرضها فحسب، بل كان يزرع الأرض مرتبطًا بكبار النبلاء، فذلك ما توضحه حكاية يرويها ابن حَوْقَل، وهو جغرافيّ عربي من القرن العاشر. وهي تفيد أن الملك كافاد لاحظ كيف تضرب امرأة فتاة كانت قطفت رمّانة من الشجرة. وحين استدعيت المرأة للاستجواب اعتذرت بأن كل الثمار الموجودة في بستانها لها في الملك شريك في ملكيّتها، وبذلك كانت تشير إلى أن الرمّانات الناضجة لمّا يئن الأوان لجنيها، لأن

تقدير مقادير الحاصيل من أجل فرض الضرائب لمّا يحدث بعد، ويمضي ابن حوقل بالقول: ولم يهدأ بال كافاد إلى أن جعل من فارس كلها مناطق مقسَّمة تبعًا لوجود الملتزمين بدفع ضريبة الأراضي "مُقْطَعات وخراجات"، إذ كان يتمّ في وقت معيّن، تقدير ما يكون في الأجران (أنادير)، وتُترَك للفلاحين "الأكّارة" والمزارعين (أي: مستأجري الأراضي) حرية "التصرُّف" فيما يتعلّق "بالبيادر".

وفي هذا الشاهد تُذْكَر فئتان من سكان البلاد: الفلاحون الأحرار ومستأجرو الأراضي. أمّا أن الأكّارين كانت تخصَّص لهم مساحات، أو أجران خاصة بهم، فمن الممكن أن يشير هذا إلى أنهم ارتقوا من مرتبة فلاحين تابعين إلى مرتبة فلاحين أحرار على أرضهم الخاصة بهم. وحتى في الشواهد الأخرى، ومنها، مثلاً، ما يوجد في الكارناماغ "كتاب الفَعال" لكسرى الأول أنو شروان الذي وضعه في القرن السابع، وما يوجد في أجزاء عند ابن مسكويه "تجارب الأمم" (القرن 11/10)، يتمّ تأكيد حرص الملك على الرعية، أي: سكان الريف. وعلى النقيض من الحكام الآخرين الذين كانوا قبله، والذين كانوا خليقين أن يتعرَّضوا بعض الوقت لفرض الضرائب، لم يكتفِ، "أي كسرى"، بتنظيم فرض الضرائب من جديد، بل كان يحول دون الظلم أيضًا عن طريق مسك دفاتر دقيق، وإشراف دقيق أيضًا، ومن التوجيهات والخصوصية التي يذكرها "كتاب الفَعال" أيضًا، الأمر الموجَّه إلى كل قاضْ، بأن يجمع كل من يُلْزَمون بدفع الضرائب "أهل الخراج" من دون عِلْم من يفرض ضريبة الآن "أي العمّال" ومن دون علم أصحاب الأراضي "أولو الأمر" وأن يتحرّى مواضع الظلم، ويُدوِّن هذه مفصَّلة في كتاب مختوم من قِبَله ومن قِبَل الفلاحين. ثم ينبغي أن يُتْلى هذا الكتاب على العظماء وعلى الملوك في البلاد، وعلى القضاة والأشراف، أي: "الفوزورغان" و"الشهرداران" و"الدهقانان"، أي: دهاقنة الشواهد الإيرانية. وتعدُّ أقاصيص الطبري من اعتداءات أهل الثروة "والفرسان" على ملك الضعفاء، أيام خليفة كسرى، هو رمِزْد، وعن وقوف الملك إلى جانب المساكين وإسقاطه على أيدي النبلاء، بالنسبة إلينا، برهانًا على أن الإجراءات الملكية لم يكونا يُكْتَب لها نجاح دائم.

على أنَّ الروايات الزردشتية والعربية تؤكد أنه كان هناك أشكال من الإلحاق بعمل أو نشاط معيَّن، وامتحانات، تسبق تَخَطّي حدود المرتبة الاجتماعية، وأنه حتى اللوائح الخاصة بالملابس كانت تجعل الحِراك الاجتماعي في دولة الساسانيين صعبًا. ولا يجوز بالطبع، لمثال الارتباط بالطبقة، وللممارسة والمِران، أن يكون متطابقَيْن جزئيًا فحسب.

أما العبيد في دولة الساسانيين فنعرف أحوالهم، بصرف النظر عن أسرى الحرب المُسْترَقّين في حملات شابور الحربية، قبل كل شيء عن طريق كتاب الحقوق الذي

تمّ تصميمه في أيام كسرى الثاني في صورة مجموعة من القضايا القانونية ووُضِع بالفارسية الوسيطة، وهو: "مَدايان-ي هازار داديستان". وثمّة معلومات إضافية تقدمها مؤلفات لاحقة، بالفارسية الوسيطة، مثل المجموعة الحقوقية السورية النصرانية لإيشوعْبُخت. وهذه الكتب الحقوقية سوف نتناولها فيما بعد بمزيد من التفصيل.

وإلى جانب مفاهيم (بندق) (أنظر بالفارسية القديمة: بندكا) وهي تسمية للرعايا الأحرار وغير الأحرار على حد سواء، و(تان/ جسد)، وهي كلمة يمكن أن تشير إلى المَدين الذي يتحمّل المسؤولية المدنية بجَسَده، مثلما يمكن أن تشير إلى فرد ذي مسؤولية قانونية محدودة، تستخدم كلمة، أنشاهريج "أجنبي"، قبل كل شيء، "للعبيد، وهي تشير بذلك، في الوقت ذاته، إلى أهم مصدر، وسبب، للرقّ، وهو وقوع المرء أسيرًا في الحرب. ومن الطرق الأخرى التي تؤدي إلى فقدان الحرية، والمعروفة لدينا، بيع الآب الأولاد، ورجوع أصل المرء إلى العبيد. وفي هذا الصدد يبدو أن الأمور انتهت إلى التغيّر في الفهم القانوني، مادام الوضع الشرعي للأب ثم للأم، هما اللذان يرجع إليهما القول الفصل في مصير الولد، أوّلاً.

وعلى الرغم من أن العبد كان ينظر إليه على أنه "شيء" أو "متاع" (إكْسفَسْتاغ)، كان يُعَرَّف، بلا ريب، بأنه شخص إنساني، الأمر الذي كان يميّزه من الممتلكات الأخرى، ويحميه في الوقت ذاته من المعاملة القاسية. وكان من الممكن أن يباع العبيد، أو يُؤَجَّروا أوْ يقدَّموا هدايا، وأن يحتجزوا رهائن، وأن يتم "امتلاكهم" من قبل عدد من الأفراد. وكانت السلع التي يصّنعها العبد تعود إلى مالكه. وكان من الذين يظهرون في صورة العبيد أيضًا، أولئك الأفراد، الذين هم أقرب إلى أن نشير إليهم بتعبير لاتيني، على أنهم (glebae adsvripti)، من حيث كونهم قوى عاملة مرتبطة بالأرض "أقنان"، ويتم التصرُّف فيهم ونقل ملكيتهم مقرونين بالأرض "داستجيرد" التي يزرعونها. أما العبيد الذين يدينون بالعقيدة الزردشتية، فلم يكن من الممكن بيعهم إلى "الكفار"، وأما أولئك الذين هم في حوزة امرئ غير زردشتيّ، فكان في وسعهم أن يغادروه ويحصلوا على حريتهم إذا ما عوّضوه عن خسارته. وكان في وسع العبيد أن يمثُلوا أمام المحكمة، شهودًا، ولكن كان في وسعهم، أيضًا، أن يمثُلوا أمامها، بصفة مُدَّعين ومدافعين وأن يُزَوَّدوا، من مالكهم، بـ"ثروة خاصة بهم"، وأن يُعْتَقوا أيضًا عَتْقًا كاملاً، وبالتالي "جزئيًا"، "مثلاً: في حالة امتلاك جماعة من المالكين عبدًال. وكان العبد المُعْتَق يغدو، عن طريق تأكيد خطّي "أزاد-هِشت"، واحدًا من "رعايا ملك الملوك" الأحرار. وقد عرفت دولة الساسانيين أيضًا، "عبيد المعبد"، حيث كان يترتّب التفريق بين الـ"أنشاهريج-ي أتاكش"، بصفتهم قوة عاملة في أراض عائدة إلى أحد أمكنة

النار المقدسة، والـ"أتاكش-بنداغ، وبالتالي، الـ"أدوران-بانداغ" وهو الحر الذي كان يمكن للملك أن يلزمه بالخدمة في المكان المقدسي ولعل من أبرز الأمثلة على هذا الـ"بانداغ" كبير وزرائنا، مِهْر- نارسيه، الذي كان يخدم في القرن الخامس في أيام فهرام الخامس، في المكان المقدس، واضطر، في أيام يزدجرد الثاني، إلى العمل بصفة عبد تابع للمعبد، في أحد الأملاك التابعة للتاج، عقابًا له على خطيئة، ثم أُلْزِم، من جديد، في أيام بيروز، بالخدمة المقدسة. ولا يمكن أن تصح بيانات بصدد أعداد العبيد، ولكن لابُدَّ أن أعدادهم كانت لا يستهان بها.

فلنَعُد أدراجنا إلى كتب الحقوق: ولماذا كانت تمثل أهم شواهدنا أيضًا في باب "الإدارة المنزلية، و"الأسرة" في العصر الساساني، فسيكون المسموح به تقديمها هنا بمزيد من التفصيل. لم يكن يوجد قطُ، عند الساسانيين شيء من قبيل المدوَّنة الحقوقية ذات السريان العام، ولم يوجد قطُ أيضًا، فهرست شامل مستقل للتعاليم الزردشتية الخاصة بالأخلاق والتقاليد، ذو طبيعة زمنية، للسلوك والقِيَم والمعايير. ولا بد أن كتاب القرارات الألف "مدايان ي هازار داديستان" كان يمثل، على أساس ما يتضمنه من الحكم اعتبارًا للقضايا الفردية، والمبالغة في التدقيق، والدقة في المصطلحات القانونية، وعرض الآراء المختلفة للخبراء، نوعًا من المعونة التي يُسْتهدى بها وتعين على اتخاذ القرار، بالنسبة للحقوقيين "ماكوش". ولما كان قد تمَّ وضعه في الحقبة الواقعة بين اعتلاء كسرى الثاني العرش، وغزو العرب إيران بين عامي (590 و642 م) فقد استخدم جَماعه، وهو رجل يُدْعى فرّوكسماردي فهرَمان، من غور "فيروز آباد"، في محافظة أردشتر إكْسْفَرّاه، في فارس، كلاً من الحواشي على النَّسْك، "كتب" الأفيستا، ومجموعات القرارات القضائية ومذكرات الخبرات، واستشهد بالكتب الموضوعة حول مهمات الأفراد الرسميين المشاركين في معالجة القضايا، وجداول المراسيم الملكية. ثم إنه كان يتمتَّع، كما يبدو للعيان، بإمكانية الوصول إلى "المحفوظات" العامة والخاصة في موطنه. ويضاف إلى الـ"مادايان" أيضًا، أعمال أخرى بالفارسية الوسيطة تتناول المسائل الحقوقية، غير أنها تتخلَّف عن هذه في أهميتها. وتبدو المدوَّنة القانونية لرئيس قساوسة فارس، مار إيشوعبُخْت، من القرن الثامن الميلادي، شديدة التأثُر بالحقوق الزردشتية الإيرانية في الحقبة السابقة على الإسلام. وهي التي وُضِعت، في الأصل، بالفارسية الوسيطة، وكانت موجَّهة إلى الطوائف المسيحية في فارس، وتُرجِمت في عام (800 م) إلى السريانية، ولم تحفظ لنا إلاّ في هذه الصورة. وسوف نحاول، مستعينين بها، أن نقرأ بعض التعبيرات الحقوقية، غير المعرَّفة في الـ"مادايان"، ونفسّرها. ويُذْكرَ من الكتب الحقوقية المسيحية الأخرى، أيضًا، رسالة ترجع إلى ما بعد العهد الساساني، لمطران فارس، مار سمعان، وقد تُرْجِمت، أيضًا، من الفارسية الوسيطة إلى السريانية. ويقال إن

رسالة خصوصية سريانية، تتناول المسائل الحقوقية المتعلقة بالزواج، نشأت في أيام كسرى الأول، على عهد الكاثوليكوس مار آبا.

ولنتجه الآن نحو "الأسرة" الساسانية التي يجب أن تعرَّف، على غرار ما كان في اليونان القديمة، أو في روما، بأنها أقرب إلى "الإدارة المنزلية" منها إلى الأسرة" بمعناها الحاليّ. ولا نكون بذلك قد قلنا شيئًا حول الصورة الفعلية للحياة المشتركة، وبالتالي حول "دورة الحياة" في أسرة من الأسر، ثم إنه ليس من الممكن، أيضًا، أن نتوقع سوى أجوبة محدودة، حول عدد الأجيال التي عاشت معًا تحت سقف واحد، ومتى كان ذلك. وأخيرًا فنحن ندين بمعرفتنا في المقام الأول، لشواهد تتضمن تحديدًا حقوقيًا، لا شواهد موصوفة وصفًا تاريخيًا. ويشار إلى كلٍّ من الأسرة "النواة" أو "الأسرة الموسَّعة"، في الفارسية الوسيطة، بمفهومَيْ "دوداغ" (في الحقيقة: دخان) "كاداغ" (منزل)، وكان ما يتماشى مع "أب العائلة" في التقليد الروماني، في إيران، تبير: كاداغ- إكسفاداي "ربّ البيت" وكان يشار إلى زوجته باسم كاداغ- بانوغ. أما ذوو قرابة المنزل، الذين يشكلون في الوقت ذاته، عصبتة الحقوقية ووحدة للصناعة والاستهلاك، وكذلك جماعة تعبُّدية، فكان يترابطون فيما بينهم بفيض من اللوائح والأنظمة والالتزامات. وكان هناك أفراد يعملون في الإدارة المنزلية، لهم "حق خاص"، وهم أرباب البيت وربّاته وأبناؤهما الكبار، والحَفَدة، وكذلك أولئك الذي يتمتعون بحقوق الغرباء "النساء والقاصرون". وكانت الأسرة ترتبط بعشائر أكبر، تجمع بينها آصرة القربى، على غرار ما يعرف في اليونانية باسم (gonos)، وبالتالي، باللاتينية (gens)، وتظهر هذه في إطار مفاهيم (maf, tom, gohr)، ويمكن أن تتنوَّع أحجامها. ومثلما كان "البيت" يتولّى واجبات تعبُّدية حيال نفوس الأجداد من جهة الأب، كذلك كانت العشيرة تتولى رعاية ذكرى الراحلين ذوي الأجداد المشتركين، ولاسيما الأجداد الحقيقيين. وكانت تقيم، لإضافة إلى ذلك احتفالات ومراسيم مشتركة. ولنذكِّر في هذا الصدد الالتزامات بتقديم القرابين ونيران الوقف، كما تصادفنا في النقش الكتابي لشابور الأول. وعلى الرغم من أن "الأسرة" كانت تتمتع بـ"البيت الذي يؤويها" مع حق الانتفاع بالمراعي المشتركة، والطواحين، ومنشآت الري، والمنشآت الأخرى، الخاصة بالعشيرة، كانت الأسرة تلتزم بأن لا تنتقل الملكية إلاّ إلى أفراد العشيرة، وكان هؤلاء يظهرون، بدورهم، كلٌّ حسب درجة قرابته، من المصابين، في صورة أوصياء أو عارضين للتبنيّ، أو ورثة.

وكان ذوو الأسرة من الرجال، في "الأسرة" يبلغون السن القانونية حين يبلغون الخامسة عشرة، وبهذه المناسبة يتم قبول البالغ في المجتمع في مراسيم احتفالية "الإنعام بالحزام والثوب بصفته بالغًا سن الرشد "توفانيغ"، وكان

يشهد هذا هيئة من الكبار في العشيرة، يتصدَّرها "مجلس كبار السن"، حين يجري الاحتفال بالأعراس، أو يجري التفاوض في قضايا قانونية في إطار العشيرة. وكان يجري قبول الأعضاء الجدد في العشيرة حسب المألوف، عن طريق ما يسمى (adrogatio)، "تبنّ الأطفال، بعد سؤال العشيرة". وكان أولو القربى الأَدْنَوْن، من رهط الرجل، داخل تلك العشيرة، "همنافان، إكسفيشافاندان، أزادان" يشكلون، على مدى زمن طويل، أيضًا، عشيرة تتزواج فيما بينها فحسب، أي: إن الزواج بين ذوي قرابة الدم "إكسفيتفاداثا" والزواج بين أفراد الرهط الأدَنَيْن "بالفارسية الوسيطة: إكسفيدوداه"، كانا يمثلان الشكل المألوف للممارسة الخاصة بالزواج. وعلى الرغم من ذلك كان من الواجب، في حالة الزيجات داخل البيت الملكي، أن لا يصادر المرء الارتباطات "الزوجية" (بين المحارم) مصادرة متسرِّعة "وهي حالات الزواج بين الأخوين من أب واحد وأم واحدة، أو بين الوالدين وأبنائهما الحقيقيين "أنظر ما سبق". وعلى كل حال فقد كانت حالات الزواج بين ذوي قرابة الدم في إيران، وفي المناطق المتاخمة لها، مثل العراق وأوسْرهويين، شائعة إلى حد بلغ منه أن السلطات الحكومية المسيحية في روما الشرقية كانت تعتقد أنها تضطر إلى الردّ على ذلك بحظره على رعاياها. أمّا إلى أي مدى ظل الأصل والنسب، ردْحًا طويلاً من الزمن أيضًا، يحدد المرتبة الاجتماعية وإمكانية الوصول إلى المناصب والمراتب، فقد رأينا هذا من قبل. وليس مما يبعث على العجب أن كلمة أزاد "ذات القرابة من الكلمة اللاتينية (agnatus) كان من الممكن أن تستعمَل للدلالة على الأرستقراطيين أيضًا.

وكان الشكل المألوف للزواج هو زواج الباديشايْه "الملكي"، الذي يستطيع المرء مقارنته بزواج (manus) الروماني: وذلك أن الزوجة كانت تدخل، عند تبديل منزل زوجها، بصفتها أما للأطفال في البيت، ومدبِّرة للمنزل، ومشارِكة في العبادة المنزلية، تحت سلطان رب المنزل، بصفتها "خاضعة" لسلطان القوة" (فرامان بورداريه) في إدارة منزلية جديدة، وتقطع كل الأواصر القانونية التي كانت تربطها بأسرتها القديمة. وكان أبناء هذا الزواج يرثون، بحكم كونهم ذرية أبيهم الشرعية، اسمه وثروته، ومرتبته الاجتماعية. غير أنهم كانوا يرثون أيضًا التزاماته التعبُّدية والاقتصادية. وفي العصر الساساني يبدو أن تسجيل عقود الزواج بات أمرًا مألوفًا، وكان الرجل يصبح مؤهَّلاً للزواج ببلوغه سن الخامسة عشرة. وكان في وسع المرأة أن تتزوَّج قبل أن تبلغ سن الرشد أيضًا، ولكن ذلك لا يحدث خلافًا لإرادتها بالطبع. وكان في وسع الرجل فوق بذلك أن يعقد زواجه على عدد من النساء عقدًا شرعيًا، وكان هذا أيضًا يُشْهَد عليه الشهادة الحسنة، بالنسبة للبيت الملكي، إلى جانب الشهادة على الزواج بين ذوي قرابة الدم. وكانت الزوجة تظل، طوال حياتها

خاضعة للسلطة، وغير مؤهّلة لامتلاك الثروة، ما لم تجر تسوية هذه المسألة في عقد الزواج على نحو مختلف. وكان المهر يظل أثناء الزواج ملكًا لها، وكان الزوج يظل مجرَّد وصيّ، وفي حالة انعدام الأولاد، مثلاً، كان متاع الزواج يعود، بعد موت الزوجة، إلى أسرة الأب. وكان في وسع كل من الزوجين الإقدام على الطلاق، وما من شك في أن موافقة الطرف الآخر في كل من الحالتين، كانت ضرورية: وكانت موافقة الزوجة لا تكون غير مشترطة بصورة أولية إلاّ في حالة بقاء الزواج بغير أولاد، أو في حالة إمكان إثبات ارتكابها جريمة. وكان يتم إشهار الطلاق مثلما كان يحدث في حالة الزواج، علانية، على رؤوس الأشهاد، ويتم تأكيده بوثيقة طلاق "هيليشن-ناماغ". وتسوي مسألة ردّ المهر وهدية الزواج التي يحتمل وجودها (بالفارسية الوسيطة:كا بين) على غرار التعبير اللاتيني (donatio propter nuptias)، وفي حالة وجود وراثة شرعية "من دون وصية" كانت الزوجة تتمتع بحق يسمونه (filii loco)، أي: إنها كانت ترث مثلما يرث الولد من أولاد المتوفى، حصة كاملة، من ثروة زوجها. وكن الوصي عليها يصبح الآن أكبر الأولاد البالغين سن الرشد، وإذا لم يوجد هذا كان الوصيّ عليها أقرب ذوي قرابة الميت. وإذا كان الزواج قد ظل بغير أولاد اضطرت الزوجة، مثلما يحدث في حالات الزواج من زوج الأخت الذي يشهد عليه العهد القديم، بعد موت زوجها، إلى الارتباط بأقرب أقربائه "وهو زواج الشاجار"، وفي هذه الحالة كانت تظل بالطبع، زوجة الميت، مع احتفاظها "بكل الحقوق" في أملاكه. وكان الأطفال الذين يخرجون من الزواج الجديد يصبحون الذرية الشرعية، والورثة الشرعيين للمتوفّى، ولا ينظر إليه على أنه أبوهم الحقيقيّ. وبالمناسبة فقد فسّر خبراء القانون المسيحيين الزواج من زوج الأخت مثلما فسّر الزواج من ذوي قرابة الدم، تفسيرًا يطعن فيه. وقد عرف القانون الإيراني أيضًا، "الإبنة الوارثة" وهي ابنة لا أخ لها، تمّ تزويجها من أقرب ذوي قرابة الأب، حفاظًا على المنزل الأبوي، حتى عندما كان هذا يشترط أن يُحَلّ عقد زواج قائم. وكان أبناؤها من الارتباط الجديد يصبحون أبناءًا شرعيين ويُعْتَرَف بهم ورثة للجدّ من طرف الأم.

ويُعْرَف، من إيران الساسانية، إلى جانب زواج البادكشايْه، أيضًا، أشكال أخرى من الارتباط بين الرجل والمرأة، ويدخل في هذا الباب، زواج المرأة، بعد اختيار حر لشريكها، ومن دون "تبديل للأسرة". ولكن يعرف أيضًا زواج قديم كان الزوج فيه يعهد، في حالة توافر أسباب وجيهة، أو التزامات خصوصية، بزوجته، مع ثروتها، إلى رجل آخر، إلى أجل. وفي مثل هذه الحالة، كانت الزوجة تظل الزوج الشرعي لزوجها الأصلي الذي يقوم الآن بدور الوصي عليها والحامي والمربّي. وكان الأولاد الناجمون عن الارتباط الجديد يُعَدُّون أبناء هذا الزوج الأول.

وحتى الوصاية على القاصرين والنساء، وكذلك على الأسر التي لا أقرباء لها من الرجال، يتم توضيح أمورها بالتفصيل في القانون الساساني: وهذا ينطبق على الوصاية "الشرعية" وعلى طلب المرء أن يكون وصيًا مثلما ينطبق على وصف واجباته وأجره، وعلى حماية الموصى عليه. وكان القوم يفرقون، في هذا الصدد، في إيران، بين الوصاية "الطبيعية" (بوداغ: داخل العائلة) و"الشرعية" (غومارداغ: الندب عن طريق العشيرة من رهطه الأدنين من جهة الأب في حالة عدم وجود ذوي القرابة من الرجال في الأسرة" والوصاية "عن طريق الوصية" (كارداغ: تعيين قريب أو غريب من قِبَل رب البيت) وهو: التوتِل.

وبدافع الاهتمام ببقاء "البيت" وبتنفيذ الالتزامات التعبُّدية، كانت السلطات القضائية شديدة الاهتمام بالتسويات الواضحة لمسائل الوراثة، وبالتالي، الخلافة "أبارماند". وكانوا يفرّقون، في هذا الصدد بين خلافة وريث البيت حيث يمكن مقارنة الورثة بمن يسمّون (sui herdes)، في القوانين الرومانية، والخلافة عند عدم وجود الوريث الذكر، حيث يقوم الآخرون بدور "الورثة البدائل" "ستور". وتتمثل مهمتهم الآن في تأمين ورثة بدائل من العشيرة، مطلوبين أو موصى لهم بالوصية "إبنة وارثة، أرملة في زواج من زوج الأخت"، وتأمين "ولد" للمتوفى "ستوريه بوس" يمكنه أن يقوم بدور الخلافة الإجمالي.

وقد كنا خليقين أن نقول الكثير في الحقوق الساسانية، من حيث الأمتعة، والالتزامات والحق في الوراثة غير أن هذا خليق أن ينسف إطار العرض الذي تقدمه.

5/ 3] إيرانشهر- الدولة وسكانها وطراز معيشتها

5/ 3/ 1] المملكة وإدارتها، البلاط والرسوم التي تؤدى إلى الملك

«تجب التضحية من أجل خلاص نفوس أولئك الذين يعيشون في ظل حكم شابور، ملك الملوك" وبالنسبة لأردشير، ملك أديابينه، وملك كِرمان ولِديناغ، ملكة ميسان "ميسنه. وللملك شابور "داست جيرد" ولهامازاسب، ملك إيبيريا "جيورجيا"، ولفالاكش، الأمير، ابن باباغ، ولساسان، الأمير، الذي رُبِّيَ لدى الباريكان (؟) ولساسان الأمير، الذي رُبِّي عند الكادوغان، ولنارسيه، الأمير، ابن البيروز، ولنارسيه، الأمير، ابن الدادسبار (؟) "بالفارسية القديمة /واليونانية: ابن شابور"، ولشابور، البيداكش "نائب الملك"، ولباباغ، الهازاروفت "شيليارش"،

ولبيروز، الأسبيد "سيد سلاح الفرسان"، ولأردشير "من بيت" فاراز، ولأردشير "من بيت" سورين، ولنارسيه، سيد الأونديغان، ولأردشير "من بيت" كارين، ولِفَهْنام، الفرامادار "القائد"، ولفريبوغ، المرزُبان "زهراب" فيه- أنديوك- شابور، ولسِريدوي "ابن" الشاهيموست (؟)، ولأردشير "الحامل للقّب" أردشير شنوم "سرور أردشير"، ولباكشير "حامل لقب" تام شابور "شِاهبور/ شابور البطولي،ولأردشير، مرزبان غويمان، ولشاشماغ "من" نيف- شابور، ولِفَهْنام "حامل لقب" شابور شنوم "سرور شابور"، ولِتيرمير، قائد حصن شهر جيرد، ولِزياك، المنادي إلى المأدبة "باليونانية دايبنوكليتور"، ولأردفان دمبافاند، ولغُنْدافار ابن أفنان، ولرازمايود وباباغ "حامل لقب" بيروز شابور "شابور المظفَّر"، ولأبناء شامبيد، ولِفارزين، مرزبان غاي "إصفهان"، ولكارذزراف، البيداكش "نائب الملك" ولباباغ، ابن فيسبور، ولفالاكش، ابن سيدوك "سلوقوس"، وليَزْباد، الهاندارز بيد مستشار الملكات، ولباباغ، الشافسردار "حامل السيف"، ولنارسيه مرزبان ريند، ولتياناغ، مرزبان همدان، ولفولبيد، الباريستاغبيد "سيد الخدم"، ولفويمار، ابن الرَستاق، ولأردشير، ابن الفيفار، ولأبورْسام، ابن الشابور، سالار داريغان "قائد خدم البلاط" رئيس حرس القصر؟"، ولنارسيه، ابن البارّاغ، ولشابور، ابن النارسيه، ولنارسيه، "سيد جهاز التزويد والإمداد"، ولهورمِزْد، الديبيربيد "سيد الكَتَبة"، ولابن هورمزد، الديبيربيد، ولنادوك، الزندانيغ "سيد سجن الدولة"، ولباباغ، الداربيد "سيد الباب"، ولباسفال، ابن الباسفال، ولأبداكش "؟"، ابن الديزبيد "قائد الحصن"، ولكيرديرِ، الهربيد، وللرستاق، مرزبان فيهْ-أردشير، ولأردشير، ابن البيداكش "نائب الملك"، لهرفاست، الفانزفار "أمين قاعة الكنوز"، ولشابور، الفرامادار "أهاند"، ولأشتاد "من بيت" مهران، الديبير "الكاتب"، من الريّ، ولساسان، المشرف على حجرات النساء "شابيستان، باليونانية: أوينوخوس، الخصيّ"، ابن ساسان ولفيرويْ، الفازاربيد "الذي يمسك بيده بزمام التجارة"، ولأردشير، مرزبان نيريز، ولبابياد، ابن الفولبيد، ولكيرديرِ- أردفان، ولزورفانداد، ابن البانداغ، ولفاندار، ابن الساسان، ولمانزيك، الخصيّ، ولساسان، الدادفار "القاضي"، ولفالان، ابن الناشباد، ولفولاق، الفارازبيد ‹سيد الخنازير البرية››».

يعدِّد شابور الأول، في كتابه "شكز" ‹res gestae› حملة الألقاب، ومتقلدي المناصب، والأرستقراطيين في دولته، الذين كانوا مقرّبَين منه، والذين يترتب عليهم، من أجل ذلك، تقدمة القرابين من أجل خلاص نفوسهم. وقد نقلت إلينا لوائح أخرى من هذا النوع بطريق النقوش الكتابية، ومعها أيضًا لائحة في رواية الفَعال الفائدة لهذا الساساني "واحدة مثلها تعود إلى أيام باباغ وأردشير". ويوجد عدد من هذه اللوائح في النقش الكتابي العائد إلى نارسيه من بايكولي، وكلها

مرتبة على نحو متشابه، أي أنها تذكر، أول الأمر أفراد الأسرة الملكية، ثم أولئك الذين يدخلون في فئة الأهم شأنًا من عشائر النبلاء، وثالثًا، وأخيرًا تستعرض حملة ألقاب آخرين في الدولة. ويجب أن يكون موضع طموحنا الآن أن نحيط بالدولة الساسانية الأولى في علاقاتها الإدارية، وأن نعيد تركيب الهرم التَّراتُبيّ في إدارة الدولة، وفي البلاط. وبالنسبة "للخدمة لدى الدولة" هناك، في هذا الصدد، شرط أوَّليّ لا مندوحة عنه، وهو تحديد الوحدات الإدارية والإقليمية "أجزاء الدولة" و"الأقاليم" التي يذكرها لنا عن الحقبة الأولى، أيضًا، من جديد، شابور ونارسيه، وكذلك الموباد كيردير، في نقوشهم الكتابية. ولننقل هنا البداية من النقش الكتابي، لشابور الأول "من" الكماباي" زاردوشت".

«وأنا، "شابور" ملك البلاد والأقاليم، باليونانية، وفارس وبهلاوْ "فرتيا" وخوزستان "إكزوستان، وميشان "ميسان، ميسينه" وآزورستان "العراق" ونود-آرداشيراغان "أديابينه" وأرباميستان "الجزيرة العربية" وأذربيجان "أتروباتينيه" وأرمين "إرمينية"، فيروزان "إيبيريا"، وسيغان "ماخيلونيا" وكل باديكشفار "غار"، وكل سلسلة حبال إلبورز= طبرستان وحيلان "؟"، وماد "ميدياط، وجرجان "هركانيا" ومرو "مارجياني"، وهاريْ "أريبا"، وكل أَبَشهر "كل الأقاليم العليا (=الشرقية، الفرتية)، وكرمان "كرْمان"، وساكستان، وتورجستان، وماكوران، وباردان "بارادين"، وهند "سِند"، وكوشان شهر، وحتى إلى باشكيبور "بيشاور""؟" وإلى حدود كاشغرا، وسوجديا، وتشاش "طشقند" ومن ذلك الساحل البحري مازون شهر "عُمان"».

وإذا قارنا بهذا الإحصاء لوائح حملة الألقاب والمراتب العائدة إلى حقبة نارسيه، في علاقاتها الإقليمية وتركيبة أجزاء الدولة- غير المكتملة قطعًا تركيبة كيردير "من حقبة فهرام الثاني" كان في وسع المرء أن يقرر وجود الكثير من القواسم المشتركة، ولكنه يقرر أيضًا وجود بعض الفروق، أي التغيُّرات. أما بالنسبة لشابور فينتج أن هناك أقاليم محدَّدة، في صورة "ممالك" أبناء لملك الملوك" وحكام آخرين "بالفارسية الوسيطة: شاه، باليونانية: باسيلوس" كان يُعْهَد إليهم بها. وهذه المناطق توجد عند حدود الامبراطورية، وتعدُّ في تَحديدها الجغرافي والسياسي، بلا ريب، إرثًا من حقبة فرتية متأخرة، حيث حلَّ الآن "في معظم الحالات؟" الأمراء الساسانيون محلَّ ملوك الطوائف السابقين، أولي البأس الشديد. ومِنْ ذلك أن شابور يذكر، مرة أخرى، في سياق تقدمة القربان المرتبطة بتأسيس النار ووَقْفِها، أبناءه هورمِزد-أردشير "هورمِزد الأول المتأخر" بصفته "امبراطور إرمينية"، وبالتالي، بصفته وليًا للعهد، وشابور بصفته "ملك ميشان" ونارسيه "ملك الملوك المتأخر" بصفته ملك الهند، وساكستان وتورجستان، حتى ساحل البحر" وبالتالي،

بصفته "ملك الساكيين" وفهرام "التي أصبح فيما بعد فهرام الثاني" وبصفته "ملك جيلان". ويضاف إلى ذلك أردشير، ملك أديابينه، أردشير كرمان وهامازاسب، الإيبيري، ويذكر نقش بايكولي الكتابي، في الفقرة 92 التي لا يتضمنها إلاّ جزئيًا، لإضافة إلى ذلك أيضًا "من تحديد بالاسم" "ملوك" كوشان "شهر"، إكسفاريسم، وباردان ومَكران، وجرجان وبَلاساغان وأبانيا وسيفان (الخريطة 4)، ثم يذكر بعد ذلك فردَيْن من الملوك باسم رازغورد وباندفرّاغ "من دون ذكر للمنطقة التي كانا يحكمانها"، كما يذكر آخر الأمر الأرمي تيرداد، وملك اللاميين عَمْر وتَميَّه من إديسّا. ولا بد، بالطبع من أن نشير إلى أنه لا يقال، في نقش نارسيه الكتابي في بايكولي، إن كل هؤلاء الملوك كانوا رعايا للحاكم الساساني. ثم إن الفقرة 93 من النقش ذاته تورد في نهاية إحصاء للحكام الصغار"؟" و/أو حملة الألقاب؟ المحليين، بالفارسية القديمة: إكسفاداي: "سيد"، أيضًا، ملكًا يقال له: مالوكس، وهو الذي يُظَن؟ أنه لا يمكن تحديد مكانه في إيران. ويتم تمييز علاقة الحكام المحليين بـ"ملك الملوك"، في الأبحاث، على الأغلب، بأنها وضع الحاكم الدائر في فلك سيده، على الرغم من أن هذا المصطلح الذي يُعَدُّ من المصطلحات الحاسمة التي يُعَوَّل عليها بالنسبة للعصر الوسيط الأوربي، لا يتضمن الشرط، الثلاثي الأطراف، وهو قسم الوَلاء والمُناصرة العسكرية من ناحية أولى، ومنح حق الانتفاع بما يملك من الأرض، من ناحية أخرى، وهي شروط أوَّلية لا يمكن تحقيقها بالعلاقة مع الحقبة التي تهمُّنا هنا بسبب نقص الشواهد.

وثمة وحدة إقليمية ثانية، إلى جانب "الممالك"، يتمُّ تعديلها بكلمة "شهر" التي ربما جاز للمرء أن يترجمها بكلمة إقليم (Provinz)، وهي تخضع لرقابة رجل يقال له شهراب "باليونانية/ satrapes: المرزبانية". وتعرف لدينا سبعٌ من المَرْزُبانيات، بأسمائها، مع المناطق الإدارية الخاضعة لإدارتها، وما من شك في أن هناك كثير ما يؤيد أن عددها، وهذا مقرون أيضًا مع عدد أمثال هذه الأقاليم"، كان في القرن الثالث أكبر كثيرًا. وستكون هذه عندئذٍ قد قصِرَت على مجرد الحكام الذين كانوا قريبين منه على وجه الخصوص، والذين ذكرهم شابور في نقشه الكتابي. أمّا أنه كان يوجد، في "الممالك"، الشهراب، بصفة نوع من ممثل الشاه، أيضًا، فذلك ما لا يمكن الفصل فيه أو الاتفاق عليه. لقد أعرب الباحثون عن تكهُّنهم بأن الأقاليم لم يجرِ إنشاؤها إلاّ حيث لم يكن هناك وجود لشكل آخر من أشكال الإدارة، أي: في كل المناطق التي كانت تتبع "ملك الملوك" تبعية مباشرة، أَيْ، مثلاً، في "بلاد الملك" السابقة، والعائدة للملوك الفرتيين أو إلى الأراضي المفتتحة حديثًا. ومن الواضح بصراحة أن تأسيس المدن لم يكن ممكنًا أيضًا إلاّ في بلاد الملك وعلى يد الحاكم. أما العلاقة النسبية من حيث الحجم التي كان يمثلها مفهوم "شهر" عند الساسانيين

أي: علاقته بالمرزبانيات العائدة إلى ممالك الأسلاف، فمسألة لا يمكن الفصل فيها. على أن خريطتنا رقم 4 تظهر ممالك القرن الثالث "بالاستناد إلى نقش شابور الأول الكتابي "زاردوشت" و"نقش نارسيه الكتابي، من تايكولي" وفي القطاعات الأصغر، الوحدات الإدارية العائدة إلى أواخر الحقبة الساسانية في أهم مناطق الامبراطورية.

على أن اطلاعنا على أواخر الحقبة الساسانية (القرن 7/6) فيما يتعلق بإدارة الدولة يعد أفضل بما لا يقبل المقارنة من اطلاعنا على بدايات الحكم الساساني، إذ يتوافر لنا، من هذه الحقبة في الأختام والمراسيم الملكية، وبالتالي، في أساطيرها، مواد قيمة إلى حد فائق، وهذا يصح، على الرغم من الظرف المتمثل في أنَّ أمكنة اكتشاف هذه الشواهد "قصر أبو نصر عند شيراز، طاق-ي "تخت-ي سليمان"، سُوْسَ/ توارانغ تيب، تيب كبودان (جرجان)، بيشابور" توجد كلها تقريبًا في الغرب، وبذلك لا تقع العين على الأجزاء الشرقية من الدولة إلاّ قليلاً. وما يتعلق بالحقبة الساسانية المتأخرة "والحقبة الساسانية الوسيطة المتقدمة عليها" ربما كان في وسع ملفّات الشهداء السريانية وروايات المؤتمرات الكنائسية النسطورية أن تهيئ معلومات إضافية. وما من شك في أن تقويم هذه المصادر مازال في البدايات. ثم إن المجموعة الحقوقية الساسانية "مادايان هازار داديستان"، التي سبق أن تعرفنا عليها، تعزو بالمناسبة، وبحق، إدخال الأختام الإدارية، للملكين كافاد وكسرى الأول. على أن عمليات التقويم التي تمّ القيام بها مؤخَّرًا، للمادة الغليبتية، لم تساعد على مجرَّد استجلاء حقيقة بعض الألقاب والوظائف المعروفة من نقوش الملك الكتابية، وكذلك من أسماء الأمكنة الجغرافية (انظر الخريطة رقم 4) فحسب، بل تمكّنت، فوق ذلك، من أن تصف النخبة الإدارية في الأقاليم بأسمائها ومهامّها، وصفًا أكثر تفصيلاً. ويتضح أن وحدة الإدارة المركزية في الدولة الساسانية كانت الإقليم شهر" الذي كان ينقسم، بدوره، إلى مناطق. وكان في وسع كل كبار المسؤولين الذين يمكن الإحاطة بهم، على الأختام وفي المراسيم الملكية أن يكونوا عاملين على صعيد الإقليم الصغير. وكان الأَمَرْغار والفَرامادار وحدهما يستطيعان التصرف على مستوى الإقليم الكبير (region) (أي ذلك المستوى الذي يتخطى حدود الإقليم الصغير، بينما كان "مكتب" الكهنة "ماغوه" لا يوجد إلاّ على صعيد "المنطقة".

فما المهمات التي كانت تُخَصَّص الآن لحملة الألقاب ومتقلدي المناصب؟. أما الشاهراب فيجب أن نتصوره حاكمًا لإقليم صغير يعالج الشؤون المدنية، ويتعاون، في هذا الصدد، مع الأَمارْغار "في مسائل الضرائب"، كما يتعاون مع الأوستاندار "في الأمور التي تتعلق بأملاك الدولة "؟". وفي مقابل ذلك يبدو أنه لم يكن يشاطر أهل الكهنوت الزردشتي مجالات مهامّهم، وذلك، على الأقل، تبعًا لما تثبته المراسيم الملكية.

وقد أشير إلى الموغبيد "الموباد" في إقليم ما بأنه "الرئيس الروحيّ والكهنوتي" في هذه المنطقة وقد همّ الباحثون بأن يختصّوه أيضًا بإدارة الأملاك الكهنوتية. وبالمناسبة فصورة موباد أردشير إكسفرّاه، فيهْ شابور. وكان يرأس الموباد، كما فصلنا القول من قبل، "الموباد الأكبر"، وأخير موباد الموبادات، الذي يتسنّم ذروة الهرم التراتي الزردشتي. ولا يمكن، على وجه اليقين، تحديد علاقة الموغبيد بالدريبوشان غاداغوف والدافدار ("حامي المساكين والقضاة") الذي كان يتقلد أيضًا "منصبًا دينيًا". لقد تكهّن الباحثون بأنه يواصل الحياة في هذه التسمية، الوظيفةُ المشهود بأنها لكيردير "وبالطبع مع إضافة هامشهر في علاقتها بـ"كل الدولة")، وهي وظيفة الموغبيد والدافدار. وما من شك في أن هذا اللقب طرأ عليه تغيُّر "في عهد كسرى الأول؟" في السياق الإداري، بهدف الوصف الأفضل، للتكاليف الحقيقي الذي يُوَجَه إلى متقلّد المنصب، ولتمييزه، في الوقت ذاته، من الموغبيد الحقيقي. وإلى جانب هؤلاء الخبراء الدينيين كان يوجد أيضًا قضاة "كادفاران" ينطقون بالأحكام في حالات التنازع المدنية.

وكان الهاندارزبيد "المستشار" معروفًا سواءًا في البلاط أم في السياق والإقليمي، ويتمُّ إيراده، بحق، مقرونًا بمهمّات تنطوي على التشاور التربوي، ومِنْ ذلك أن نقش شابور الكتابي الذي يذكر يزدباد، "مستشار الملكات" ويميِّزه تمييزًا أَدَق بأنه خصِيّ، وأننا نعرف، إلى جانب الهاندارزبيد الإقليمي، مثلاً، الكهنة أيضًا "الموغان" الذين كانوا يؤدون الخدمات بصفتهم "هانداردبيدان".

وكانت مهام الآيينبيد، سواء أكان ذلك في سياق البلاط، أو في السياق الإداري والدينيّ ("كيردير"، الذي يعرف من سياق مسؤوليته عن معبد النار في الاستالست) تظل غير واضحة، إذ ينظر إليها فريق من الباحثين على أنها تتعلق بالأمور "المالية" أي: الاشتغال بالهدايا المقدَّمة إلى الملك، وينظر إليها فريق آخر، في الإطار الخاص بالمحفوظات "مسك دفتر للفهرست الخاص بالعادات والتقاليد والمراسم، وكذلك مسك دفتر يُسجَّل فيه حمل الألقاب والمراتب وامتيازاتهم"، أو ينظر إليها آخرون أيضًا في إطار المجال البروتوكولي "السهر على المراسم. ولا يُعْرَف إلاّ القليل أيضًا عن المهام، التي يبدو للعيان أنها ذات شأن وخطر، وهي مهام الفرامادار "القائد العام". وهناك حاملان لهذا اللقب، ومن تحديد أكثر تفصيلاً، أو أكثر حفولاً بالمضمون، يذكر شابور، في نقشه الكتابي الذي نقلنا عنه أن واحدًا منهم يُعْهَد إليه بمعبد النار الكبير آدور غوشناسب، وأن الآخر يُعْهَد إليه بإقليم كبير يتألف من عدد من الأقاليم الأصغر، وأخير مهر-نارسيه، المسؤول الكبير ذو البأس والقوة، في أيام يزدجرد الثاني (438-457)، وهو يشير إلى نفسه، في نقشه الكتابي، من فيروز آباد، حتى بأنه الفوزورغ- فرامادار "الفرامادار الأكبر". أما الفاسبوهراجان-

فرامادار، فمن الممكن أنه كان يمارس الإشراف على أملاك "الأمراء". وأمّا الأمارْغار فكان يشتغل بالمسائل المالية الهامة، ومن الممكن أن يكون جزء منها يتعلق بالعائدات المتحصّلة من الضرائب، سواء على صعيد الأقاليم الصغيرة أم على صعيد الأقاليم الكبرى.

وكان مكتب الكاهن الماغوه مقصورًا على صعيد المنطقة، وهو الذي لا يعرف إلاّ من القطع المنحوتة، وربما كان يشتغل، على الصعيد المحلّي، بتسوية الخلافات، وبهذا يقوم بدور المرجع الوسيط في مقابل الموغبيد أو الدريبوشان غاداغّوف والدادافار، على الصعيد الإقليمي. وكان "القاضي" والموغبيد والراد "وهو مسؤول هام في الهرم التَراتُبيّ الزردشتي تظل مهامّه الدقيقة غير واضحة". كان هؤلاء أيضًا يمثلون السلطات التي يرجع إليها القول الفصل في استجواب المسيحيين والحكم عليهم في عصور الاضطهاد. وقد ذكرتهم ملفّات الشهداء السريان مثلما ذكرت عدد العاملين في السجن ‹Waechter, Henker, u a.›.

وكان لبعض كبار المسؤولين المعروفين على الصعيد الإقليمي "في أوقات معينة"، رئيس على مستوى الامبراطورية، كما تعرَّفنا عليه، مثلاً، في هامشار موغبيد أُد دادفار، أو في موبادان موباد. ولكن في كثير من الحالات لا يكون من الممكن صياغة مثل هذه العلاقة على نحو صريح لا لَبْس فيه "وذلك، مثلاً في حالة الأمارغار أو الفرامادار". وكان يبرز من بين المناصب التي تتميز، أيضًا، باتساع نطاق أهميتها، ويبدو متقلّدوها كأنهم على مقربة مباشرة من "ملك الملوك"، منصب البيداكش والأرغبيد: أمّا البيداكش، الذي لا ريب في أنه من ذوي قرابة الأسرة الملكية، فيفسر، من وجهة الاشتقاق اللغوي، بأنه "الملك الثاني"، وكان من الممكن عندئذ أن يفهم على أنه "نائب الملك"، أو "كبير الوزراء". وأمّا لقب أرغبيد فيترجمه فريق من الباحثين بأنه "قائد حصن"، ويترجمه آخرون بأنه "محصل الضرائب الأكبر". ثم إن تسميته أمام البيداكش، وأمام الأمراء، في نقش نارسيه الكتابي، من بايكولي، تؤكد أهميته، مثلما يؤكد ذلك الظرف المتمثل في أن حاملاً لِلَّقب كهذا يبدو، من وجوه عديدة، مفوَّضًا من قبل الحاكم. وأخيرًا كان من الممكن أن يكون الزنْدانيغ مدير السجن الحكومي، المعروف في التقاليد الغربية والذي يُسمّى، بالفارسية الوسيطة: جيلكارد "المصنوع من التراب والصلصال"، ليكون قصرًا للنسيان، ويمكن تحديد موقعه في سوسان، على نهر قارون، في خوزستان، ويفترض أن تشغلنا القيادة العسكرية للدولة فيما بعدُ أيضًا.

والآن فلنتَّجه إلى المناصب في البلاط التي من الجائز أن يكون سبق وجود بعضها منذ الحقبة الفرتية من دون أن نكون أحطنا علمًا بذلك بالقدر الكافي. وهنا كان من المناصب ذات الأهمية الخصوصية، منصب الهازاروفت "شسيليارش"،

مثلما يثبت ذلك نقش شابور الكتابي. ولكن لا ينبغي للمرء أن يرى فيه "رئيسًا للوزراء، بل يرى فيه، مثلما كان ذلك في الدولة الإخمينية، رئيس الحرس الشخصيّ للملك. وربما كان يقف إلى جانبه السالار داريغان، إذا كان يُفَسَّر حقًّا بأنه قائد حرس القصر، وأما الداربيد "سيد الباب" فمن الممكن أن يكون آمر حرس الباب. وكان يتمتع بالسمعة العالية، كما يثبت ذلك نقش شابور الأول الكتابي، من كابازاردوشت، أيضًا، الديبنوكليتور "المنادي إلى المأدبة" (بالفارسية الوسيطة دْنيك)، وهو، بلا ريب رئيس البروتوكول، والصف سردار، بصفة حامل أسلحة الملك، والباريستاغبيد "رئيس الخدم" بصفته مسؤولاً عن كل الخدمات التي تُؤدّى إلى الحاكم، والمسؤول الأعلى عن الإمداد والتزويد، وبالفارسية الوسيطة (جلستبي) وأمين الكنوز "الغانزفار". وكان يقوم على الخدمة في بلاط أردشير، أيضًا، مارشال، بالفارسية الوسيطة: (مدئلي) ويمكن مضاهاته بـ"سيد الخنازير البرية" وسيد الصيد" "بالفارسية الوسيطة (نحكيربت)، وباليونانية (ho epi tou le yuhegiou) وبـ "سيد الخنازير البرية" "فارازبيد" في بلاط شابور.

وكان الديبيربيد، بحكم كونه رئيسًا لديوان "الكتبة" والموظفين الآخرين يجد ذكرًا له مشرِّفًا أيضًا عند شابور، على أن الظرف المتمثل في أن والد حامل اللقب، كان، أيضًا، "سيد الكتبة" يشير إلى أن تقلُّد هذا المنصب كانت تقتضي مؤهلات خصوصية كان من الواضح للعيان أن من الممكن أن تنتقل داخل الأسرة، إلى مدى بعيد. أما الخصيان فلم يكونوا يقتصرون على أداء الخدمة في حجرات النساء، بل كانوا يخدمون أيضًا في المراكز الرئيسة في البلاط وفي الدولة، وكان المغنون ينشدون أيضًا، في بلاط الملك الساساني كنوز التقاليد الشعبية الإيرانية، بعد استكمالها وتعديل قالبها. وإذ تصوَّر المرء قصور ملوك الطوائف "ملوك الأقاليم" وحكام الأقاليم، على صورة طبق الأصل، مصغَّرة، لبلاط الملك، وهو الأمر الذي كان يُفْتَرَض أن يحدث، عند ذلك تكون الدولة الساسانية "المبكرة"، مثل الدولة الفرتية، التي كانت ترتكز عليها، وربما كانت الأجدر بأن يتم تمييزها بالاستعانة بمصطلح مأخوذ من مضمار أبحاث العصور الوسطى، بأنها "دولة العصابة الشخصية".

لقد سبق أن سمعنا عن داستجيرد الملوك، وهي مناطق تخضع للسلطان المباشر للملك، وكان يوجد، إلى جانب ذلك، مناطق أخرى، في حوزة الأرستقراطية، ولم يكن من الممكن أن تؤثّر فيها الرقابة الملكية إلاّ تأثيرًا غير مباشر. ولذلك كان تحصيل الضرائب من هذه المناطق، وطلب الالتحاق بالجيش غير ممكنَيْ التنفيذ للحاكم إلاّ بوساطة نبلاء مُلاّك الأراضي. وكان الملوك يستطيعون، على نحو ظاهر للعيان، أن لا يؤسسوا مدنًا إلاّ على أرض من "أملاك الدولة" "شهرستان"، كما

كانوا يستطيعون أن لا يوطّنوا الناس إلا في أراضي أملاك الدولة، والشيء ذاته ينطبق على تغيير أسماء المدن. وليس مما يبعث على العجب، أنه حتى الملوك الأوائل كانوا يتابعون هدف زيادة عدد المدن "وسكانها". على أن التخلّص من ملوك الطوائف الفرتيين والانتصار على أردفان الخامس، والزحف السريع نحو الغرب كل هذا أتاح لأردشير الفرصة لذلك، بينما كان تخلّف المزيد من المكاسب على الأرض يزيد من صعوبة سياسة بناء المدن لخلفائه. ولم يتغير هذا من جديد إلاّ في أيام كافد وكسرى الأول، اللذين استفادا من إضعاف النبلاء عن طريق ثورات المزدكيين، أيضًا، من أجل التحوُّل من أرض النبلاء إلى أرض الملك. أمَّا مسألة هل استطاعت الأمكنة اليونانية القديمة في العراق وفي سوسيانه أن تحافظ على استقلالها أيضًا في ظل الساسانيين، وإلى أي مدى، فذلك أمر لا يمكن الفصل فيه إلاّ بصعوبة. وعلى كل حال فقد فقدت سُوْسَ أهميتها السياسية نهائيًا حين تصرف شابور الثاني، في إطار سياسة اضطهاد المسيحيين، مع هذا المكان بوحشية بالغة. وكان الوجه المعكوس لتأسيس المدن، حتى في الحقبة الساسانية، إبعاد المجموعات السكانية عن مواطِنها بالقوة، كما ثبت ذلك على نحو جيد بوجه خاص بالتوطين الجديد لأجزاء من سكان أنطاكية في أيام شابور الأول، وكسرى الأول، "أنظر ما يلي"، وفي مقابل ذلك لعب زرع سكان الأرياف في المدن، وكذلك قبول اللاجئين أو القادمين بمحض إرادتهم، في عملية بناء المدن، دورًا أكثر ضآلة، إذ كان توطين أسرى الحرب والمُرَحّلين، يعطي الأولوية لمتابعة هدف زيادة أعداد القوى العاملة، ولاسيما العمال الفنيين والفنانين والحرفيين في صفوف الرعايا.

لقد دأب ملوك فارس، قبل حكم كسرى أنو شروان، على رفع ثلث غلاّت كُوارهم "مواسمهم الزراعية" ومن بعض المواسم الربع أو الخمس أو السدس، تبعًا لنسبة الريّ ورعاية الأرض "على قدر شِرْبها وعمارتها" ودفع مبلغ محدد عن "الجزية". والآن كان كافاد، ابن بيروز، قد أمر، حوالي نهاية حكمه بأن تُمْسَح الأرض، سواء أكانت سهلاً أم جبلاً، لتحديد حراجها تبعًا لذلك، على الوجه الصحيح . . ولكن حين تسلّم مقاليد الحكم الآن ابنه كسرى، أمر بإتمام عمليات القياس والمسح، وأن تُحْصى حتى أشجار النخيل وأشجار الزيتون، وأن تُعَدَّ الرؤوس، وأن يقرر على أثر ذلك المبلغ الإجمالي من قبل كَتَبَته . . وحين تلا "الكاتب" هذا، قال كسرى لهم "للناس": «نحن نعتزم أن نفرض على حملة ما عُدَّ من قبل، مما قيس الآن جميعًا "حوالي هكتار واحد" من أرض القمح، وأن نفرض فئاتٍ ثابتة على أشجار النخيل وأشجار الزيتون والرؤوس، وأن نأمر بأن تدفع هذه سنويًا على ثلاثة أقساط: وبذلك يتجمّع المال في خزائننا إذا مسَّت الحاجة إليه، حين يأتينا، مثلاً خبر من أحد ثغورنا، أو مواقعنا الحدودية، أو أراضينا الحدودية، عن تكدير

لصفو النظام، أو إذا أصابنا سوء، لتسوية الأمر أو قمعه. لقد عثرنا على مثلٍ هذا، حاضرًا في ذهننا، لأننا نرغب، من أجل أمثال هذه الحالات، في التوجيه أولاً إلى الإعلان عن ضريبة جديدة" . . واتفقوا بعد تشاور مُتَأنٍ، على أن تفرض ضرائب الأرض على ثمار الحقول التي تغذي الإنسان والحيوان، وهي القمح والشعير والأرز، والعنب والنبات المعمر العلفي، وأشجار النخيل، وأشجار الزيتون، على كل جَريب من الأرض يُبْذَر قمحًا أو شعيرًا وضعوا درهمًا واحدًا من ضريبة الأرض، وعلى جريب أرض العنب ثمانية، وعلى جريب النبات المعمر العلفي سبعة وعلى كل أربعة من أشجار النخيل الفارسية درهم واحد، وعلى كل ست من أشجار النخيل العادية مِثْلُ ذلك، ومِثْل ذلك على كل ستة من أشجار الزيتون، وكل ما تبقى مما تخرج الأرض تركوه معفى من الضريبة، عسى أن يتمكن الناس من أن يُحْسِنوا تغذية أنفسهم. وأما ضريبة الرأس ففرضوها على الناس جميعًا، باستثناء النبلاء والعظماء والجند والكهنة والكتبة، وما عدا هؤلاء من العاملين في خدمة الملك، ورتَّبوا العدد من الطبقات اثني عشر درهما وثمانية دراهم وستةً وأربعة، تبعًا لما كان الرجل يستطيع أن يحتمل، من جهد أقل أو أكثر. أما أولئك الذين لمّا يبلغوا العشرين، أم بلغوا من السن أكثر من خمسين عامًا، فأعْفَوْهم من الجزية».

ثم إن رواية الطبري عن الإصلاحات المالية التي قام بها كسرى تقارن نظام الضرائب القديم بالنظام الحديث عند الساسانيين. فما كان فيما مضى يُقَدَّر محصوله وهو على عوده، أو في سنبل، وكان على الدولة بناءً على ذلك أن تتدبَّر المسألة على أساس محاصيل تتبدل في كل عام، وبذلك أزاح عبء هذه المجازفة عن كهل المالك، وحصل، عن طريق فئة الضريبة الثابتة التي يمكن حسابها بصورة مسبقة، على مبالغ الخوض الحرب، ولأحوال الطوارئ. ولكن هناك شيئًا آخر يتضح، ألا وهو العوائد المتفاوتة التي تأتي من "أملاك الدولة" "الثلث" ومن الأوساط التي لم تكن خاضعة للسلطة الضريبية، الملكية الكاملة "أي: أولئك الذين كانت توجد لديهم أملاك أصحاب الأراضي: ويراوح ذلك بين الربع والسدس" وقد سقطت، في المستقبل. والحق أن مالك الأرض كان يتحمَّل المجازفة المتمثلة في تبدُّل كميات المحاصيل. وما من شك في أن فساد الثمرات على أعوادها، أو في سنبلها، إلى حين وصول من يقدر الضريبة، في الأيام السالفة لم يكن يمثل داهية أقل. أما ارتباط النظام الضريبي في الحقبة الساسانية المتأخرة بالأنموذج البيزنطي الروماني المتأخر فأمر بدهي، غير أنه كان موضع النزاع أيضًا. وفي أيام كسرى الثاني كانت وطأة الضريبة التي كانت في البداية مخفَّفة، غير أنها تصاعدت بعد ذلك تصاعدًا هائلاً، تتيح الفرصة لمتاعب لا تحصى. وعلى هذا يترتَّب النظر إلى ما يتحدث عنه المسعوديّ، من مبادئ كسرى الأول، على أنها سارية المفعول في كل الأزمنة، غير

أنها لم تقع من النفوس موقعًا حسنًا في الواقع: «والملكية تقوم على الجيش، والجيش يقوم على المال، والمال يقوم على الخراج، والخراج يقوم على الزراعة، والزراعة تقوم على العدالة، والعالة تقوم على استقامة الموظفين، واستقامة الموظفين تقوم على أمانة الوزراء وإمكان الوثوق بهم والركون إليهم، ورأس الأمر كله يقظة الملك في وجه الأهواء الخاصة، ومقدرته على توجيه هذه الأهواء بحيث يتمكّن منها ولا تتمكن، هي، منه».

ويجب أن يضاف إلى ضريبيَّ الخراج والجزية، بحكم كونهما من ضرائب أهل الريف، الضرائب غير المباشرة في مضمار المدن. ويظن أنه كان هناك أيضًا ضريبة الرأس لسكان المدن. وكانت العائدات الاستثنائية، كالغنائم وأموال الحماية والابتزاز التي تؤخذ من المدن والأراضي في أرض العدو، والتعويضات الحربية أيضًا، تخفف وطأة الأعباء عن ميزانيات الملوك الساسانيين. ولكن كان من الممكن، في حالات الإخفاق في السياسة الخارجية، أن تتحول، بالقَدْر ذاته أيضًا، إلى عبء تنوء بحمله.

5/ 3/ 2] الزراعة والعمل اليدوي والتجارة: خوض الحرب وحماية الحدود، الاقتصاد والجيش في إيران الساسانية

ومثلما كانت الزراعة في كل دول العصر القديم، كانت في إيران الساسانية أيضًا تمثل الشكل الاقتصادي الذي يُعَوَّل عليه ويكون حاسمًا. ففي الريف كان يعيش جمهور السكان، ويجد في زراعة الأرض رزقه وقوته، فلاحًا حرًا أو تابعًا، وفي الأرض الصالحة للزراعة، كانت "النخبة" تستثمر وسائلها المالية وتعيد استثمارها. وكانت ملكية الأرض الكبيرة، وعدد "التابعين"، إلى جانب نبالة النسب، شرطًا أوّليًا لمكانتهم الاجتماعية ومطامحهم السياسية. وأخيرًا فقد كانت الضرائب الواردة من الريف تملأ أكياس الضرائب بدرجة أعلى كثيرًا مما كانت تفعل ضرائب أهل المدن. وحتى حشد الجيش فيها كان يتمّ بالاعتماد على أهل الريف في المقام الأول.

وقد كانت رواية الطبري أفادتنا حول نظام الضرائب أيضًا، في صدد أهم ثمار الحقل، حول القمح والشعير والأرز بحكم كونها أنواعًا من الحبوب، وحول العنب والنبات المعمر العلفيّ وأشجار النخيل وأشجار الزيتون، بصفتها زراعات خصوصية، وظلت محاصيل الخضار والسمسم والخيار والقطن بغير ضريبة، وذلك لأنها كانت، هي على وجه الخصوص، تستعمل في صورة القوت الخاص، وبالتالي فقد كانت مخصّصة للاستعمال في الإدارة المنزلية في بيت المالك، كما كان يتمُّ أيضًا إعفاء أشجار النخيل القائمة فرادى، والتي كان المرء يفترض بصددها أن كل عابر سبيل خليق أن يستفيد منها. ولا يذكر الطبري المراعي، ومع ذلك يتحدث

المسعودي عن فئة ضريبية عالية، قدرها سبعة دراهم لمرعى في العراق. ويُظن أنه كان يفترض بذلك الحيلولة دون تحويل الأرض الزراعية إلى مرعى.

ومن بين كل الأقاليم الإيرانية تعد خوزستان الساسانية الإقليم الوحيد الذي تناوله البحث بشيء من التفصيل من الوجهة الديمغرافية والاستيطانية ومن وجهة الجغرافية الزراعية. وفي أثناء ذلك تبيَّن أن الحبوب والأرز وقصب السكر والتمر هي أهم المنتجات الزراعية. وما من شك في أن أهمَّ نتائج هذه الأبحاث، تمثّل في أنه لم يكن هناك مندوحة عن أن تنتهي الأمور في الحقبة الساسانية إلى تَرَكُز السكان في مراكز كبرى للمدن، مع تناقص الإنتاج الزراعي في الوقت ذاته. على أنَّ الاستثمارات المؤثرة التي ثبتت من الوجهة الأثرية مثلما ثبتت بالاستناد إلى المراجع، في السدود، تتناقض مع هذا تناقضًا يلفت النظر، ولا يمكن تفسيره، هكذا، من دون مقدمات.

وكانت أعداد كبيرة للغاية، من رعايا الملك، تجد قوتها بعد الزراعة، في الحرفة: «كان بوساي الرائع "وهو من شهداء المسيحيين في أيام شابور الثاني" من أسرى الحرب الذين جاء بهم شابور بن هورمِزْد من بيت رومية ووطّنهم في فيهْ- شابور "بيشابور"، وهي مدينة في إقليم بارس . . وحين بنى الآن هذا المدعو شابور بن هورمِزْد، الذي كان قد بدأ في اضطهاد كنيسة الشرق، مدينة كرخاد- لادان، ووطّن هناك أسرى من أصقاع مختلفة راق له أن يُوَطِّن أيضًا، من سكان كل المدن في أقاليم دولته، حوالي ثلاثين أسرة من كل إقليم منها، لكي يتم نتيجة للتمازج معهم، تقييد المُرَحَّلين بالرابطة العائلية وبآصرة المحبة، لكيلا يكون من السهل عليهم أن يهربوا شيئًا فشيئًا إلى موطنهم . . ووطّن القوم بين هؤلاء أيضًا المبارك بوسايْ، وزوجته، وأبناءه، وأخوته وأخواته، وكل أهل بيته، في كرخاد- لادان. وكان بوساي عاملاً حرفيًا ممتازًا، وكانت له دراية فائقة في الحياكة وتطريز ألوان الزينة الذهبية. وكان، أيضًا، من أولئك الحرفيين الذي جمعهم الملك من بين كل الشعوب من مهجَّرين ورعايا، وجعل منهم جمعية تعاونية "كنوشيا" وقسَّمها إلى كثير من الفروع، وأَعَدَّ لهم ورشة إلى جانب قصره في كرخاد- لادان. ولمّا كان المبارك بوساي بارعًا في حرفته، فقد كان الملك يوصي به خيرًا، وكان هذا يوليه على الدوام تقديرًا كبيرًا، ويمنحه الهدايا، وجعل منه، خلال وقت قصير، رئيس الحرفيين وكان يزداد تميُّزًا مع كل يوم، ويلقى الاستحسان . . وقبل أيام قلائل من فرض الاضطهاد على الكنائسْ، كان قد تمّ إيلاء بوساي المجيد، شرفًا عظيمًا من قبل الملك شابور، إذ جعل منه رئيسًا للحرفيين، أيضًا، في الأقاليم الأخرى من دولته».

وهذه الرواية من ملف الشهيد بوساي تثبت أمرين: فهي تثبت من ناحية أولى، اهتمام الساسانيين المعبَّر عنه آنفًا، بالتوطين القسري لـ"أسرى الحرب" والعمال

اليدويين في دولتهم "ولاسيما العمال الفنيين"، وهو ما تتوافر من أجله أدلة أخرى، كما تثبت، من ناحية أخرى إعداد "الورشات" الملكية بإشراف خصوصي. لقد كان يوجد تحت إشراف حامل اللقب "السوري" (res ummane)، الذي يتم التعرُّف، في موضع آخر، على هويته بما يسمونه الـ "كاروغبيد" (بالفارسية الوسيطة: *كيرّو غبيد) ورئاسته أناس تابعون له من حِرَف مختلفة، وكان قسم منهم أيضًا في حرف تخصصية. على أن ما يسمى (vursus hnotum) يوضح أن العمال الحرفيين الملكيين المسيحيين كانوا محدودين في حرية اختيارهم لمكان إقامتهم، وفي مقابل ذلك كانوا يتمتعون، مثلاً، بالحق في عقد الزواج مع غير المسيحيين، ولاسيما الإيرانيين الزردشتيين، وكان الكيرّو غبيد يمارس الرقابة، تبعًا لمحيط تأثيره، بتكليف ملكي، على العمل في ورشات المدينة، وبالتالي في ورشات الدولة، حيث أن تَقَلُّد هذه الوظيفة على مستوى الدولة من قِبَل مسيحيّ، يبدو للزردشتيين خارجًا عن المألوف والمعتاد. أما في إطار الهرم التراتبيّ لسكن المدينة، فكان رئيس العمال الحرفيين "الملكيين" يتبّوأ مكان الصدارة بين غير المختصين كما يثبت ذلك تواقيع مؤتمر الكنائس النسطورية، وحتى قبل رؤساء النقابات، على أن المركز البارز لكبير العمال الحرفيين يعد، في الوقت ذاته إثباتًا للأهمية الكبيرة للمواد المصنعة في حياة المدينة.

وكانت القوى العاملة المجّندة من قبل الدولة، أو أسرى الحرب يقتصرون على العمل في صناعة النسيج في خوزستان التي تدين بارتقائها للسوريين المهجَّرين، بل كانوا يعملون أيضًا في مهنة البناء، "نحّاتين، وصانعين للآجر، وبنّائين" كما كانوا يعملون حدادين، وصانعي أقفال وصبّاغين، ومازالت الجسور، والسدود وإنشاءات الري الأخرى تحدث آثارها في النفوس حتى اليوم . أمّا أن "العلماء" أيضًا كانوا يستجيبون طوعًا أو كرهًا لنداء الحاكم الساسانيّ. فذلك ما سوف نتطرق إليه فيما بعد. على أن حرية الدين الممنوحة من قِبَل الملك بوجه عام، وتوطين المجموعات السكانية التي تربط بينها الأواصر الإثنية أو الدينية أو اللغوية، في أمكنة مشتركة، فأمران سوف يرى العمال الفنيوّن على الأقل، من بين المهدَّرين، أنهما عوَّضاهم، عن الموطن إلى حد بعيد، بمكانتهم الاقتصادية والاجتماعية. ولا يكاد يَعْرَف شيء عن مقاومة المهجَّرين أو المعرَّضين للإلتزام القسري، وبالطبع يروي لنا الطبري أن عمال البناء هدَّدوا كسرى الثاني بالرحيل إذا لم يَدُسّوا إليهم نساءًا "مومسات؟".

ويثبت رؤساء نقابات التجار وصاغة الذهب والفضة، وكذلك سبّاكو القصدير، بين الموقعين على قائمة قديسي مؤتمر الكنائس، أنه كان يوجد، في فيهْ-أنديوك-شابور "بالسريانية: بيت لابات"، وفي أمكنة أخرى بلا ريب، إلى جانب العمال

الملكيين، والملزَمين بالعمل إلى أجل مسمى، أيضًا، عمال حرفيون أحرار، كانوا منظَّمين على طريقة الطوائف الحرفية.

وكان التجار الساسانيون يعملون في تجارة الوساطة، وكان ذلك بهدف نقل المنتجات الأجنبية من الغرب إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب، أكثر مما كان بهدف ترويج بضعائهم الخاصة: «وكان يأتي إلى هؤلاء "الهنود" الفرس، جيران الرومان، ويتحدثون عنهم بأنهم محنكون للغاية ولأنهم لا يعرفون كرامة طبيعية، تراهم كمثل البهيمة التي لا عقل لها، يضاجعون أمهاتهم وأخواتهم، وهم يرتكبون الآثام أيضًا بحق ذلك الوثن الذي ابتدعوه. ولكن يقال من ناحية أخرى إن لديهم من كل شيء ما يفيض ويزيد عن حاجاتهم.وذلك أنه لما كانت الشعوب المجاورة لبلادهم تتاح لها فرصة التجارة (potestas negotit)، يبدو أنهم ينالون من كل شيء ما يفيض ويزيد . . وإليهم تمتد بلادنا "الامبراطورية الرومانية" . . وهنا توجد نصيبين وإديسا، اللتان تتمتعان برجال طيبين للغاية من كل وجهة. وهم جد بارعين في التجارة، وهم بارعون في الصيد أيضًا. ويتميزون، قبل كل شيء، بالغنى، وهم مزوَّدون بكل ألوان المتاع، لأنهم يبيعون ما يتلقونه من الفرس من المتاع، بأنفسهم في طول بلاد الرومان وعرضها. وما يبيعونه في المنطقة الرومانية يتاجرون به، مرة أخرى مع الفرس باستثناء المعدن الخام والحديد إذ لا يباح تصدير المعدن الخام والحديد إلى الأعداء».

ثم إن (Expositio totius mudi et gentium) العائد إلى كاتب من العامين (60/359 م)، يقدم الإيرانيين الساسانيين في إطار دورهم بصفتهم تجارًا وسطاء، وذلك، بالطبع، في وضع مازال غير مواتٍ بالنسبة للتجار الإيرانيين "حتى عام 363 م": فقد كانت معاهدة الصلح بين ديوكليسيان ونارسيه، في نهاية القرن الثالث، قد طالبت الساسانيين بقبول نصيبين مركزًا وحيدًا للتبادل التجاري بين الدولتين، الأمر الذي ارتبط بإنفاق كبير للأموال وهدر للوقت للفرس. كما عاد نقل سلع الترف من الصين والهند، مادام النقل يحدث بطريق البر، وفوق ذلك أمثال هذه السلع من شرقيّ إيران أو إرمينية "وفيها، ضمن سلع أخرى، الحرير الخام والمنتجات الحريرية، وأدوات الزينة والتوابل والمواد العطرية والجلود، والعبيد الخصيان والوحوش"، حتى نهاية القرن الثالث، على الساسانيين بموارد هامة، وجعل الرومان مرتبطين بهم، كما كان الحال في الحقبة الفرتية. ولم يكن إلاّ نجاحًا محدودًا للجهود الرومانية، والبيزنطية فيما بعد، على حد سواء، للالتفاف على امبراطورية الساسانيين على خط شمالي، لكي يؤمِّنوا لأنفسهم مواقع على بحر قزوين، وفي إقليم القوقاز وفي إرمينية، وكان الشكل المحدد في صلح عام 297 لتبادل السلع يكفل الآن، للرومان موارد جمركية عالية، بينما كان هذا الشكل مرتبطًا بخسائر مالية لا يستهان بها،

وكان يحرمهم أيضًا من إمكانية ممارسة عمليات استطلاعية في إطار حبكة مرور تجارية تتخطى الحدود، حول السور العائد للخصم الغربيّ. وكان "الصلح المهين"، وهو صلح يوفيان الذي عُقِد في عام 363، والذي اضطر فيه الرومان إلى التنازل عن أجزاء هامة من شرقي العراق "منها، مثلاً، نصيبين"، كما خسروا، بعد بعض الوقت، أيضًا، نفوذهم في إرمينية، خسرانًا كاملاً، قد ردَّ إلى الساسانيين، بصورة عابرة، مواقعهم المرتبطة بالسياسة التجارية. وما من شك في أن الرومان والفرس توصلوا، منذ عام 408/409، إلى تسوية، أرْضَت في النهاية كلا الطرفين: فقد تمَّ قَصْرُ تبادل السلع على نصيبين وكان للّينيكون والحاضرة الإرمينية آرتاكساتا، وكانت هناك أمكنة، منها اثنان "نصيبين، وآرتاكساتا" تحت السيطرة الساسانية. وفي اتفاقية الصلح بين كسرى الأول وجسطنيان (562 م) يجري تكريس ثلاثٍ من المواد للمسائل الاقتصادية ومسائل السياسة التجارية، من دون الخروج الحاسم على الاتفاقية السابقة: فالمادتان الثالثة والخامسة تساندان الأمكنة الجمركية وتستكملانها بمدينة دارا "التي سرعان ما يفقدها البيزنطيون، بلا ريب"، والمادة الرابعة تستثني السلع التي يجلبها الدبلوماسيين، كلٌ بمفرده من واجب دفع الجمارك، وما عدا ذلك من القيود التجارية. والمادة الخامسة تخضع التجار العرب ومن عداهم من التجار البرابرة، على كلا الجانبين، للإشراف الصارم. أما مدى الاستفادة التي حققها الساسانيون من تجارة الوساطة، فذلك ما تكشف عنه الجهود البيزنطية في تلك الحقبة، لإدخال تربية دودة القز، وتكثيف الاتصالات مع أكسوم "إثيوبيا" وجنوبي الجزيرة العربية وعن طريق إقامة الاتصالات مع الأتراك "خلفاء الكوسانا والهفتاليين في الشرق" وتوسيع إمكاناتهم التجارية الخاصة عن طريق الالتفاف حول الوساطة الفارسية.

ومثلما كان يفعل الفرتيون وسكان جنوبيّ العراق، دأب الساسانيون أيضًا على الاحتكاك بالهند بطرق البحر، عبر الخليج الفارسي: «ويروي ماني أنه كان يمر بمرفأ فارات "فرات ميشان، عند مدينة البصرة الحالية" . . وكان هناك رجل . . في فارات يقال له أوْ"جياس؟"، رجل كان مشهورًا بسبب "نفوذه" وسلطانه على رجاله الذين كان هو رئيسهم. ورأيت كيف كان الناس الذين كانوا يتأهّبون للرحيل إلى الفرس وإلى الهنود، يختمون سِلَعهم، ولكنهم لمّا "ينزلوا إلى البحر"، إلى أن بات على ظهر السفينة . . هنالك أجابني "أوجياس."، قائلاً: "أنا أزمع "ركوب سفينة" والرحيل إلى الهنود، لكي أتلقّى . . "، غير أني قلت له: "أنا . . [وهنا ينقطع النص]».

وفي نص مانَوِيّ آخر، حول عودة النبيّ: «وحين عاد أبونا من الهند، وبلغ مدينة ريف- أردشير، أرسل البريسبيتر باتيكيوس مع أخيه، هَنّ، إلى ديب في الهند».

وفي صدد هذه الرحلة إلى الهند لا يفترض أن تهمّنا دوافع ماني إلى الرحلة إلى الشرق، بل يهمنا الظرف المتمثل في أن التجارة مع الهند "عبر فارس" كانت تُسْتَأْنف في الحقبة الساسانية أيضًا، كما تشهد على ذلك الشواهد المأخوذة من الحقبة الفرتية حق الشهادة، ولا بد أن جغرافية الهند وعاداتها وتقاليدها والمعتقدات الدينية عند سكانها، كُنَّ معروفاتٍ إلى حد بلغ منه أن النبي توجه بنفسه إلى هذه الرحلة التبشيرية. ومن الجائز، بالطبع أن يكون من الممكن وضع ديب، هدف رحلته، ورحلة تلاميذه، على قدم المساواة مع دايبول "بالنبهور الحالية، عند كراتشي، في الباكستان"، وأن رحلته انتهت به، بناءً على ذلك إلى مجرد الغرب "الأقصى" من شبه القارة، واعتبارًا من القرن الرابع تتراكم بعدئذ الإشارات إلى العلاقات بين إيران والهند، حيث تدخل مجال النظر، قبل كل شيء بعثة السوريين الشرقيين "النسطوريين، أو النساطرة"، في البحر والبر، إلى أن تصل ساحل المالا بارو إلى سيلان، وفي هذا الصدد يعي كرسي مطران ريف أردشير، بطريقة خصوصية تمامًا، بهؤلاء المسيحيين الهنود، ويتجرّأ في هذه الأثناء على أن يدعي لنفسه حقوقًا، لا تعود إليه.

وكان النشاط التجاري في الخليج الفارسي يفترض، على الأقل، وبصورة مسبقة، السيطرة على المناطق الساحلية في شمال شرقي الجزيرة العربية، ولذلك فليس مما يبعث على العجب، أنه حتى أردشير الأول لم يحاول أن يكتفي بإدخال مناطق الأهواز وميشان، في مرحلة مبكرة، في نطاق سيطرته وأن يؤسس هناك المدن فحسب، بل تقدَّم حتى بلغ البحر، كما يقول الطبري، وبعد الغارات العربية على فارس في مستهل حكم شابور الثاني، انتقم الملك بحملة على الجزيرة العربية واسعة النطاق، وحشية، وإنشاء خطوط دفاعية ضخمة في جنوبي العراق، وبتهجير العرب إلى "كِرْمان" والأهواز. أما عمان التي كانت، بفعل جوانبها الجغرافية والجيولوجية، أوثق ارتباطًا بجنوب غربيّ إيران، منها بشمال شرقي الجزيرة العربية، فكانت واقعة تحت السيطرة الساسانية منذ أيام شابور الأول على الأقل. وقد تولَّت أسرة اللخميين، بالنيابة عن "ملك الملوك" في الحيرة حماية المناطق العراقية من البيزنطيين، وهم الذين عُيِّن حتى على حلفائهم الغساسنة "العرب" وعلى بدو نجد، من قبل الساسانيين، المنذر الثالث، من أسرة اللخميين الحاكمة (503-554) سيدًا على الجزء الأكبر من شمالي الجزيرة العربية وشرقيّها، وذلك ما شمل البحرين واليمامة ونجدًا والحجاز، حتى الطائف، والحق أن النفوذ الساساني بات ملحوظًا بصورة مؤقتة حتى في يثرب "المدينة". وحين أحبط كسرى الثاني محاولة اللخمي، النعمان الثالث، زعزعة السيادة الساسانية، بات هذا الإضعاف للدولة العربية التي تتولّى ضد الأعداء على الفرس من الأسباب التي

أدت إلى انهيار الجبهة العربية بعد بضعة عقود، إبّان الزحف العاصف لجيوش النبي محمد.

ولكن سياسة الساسانيين في جزيرة العرب لم تكن مقصورة على شمالي شبه الجزيرة: فقد أرسل كسرى الأول فرقة استطلاع، بقيادة فاهريز، أوغلت فيه حتى وصلت إلى صنعاء وطردت من هناك الإثيوبيين، حلفاء البيزنطيين، وأقامت في النهاية، أميرًا واحدًا "يدور في فلك الفرس"، في اليمن. ولم يلقَ الحكم الفارسي نهايته هناك إلاّ في أواخر أيام محمد النبي. وكانت السيرة الساسانية على جنوبي جزيرة العرب، ولاسيما على خليج عدن، تهدف بالطبع إلى ضيق الخناق على التجارة البيزنطية عن طريق البحر الأحمر على نحو حاسم.

وقد كانت للساسانيين، بصفتهم شركاء تجارة، بالنسبة لسكان الشرق الروماني، أهميتهم، ولكن هذه الأهمية كانت أكبر من ذلك من حيث كونهم خصومًا عسكريين، وقد كانت الجيوش الامبراطورية وقوات "ملك الملوك" يتواتر لقاؤها تواترًا كبيرًا بما يكفي، وكثيرًا ما كانت العصابات الفارسية تخرق السور الحدودي الروماني، وينهبون ويحرقون. على أن الجند الفارسيين كانوا يحدثون في نفوس معاصريهم، من ذلك الوقت تأثيرًا كبيرًا، من حيث الظاهر البحث: «وهنا ظهر عند انبلاج الصباح حشد من الفرس لا يحصيه العدّ، وعلى رأسهم قائد سلاح الفرسان، الميريناس، وابنان للملك وكثير من النبلاء، وكان هؤلاء جميعًا فرقًا مدرَّعة، وكان كل عضو من أعضاء مغطّى بدروع من رقاع الحديد، تغطية بلغ من كثافتها أن الوصلات الجامدة كانت تتلاحم مع بنية الأعضاء وتنسجم معها، وكان الأشكال التي تحاكي الوجوه البشرية ملائمة مع الرؤوس تلاؤمًا بلغ ما فيه من العناية أن الرؤوس كان كساؤها قد تغيّر كل التغيُّر، ولم يكن من الممكن أن تعلق القذائف المرتطمة إلاّ هناك حيث يتحرر حقل للنظر محدود من خلال شقوق ضيقة تلاصق العيون، أولا ينبثق النَّفس عند الطرف الأقصى من أرنبة الأنف، مُضَيَّقًا عليه محشورًا، وان يفترض أن يقاتل فريق منهم بالرماح، وكان يقف هناك جامدًا لا يتحرك، حتى لقد في وسع المرء أن يعتقد أنهم موثقون بأشرطة من الفولاذ. وكان يقف إلى جانب هؤلاء الفِيَلة المتألّقة التي كان منظرها الرهيب وصراخها المكتوم العميق لا يكاد القلب الهيّاب أن يحتمله».

"أميانوس مارسيلينوس" كان هذا وصف الجيش الفارسي أثناء حملة الامبراطور يوليان عام 363 م. يوضح أن العمود الفقري للجيش "سْباه"، كما هو الحال في أيام الفرتيين، يتمثل في سح الفرسان المدرَّع بالدروع الثقيلة والمدجج بالأسلحة، والذي كان تدرُّع الخيل بالمعدن عنده يتعرض للتضاؤل على نحو مطرد. ويقول الطبري إنه كان يطلب في حالة الجندي الذي يؤدي الخدمة "فارسًا" في أيام

كسرى الأول، من صنوف الأسلحة "دروع الخيل، والدرع القميصيّ، ودرع الصدر وقضبان الفخذين، والسيف والرمح والترس والبلطة . . والفأس أو المِخْبَط، والكنة التي تحوي على قوسين قد شُدَّ عليهما وَتَراهما، وعلى ثلاثين سهمًا. وتحتوي، أخيرًا، على وترَيْن مفتولين". ويقول بروكوب إن الفيلق كان يسمى أيضًا فيلق النخبة الساساني، مثلما كان الفيلق الإخميني يسمى باسم "الخالدين" وكان الفرسان ذوو التسليح الخفيف يُقَدِّمهم الحلفاء، من وج عديدة، الحلفاء من أهل ساكسان وحيلان وألبانيا، مثلما كان يتم تقديم الكوسانا والهفتاليين والأتراك والعرب.

وكانت قوات المشاة تتألف من الرماة بالقوس الذين كانوا يحتمون بالتروس المطاولة والمقبَّبة والمصنوعة من ضفير الصفصاف والجلود غير المدبوغة، ومن المشاة البسيطين، وكان يتم تجنيد هؤلاء من أهل القرى، ولم يكونوا يتلقَّوْن عطاءًا، وكانوا يخدمون، في المقام الأول، الفرسان المدرَّعين بصفة أجَراء تابعين للفرسان، ويسهرون على حِراسة عربات التموين والإمداد، أو يشاركون في حفر الخنادق والاستحكامات، أو في عمليات الحصار، وكان سلاحهم الحربة والترس. وكان الفرس اقتبسوا فن الحار عن الرومان بمخالسة النظر، فأصبحوا في هذا المضمار، مع ذلك أندادًا لخصومهم على الأقل.

وكان يقف على رأس قوة الجيش، حتى القرن السادس، مَنْ يُسمّى السباهبيد، وهو معروف من النقوش الكابية العائدة إلى اقرن الثالث، وإلى جابه- بصفة قائد سلاح الفرسان، لأسبْبيد، أما اللقب المرويّ عن بْروكوب، وهو الأدراستاداران سالانيس "بالفارسية الوسيطة: آرتيشتاران سالار: "قائد المحاربين" ويفترض أنه كان يتميَّز بصفة القائد الأعلى الذي يأتي فوق السباهبيد. ويبدو كأنه من ابتداع المهرناسيه في مستهل القرن الخامس. واستبدل كسرى الأول السباهبيد، الذي كان وحيدًا حتى ذلك الوقت بأربعة من متقلدي المناصب يحملون هذه التسمية، وقد عُهِد إليهم بالقيادة العسكرية فوق ربع الدولة لكلٍّ منهم، وبرز من بين سائر كبار العسكريين "البايغوسبانان" بصفتهم قادة عسكريين في إقليم من الأقاليم؟" والمرازبة "بصفتهم قادة لمناطق حدودية؟" لقد كانت إصلاحات كسرى تحدث آثارها أيضًا بطريقة تجنيد الفرسان "بالعربية: الأساورة" الذين إذا كانوا بلا ثروة تلقَّوْا مساندة بجواد وتسليح ودفعات من المال، وكان يجري مسك دفتر بدقة حول توزيع الأسلحة، والعطاء وطبيعة الجواد والفرسان والفحص الطبي للعسكر، على وجه الدقة. أمّا القوات الحدودية التي كانت الملاحظة البصرية للمك تتوجه إليها، فكانت تخصَّص لها إقطاعات خاصة بالجند.

وكانت الاشتباكات يجري الفصل فيها، على الأغلب بهجوم سلاح الفرسان التراكميّ المُطْبِق، الذي يلقى المساندة من خلال وابل سهام الرماة بالأقواس. وفي

القلب، بالقرب من راية الدولة، كان يتوقف أمر القوات، تحميه قوات النخبة. وكان يكمن في هذه الوضعية، إلى جانب الافتقار إلى المثابرة الذي أكّد عليه أميان، عند الفرس في القتال القريب، سبب بعض الهزائم: فإذا سقط القائد أو هرب، سَلَّم الجند أيضًا بخسارة المعركة، وحتى الفرسان المدرَّعون، الذين كانوا مظفَّرين في المعارك ضد الرومان والبيزنطيين، وجدوا مُعَلِّمهم آخر الأمر: وذلك أنهم كانوا يقفون، مقابل فرسان الجيوش الإسلامية ذوي التسليح الخفيف والحركة السريعة في موقع خاسر.

«وفي الحرب ضد بيزنطة يقترح الملك (Blasses) الساساني= فهرام الخامس عام 421، بطريق المراسلة، الاقتراح التالي:" (حين يوجد في جيشكم من يكون قويًا بما يكفي للمبارزة، ويكون في وضع يمكّنه من إلحاق الهزيمة بفارسيّ انتقيُته، سوف أبرم على الفور معاهدة صلح لمدى خمسين عامًا، مع وضع الاستعداد المألوف لتقديم الهدايا). وبعد أن كان القوم قد أجمعوا أمرهم اختار حاكم الفرس فارسيًا يقال له أردازانيس من الكتيبة التي كانت تعرف باسم "الخالدين"، بينما اختار الرومان أريوبندوس وهو قوطي (comes Feoderatorum) . . فهاجمه الفارسيّ أولاً برمحه، ولكن أريوبندوس تحاشاه يمينًا، ثم قذف بالحبل فأحاط به وشَدّه عن جواده وقتله وعلى أثر ذلك وقّع الملك الفارسيّ معاهدة صلح».

وكان للمبارزة الفروسية، كما يصفها مالاس، تقاليد في إيران، غير أنها وُضِعت لها، في الحقبة الساسانية، ضوابط وقواعد دقيقة، وتمّ إعلاء شأنها من الوجهة الأخلاقية. وليس مما يبعث على العجب أن الساسانيين صوَّروا عمليّات ناجحة في صورة مبارزات، مثلما يثبت ذلك النقش البارز الذي يصوِّر معركة، والمأخوذ من فيروز آباد، أو الجوهرة المنقوشة الشهيرة، من باريس.

وكانت الفضائل العسكرية في كل العصور جزءًا من مبررات وجود الحكام الإيرانيين، ومِنْ ذلك أَنَّ ملوك الساسانيين كانوا يخرجون على رأس جيوشهم إلى القتال، ليظفروا بسيماء الزعامة وخائلها الضرورية للحكم، وليكشفوا للناس عمّا يتمتَّعون به من الحظوة لدى الآلهة، أمامهم، ليرَوْا ذلك رأيَ العين. وكان الحكام يأمرون بأن يُصَوَّروا في نقوشهم البارزة وعلى صِحافهم الفضية، وكذلك في دفاتر التاج الخصوصية، مع الثياب النموذجية الفردية التي تعد أنموذجية بالنسبة للثياب الفردية وغطاء الرأس، وعلى غرار قيصر أو أغسطس أو كزنفون كانوا يمسكون أيضًا كتبًا مرجعية تتناول فَعالهم في الحرب وفي البر وتولول، ويؤلفون كتبهم ومراجعهم العسكرية.

5/ 3/ 3] الزردشتيّون والمانَويّون والمِزدكيون والنصارى واليهود- الطوائف الدينية في الامبَراطورية الساسانية

«وبعد ذلك، وحين مات فهرام "الأول"، ملك الملوك، ابن شابور، جاء إلى الحكم فهرام، ملك الملوك، ابن فهرام، الذي كان في الدولة الشهم الكريم، والعادل الودود، والبَرَّ المحسن، التقيّ وبدافع حبه لأورمزد، والآلهة، ومن أجل روحه، هو، رفع في الدولة من مكانتي وأعلى مقامي . . وفي كل الأقاليم، وفي كل مكان من الدولة، كان يجري إعلاء شأن الطقوس والعبادات التي تُؤَدّى لأورمَزد، وللآلهة. وأتيحت للديانة الزردشتية، وللكهنة في الدولة مكانة رفيعة. ووصلت الآلهة، و"الماء" و"النار" و"الحيوانات ذوات النفع" في الدولة، إلى الرضى الكبير. غير أنَّ أهريمان وسائر الأوثان، أصابتهن ضربات فادحة ومَسَّهن الضُرُّ العظيم والخطب الجلل. وتلاشت من الدولة تعاليم "الضلال" التي تعود إلى أهريمان وباتت سائر الأوثان غير جديرة بالإيمان بها، وتمَّ توجيه الضربات القاصمة إلى اليهود، والبوذيين "الشامان" والهندوس "برامان" والناظريين "النصارى" والمسيحيين، والمعمدانيين "المكَدْاغ" والمانويين "الزنادقة" في الدولة، وأُتْلِفَت صور أوثانهم وأبيدت أمكنة عبادتها، وجُعِلَت أمكنة للآلهة ومقارًا لها».

ويتحدث "الكاهن" كيردير، في النقوش الكتابية العائدة له، عن تنمية الزردشتية في الدولة بفضل جهوده في أيام الملك فهرام الثاني (276-293)، واضطهاد طوائف التعبُّد الأخرى. وبالقياس إلينا تُعَدُّ هذا الرواية ذات دلالة بعيدة المدى على وجه الخصوص، لأنها تستعرض من ناحية، الاتجاهات العقائدية المختلفة في الدولة فتذكر كلاً منها باسمه، كما تلفت النظر، من ناحية أخرى، إلى طور معيَّن من أطوار التعامل السياسيّ مع الأقليات الدينية التي يترتَّب أن نوردها بترتيبها التاريخيّ.

وإذا حاول المرء تمييز الزردشتية بسمات معينة في الحقبة الساسانية، فسوف تواجهه معضلة ذات تضاعيف ثلاثة: مشكلة عدم التوحيد وعدمِ التزامن في التراث الدينيّ المدوَّن في إيران، وكثرة آراء الباحثين التي يستبعد كلٌ منها الآراء الأخرى على نحوٍ متبادَل في المسائل التفصيلية، وأخيرًا أيضًا الافتقار إلى الدقة في المفاهيم، وكذلك التصوُّرات الجامدة المُقَوْلبة، التي مازالت تُحْدِث آثارها حتى اليوم، في الأبحاث القديمة. ومع ذلك توجد بعض النقاط المبدئية التي لا تعد موضع تنازعٍ أو جدل: لقد تمَّ إدخال إيران الساسانية في الزردشتية بقدر لم يسبق له مثيل قطّ في تاريخها من قبل، ثم إن الطابع الديني للثقافة الخاصة بالحقوق، والأدب ورمزية الصور، ومع هذه أيضًا، على سبيل المثال، العادات والتقاليد المتصلة بالدفن في تلك الحقبة، "عرض الجثمان في العراء ودفن العظام" يقدِّمن شهادة بليغة على هذا.

وكانت السلطات الدينية تسهر في كثير من الأمكنة، من القرية وأمكنة العبادة المحليّة، إلى بلاط الملك، على عبادة الرب، وأداء الطقوس والمحافظة على التقاليد الدينية. وفي هذا الصدد يجب ملاحظة عملية إخضاع المناصب والوظائف لنظام التراتُب الهرميّ من ناحية أولى "أنظر ما سبق" ومراكز العبادة من ناحية الأخرى. على أن التدوين الخطيّ الأول للأفيستا، الذي شجعه الأنموذج الذي يحتذى به، والتنافس بين التوراة والكتاب المقدس والكتب المانوية، وكذلك تضاعف الكتابات الموجهة نحو النصوص المقدسة، جعلاً من الزردشتييّن "أهل كتاب"، وباتوا أولي أهمية فائقة للتاريخ اللاحق لطوائفهم. وكان الملوك الساسانيون يظهرون تشجيعهم للعقيدة الزردشتية ويقيمون النيران المقدسة والأمكنة المقدسة، ويفاخرون بقربهم من الآلهة وعلاقتهم الطيبة بها. وكانوا يستمدون المشروعية، كما سبق أن رأينا، في جزء لا يستهان به منها، "من رحمة الرب" المرتبطة بحكمهم. وكانت الأوقاف الموقوفة للموتى "وللأحياء"، (بالفارسية الوسيطة:روفانغان) تمثل تعبيرًا عن اهتمام المؤمنين بالمصير الذي تصير إليه الروح بعد الموت، وكان في وسعهم أن يثبتوا خدمتهم للمجتمع أو معونتهم لذريتهم تبعًا للجهة الي يفترض أن تعود إليها العوائد من هذه الأوقاف".

وثمّة كثير من الأمور يظل غير واضح، هل كان الملوك زردشتييّن "متمسكين بأهداب الدين" أم كانوا من أتباع "الهرطقة" الزورفانية (zurvanistisch)؟ وهل حظر أوائل الساسانيين عبادة الصور بالفعل واستبدلوا، بها، عبادة النار؟ وهل حدث، منذ أيام أردشير الأول، إضفاء للقدسية على الأفيستا، مثلما يريد الدِّنكارد أن يحملنا على الاعتقاد بذلك؟ وأخيرًا: هل كانت الزردشتية عند اقتحام الإسلام ديارَها، ديانة تجمَّدت في طقوس وشكليات، وكانت قد أصبحت، في مطالبها المادية أو الأخلاقية-الروحية، على حد سواء، أقرب إلى أن تكون ثقيلة على المؤمنين، ومن دون قوة إقناع، يُعْوِزُها الانفتاح على العالم والاستعداد للإصلاح؟ أم كان الحال نقيض ذلك، وهل كانت الظروف الخارجية وحدها هي الي جعلت منها ديانة أقلية؟ وهل أدى التفسير بالمبنيّ على فعل الإنقاذ الذي يقوم به الرب من أجل الإنسان، لانتصار الإسلام إلى تغيير نظرة بعض المتأملين المُحْدَثين؟.

على أن تاريخ النصارى في الدولة الساسانية يثير من المشكلات قدرًا أقل، حتى وإن كان يظل في تاريخ الكنيسة "محجوبًا مغيّبًا على نحوٍ متواتر بما يكفي.

كانت الطوائف المسيحية قد انتشرت في العراق وفي إيران في ظل الحكم الأرساكيّ، والساساني فيما بعد، في القرن الثاني الميلادي، حيث لابد أن تكون إديسا لعبت دورًا هامًا في هذا من حيث كونها مركزًا للتبشير المسيحيّ. ومع ذلك لا يعود الإسهام الحاسم في ترسيخ جذور المسيحية في الدولة الساسانية، إلى

هذا "التحويل الأول إلى العقيدة الإنجيلية" بل يعود، بالأحرى، إلى تهجير بضع مئات الألوف الذين كان معظمهم من المسيحيين، من سكان سورية وقيليقيا وقبدوقيا، ذوات السمة الرومانية، على يد شابور الأول. ويتحدث كل من الرواية الكبرى للساسانيّ عن فَعاله، والحوليات العربية- المسيحية التي وضعها سيعيرت (Secert)، على حد سواء، عن أن المهجَّرين تم توطينهم في العراق وفارس وفرتيا، ولا يمكن أن يكون هناك شك في أن الأسباب التي دفعت شابور إلى تحويل السكان بهذه النسبة الضخمة كانت، قبل كل شيء، أسبابًا إقتصادية وديمغرافية، ولم تكن، مثلاً، أسبابًا تتعلق بالسياسة تجاه الأديان. ويمكن أن يثبت هذا توطين المُبْعَدين في مدن ومستوطنات حديثة التأسيس أو تم تغيير أسمائها، واقعة في مناطق خصبة، ومع ذلك فهي قليلة السكان، مثل خوزستان أو ميشان، وتكريس مشروعات البناء الكبرى لها، وكذلك القَدْر الكبير على نحو ظاهرٍ للعيان من العمال الفنيين والعمال اليدويين الموجودين بين صفوف المهجَّرين، وعلى غير إرادة منه كان شابور يشجع، بسياسته انتشار التراث العقائدي المسيحيّ والطوائف المسيحية، وربما سَرَّع هذه العملية، في هذه الأثناء، إجراءاته الهادفة إلى المساندة الاقتصادية للمستوطنين الجدد، وكذلك الشعور بالانتماء إلى أصل مشترك بين الإخوة في العقيدة، وشعورهم بالارتقاء الاجتماعي، وربما أضيف إلى ذلك أيضًا النظرة القائلة بإمكان الإفلات من قبضة الاضطهاد الديني "في أيام فاليريان". وكما تثبت كل الشواهد، دامت فترة الهدوء والازدهار بالنسبة للمجتمعات المسيحية إلى أيام حكم فهرام الثاني (277-293) الذي انتهت الأمور في أيامه إلى الاضطهادات الأولى. وقد كانت حالات وفاة المضطهدين، أو استشهادهم تشكِّل، بالطبع، الاستثناء، حتى الأربعينات من القرن الرابع، ومثال ذلك كانديدا، الزوجة الثانية لفهرام. وفي مستهل هذا القرن الجديد أصبحت دولة الساسانيين عندئذٍ ملاذًا لبعض النصارى القادمين من شرقيّ الامبراطورية الرومانية، وهم الذين كانوا، قبل عمليات الاضطهاد، يلتمسون الحماية في ظل غاليريوس. ومنذ نهاية القرن الثالث كانت الأمور قد انتهت، داخل المسيحية في دولة للساسانيين، إلى أشكال التوتر الأولى التي نشبت حول مسألة التنظيم الكنسيّ، أي حول مشكلة هل يحق لأسقف سلوقيا- قطسيفون أن يتمتع بمركز الصدارة بين أساقفة الدولة أم لا. وما من شك في أنه يبدو أنَّ المطامح الشخصية والعداوات الشخصية لعبت في هذا النزاع دورًا أكبر كثيرًا مما لعبته الأسباب ذات الصلة بالتاريخ أو بالحقوق الإدارية في الكنيسة. وعلى كل حال فقد انتهت الأمور، في مجمع نيقية عام (325)، إلى أن لا يكون ممَثَّلاً من بين أساقفة الدولة، ويُظَن أنه يوحَنان بار مريام الإربيلي.

وقد نجم لنصارى الدولة الفارسية في تلك الأيام، موقف سياسي جديد: فقد

حصلوا في أيام شابور الثاني، من ناحية أولى، على رئيس جديد كان يرى أن مهمته الرئيسة تتمثل في مراجعة لصلح نصيبين الذي أُمْلِيَ عليه (297 م)، وبجهز، بكل قوته، لشَنّ الحرب على روما، ومن الناحية الثانية، تحوَّلوا إلى أناس ومأمورٍ بحمايتهم من قِبَل الامبراطور الروماني قسطنطين، الذي كان يرى أنه سيدَ المسيحيين قاطبة، وذلك من دون أية مساندة، أو جهود من ناحيتهم. وكان دوره المحتمل، بصفته طليعة سياسية لروما، يُرى أيضًا بعين شابور: ففي (340/04/17 أو 341)، وبعد حالات الإخفاق الأولى التي نزلت بالساسانيين في كفاحهم المتجدد ضد روما، أصبح شمعون "سيمون" البارسَبَعي، المطران الجديد لسلوقيا-قطسيفون، وطُلِب إليه، من قبل الملك، أن يُحَصِّل ضريبة خصوصية لتمويل تكاليف الحرب. وكان رفضه بمثابة الفصل الافتتاحي الأول اصطهاد منهجيّ للنصارى في دولة الساسانيين. ففي كتاب آلام الشهداء ينسِب شابور إلى الأسقفَ دوافع سياسية لموقفه: «وقال الملك: إن شمعون يريد أن يدفع تلاميذه وشعبه إلى التمرُّد على جلالتي ويجعل منهم عبيدًا للامبراطور الذي ينتمي إلى عقيدتهم، ولذلك لا يمتثل لأوامري».

أمّا أن النصارى لا يعرِّضون أنفسهم لشبهة كونهم يشكلون طابورًا خامسًا لروما، فذلك ما توضحه فقرة متقطعة من كتاب ‹Demonstrationes› للحكيم الفارسيّ، أفراهات، أهم الممثلين الفكريين للمسيحيين في الدولة الساسانية في تلك الحقبة: «إنما يأتي الخير لشعب الرب، والخير يظل عند من يأتي الخير على يديه "قسطنطين". وإنما تمَّ إيقاظ الشر أيضًا من جراء الجيش الذي اجتُذِب عن طريق الشر، فيا أيها المتعاظمون والمستكبرون "شابور" . . إن تلك الدولة "الرومانية" لن تهزم لأن الرجل البطولي، الذي اسمه يسوع، يأتي بالقوة، ويمثّل تسليحه تسليح جيش الامبراطورية بأكمله».

وبالنظر إلى الحدود التي لا يكاد يكون من الممكن ضبطها أو التحكُّم فيها، بين كلتا الدولتين في العراق وفي إرمينية، يبدو أن المأخذ الآخر الموجَّه إلى النصارى، ليس مما لا يتماشى مع الحقائق، فقد جاء في حوليات أرابيلا، ضمن أمور أخرى: «وهم "اليهود والمانويون" يصرحون "للكهنة" بأن النصارى كلهم جواسيس للرومان. وبأنه ما من شيء يحدث في المملكة لا ينقلونه مكتوبًا إلى إخوانهم هناك».

أما تصوُّر النصارى لأنفسهم في تلك الحقبة فذلك ما لم نطَّلع عليه إلاّ بالقدر غير الكافي. فنحن لا نعرف إلاّ القليل عن ألوان النشاط والأعمال المفضلة التي كانوا يمارسونها، بل يعد أقلَّ من ذلك أيضًا معرفتنا بالظروف الأخرى التي كانت ترتبط بحياتهم، وباهتماماتهم المشتركة. وإنما يجوز للمرء أن يتكهن، بحق، بوجود اهتمام خصوصي بحرية ممارسة العبادة وبحرية ممارسة التنظيم الكنسيّ والتجمُّع،

الطوعي، في أمكنة تضمن الاحتكاك المباشر الوثيق فيما بينهم وتكفل لهم أسلوب الحياة المسيحية. أما تسميتهم لأنفسهم فنحن نعرف من فصول الشهداء أنهم يفهمون أنفسهم على أنهم من "العامّة" (عامّة)، وهذا ما يتماشى مع الكلمة اليونانية (ethnos, laos). وأما في المواقف الاعتقادية أو في الكتابات حول العقيدة، فنجد إلى جانب التسميات المستعملة في وصف حياة القديسين، مثل: "مؤمن" أو "طاهر" أو "عادل"، أيضًا، مصطلح "شعب الله"، أو التسمية المستمدة من الكتاب المقدس، أو مصطلح "شعب" الذي يصدر عن الوثنيين "واليهود". وربما يشير إلى الأصل الإثني، أو، بعبارة أفضل، إلى الأصل الثقافي- الجغرافيّ للمسيحيين، مصطلحا النصرانية "المحليين" والكرستيني "المسيحيين الذين تمّ تهجيرهم فيما سلف، وذريتهم". وهي كلمات تجد ما يتلاءم معها في كلمة كيردير: نصرا وكرستين حيث تستعمل التسمية بالنصرانية في روايات الآلام على سبيل الحصر تقريبًا، من قبل المضطهِدين "بكسر الهاء". وكان المسيحيون يسمّون أنفسهم في هذه الحقبة، ميشيحَيه "أي أولئك الذين يؤمنون بالمسيح" "كريستوس"، ومن الواضح للعيان أنهم أصبحوا، فيما بعد "الكرستينه". ويجب ملاحظة أن الهوية اللغوية للمسيحيين، وقد كانوا يتكلمون، مثل المانويين أيضًا، في معظمهم بالسريانية، أما في أوساط المهجّرين وذريتهم فقد لبثوا،ردحًا طويلاً من الزمن، يتحدثون باليونانية بلا ريب، ولم يكونوا يلعبون في الدولة الساسانية دور أناس خارجيين أو دور أقلية: فمن ناحية أولى كانت السريانية واسعة الانتشار، ومن ناحية أخرى، كانت لغة الملوك والكهنة، وهي الفارسية الوسيطة، لا تُعَدُّ، في مضمار حكمهم المتعدد اللغات، لغة الدولة ذات الامتياز، بل لم تكن تعد حتى من اللغات المشتركة ذات الاستعمال الواسع النطاق. وحتى في هذه النقطة كان الساسانيون يتمسّكون بالأنموذج الأرساكيّ الذي أثبت حُسْن بلائه. ولا يمكن أن نستبعد أن المسيحيين كانوا، في الحياة اليومية أيضًا، يُفْهمون، بصفتهم سكان مدينة، أو إقليم، على أنهم من أهالي إيرانشهر، غير أن العالم في ملفّات الشهداء،لا يكون مقسّمًا بين "الرومان" "والفرس"، بل يكون مقسّمًا بين "شعب الله" و"الواقفين خارج إطار هذا الشعب" وبالتالي: "غير المؤمنين". ولئن لم تكن تنجم، بحكم العادة والمألوف، للمسيحيين ألوان من صراع الولاء، بين الرب الإلهي والرب الدنيويّ، مادام لا يمكن تقييم كلا الشكلين من الطاعة على أساس أن كلاً منهما يستبعد الآخر، فقد تغيّر هذا من جراء سياسة شابور الثاني التي كانت تطالب باتخاذ قرار حاسم بترجيح واحد من هذين على الآخر، مثلما يوضح هذا الحوار بين الملك والأسقفّ الشيخ، شمعون، الذي يمكن أن يُصادَف على هذه الصورة أيضًا في سير الشهداء الغربية: «وقال الملك: "فأين إذًا مُوادَّتُك لي؟" وقال شمعون: "ما من شك في أني أحبك، وفي كل حين

أصلي أنا وشعبي من أجل جلالتك، كما تأمرنا بذلك كتبنا، غير أن محبة إلهي أفضل من مُوادَّتك، أيها الملك».

وأعقبت عمليات الاضطهاد لتي قام بها شابور، بعد فترة توقُّف قصيرة، بعد عقد الصلح مع يوفيان عام 363 م اضطهادات أخرى، أقصر، حتى منتصف القرن الخامس. وفي مؤتمر للكنائس في سلوقيا - قطسيفون عقد في عام 420 م أنشأ المسيحيون لأنفسهم تنظيم كنائسهم الخاص. بهم مع تراتُب هرميّ خاص أما إمكانية إدخال بطريرك كنيسة الدولة في أنطاكية في حالات النزاع بين أساقفة "كنيسة الشرق" الجديدة ورئيسها فقد قطع دابرها مؤتمر للكنائس في شرقي سورية، رفض أن يقبل بعد ذلك مرجعًا يتم الرجوع إليه فوق الكاثوليكوس الخاص بالمنطقة، وبذلك باتت الكنيسة المسيحية في امبراطورية الفرس مستقلة استقلالاً نهائيًا، وقائمة بذاتها، وبالنتيجة سرعان ما أطلق رئيسها على نفسه اسم "الكاثوليكوس-البطريرك" أيضًا، وإذا كان المؤتمر الكنسي المنعقد عام 410 لايزال، في أخذه بمقررات النيكينوم عام 325، لايزال يظهر توافُقَه مع التطوُّر المذهبي لكنيسة الدولة الرومانية، فقد قطع المسيحيون الساسانيون، بقبولهم المُلْزِم للعقيدة النسطورية في المؤتمر الكنائسي الذي انعقد في بيت لاباث، في نيسان عام 484 م، هذه الجسور أيضًا، ولم يأت هذا القطع من دون إعداد أو تحضير. فمن ناحية أولى كانت نظرية الطبيعتين عند نسطوريوس قد وجدت أتباعها على وجه الخصوص في المناطق الحدودية من فارس، أيْ: في "مدرسة الفرس" في إديسا، مثلاً، ومن ناحية ثانية، تخلص القوم بذلك أيضًا من شبهة التآمر مع الدولة الرومانية، وتجنَّبوا عمليات الاضطهاد التي كانت تتجدَّد.

«ولم تكن المسألة . . حيث انفصلت كنيسة الشرق أوَّلاً بسبب توجُهها نحو المذهب النسطوري، بحكم كونه "نحلة تقوم على الهرطقة، عن عصبة كنائس النهج القويم "الأرثوذوكس" بل كانت كنيسة الدولة الرومانية ذاتها، آخر الأمر، هي التي عمدت، عن طريق تقييمها المبنّ على فعل المسيح من أجل خلاص البشر، للامبراطورية ولامبراطورها، إلى نبذ تلك الكنيسة القائمة وراء حدود الامبراطورية- وذلك، في الحقيقة على غير إرادة منها، بل بدافع ضرورة داخلية، إذ انضمت تلك الكنيسة على أثر ذلك إلى عقيدة كانت في نظر كنيسة دولة الرومان الشرقية "ذات مذهب مبنٍّ على الهرطقة" ‹Hage›».

وكان الملوك الساسانيون يواكبون هذا التطوُّر بارتياح، وكانوا يستخدمون الأساقفة المسيحيين رُسُلاً ومستشارين، ويتسامحون حيال الإدخال القسري للمسيحيين الآخرين في المذهب النسطوريّ، ويشجعون، لمصلحتهم الخاصة أيضًا، الثقافة والعلم النسطوريَّيْن، ومثال ذلك ما كان يحدث في المدرسة الفارسية التي

نُقِلت من إديسا إلى نصيبين، أو في جنديسابور في خوزستان "أنظر ما يلي". وكانت ألمع الشخصيات المسيحية في تلك الحقبة شخصية برسومه، الذي كان يمارس فرض المذهب النسطوري بحزم وعزم متميِّزَيْن، وقد أسس المدرسة في نصيبين من جديد، وكان ناشطًا في الحقل السياسي أيضًا إلى أقصى الحدود، وتسبَّب، بنزوعه إلى التمرُّد والعصيان، في حدوث انشقاق. على أن الوضع المفيد للنساطرة على وجه الإجمال لم ينقطع حبله إلاّ من جراء النفور غير المكتوم من جانب كسرى الأول، تجاه الكاثوليكوس مار آبا، وعمليات الاضطهاد في أثناء الحرب ضد بيزنطة (540-545)، وكذلك إيغال هرقل المظفَّر في الأراضي الفارسية. على أن غربة مستديمة بين الملوك والنساطرة لم تتسَّبب في هذا كله، بل كان مما يثير الصعوبات في وجه هؤلاء المسيحيين ويكلفهم الجهود الكبيرة، الخوض في المجادلات مع أتباع العقائد المسيحية الأخرى. وحين زحف العرب ضَنّوا مع ذلك على الساسانيين بمساندتهم. وقد يكون من الدوافع التي حملتهم على الاستقبال السلمي للأسياد الجدد، في هذه الأثناء، ما كان يُحِسُّ به المسيحيون الفرس من القرب من القبائل العربية المسيحية.

وكانت المجموعات الأخرى المسيحية، أو المجموعات المتأثرة بالمسيحية، تخوض في مجادلات مع المسيحية "الأرثوذوكسية" العائدة إلى العصر الأول، ولاسيما في العراق: ويجب التذكير، ضمن أمور أخرى، بأتباع الباردايصان والماركيونييّن، أو، مثلاً، بالتيارات الجمة في الغنصوصية التي كانت تنتمي إليها طائفة المعمدانيين المطبوعة بالطابع اليهودي-المسيحيّ، وهي طائفة الإلخاسائيين التي كان ينتمي إليها "ماني" الذي ولد بتاريخ 216/04/14 في بابل، منذ عامه الرابع وحتى إفضائه بتعاليمه. وحين خرج ذاك على الملأ، في عام 240 م على ما يُظَن، فعل هذا أوَّلاً، بصرف النظر عن موطنه الأضيق، خارج حواضر الامبراطورية، الساسانية، أي في الهند، وفي منطقة الحدود الساسانية-الرومانية، في العراق الأعلى، ولم يظهر في البلاط أيضًا إلاّ بعد أن تسلَّم مقاليد الحكم شابور الذي كان يتوقَّع منه صراحة في المسائل الدينية أكبر مما كان يتوقع من أردشير، ويظن أن ذلك كان بتوصية من شقيق شابور، بيروز.وحين بات ماني في حاشية الملك وزُوِّد فيما بعد برسائله التي تحميه، دفع برسالته قُدُمًا إلى الأمام. والحق أنه يمكن تَبَيُّن الروايات المانوية المطهَّرة من التحسينات في الأسلوب فيما يتصل بسيرته، ومن ذلك قوله: "إن التقاء ماني بشابور لم يُؤَدِّ إلى إدخال الملك في مذهبه، وأنه ظلت بين كلتا الشخصيَّتين مسافة لا يستهان بها، "زوندَرْمن"، وما من شك في أنه لا يمكن إنكار أن الساسانيّ الثاني أظهر اهتمامًا واضحًا بنظرية ماني. ولا يجوز أن يُساء فهم البعثة التي يُظَن أن من الواجب تأريخها بالأربعينات من القرن الثالث، لباتّيكيوس ومار أدّان بوساطة

ماني، إلى الدولة الرومانية، التي تركت النظرية المانوية تضرب بجذورها، ولاسيما في مصر، وفيما بعد في تدمر أيضًا، في هذه الأثناء على أنها بعثة سياسية تهدف إلى زعزعة استقرار الحكم الروماني. ثم إن التطوُّر غير المُعَوَّق لنظرية ماني التي تقوم على التوفيق بين المذاهب المتعارضة، في دولة الساسانيين تواصل أيضًا بعد موت شابور الذي كان هذا النبي قد أهدى إليه كتابه "شابوراغان"، وكان ذلك مكفولاً له في عهد ابنه هورمِزد (270/72-73) ولم يجر الخروج على هذه السياسة التي كانت للأسلاف إلاّ في عهد الولد الأكبر لشابور، فهرام الأول: فقُبَيْل موت الملك أُمِر بالتوجُّه إلى بلاط بيت "جنديسابور"، ومات هناك في السجن، أما إلى أي مدى يتحمل الكهنة الزردشتيون في البلاط، بالفعل، المسؤولية الرئيسة عن موت ماني، كما ينسب ذلك إليهم المانَويّون، فذلك ما لا سبيل إلى الفصل فيه. وإذا فسَّرنا الشواهد المانوية على وجهها الصحيح فإن الاضطهاد العام للأقليات، الذي يحدثنا عنه الموباد كيردير في نقوشه الكتابية، لا يبدأ على الفور بعد موت مؤسس الديانة، بل لا يبدأ ذلك إلاّ بعد ثلاث سنوات من مهلة الصَوْن والمراعاة. وما من شك في أن الاضطهاد توقَّف، فيما يتعلق بالمانويين حتى السنوات الأخيرة من حكم فهرام الثاني، وأُعْدِم زعيم الطائفة "الأرشيوغوس" مارسِيسّين "سيسينيوس" الذي خلف ماني، وتحاشى ذلك كثير من المؤمنين بالنزوح إلى منطقة الشرق الرومانية وإلى الجزيرة العربية، وعلى وجه الخصوص بعيدًا، إلى الشرق، حيث كان قد أقيم مركز للتبشير بالمانوية ثم خَفَّت حدة التوتر في الوضع بصورة عابرة، حين تمكَّن الأرشيوغوس التالي، إينّايوس من شفاء الملك من مرض شديد الوطأة، وتمكن، بالاشتراك مع حاكم الحيرة العربي، من حمل الملك نارسيه على اتخاذ موقف أكثر تسامحًا. ومع ذلك فقد استؤنفت عمليات الاضطهاد من جديد في أيام ولد نارسيه، هورمِزد الثاني. أمّا مايلي هذا من تاريخ المانويين في العراق وإيران في العهد الساساني فلم يجر البحث فيه إلاّ بقدر غير كاف: فأمّا سِير الشهداء المسيحية فلا تعرفهم إلاّ شاجبين للمسيحيين، إلى جانب اليهود والزردشتيين ولكن حتى حين كانوا ضحايا لاضطهادات شابور الثاني، وكان المسيحيون يحرصون، في القرن الخامس، من ناحية أخرى، على أن لا يأتي موقف الملوك المبني على حسن النية تجاههم، لصالح المانويين "الهراطقة". ويقال إن كافاد وكسرى الأول اضطهدا أتباع ماني، ولكن لا يستطيع المرء أن يكون على يقين في صدد هذه الأخبار، من مسألة هل يوجد هنا خلط بين المانويين والمزدكيين.

وحتى منذ أيام ماني كان تلميذه، مار أمّو يمارس التبشير برسالته في شرقي إيران، وأصبحت المناطق هناك، فيما بعد، مراكز لنشر المانَويّة- على درب الحرير/ طريق الحرير- إلى آسيا الوسطى والصين. أما احتكاك المبشرين بالبوذية ذات

الشأن والخطر، والموجودة في حوض التاريم فتنبئ عنها في هذا الصدد مصطلحات النصوص الفرتية- المانوية، وفي دولة الويغورين (من عام 762 إلى انهيارها في عام 840) أصبحت المانوية حتى "دين الدولة". وظلت الطوائف المانوية والأديرة المانوية، بعدُ، على مدى القرون، ولاسيما على درب الحرير/ طريق الحرير "في دولة كوشو عند طُرْفان، التي ترجع إلى مجال سلطانها المصادر الخطية المانوية الغنية، والشواهد الأثرية- وفي جنوب الصين، في ثوب ذي سمة محليّة.

وقد وصلنا تمييز لتعاليم مؤسس الديانة منه، ذاته: «الديانة التي اخترتها، أنا "ماني" تَفْضُل الديانات الأخرى، السالفة، إلى حد بعيد، في عشر خصال، أولها أن الديانات التي سلفت قبلها كانت مقصورة على بلد واحد ولغة واحدة، ولكن دياني معروفة في كل بلد، معروفة بكل اللغات ويجري تعليمها في أقصى البلدان- والثانية أنه مادام هناك، في الأديان السالفة قادة أطهار خُلّص، كان أمرها على ما يرام، ولكن كان القادة إذا ماتوا دخلت ديانتهم في دوّامة من الفوضى والاختلاط، واسترخَوْا وأصابهم الوَهْن في الأقوال والأفعال، ومن خلال . . "ولكن دياني ستظل "نتيجة" للكتب الحيّة، وللمعلمين، والأساقفة والمختارين والمستمعين، ومن خلال الحكمة والأعمال، باقية إلى النهاية- والثالثة: أن النفوس السالفة التي لم تكتمل أعمالها في ديانتها هي، تأتي إلى دياني. فمن أجلها هي على وجه الخصوص ستأتي إلى باب الخلاص- والرابعة- أن إفضائي هذا بالمبدأين وبكتبي الحية، وبحكمي، وبمعرفتي، هو أفضل إلى حد بعيد مما قدمت الديانات الأسبق- والخامسة: أن كل الكتابات، والحكمة، والحكايات التعليمية في الديانات السابقة، إنما نشأت لأنها إنضمت إلى دياني هذه» . . .

وبعد مطالعة هذا الشاهد ربما كان في وسع المرء أن يفهم لماذا بدت تلك العقيدة الجديدة للمسيحيين والزردشتيين في صورة هرطقة على وجه الإطلاق ولماذا كافحوها بمثل هذا الحزم والتصميم؟. لقد ظهر هنا امرؤٌ كان يعتقد أنه يستطيع أن يلخِّص الأديان العالمية الكبرى "المسيحية والزردشتية والبوذية وبذلك يتغلَّب عليها في الوقت ذاته، وهو الذي أشار، في موضع آخر، إلى زردشت وبوذا وعيسى المسيح وباولوس بأنهم أسلافه، والذي كان يسلك تصوُّراته في عالم المفاهيم الخاص بمن يمارس معهم التبشير "وبذلك يُسَهِّل على هؤلاء الانتقال إلى العقيدة الجديدة" والذي كان يربط هذا كله بنقد فظ غليظ موجّه إلى متقلدي المناصب من المنافسين له وللبُنى المتحجرة الجامدة في مجتمعاتهم أمّا أنه وجّه بالاستناد إليهم في إنشاء "كنيسته" (رئيسًا واحدًا) واثنَيْ عشر معلمًا واثنين وسبعين أسقفًا "وثلاثمئة وستين من أعضاء المجالس الكنسيّة"، والكتبة والوُعّاظ و"الموسيقيين الكنسيين" ورؤساء الأديرة، فربما كان في ذلك ما زاد في غيظهم. وقد حرص ماني على أن

يحتاط من أجل الوقت الذي يلي موته فلكي يستطيع، خلافًا لما جرى لزردشت وبوذا وعيسى، أن يقرر بنفسه، انتقال تعاليمه بالتوارث من جيل إلى جيل، قانونًا مدوَّنًا أوصى به جماعته بصريح العبارة وبإلحاح شديد.

وما من شك في أن المسألة لم تقتصر على الإفضاء بالديانة وأدائها، بل كانت العقيدة أيضًا تفتن فتنة شديدة: فقد تمَّ تفسير أصل الشر في العالم وإمكانات التغلُّب عليه تفسيرًا مجسّدًا "بالقصة والتصوير المجازي، وعُرِض على الناس، عن طريق معرفة امتزاج الخير بالشر، والنور بالظلمة، طريق إلى الخلاص، واقتُرِحت بالتأثير المشارك من أجل تغير هذا الظرف عن طريق تصفية جزيئات النور من الدنيا، مهمةً من المهمات. وفي هذه الأثناء كان يبدو للعيان أنه لم يزعج المؤمنين أنَّ ماني كان يفرِّق بين فئتين من الناس- وكان يفصل بينهما أيضًا في المؤسسات "المختارين" (باللاتينية: electi) والمستمعين (auditores) فبينما كان "المختارون" يعيشون حياة متطابقة كل التطابق مع إملاءات ماني، كلٌّ على طريقته، في مجتمع من الرهبان كانوا يستطيعون فيه أن يمارسوا فيه تصفية أجزاء الضوء على نحو جيد على وجه الخصوص، كان "المستمعون" يصبحون، في الحقيقة، من جراء مهمتهم المتمثلة في تحضير الغذاء للمختارين "مذنبين" بسبب إصابتهم للجزيئات الضوئية، غير أنهم كانوا يشهدون مع ذلك تبرئة من خطاياهم، ويستطيعون أن يأملوا أن يتحوَّلوا، عن طريق تجوال الأرواح، إلى "مختارين". وليس مما يبعث على العجب أن المانوية استطاعت أن تصبح، بفضل أمثال هذه المزايا الفكرية والتنظيمية على حد سواء، والتي جاء بها مؤسساها، ديانة عالمية، بالفعل، على الرغم من عمليات الاضطهاد، وأن تبقى على مر القرون أيضًا.

وفي تنافس مع الزردشتية، ظهرت، في القرن الخامس الميلادي، "هرطقة" أخرى أيضًا، هي المزدكية: «وهذا من جانب أعداء الدين، ومن جانب الهرطيق الأول، أي من جانب أولئك الذين أُطْلِق عليهم اسم "المزدكيين "مازداكيجيز"، كما يقول "الدين" عنهم أمّا ديني هذا فلتنظر فيه بطاقة عقلك، أيْ زردشت، عندما يبشِّر الكثيرون الذين أَنِسوا الهراطقة، بالعدالة، والعمل، وحتى الكهنة يبشِّرون بالبراءة، وما من شك في أنهم لا يؤدّون من الأعمال الظاهرة الجلية إلاّ القليل. وهذا ما "قيل" في الديانة المزدياسنية "الزردشتية": ألا فلتنظر إلى الدين ولتلتمس وسيلة ضده وضد أولئك الذين كانوا، في أي أمرٍ كان، أكثر عنادًا ومعارضة منه، في هذا الوجود الدنيوي، وفيما لا سبيل إلى مَسّه، ألا إن العدالة الفطرية "أسنوماند" أهلابيه" (هي التي) تمثل أفضل الأشياء الموجودة، وكذلك "تبشر" الديانة المزدية، قائلة: "وعلى الأسر فلتوزعوا الأنصبة المقسومة. وإنما العمل من أجل ذوي المرء وأهله "إكسفيشان"، كما يقولون، وهم يعطون الحصة

لذويهم. أما الطعام فينظرون إليه على أنه عقد "باشن"، أي أنهم يقولون: ينبغي أن يكون الأكل على قدْر الجوع. وأما الذرية "تاماغ" فيقولون فيها إن القرابة إنما تأتي من طريق الأم، وهم يلدون على طريقة الذئب، أي أنهم يعملون شيئًا بطريقة الذئاب. وأمّا إنجابهم فيحدث تبعًا لمسار المتعة، ومثلما يعدو ولد الذئب وراء أمه يقررون أيضًا آصرة القربى تبعًا للأمهات. وهم يشترون النساء مثلما تُشتَرى الخراف. وأما الطفل فيحمله الابن "و"الأخ، ذاهبًا به إلى "المجتمع"(؟) "وهم يقولون: لقد أعطيناكموهم في إطار الجماعة، ولا يكون لكم سلطان كامل عليهم إلاّ عندما تظلون في المجتمع، وأنتم لا تؤمنون بالأوردال "حكم الرب"، لا تؤمنون به عندما ينبذه الواحد منكم نبذ المُجاهِر، عسى أن يثبت أنه بريء. وهم يخدعون الأطفال أيضًا، وهذا يعني أنه لا بد أن يأتي عليهم الحانث بالوعد والعهد مثلما يأتي على هؤلاء أنفسهم».

وفي هذا النص الذي من المسلَّم به أنه صعب، وهو فقرة من الكتاب السابع من كتاب دِنكارد الزردشتيّ المكتوب بالفارسية الوسيطة، والمأخوذ عن دائرة معارف دينية تتناول الحقبة الممتدة من القرن التاسع إلى القرن العاشر، يجري الاستشهاد بأقوال وشهادات تتعلق بـ"الديانة المَزْداياسنية"، وهي في هذه الحالة فقرة من تعليق على كتاب الأفيستا، بصدد نظرية المزدكيين. ولقد تعرَّفنا على هذه الطائفة الدينية في سياق الاضطرابات الاجتماعية التي زلزلت إيران بعد الحروب الحافلة بالخسائر التي شنَّها الملك بيروز ضد الهيفتاليين، وبعد نكبات ومِحن أخرى ألَمَّت بها فيما بين نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس. وفي تلك الأيام كان قسم من السكان الفلاحين قد ثار على النبلاء، مستندًا، كما كان باديًا للعيان، إلى الأخلاقيات الاجتماعية التي نادى بها مزدك، ولقيت بصورة مؤقتة، تحبيذًا من الملك كافاد، واستولى الفلاحون على أملاك النبلاء وعلى نسائهم، بالقوة.

ويثور النزاع حول سيرة مزدك، ودوافعه والجذور الفكرية لنظريته في الروايات القديمة وفي الأبحاث الحديثة، مثلما يثور النزاع بصدد العلاقة بين مزدك، وطائفة المزدكيين الدينية والثوريين، وبين أهداف نظرية مزدك والآثار التي خلَّفتها الثورات الشعبية المزدكية، وتكمن مبِّررات ذلك، قبل كل شيء في أنّ الأمور التي كانت موضع اهتمام مزدك وشغله الشاغل، لم تُنْقل إلينا إلاّ من وجهة نظر خصومه الدينيين، وبالتالي، السياسيين، وأن كسرى، الأول والسلطات الزردشتية، هما اللذان استطاعا أن يخرجا من معارك تلك الحقبة مُظَفَّرَيْن، وليس المزدكيون أو الفلاحون الثائرون هم الذين تمَكَّنوا من صياغة التقاليد، وفي مواجهة هذه الخلفية تكتسب الفقرة التي استشهدنا بها من كتاب دِنكارد، أهمية خصوصية: وذلك أنها تذكر، بوضوح أكثر مما يوجد في المصادر التي نلجأ إليها في العادة، من عربية

وفارسية حديثة، الأهداف الأصلية للنظرية الاجتماعية المزدكية، حتى وإن كانت ترفضها أو تستنكرها، ثم إنها لا تربط فوق ذلك، بين المزدكيين وبين الفتح القسري لمخازن المؤن العائدة للنبلاء ونهبها، واختطاف نسائهم. وبذلك تؤيد في الوقت ذاته وجهات نظر أولئك الذين يريدون أن يفرِّقوا بين أهداف مزدك ورفاقه في العقيدة ودوافعهم وبين الأهداف والدوافع الكامنة في صفوف الثوريين ومن يُظاهِرهم من النبلاء، ويدخل في عداد هؤلاء أيضًا أولئك الذين يجادلون في المشاركة الفاعِلة من قبل مزدك في الثورات الشعبية. فما هي المعتقدات وأنماط الحياة التي ينسبها الآن صاحبنا، المُجادِل الحزبي، الزردشتيّ إلى المزدكيين الآن ياتُرى؟ إنها، من ناحية أولى، حرص المرء على ذويه وأهله، أي على عائلته، وهذا يعني، بلا ريب، الاستعداد لاقتسام النساء والسلع والمتاع في نطاق مجتمعاتها المحلية "الأُسَر الكبرى"، وسوف يبدو هذا، في عينَيْ صاحبنا المعلِّق "أنانية فئوية، أو طبقية، جائرة". وعندما يرد الحديث عن "الأكل" على أنه "تحمُّل" فلن يعني هذا شيئًا لآخر سوى أنْ لا يتناول المرء إلاّ ما هو ضروري لحياته ويوزع ما يتبقى على إخوته في العقيدة الذين يعانون من الجوع. على أن ما يثير في وجه الناقد الكثير من الصعوبات ويكلفه الكثير من الجهد، مع ذلك، مسألة "شيوعية النساء" التي تظهر في كل شواهدنا، وما يترتب عليها من النتائج المتعلقة بالحقوق العائلية. على أن مَنْ كان يتحقق عنده ثبوت الأصل، والحق في الإرث، عن طريق الأب، وكذلك مَنْ كان عنده احتفاظ الرجل بالحق في إدارة شؤون المنزل، من الافتراضات الأولية الأساس ومن الأمور التي تكون شغله الشاغل في الحياة الاجتماعية، لم يكن من الممكن أن يبدو لعينيه ثبوت الأصل عن طريق الأم، من حيث كونه نتيجة لأُبُوّةٍ غير مستيقنة، ونقل واجبات التربية المنزلية إلى المجتمع المحلي أو الطائفة، إلاّ شيئًا فظيعًا مهولاً. ويظل من الأمور غير الواضحة، الإيماء إلى شراء النساء: "هل كان المزدكيون (يظفرون) بهن في مجتمعات محلية أخرى من رفاقهم في المعتقد، أم يحصلون عليهن من أهل العقائد الأخرى؟ وأخيرًا فإن رفض حكم الرب، والقَسَم، وكلاهما راسخ القدم في القانون الزردشتيّ، يشيران إلى مقاومة الطقسيّة الظاهرة الجليّة. وكل المآخذ الواردة في النص تعود على قواعد وأصول داخلية في المجتمعات المحلية المزدكية. أما مسألة هل كان مزدك ذاته، أو أقسام من أتباعه، يطمحون إلى التوسيع الذي يتخطى حدود المجتمع المحلي لهذه الممارسة، لصالح المحرومين من الثروة، وبحيث يكون ذلك عبئًا على أصحاب الأملاك، مثلما يحدثنا جزء من الرواية، أم كان هذا من عمل ثوّار الفلاحين، وبموجب ذلك تستقل بنفسها مُثُل مزدك، فهذه مسألة يمكن أن تظل مفتوحة للبحث، ومازال هناك أمران يجب ذكرهما، أمّا الأول فهو أن النظرية المزدكية لم تكن مؤسَّسة على ضبط السلوك الاجتماعي، بل كانت

تبرر هذا الضبط بنظرية لاهوتية متقَنة يمكن للمرء أن يصفها بأنها توفيقية- غنوصية، وأما الثاني فهو أن سحق الثورات الشعبية واضطهاد المزدكيين ما كان ليسدِّد إلى عقيدتهم الضربة القاضية: فقد ظلت حية، في ثوب جديد، وكانت تتوافر بما يكفي تحت الأرض، حتى من بعد انهيار الدولة الساسانية، كما واصلت حياتها، على النحو ذاته، من بعدُ، عمليات الاضطهاد في عصر صدر الإسلام.

فما الحوافز التي كان الملوك والكهنة يستهدون بها في تعاملهم مع المسيحيين والمانويين والمزدكيين؟ وكيف يمكن أن توصف العلاقة بين كل الفئات، بعضها ببعض؟. إن عالم العراق وإيران الديني في الحقبة الساسانية يمكن تصويره على النحو التالي: لقد كان أصحاب العقائد الأخرى يقفون موقفًا صعبًا في مواجهة اتجاه عقائدي زردشتيّ يتميَّز بالهيمنة وله ارتباطه الوثيق بطبقة من الكهنة يساندها الملوك الساسانيون الذين بَثّوا فيها حياة جديدة وشجَّعوها. وكان الملوك والكهنة، الذين كانوا يستندون إلى إدارة دينية منظمة على أساس تَراتُب هرميّ، وفي هذا السياق كثيرًا ما ترد كلمات، مثل "دين الدولة" وبالتالي "كنيسة الدولة"، يهدفون إلى الفَرْض العام للديانة الزردشتية في كل أرجاء الامبراطورية، ولم يرتدعوا في هذه الأثناء، في تراجع مقصود عن نهج أسلافهم الأرساكيين، حتى من عمليات الاضطهاد المسيحيين، واليهود، والمانويين، والأقليات الدينية الأخرى. وبذلك تنجم لعينَيْ القراء صورة دولة أجنبية تتصرف، من ناحية أولى، في الأمور الدينية تصرُّف الدولة الصارمة إلى حد فائق والتي تتوجه تبعًا لهدف معين، وتبدو، من ناحية أخرى، كأنها اجتازت مراحل من الانسجام الوثيق بين العرش والهيكل، منذ القرن الثالث، تمثل، في الامبراطورية الرومانية، مثلاً، سِمات مميِّزة لحقبة لاحقة. وهذه الصورة ينجم عنها في الوقت ذاته أن عهود الاضطهاد كانت تبدو، بالقياس إلى الأقليات، الحالة الطبيعية، ولم تكن نتيجة ظروف زمنية نوعية، على وجه التخصيص.

وإذا كان الباحث غير راض بهذا التصور، لم يكن له بُدٌّ، عندئذٍ، أول الأمر، من البحث في أوائل أيام الدولة الساسانية، والديانة الزردشتية للجدولة، وسواءٌ أكانت المسألة تتعلق بالتقاليد الزردشتية في العصر الفارسي الوسيط أم كانت تتعلَّق أيضًا بتدوين التاريخ العربي- الفارسي، فسوف يصادف المرء تصوُّر التلاؤم الوثيق، بين الملكية، وبالتالي، السياسة، والدين. ويفيد المسعودي أن مؤسس الدولة أدلى إلى خليفته شابور بالنصيحة التالية وهو في الطريق: فلتعلم يا بنيّ أن الدين والملكية أخوان لا يمكن الفصل بينهما، وكل منهما يعود على الآخر، ذلك لأن الدين هو أساس الملكية، والملكية حاميته، وكل ما ليس له أساس راسخ فلن يفلت من الانهيار ومالا يتمتع بالحماية فسوف يضمحل.

وفي "رسالة تانسار" المكتوبة بالفارسية الحديثة، والتي نشأ أصلها، بلا ريب، في أواخر الحقبة الساسانية، والتي تحيل إلى أيام أردشير، تبدو هذه الفكرة على الصورة التالي: «الكنيسة والدولة ترجعان إلى الجسد ذاته، وهما ترتبطان فيما بينهما برباط وثيق، فالفعالية والتداعي والصحة والسقم، يعتريان كليهما بالطريقة ذاتها».

وأخيرًا فهذا التراث الفكري يوجد أيضًا في "وصية أردشير"، التي تُروى لنا في كتاب "تجاريب الأمم" لابن مسكويه، من القرن العاشر، وما من شك في أنه يوجد هناك إشارة إضافية إلى تنافس محتمل بين كلتا القوّتين، واستخلاص النتيجة،وهي أن الدين يحظى بالمنزلة الأولى، لأنه يشكل أساس الدولة، وفي مقابل ذلك لا تشكل الدولة إلا "رُكْنًا" من أركانه.

وقد استخلص بعض الباحثين من أمثال هذه الصياغات نوعًا من "دين الدولة" الزردشتي منذ القرن الثالث، بل تمت مصادرته في صورة وظيفة أنموذج يُحتَذى به للامبراطورية الرومانية التي حدث فيها تطوُّر مماثل خلال القرن التالي. ولم يكن مقدَّرًا للرواية المتأخرة فحسب، بل كان مقدَّرًا للمناقشات المعروفة من مصادر معاصرة أيضًا، بين الملوك الساسانيين والكهنة الزردشتيين، أن تحذّرنا، مع ذلك، من أن نرى في صورة الأختين، الملكية والدين، شيئًا آخر سوى تصميم لدولة مثالية زردشتية متأخرة، يُظَن أنه نشأ حتى في ظل النفوذ الإسلاميّ.

ويضاف إلى ذلك أن التراتُب الهرمي والديني الإداري المتمايز الذي افتُرِض وجوده في التقليد الفارسي- العربي من أجل القرنين الثالث والرابع.. مثلما رأينا، لم يجرِ إنشاؤه إلاّ في عملية متطاولة مشكلاً على غرار أنموذج السلطة الملكية. وإذا صح هذا، لم يكن هناك بُدٌّ، عندئذ، من أن ننأى بأنفسنا نهائيًا عن التصور الخاص بـ "دين الدولة" و"كنيسة الدولة" في الأبحاث القديمة، وليس ذلك، في الحقيقة، بالاستناد إلى أسباب تتصل بعلم الدلالة، إنه يوحي مفهوم "الكنيسة" بأقيسة تمثيلية على التطور الذي حدث في الغرب، بل بالاستناد إلى أسباب تاريخية.

وإذا كانت المصطلحات المستعملة قد أثبتت أنها لا تكاد تكون ممكنة الاستعمال فسيكون من الواجب التغلُّب أيضًا على الصورة التي هي أقرب إلى أن تكون سكونية جامدة، قليلة التمايُز، عن تعامل الساسانيين مع الأقليات، عن طريق تحليل أكثر تعقيدًا، ينتقد المصادر، ويدخل في حسبانه ظروف العصر وملابساته. وفي هذا الصدد لا بُدَّ من أن تدخل في الحسبان عوامل كثيرة، وهي الاعتداد بالنفس عند كل واحد من الملوك وسياسة كل ملك على حدة ومصالح الكهنة الزردشتيين والأقليات الدينية، وكذلك الموقف المرتبط بالسياسة الداخلية والخارجية في كل حالة على حدة. وفي وسع الباحث أن يستهدي، في هذا الصدد بالأبحاث المتعلقة

بالأحوال الدينية في الامبراطورية الرومانية. ففيها يعمل البحث في التاريخ القديم جاهدًا، منذ وقت بعيد للغاية، على تمييز العلاقات بين الدولة الرومانية والمسيحيين والمانويين بصفتهم أقليات دينية، بسماتها المميِّزة، من حيث كونها طريقًا تحدَّدت كل مرحلة من مراحله، على حِدة من خلال التأثير المشترك لعوامل مختلفة: من خلال العقائد الأساس عند الأباطرة، ورد الفعل اللائق بهم، وبالتالي رد الفعل الذي يبدو مفيدًا ومجديًا من حيث السياسة الدينية، على كل وضع من أوضاع الامبراطورية على حِدة، ومن خلال عدم فهم المجتمع الوثني لأشكال أداء العبادة المسيحية، ومن خلال قلب موازين الوجود الأرضي، ومن خلال تقييم المانوية بصفتها "خطرًا فارسيًا"، وبالتالي هرطقة، على أيدي السلطات الحكومية والكنسية، ومن خلال تقدير الامبراطور والامبراطورية من قبل الأقليات ذاتها، وكذلك من خلال استكمال التقييم اللاهوتي والسياسيّ لمنظماتها.

وحتى في إطار المَضِيّ في الأعمال المُفْضِية إلى تاريخ المسيحيين، كان من الجائز أن يكون تبيَّن للمانويين والمزدكيين، أنه كان هناك، إلى جانب التنافس الديني بين الاتجاهات العقائدية الممثَّلة في دولة الساسانيين، عوامل تتصل بالسياسة الداخلية والخارجية، كانت تشارك مشاركة لا يستهان بها في تقرير مصير الوضع الديني والسياسة الدينية للملوك. فعندما كان هؤلاء الأخيرون يقفون إلى جانب الآلهة الزردشتية، ويظهرون بمظهر المشجِّع للعقيدة الزردشتية والعبادة الزردشتية لم يكونوا يريدون بذلك، أن يعترفوا للكهنة بمركز مماثل لمركزهم، أو أن يقدموا أنفسهم في صورة زعماء لديانة دولة زردشتية، بمعنى "كنيسة دولة". وبصرف النظر عن التبعية الشخصية التي تزيد أو تنقص، للعقيدة الزردشتية، لم يكن أحد من هؤلاء متحمسًا دينيًا مثل كيردير، وكانوا يقررون، في إطار تعاملهم مع الرعية، مسائل الولاء أو المقاومة، وتصرفهم، لا الوصايا الموحَّدة الخاصة بالعبادة: فهذا شابور الأول هجَّر السكان المسيحيين من أنطاكية لأنه كان يقدِّر جدَّهم واجتهادهم في مهنتهم وبراعتهم الفنية، وكان يعدُّهم من الرعايا ذوي الوَلاء، لأنهم كان مطّلعًا على اضطهادهم العابر في الامبراطورية الرومانية. وللأسباب ذاتها أنهى، مثلاً، نارسيه، عمليات الترصُّد التي كان يقوم بها كيردير، لأن طوائف المسيحيين والمانويين كانت، بالقياس إلى "عدم التسامح الروماني" تمثل عنصرًا سكانيًا أقرب إلى أن يَعِدَ بأن يكون موضع الثقة منه إلى أن يكون عنصرًا مضطربًا مثيرًا للقلاقل.

وبالاستناد إلى كل ما نعرف لم يكن نفوذ طبقة الكهّان في السياسة على الدوام كبيرًا بالقَدْر ذاته، بل لم يكن يتنامى نموًا ثابتًا على الإطلاق، ولئن كنا لا نعرف شيئًا عن دورٍ قائم بذاته لرجال الكهنوت الزردشتي في أيام أردشير الأول، وشابور الأول،

وهورمِزْد الأول، وكان هذا الدور يلتزم بحدوده في أيام فهرام الأول ونارسيه، على نحو ظاهر للعيان، فقد مثّلت أيام حكم فهرام الثاني وشابور الثاني أطوارًا لسلطة أكبر لرجال الكهنوت، وحتى حين يبرِّر كيردير نفوذه بألوان كفاءته الخاصة ومفاهيمه المقنِعة، وحتى عندما تنسب الرواية التي تتحدث عن عمليات اضطهاد المانويين في أيام هورمزد الثاني، هذه العمليات إلى وَسْوَسات الكهنة، فإن الأسباب الحقيقية لنفوذ رجال الكهنوت تكمن في المعطيات النوعية الخاصة بالسياسة الداخلية والخارجية، في كل حالة على حِدة: فقد تميَّزت فترة حكم فهرام الثاني بحرب أهلية في الداخل ونكسات فادحة في النزاع مع روما أرغمت الملك على تعاون أوثق مع النبلاء والكهنة، أما هورمِزد الثاني فكان قد حاول- من دون نجاح، وعلى نحو ظاهر للعيان تمامًا، أن يراجع نتائج الصلح التي أُمْلِيَت عليه في نصيبين، في ميدان المعركة، وكان يخضع، بلا ريب، لضغط يتصل بالسياسة الداخلية، وكان شابور الثاني الذي وصل إلى سدة الحكم بعد ألوان من الصراع على العرش، يتابع هدف السياسة الخارجية ذاته الذي كان يتابعه أبوه، غير أنه ما عاد يفعل ذلك، على الجانب الروماني، باضطهاد المسيحيين، بل بتشجيعهم، ويضاف إلى ذلك أنه كان أثناء تنفيذ إجراءات الاضطهاد، يعتمد على الكهنة الزردشتيين الذين كانوا يعملون في خدمته بصفتهم سلطاتٍ دينية وقضائية، وعلى هذا فبينما كان للدوافع السياسية القول الفصل بالنسبة لتعامل شابور مع المسيحيين، كانت هذه الدوافع دينية بالنسبة للكهنة. ففي أيام الاضطهاد كان كلا الهدفين مترابطين، وكان الكهنة والملك يلتقيان على تصرُّف مشترك. ومع ذلك فإنه لمّا كان الملك في هذه الأثناء هو الفاعل الأول- إذا نظرنا إلى المسألة نظرة إجمالية، فإن من الظاهر للعيان: أنه حدَّد البداية وإضفاء السمة المنهجيّة على عمليات الترصُّد، وأنهاها، وقد كان تنافس الكهنة مع المسيحيين موجودًا على الدوام، وكان هذا التنافس يقدم التضحية المطلوبة لتكون برهانًا على الولاء للتاج وللبلاد وكان يتدخل في العمليات بشخصه ويأمر بوقف المتابعة المطلقة العنان للاضطهاد لأسباب تتصل باعتبار سلامة الدولة ومصلحتها العليا. على أن خلفاءه كانوا لا يكادون يثيرون مشكلات أخرى للمسيحيين: ولمّا كانوا قد انفصلوا عن إخوانهم السابقين في العقيدة في الغرب، سواءً فيما يتعلق بعقيدتهم في المسيح أم فيما يتعلق بالنواحي التنظيمية، فقد بات في وسع الناس أن يستفيدوا من معارفهم في كثير من النواحي. وحتى رد فعل الملوك على نظرية المزدكيين كان براغماتيًا على نحو صريح لا لَبْس فيه: فقد كان كافاد يشجعهم لأنه كان يُمَنّي نفسه من إجراءاتهم الخاصة بالإصلاح الاجتماعي بتخفيفِ لوطأة المحنة حَدًا من سخط الشعب، وما من شك في أنه كان يفعل ذلك أيضًا على أمل منه في تدعيم موقفه في مواجهة

أرستقراطية الدولة، وقد استفاد أنو شروان من حالة الفوضى، أو العماء لإصلاح الدولة، بالمعنى القائم في ذهنه.

أما الأكليروس الزردشتي: فقد كان أفراد يوصفون بأنهم يواجهون المسيحيين والمانويين والمزدكيين من حيث كونهم يمثلون سلطات دينية وقضائية من ناحية أولى، وبصفتهم منافسين في الدين من ناحية أخرى، وبالزردشتيين والمانويين والمزدكيين، وكانت تتقابل بالطبع فئات من الناس تشير إلى علاقات دينية وثيقة على وجه الخصوص فيما بينها، ومن أجل ذلك كانت تخوض تنافسًا شديدًا على وجه الخصوص فيما بينها على أن ادعاءات ماني المتعلقة بتكميله لتعاليم زردشت، واقتناعه بعالمية رسالته وشموليتها وامتيازها الخاص وكذلك النجاح الأقرب إلى التواضع في التبشير بالزردشتية خارج إيران، جعلا كيردير والكهنة يرَوْن في المانويين الخصم الدينيّ بامتياز. ولا عجب في أنهم استغلوا مركزهم القوي في أيام فهرام الثاني لكي يمهدوا لعلمليات الاضطهاد بحق "المختارين" و"المستمعين" ثم إن عدول نارسيه عن سياسة أسلافه يثبت مع ذلك النجاح الضئيل أو المؤقت فحسب لهذه السياسة، ويضاف إلى ذلك أن من الممكن تقييم ذلك أيضًا بأنه محاولة للحد من سلطان كيردير والكهنة الذي كان يتنامى على الدوام. وفي الوقت ذاته فقد اكتسب التسامح الجديد مع المانويين معنى ومعقولية أيضًا في مواجهة خلفية اضطهادهم في الامبراطورية الرومانية، وفي مقابل ذلك كان شابور الأول، الذي كان، فيما عدا هذه الحالة، يعرف بأنه الملك المنفتح على التراث الفكري الجديد، قد رَجَّح كفة مزايا نظرية جديدة توفيقية وعالمية شاملة بالنسبة لتماسك الدولة على أية حال، حتى وإن وجدها في النهاية مفرطة في الخِفّة.

فلنحاول الوصول إلى نتيجة: أما ما يتصل بالوضع الدين في دولة الساسانيين واعتداد رعايا ملك الملوك، المسيحيين والمانويين بأنفسهم، فمن الواجب أن نودع بعض التصورات المحبَّبة إلى النفوس: فلم يكن هناك ارتباط وثيق بين "العرش" و"الهيكل" عامٌ لا استثناء فيه، كلاّ، ولا يبدو أن من اللائق أن نتحدث عن "دولة كنيسة" ساسانية" أو عن "دين دولة" بل لعبت دورها فيما يتعلق بالهوية الاجتماعية للمعنيين وبالعلاقات فيما بينهم، على حد سواء، عوامل مماثلة لما كان سائدًا في الامبراطورية الرومانية: وهي القناعة العقائدية الشخصية عند الحكام، كلّ على حدة، والأكثر من هذا بعد، الوضع العام المرتبط بالسياسة الداخلية والخارجية، والسياسة الدينية أيضًا، ورد فعل الملوك على ذلك. وكان من الأمور ذات التأثير أيضًا الصراع بين الكهنة الزردشتيين الذي تداعت من أجله النزعة الإيرانية والنزعة الزردشتية، وبين الاتجاهات العقائدية المبنية على العالمية والشمولية، والتي باتت الآن، بالفعل أيضًا، عالمية، أي اتجاهات المسيحيين والمانويين،

ذلك الصراع الذي كان يمكن إدراكه، في مجال التقليد، زمنًا طويلاً، أيضًا، على أنه نزاع بين "أهل الكتاب" وبين المنتمين إلى نظرية الخلاص التي وصلت بطريقة المشافهة، وهي نظرية زردشت في ثوبها الساساني، وفي اعتداد المعنيين بأنفسهم، في صورة جدال بين "شعب الله"، و"المختارين" و"المستمعين" من ناحية أولى، والموغز، والموبادات والهربيدات، من ناحية أخرى. وفي حالة التعامل مع الأقليات كانت السلطات الحكومية والدينية لا تتصرفان دائمًا في توافق فيما بينهما ومما يمكن أن يقاس على ما كان سائدًا في الغرب ردود فعل الأقليات على عمليات الاضطهاد، وكذلك أهمية سير الشهداء في النشر اللاحق لتعاليمهم، وثمة شيء أخير: وهو أن المصير المشترك، وكان، على النقيض من الغرب، غير مقصور على الوضع القانوني المشترك، العابر للأقليات، لم يستطع أن يحول بين المسيحيين والمانويين وبين أن يدركوا في الوقت ذاته أنهم متنافسون. وفي هذه الأثناء كان ماني وأتباعه، في نظر المسيحيين لا يقلون "إمعانًا في الهرطقة" عما كان عليه كيردير والكهنة الزردشتيون، ومن أجل ذلك حاولوا أن يحولوا دون نجاح التبشير المانويون مطلقًا. وكان المانوي، بدورهم يأملون أن يلحقوا الأذى بالمسيحيين بأن يساعدوا السلطات الحكومية والدينية القضائية في اقتفاء أثر "خونة البلاد" المسيحيين.

ويبقى بعدُ أن نذكر "يهود" الدولة الساسانية: على أنهم لم يكونوا، بمراكزهم في العراق، يتمتعون بالأهمية لتاريخ إيران، بالطريقة ذاتها التي تهيّأت للمسيحيين، أو المانويين، أو المزدكيين. ومع ذلك فمن الممكن أن يضاف تاريخهم إلى الصورة التي خرجنا بها: فبعد طور قصير من عدم الإطمئنان والقمع في أيام أردشير، وهي الأيام التي يمكن تفسيرها بما يكفي، بتبدُّل الأسرة الحاكمة وبعلاقة اليهود الطيبة بالسلطات الفرتية، سرعان ما وجد شابور الأول، وكذلك رئيسهم في المنفى البابلي، والحاخامات، تسوية تكفل لليهود حرية أكبر في التحرك، وتكفل للساسانيين الاعتراف باللوائح الخاصة بالضرائب والأحكام الحقوقية العامة. ثم إن خصومة شاهبور/ شابور مع أُذَيْنة التدمري الذي كان دمَّر مركز نِهارديا اليهودي عند غزوه لبابل، ربما أثَّرت، إضافة إلى ذلك، تأثير مُواتيًا. أما عمليات الاضطهاد فنسمع عنها من الروايات اليهودية، على الرغم من ادعاء كيردير المعاكس، أنَّ اليهود لم يتصرفوا تصرُّف الولاء الصريح إلاّ في القرن الخامس، في أثناء الحروب بين روما وشابور الثاني، وذلك على النقيض من المسيحيين، وباستثناء بعض الجماعات المؤمنة بالمسيح المنتظر. ثم إن القمع الحكومي اللاحق، المتأخر، في عهد يزدجرد الثاني، وبيروز، لا يعد علامة على عدم التسامح الدينيّ، بل يوجد ضمن سياق واضح، مقرونًا بالتوقع القريب، والذي يُعْرب عن ذاته في تصرفّات سياسيه لليهود، الذين يربطون موعد ظهور المسيح المنتظر بالذكرى الأربعمئة

لتدمير المعبد في أورشليم. ثم إن الرواية الإيرانية تذكر في هذا السياق تحرُّشات يهود إصفهان بالكهنة هناك. وتعدُّ الاضطهادات المتأخرة ممكنة التفسير أيضًا من الوجهة السياسية، وذلك أن قائد كسرى، مَهْباد، قتل اليهود من أتباع فهرام جوبان المطالِب بالعرش، وتمَّ سحق دموي لثورة أخرى من ثورات اليهود المؤمنين بالمسيح المنتظر، في بابل عام 640. وفي مستهل القرن السابع، كان اليهود قد تابعوا، متلهِّفين، الهجوم الساساني على بيزنطة، وحَيَّوْا الاستيلاء على "أورشليم".

وحين حل الفاتحون العرب محل الساسانيين في الحكم، وجدوا في انتظارهم نظامًا يهوديًا للإدارة الذاتية سليمًا لا شائبة فيه، كان مقدَّرًا له بعد ذلك أن يغدو أكثر أهمية في ظل الخلفاء. وكان على رأس هذا النظام في الحقبة الساسانية مسؤول يسمونه (حبر النفي - المنفى!/ Exilarch)، وهو مسؤول سياسيّ بارز، ومالك للأرض ذو ثراء عريض، كثيرًا ما كان يخوض صراعًا مع أقسام من السلطات الدينية، ومع الحاخامات. وكان هؤلاء الأحبار قد رسَّخوا جذور تفسير أحبار فلسطين للتوراة المدوَّنة والشفهيّة، في بابل، وكانوا يحاولون الآن أن يتخذوا منه أساسًا لتربية الشعب، وإذا نظرنا إلى المسألة نظرة إجمالية، فقد كانوا ناجحين في هذا، ولكن كان هناك على الدوام تيارات معارِضة في صفوف الشعب، "لوصاية" الأحبار الدينية، كما كان هناك، بالمناسبة، مثل هذه المعارضة للوصاية السياسية من قِبَل من يسمونهم (أحبار النفي - المنفى/ Exilarchen). وكان يوجد، المرة بعد الأخرى، من ناحية أخرى، أيضًا، أحبار، لم يكونوا يمثلون مصالح "طبقتهم" بل كانوا يمثلون ادعاءات الحاكم في المنفى ووجهات نظره، أو ادعاءات المعارضة الشعبية. وكانت تجري في مدارس الأحبار الكبيرة، مثل تلك التي في سورا "التي أصبحت فيما بعد، بومبيديتا" ونيهار ديعا، عملية وضع الحواشي والتفسير للميشنا، وهو الأمر الذي صبَّ أخيرًا، في نهاية القرن السادس/ وفي مستهل القرن السابع، في خانة تحقيق "التلمود البابلي".

ولا يعرف إلاّ القليل عن عدد السكان اليهود في الدولة الساسانية، ولكن ليس من المحتمل أن يكون العدد ضئيلاً. وكانت الأغلبية الساحقة من اليهود تجد معيشتها في الزراعة، وكان العمل الحرفيّ والتجارة يلعبان دورًا إلى جانبها، وكان القوم يستوطنون القرى، غير أنهم كانوا يستوطنون أيضًا، مع كثير من الفئات الإثنية الأخرى، والفئات المختلفة لغويًا أو دينيًا، الأمكنة الأكبر، والمدن، من دون أن يستطيع المرء أن يقرر وجود أحياء يهودية مغلقة. ولم تكن يهودية بابل متميِّزة تبعًا لمعايير التدريب أو العمل أو المسؤولية السياسية فحسب، بل كانت متميزة أيضًا من وجهة النظر الاجتماعية والاقتصادية: فكان ملاّكو الأراضي الأوفر ثروة، وأهل الثقافة والمنزلة الاجتماعية يمثلون الأنموذج الذي يُحْتذى به.

ولئن كان اليهود، بنظر الزردشتيين، باعثين لقَدْرٍ من الغيظ أقل ما كان يبعثه المانويون، مثلاً، فقد كانوا يسبِّبون للمسيحيين غيظًا أكبر: إذ كان قسم من سِيَر الشهداء يميِّز النزعة المعادية لليهود إلى الحد الأقصى على نحوٍ مماثل لما كانت تفعله بعض رسائل آباء الكنيسة المسيحيين في الشرق.

[5/ 3/ 4] «الملك الحكيم» والمعرفة الأجنبية - الصيد والشطرنج: الثقافة في أواخر الحقبة الساسانية

«كان كسرى الأول يجد من الثناء والإعجاب فوق ما يستحق في الحقيقة، لا من جانب الفرس فحسب، بل من جانب بعض الرومان أيضًا، إذ يُنْسَب إليه كونه مولعًا بالأدب وكونه تلميذًا نجيبًا من تلاميذ الفلسفة. ويقال إن رجلاً ما نقل أسفار الأدب اليوناني إلى الفارسية، بل يجري تداول شائعة مفادها أنه تمكن من مدوّنة الأسطاغيريّ "أرسطو" بأسرها، تمكُّنًا أعمق مما حققه الخطيب اليابانيّ "ديموستين، ومن أسفار ابن أولوروس (توكيديد)، وكانت له دراية حسنة في نظريات أفلاطون بن أرسطون ولم يكن يمتنع على فهمه حتى "التيماوس" المترع بالنظريات الهندسية والتأملات العلمية، مثلما كان لا يمتنع على فهمه أيضًا "فيطون" و"غورغياس"، أو حتى أي محاورة أخرى من المحاورات المهذّبة المشذَّبة، والصعبة، ومثالها محاورة "بارمينيدس"».

على أن المؤرخ البيزنطي الذي يعود إليه هذا الشاهد يتشكّك، مع حبه لوطنه المصعّد فوق كل الحدود والمقاييس، في مبررات الإعجاب بالملك المُعادي، وهو الإعجاب الذي يجد التعبير عنه في الأدب السرياني بسِمات مميِّزة لأنو شروان بصفته "الملك الحكيم"، أو بصفته الملك "الذي قرأ كل كتب الفلاسفة"، وبذلك يضع موضع الشك أيضًا ادعاءات الحاكم ذاته ودوافعه، التي صرَّح بها كسرى، مثلاً، في "كتاب الأفعال" (كرناماغ): «لقد قمنا بأبحاث حول القواعد التي يتبعها سكان الامبراطورية الرومانية وسكان الدول الهندية "عند وضع كتاب في القانون؟"... ولم نستبعِد أحدًا بسبب اختلافه في الدين عنا أو بسبب أصله، ولم نبعد عنهم بدافع الغيرة ما كنا نُقِرُّه، ولم نَأْنَف، في الوقت ذاته، أن نتعلم ما يمثلونه، ذلك لأن من الثابت أن اطلاع المرء على الحقيقة والعلوم هو أرفع ما يستطيع الملوك أن يزدانوا به، كما أن أكثر الأمور مجلبةً للعار أن يأنف المرء من التعلُّم، ويستحيي من البحث في العلوم، لأن من لا يتعلم فليس بحكيم».

وإذا كان الثناء على النفس، هنا أيضًا، شيئًا لا يمكن تجاهله، فإن جهود الملك في سبيل الثقافة الرفيعة لا يمكن الشك فيها: ثم إن أغاثياس ذاته يتحدث عن أن أنو شروان استضاف الأفلاطونيين الجدد الذين ظلوا بلا مأوى بعد إغلاق مدرستهم

في أثينا، واستصدر لهم، حين رغبوا في العودة إلى ديارهم، إذ خاب أملهم في البلاد وفي سكانها، أثناء مفاوضات الصلح مع روما الشرقية، عضواً يمكنهم من العودة. ووصف واحد منهم، هو بريسكيانوس ليدوس، كسرى فيما بعد بأنه شَره إلى المعرفة ومتشكك في الوقت ذاته. وكان يحل ببلاط الساسانيين أيضًا السوريّ ذو الثقافة اليونانية، أورانيوس، الذي لم يكن، يمكن تصوُّره بالنسبة لأغاثياس، في تحيُّزه الشوفينيّ إلاّ نصابًا كذّابًا. وكان كسرى يدع هذا المدعو أورانيوس يناقش الكهنة في مسائل نشأة الكون، وكذلك في مسائل نهاية العالم، والرب، والمادة الأولى، والعناصر، ويقال إن الملك ذاته كان يشارك في أمثال هذه المناظرات العلمية حتى مع أولي الأمر من المسيحيين، وكان يظهر في المجادلة أنه ذكيّ، مشغوف بالتعلم في الوقت ذاته، وتذكر الحوليات النسطورية التي وضعها سيعرت، من بين معلميه "ماربوسوما"، أسقف قاردا . . و . . بولس، الفيلسوف الفارسي"، وهذا الأخير، وهو أسقف نسطوري سابق من فارس، وضع لأنو شروان حتى مدخلاً إلى المنطق، بالسريانية بقي محفوظًا، أما تقديم هذه المقالة التي تستهدي بأرسطو وبورفيريوس، إلى الملك، فيبرره في هذه الأثناء على النحو التالي: "إن الفلسفة التي تمثل المعرفة الحقة بكل الأشياء. إنما تسكن فيكم، ومن هذه الفلسفة التي تستكنّ فيكم، أبعث إليكم بهدية". أمّا أن المسيحيين السريان لعبوا دورًا مهمًا في نقل المعرفة اليونانية إلى الفرس، فذلك ما لوحظ مرارًا وتكرارًا.

ومما يشير إلى نظرة كسرى إلى الشرق إيعازه بنقل نقدٍ لكتاب الخرافات الهندي بانكاتانترا "كتاب الخمسة" الذي جاء به معه الطبيب بورزوي من الهند. وهذا الكتاب، الذي يفترض أنه يعلِّم فن القيادة السياسية، والمعرفة بالبشر، والذكاء، والذي وُصِفَت مبادئه بأنها (شطارة/ Mulius)، أو حتى "ميكيافيلّية"، مفقود في ترجمته إلى الفارسية الوسيطة، غير أنه يتوافر لنا في ترجمة عربية تنطلق من هذا النص الفارسي الوسيط، لابن المقفّع، من القرن الثامن وهذه الترجمة الأخيرة، التي تمّ قلب صياغتها جزئيًا لتأتي موافقة لحِس العدالة الإسلاميّ، ونشرت بعنوان كليلة ودمنة، لم تكن محبوبة على نحو فائق في الشرق فحسب، بل ترجمت منذ العصر الوسيط أيضًا، إلى لغات أوربية مختلفة، وظلت تفيد لافونتين بصفتها مصدرًا للإلهام.

وإلى جانب الفلسفة واللاهوت وفن إدارة الدولة كان يشغل كسرى أيضًا الإسهامات الأجنبية في القانون والطب. ففي كتابه "كتاب الفَعال" يشير إلى اهتمامه بالقانون في روما الشرقية وفي الهند "أنظر ما سبق". وفي "كتاب القرارات الألف" (مادايان هازار داديستان) ترد الإحالة مرارًا إلى الملك ومستشاريه في القانون، ومما يستحق الذكر على وجه الخصوص في هذا الصدد مرسوم صدر عن الملك من

أجل إصلاحات في الجهاز القضائي. وحتى الكتاب الذي نشأ في تلك الأيام، وهو كتاب القانون المسيحي السرياني "أنظر ما سبق" يعدُّ عندنا برهانًا على المناخ الذهني المنفتح في تلك الأيام.

«وفي السنة العشرين من حكم كسرى الثاني اجتمع أطباء جنديسابور بأمر من الحاكم من أجل ندوة علمية، وتمّ تدوين مناقشاتهم، وحدثت هذه الجلسة الجديرة بالذكر برئاسة جبريل دوروستاباد، طبيب كسرى الخاص وبمساعدة السفسطائي وزملائه، بالاشتراك مع يوحنا وعدد كبير من الأطباء الآخرين، ويكفي أن نلقي نظرة على المسائل التي كانت تُعالَج هنا وعلى التعريفات، لكي نقدم لأنفسنا حسابًا عن حالة معرفتهم وخبرتهم. ودامت هذه السمعة الرفيعة إلى أيام حكم الخليفة المنصور الذي أصابه المرض بعد بناء مدينة "دار السلام" "بغداد"، واستقدم من هذه المدينة "جنديسابور" الطبيب جرجس بن جبريل بن بختيشوع».

ومن المعروف منذ عهد بعيد أن جنديسابور "فيهْ-أنديوك-شابور" كانت، في خوزستان، مركز العلم والتعلم في العصر الساساني وفي العصر الإسلامي على وجه الخصوص. وكان أطباء هذا المكان مشهورين على وجه الخصوص، مثلما يوضح ذلك الشاهد المأخوذ من "تاريخ العلماء" لابن القفطي، وهو مؤرخ وكاتب سِيَر من القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ولكن المقدسي، الكاتب المتعدد الجوانب، "من القرن العاشر" يعتقد، مع القفطي، أنه يعرف أن المهجَّرين من حملة شابور الأول هم الذين أسسوا علم الطب في خوزستان "وفارس". أما بارهيبرويس "من القرن الثالث عشر" فيودُّ أن ينسِب انتشار الطب الهيبوقراطي، حتى على وجه الدقة، إلى الأطباء الشخصيين لابنة الامبراطور الروماني أورليان وإلى زوجة شابور. وما من شك في أن كل هذه الروايات يمكن ردُّها إلى انعكسات أوَّلية لتقليد طبي لم ينقطع في هذا المكان. أما الخبر الذي يمكن للمرء أن يُعَوِّل عليه فهو رواية القفطيّ عن ندوة المناظرة، وتجمع شواهدنا بصدد الطب في الدولة الساسانية على أهمية المتضلِّعين في الطب من المسيحيين، ولاسيما النساطرة، وكذلك على دور الملوك، بصفتهم مشجعين لعلم الطب. وهذا ما يَرِدُ التعبير عنه في شاهدنا في سياق ارتباط المناظرة بالاحتفال بالذكرى السنوية العشرين لارتقاء الملكِ العرش عام 610 م، من ناحية وكان هؤلاء المشاركون ممن لا يصعب معرفة كونهم مسيحيين من خلال أسمائهم: "غبرييل، يوحنا" في اللقاء، من ناحية أخرى. وبالنسبة للملوك قد يكون هناك سبب آخر للاهتمام بالطب عندهم، إلى جانب تقديرات فائدته، وهو قربه من الفلسفة "والتنجيم". وإلى جانب الحوافز الطبية من الغرب، كان يجري، في إيران أيضًا، استيعاب أمثال هذه العلوم: إذ يتحدث بورزوي، الذي كان، هو ذاته، طبيبًا من نيسابور "نيف-شابور"، عن ذلك في التمهيد لمجموعة الخرافات، ويفيد شاهد

عربيّ أن كسرى الأول وضع، حتى هو ذاته كتابًا في الطب، وبعبارة أصح: جمع كتابًا من الأسفار اليونانية والهندية. ومن خلال الوساطة الساسانية، بالفارسية الوسيطة وجد إلى جانب المراجع في الطب والصيدلة، من الشرق الغرب، أيضًا، كُتّاب من الروم البيزنطيين في الزراعة، ومعهم المَجَسّطي لبطليموس، طريقهم إلى التراث العربي.

لقد كانت الحقبة الساسانية المتأخرة، حقبة ازدهار في الكتابة والتأليف: فعلى الرغم من أن التدوين الخطي للأفيستا كان قد بُدِئ به من قبلُ عن طريق إدخال نظام خصوصي للكتابة، ويمكن إثبات متابعة تطوير مسك الدفاتر ونظام الوثائق منذ أوائل الحقبة الساسانية. وعلى الرغم من أن "التاريخ القومي الإيراني كانت تجري متابعة تطويره، وقد تم جمعه خطّيًا أيضًا منذ القرن الخامس، وعلى الرغم من أن جزءًا من المراجع التعليمية والتربوية (andarz) كان متوافرًا منذ القرن السادس، فإنه يُنْسَب إلى كسرى الأول وإلى خلفائه تشجيع خصوصي للتأليف والكتابة. ومِنْ ذلك أنه يقال إن "موباد الموبادات" في أيام أنو شروان- فيهْ شابور، نشر "النَّسْكات" الإحدى والعشرين من الأفيستا، وانه قدَّم ‹كتاب السادة/ خفادي نامق›، في ترجمته المعتمدة الأولى، في أيام كسرى الأول، وتمَّ تنقيحه بعد ذلك مرارًا. "وكانت تتوالى كتابته" وأخيرًا يجري أيضًا تنقيح أعداد جمة من التركيبات من نصوص الأندارز، بل يجري نشر بعض البحوث من هذا النوع، منسوبةً إلى أنو شروان والرهط المحيط به.

«وبعد أن بلغ أردشير عامه الخامس عشر، وصل إلى أردفان "آخر الملوك الفرتيين" نبأ يفيد أن باباغ عنده ولد مدرّب على فنون الفروسية . . "ويطلب أردفان من باباغ أن يبعث إليه بابنه، فلا يجرؤ هذا على مقاومة الأمر" وحين رأى هذا "أي: أردفان" أردشير قَرَّ عينًا، وقدَّره، وأمره بأن يذهب في كل يوم مع أبنائه وفرسانه إلى الصيد وإلى لعب الكرة "بولو" ففعل أردشير هذا. وبمعونة الرب أصبح أبرع منهم جميعًا وأكثر حِذقًا في لَعِب الكرة، وفي ركوب الخيل، وفي الشطرنج والنرد».

ويود المرء لو يرى، بالأحرى، في رواية أردشير، التي وُضِعت في أواخر العهد الساساني، وتم تنقيحها فيما بعد مرة أخرى، الظروف الاجتماعية المرتبطة بأيام النشوء التي يرتد إليها مؤسس الدولة إذ تنعكس صورته فيها، في صورة وصف أسلوب المعيشة في بلاط الساساني الأخير.

والأمر الذي لاشك فيه، أن التربية النبيلة، بعد إصلاحات كسرى بإنشاء فئة من النبلاء العاملين في الدواوين، باتت كأنما تحدث بالقرب من الملك: فكان المطلوب هو الطاعة والسلوك الحسن والثقافة، واللعب والصيد، وممارسة هذه الأمور،

ولكن متى تمّ في إيران، على وجه الدقة بالطبع، مثلاً، إدخال ألعاب البولو "كاف (لا)غان" والشطرنج- "تشاترانغ" والنر "نيف-أردشير"، ولا يمكن البتّ في مسألة هل تمَّ ذلك في أواخر العصر الساساني أم في عصر صدر الإسلام. أما الصيد فكانت تتمُ ممارسته منذ زمن طويل بسبب قربه من القتال في الحرب من ناحية أولى، وبسبب المعطيات الجغرافية والمناخية من ناحية أخرى، وكذلك بسبب وفرة غنائم الصيد في العراق وإيران، وكان قد تحوَّل إلى صفة "الرياضة الملكية بامتياز"، وأصبح في أيام الساسانيين موضعًا من موضوعات فن التصوير وفي الأدب، بل يحصي نصَّ "تسرين وغلامه"، حتى الحيوانات التي تمَّ اصطيادها، من الثور (gau) وحمار الوحش "غور" والأيِّل "غافازْن" والخنزير البري "فاراز" والجمل الصغير، والعجل ذي الحَوْل الواحد، والجاموس، والحمار والغزال، ولكن يأتي معهن أيضًا الأرنب والأرنب الصغير وكذلك الدجاج البري والطائر الدجاجي، والقُبَّرة، والكُرْكيّ واللقلق والبط والطاووس. على أن ذكر الطيور يوضح أن الصيد لم يكن يُمارَس من أجل إثبات حسن البلاء فحسب، بل كان يمارس من أجل السرور والاستمتاع اللاحق. وعلى وجه الإطلاق توجد في هذا الكتيِّب فضائل البلاط القديمة والأهداف التربوية، إلى جانب "المُثل" الجديدة.

«ولقد تعلَّم هذه المثل فاسبور ياسي وهادوكست وياسن وفيديفدات "فيديفداد"، كما تعلَّم هذه الأمور هِرباد "هربيد" وحَفِظهن غيبًا، ودرس فوعد ذلك شرح الزند. غير أنه اشتغل إلى جانب ذلك بأدب القصة والرواية، وبالتاريخ والخطاب البليغ. وما من شك في أنَّ الواحد من هؤلاء يعرف كل فنون المِران على السلاح والقتال، وما من شك في أنه يوجد إلى جانب ذلك العزف على القيثارة والغيتار، والقيثار، ويعرف الغناء وتفسير أوضاع النجوم، وكل فن من فنون لعبة النرد أو الدومينو ويتلقى الملك من غلامه معلومات باعثة للرضى عن الأطعمة الجميلة، وعن الطيور اللذيذة، وعن تحضير هُلام اللحم، واللحم المتبَّل، والإدام والمربّى والفواكه والخمر، ثم يستسلم الغلام النابغة لسماع الموسيقا، ولعبير الأزهار، والحديث عن أفضل النساء، وأفضل مطايا الفارس، وكثير مما عدا ذلك. وهذا الغلام يقهر الأسود ويصمد لامتحان أكبر بعدُ، ألا وهو الإغواء من قِبَل امرأة جميلة . . ‹Altheim›».

وحتى الملك ذاته يولي أهمية للتحضير وفقًا للمراسِم واستعراض الأُبَّهة والفخامة، وهذا ما تنبئ عنه مجموعة ألقاب الحاكم، كما تروى لنا من قبل المؤرخين البيزنطيين، وكذلك تاج كسرى الثاني القويّ المحكم، الذي كان يحدث في نفوس العرب آثارًا، أو السجّادة العملاقة لهذا الملك، المعروفة باسم شَهَر كسرى "ربيع كسرى"، في مقره الشتوي بالمدائن، إذا شئنا أن نكتفي بذكر ثلاثة من الأمثلة، أمّا أن هذه

الإدارة المهذَّبة للبلاط لم تكن تستبعد، في الوقت ذاته، التعامل اللا إنساني مع الأعداء المغلوبين والخصوم التابعين لها، وحتى مع النساء العُزَّل والأطفال، فأمر لا ينبغي السكوت عنه: «وفي ثورة شهرباراز على أردشير الثالث تُفْتَح للغاصب أبواب مدينة قطسيفون بفعل الخيانة" وإذا هو يقتحمها فيأسر عددًا من أرباب السلطة، ويقتلهم، ويستلب ثرواتهم وينتهك أعراض نسائهم وبأمر من شهرباراز قتل بعض الناس أردشير . . في السنة الثانية "من حكمه» . .

6] تعقيب

لقد وصلنا إلى نهاية هذا العرض، ولم يكن من الممكن أن نتوقع منه معلومات تستقصي كل شيء في صدد كل مشكلات تاريخ إيران القديمة وحضارتها، ولم يشأ أن يقدم نظرة عامة لتاريخ الأحداث وفقًا للتسلسل الزمني، ولكن ربما استطاع أن يفي بما وعد، وهو عرض فارس القديمة بطريقة مبنيّة على "الكلمة" أو "الصورة"، بحيث تتضح السِمة الخاصة والخصوصية لهذه الحضارة، وبحيث يتم التعرُّف على تلك التقاليد التي تأثرت بها، أو تلك التي أرست هي قواعدها: لقد كانت الأسر الحاكمة في إيران القديمة بعد ذلك لا تقتصر على مجرد كونها تمثل الخصوم المألوفين الكبار على وجه الخصوص، الإغريق والرومان، في ميدان المعركة، بل كانت أيضًا، على سبيل المثال، تمثِّل شركاء هؤلاء الخصوم في التجارة، أي الشركاء الذين يلتمِسُهم هؤلاء ويبحثون عنهم.

وفي ظل الإخمينيين ازدهرت اليونانية في إيونيا، وكان المرتزقة من الإغريق يقاتلون من أجل المصالح الفارسية، وكان رجال السياسة من الإغريق يعملون مستشارين لأباطرة الفرس، وكان الفرتيون يعدّون أهل المدن والمستعمرات من الإغريق من رعاياهم، ويظهرون تأثُّرَهم بالحضارة والثقافة اليونانيتَيْن، والحق أن الساسانيين كانوا يهجِّرون، من ناحية أولى، الإغريق والرومان، من سورية،

ومع ذلك فقد كانوا يتيحون، في الوقت ذاته، للأقليات المضطهدة في الامبراطورية الرومانية الحماية والملاذ، ويضمنون للناس جميعًا، ماداموا يظهرون الولاء، الحرية الدينية، ويتيحون لهم فرصة الارتقاء الاقتصادي والاجتماعي، ومن الناحية الأخرى تبنى الإسكندر والسلوقيون التصوُّرات والمفاهيم السياسية الإخمينية.

ولما كانت امبراطوريات الإخمينيين، والفرتيين والساسانيين تشتمل على الدوام على مناطق كانت المجموعات السكانية غير الإيرانية فيها تشعر بأنها في ديارها، فقد كانت توجد منذ البداية مشكلة التعامل مع اللغات الأجنبية، والتقاليد والتصوُّرات العقائدية، ومعهن أيضًا، الآمال والمطامح السياسية للشعوب التي كانت من قبل مستقلة، بالنسبة لكل الأسر الحاكمة، على أن الديمومة الطويلة للحكم، الذي كان يشمل "إيران وغير إيران" تشهد، على الإجمال، على وجود سياسة هي أقرب إلى الحذر وبُعْدِ النظر، بقدر ما هي ناجحة على الإجمال، للملوك تجاه الأقليات الثقافية أو الدينية أو السياسية، وكانت سياستهم الدينية بالنسبة إلينا، ومن أجل هذه الأطروحة، برهانًا بين كثير من البراهين: فالتوصيات بصدد وحدة العبادة لم تكن بعد ذلك قط وسيلة لتأمين الحكم من المخاطر، بل كانت الفكرة الأساس، بالأحرى، وفي كل العصور، أكثر إمكانًا أن يوثق بها ويعتمد عليها من أجل التنمية، ومعاقبة الفئات والمجتمعات المحلية غير الموالية. ومن ذلك أن الطوائف اليهودية في العراق، شهدت، من جراء الحظوة التي تمتعت بها لدى الملوك، حقبة من الازدهار والنزعة الإبداعية في المضمار الثقافي والدينيّ، وفي مقابل ذلك، رأى مسيحيو القرن الرابع الميلادي، أو المزدكيون أنفسهم معرضّين لعلميات اضطهاد لا ترحم.

وكانت إيران ماقبل الإسلام تتميَّز أيضًا بأنها لم تكن تراعي تقاليدها ورواياتها المتوارثة عبر الأجيال فحسب "ومنها، مثلاً، النظرة الزردشتية إلى الحدث الكوني والزمنيّ، أو مُثل الملكية الإيرانية، أو الاهتمام بتصور التاريخ الإيرانيّ الأكثر تسلية والأكثر تعليمًا وموعظة في الوقت ذاته"، بل كانت تتقبل أيضًا أمثال تلك الحضارات تَقَبُّل الراغب المُتَلَهِّف، وتمزجها، أو تعيد صياغتها، أو تنقلها إلى من عداها. ويمكن أن يكفينا هنا من الأمثلة الإشارات إلى أسلوب الفن الإخميني، ووساطة الحقبة الساسانية المتأخرة في نقل المعرفة الطبية اليونانية والهندية إلى المسلمين.

ولم تكن أزمات الامبراطورية والحكم، إلاّ بصورة جزئية، نتيجة لضغط خارجي، عن طريق الإغريق، والمقدونيين والرومان في الغرب، وعن طريق شعوب السهوب في الشرق، وأخيرًا من جراء العرب في الجنوب: وكان من الأمور التي لا تقل عن هذه أهمية على الأقل، المشكلات وألوان الصراع في داخل الامبراطورية:

وهي أشكال التوتر بين النظام الملكي والارستقراطية المالكة للأراضي، والمطامح السياسية لدى أفراد الأسرة المالكة وطبقة كبار النبلاء، وكذلك تلك الأجزاء من السكان التي لا يعتمد عليها ولا يمكن الركون إليها، أو عدم ولاء هذه الأجزاء، وكان يدخل في هذه أحيانًا الأوبئة، والمجاعات وألوان الصراع الاجتماعي، وكان من الممكن، في هذه الأثناء أن يحدث ارتباط بين العوامل الخارجية والداخلية التي هي من هذا النوع، مثلما حدث، مثلاً، أثناء الأزمة الكبرى لدولة الساسانيين في القرن الخامس، وبينما انتهى حكم الإخمينيين على نحو هو أقرب إلى أن يكون مفاجئًا، بانتصارات الإسكندر، ولم يكن ذلك، مثلاً، نتيجة لمشكلات تستعصي على الحل في داخل الامبراطورية، وكان حلول الساسانيين محل الفرتيين يدين بالفضل إلى البراعة السياسية والعسكرية أكثر مما يدين به لضعف الحكم الأرساكي في تلك الحقبة على وجه الخصوص، كانت هناك، في القرن السابع، عوامل خارجية وداخلية تتحمل المسؤولية المشتركة عن نهاية الحكم الساساني في إيران: فمنها المصالح الخاصة، الفردية لذوي قربى الملك من كبار النبلاء، ومنها ألوان الصراع داخل الأسرة الحاكمة، ومنها إفراط كسرى الثاني في استدعاء القوات والطاقات في قتاله ضد بيزنطة، وأخيرًا أدى انفراط عقد دولة اللخميين التي كانت تتولى حراسة الحدود الجنوبية للامبراطورية إلى إتاحة الفرصة لحملات جيوش النبي ذات السطوة والشوكة على العراق وإيران.

وقد حدَّد الإخمينيون والأرساكيون والساسانيون معالم التقاليد في إيران بدرجات متباينة إلى أقصى الحدود: فبينما كان الأخيرون يواصلون الحياة في "التاريخ القومي" المتشكل من قِبَلهم بحكم كونهم ملوكًا إيرانيين بامتياز، كان يجري الانتقاص من قيمة الفرتيين فيه على أنهم "أنصاف ملوك". أمّا قورش وخلفاؤه فلم يكن بُدٌّ من إعادة اكتشافهم، على الإطلاق، في عصرنا وأن يفيدوا، بصفتهم "أسلافًا" هم موضع الشك، وحكامًا يحتاجون إلى إضفاء صفة الشرعية عليهم، وحتى عندما تحولت الزردشتية في إيران ذاتها، منذ مرحلة مبكرة، إلى ديانة أقلية ولم تصل قطُّ إلى الأهمية العالمية للمسيحية واليهودية والإسلام، فقد صادفت رسالة زردشت بلا شك، في كل العصور، المعجبين بها والمناصرين.

أما في أوربة فقد ردَّ الرحالة في أوائل العصر الحديث، والعاملون في حل رموز الكتب وعلماء الآثار، إلى الذاكرة مرابع إيران القديمة وشواهدها إلى الذاكرة، وحدّد علماء الإيرانيات والمؤرخون معالم خصائص الحضارات الإيرانية من جديد وقيَّموها. ومن أراد أن يخرج بتصور لمدى كثرة موضوعات البحث وتعدُّدها، وكثرة الأسئلة المطروحة، ومناهج هذه العلوم وسواها. بصدد إيران القديمة، كان في وسعه أن ينظر في الببليوغرافيات الجمة العدد وتقارير الأبحاث والمراجع

والإسهامات، التي ذُكِرت في هذا الكتاب. وما من شك في أن إيران القديمة لما تكشف عن كل أسرارها، ومازالت هناك بعض المفاجآت التي تستتكن في التراب الإيرانيّ "أو الأفغاني"، وفي المتاحف والمجموعات، وفي رؤوس الباحثين أيضًا، وعلى هذا فلا يمكن أن يكون التاريخ الذي يُطْرَح بين أيدينا هنا لفارس القديمة، إلاّ تاريخاً مؤقتًا.

ملاحق

جدول زمني للحوادث

إيران في عصر الإخمينيين

49/550	ملك الفرس، قورش "الثاني؟" يقهر سيده، ملك الميديين، أستياجيس ويستولي على إكباتانا.
46/547	الفرس يغزون دولة الميديين، وملك الليديين كرويزوس يقتل عند غزو سارديس.
539	قوات قورش بقيادة أوغبارو تستولي على بابل.
530	قورش يسقط في القتال ضد المسّاجيين على نهر جاكسارتيس، ويُدْفن في بزَرغداي
522-530	الخليفة يصبح ابنه قمبيز "الثاني". قمبيز يوعز بإزاحة شقيقه من الطريق بَرْدِيًا، بصفته منافسًا محتملاً على الحكم.
525	القوات الفارسية بقيادة قمبيز تغزو مصر.
21/522	في إيران يثور الكاهن الميديّ غاوماتا ويكسب أنصارًا عن طريق تأجيل دفع الضرائب والإعفاء من الخدمة في الجيش، وبعد حكم دام سبعة أشهر فحسب، يُقْتَل من قِبَل سبعة من المتآمرين الأرستقراطيين، ويُعَيَّن واحد منهم، هو داريوس الإخمينيّ، ملكًا، ويصيب نجاحًا في سحق

ثورات جمّة العدد، على حكومته. ومن أجل رواية فَعاله على الصخر في بِسُتون تُستخدَم الكتابة المسمارية التي ابتُدعَت حديثًا، بالفارسية القديمة.

519 داريوس يقهر "ملك" السكيثيين، سكنكسا. وفي عام 510 وعلى الرغم من حملة لم تُصِب نجاحًا، على السكيثيين "الأوربيين" ينجح في غزو ثراقيا. وتبيَّن ملك المقدونيين أن للفرس اليد العليا. وفي الشرق يتم توسيع الحكم حتى وادي السند.

6/507 المبعوثون الأثينيّون يحققون الإخضاع الرسمي بقيادة الامبراطور.

494/500 البولايس الإيونيون على ساحل آسيا الصغرى يثورون على أسيادهم الفرس، غير أنهم يُهْزمون على الرغم من أداء المعونة من جانب الأثينيين "والإريترئيين "الثورة الإيونية"، ويتم غزو ميليت، وتهجير الطبقة القيادية.

492 ماردونيوس يستعيد المجال المقدوني التراقي لصالح الفرس.

490 إخفاق عملية بالأسطول الفارسي بقيادة داتيس وآرتافيرنيس، ضد أثينا وإريتريا، عند الماراثون.

486 موت داريوس ويصبح خليفته ابنه كِسرى (486-465) وفي بداية حكمه يتم قمع ثورات في مصر عام 485 وبابل عام 481.

79/480 الحملة الكبرى على اليونان تنتهي إلى الإخفاق على الرغم من ألوان النجاح في البداية، عند سلاميس عام 480 وفي البحر وفي بلاتايين عام 479 في البر، ويتم سحق ثورة أخرى في بابل عام 479.

465 كِسرى يُقتَل مع ولي العهد داريوس، ويخلفه ابنه الأصغر أردشير "الأول"

424/465 في أيام حكم أردشير الأول تقع الهزيمة على نهر أويريميدون ضد أعضاء "التحالف البحري الأول" ولكن تحدث أيضًا ألوان النجاح في مصر "ضد إيناروس وأثين" وفي قبرص.

423 بعد موت الملك يُقتل ولي العهد كِسرى "الثاني"، ويصبح ولي العهد الثاني.

404/423 داريوس يحقق نجاحًا بالطريق الدبلوماسي، ويحقق بالضغط العسكري استعادة مدن الساحل في آسيا الصغرى "عن طريق مساندة من اسبرطة في الحرب البيلوبونّية.

359/404 يثور على ابن داريوس، أردشير الثاني أخوه قورش الإبن غير أنه يُقتل في معركة كوناكسا "401" عند بابل وتضيع من الامبراطورية الفارسية مصر وفي "صلح الملك" (86/387) يُعترف لملك اليونان بملكية غربي آسيا الصغرى بصورة نهائية ملكًا له، إخفاق ثورات المرازبة.

338/359 في أيام حكم أردشير الثالث، ابن كِسرى الثاني يتم قمع ثورات أخرى في

آسيا الصغرى وفي فينيقيا، وفي عام 42/343 تُستعاد مصر.

336 بعد قتل الملك عام 338 وبُعيد ذلك أيضًا قتل ولده وخليفته آرسيس يصل إلى العرش حفيد آخر بعيد لداريوس الثاني، باسم داريوس الثالث.

330/434 الإسكندر "الثالث" المقدوني يُهاجم امبراطورية الفرس ويغزو، بعد الانتصارات على نهر غرانيكوس، عند إسوس وغوغاميلا كل الغرب، وبلاد الرافدين، ومقار الملوك، ويتم قتل داريوس وهو هارب من قبل المرزبان بَيسوس عام 330.

الحكم المقدوني في إيران

323/330 الإسكندر يغزو شرقي إيران، ووادي السِّند، ويتصرف على أساس أنه خليفة الإخمينيين ويعمل الإيرانيون في محيطه ويؤدون الخدمة في الجيش.

306/312 في أيام سلوقوس الأول تصبح إيران جزءًا من الامبراطورية السلوقية.

305 في معاهدة مع كندراغوبتا يجري التنازل عن الجانب الأعلى من منطقة السند، قندهارا وعن باروباميساداي وعن شرقي آراخوزيا لدولة الموريا الآخذة في التوسع.

وفي عام 250 يؤسس ديودوتوس الأول والثاني المملكة "اليونانية البكترية"، والمرزبان الفرتي يقدم فيما بعد أيضًا على الانفصال عن الامبراطورية السلوقية غير أنه يسقط في القتال مع البارنيين في أيام أرساكس "انظر.. الأرساكيون".

206 أنطيوخوس الثالث يستطيع، بصورة عابرة، أن يفرض الاعتراف بالسيادة السلوقية على شرقي إيران من جديد.

وفي النصف الثاني من القرن انحطاط الحكم الموري يهيئ الظرف المواتي لتوسع اليونانيين البكتريين حتى وادي السند.

وفي النصف الثاني من القرن تنفصل عيلام وفارس عن الامبراطورية السلوقية.

126/141 الفرتيون يخضعون غربي إيران والعراق.

وفي عام 130 تنهزم الدولة البكترية اليونانية أمام زحف اليووه-شيه، وتصمد البقايا الأخيرة من الممالك البكترية الهندية نصف قرن آخر.

حتى عام 239 يجري احتلال المناطق الفرتية إلى الشمال من كوبيت داغ، من قبل البارنيين بقيادة أرساكس، والأسياد الجدد الذين سرعان ما يسمون بالفرتيين يغزون هِركانيا.

228/230 أرساكس يتمكن من تثبيت وضعه في مواجهة سلوقوس الثاني.

208/210 الفرتيون يضطرون إلى الاعتراف من جديد بالسيادة السلوقية بعد الخطوات الناجحة التي قام بها أنطيوخوس الثالث في حملته إلى الشرق، ويُخلون من جديد أيضًا مناطق تقع إلى الجنوب من كوبيت داغ.

بعد عام 188 بعد هزيمة أنطيوخوس الثالث في مواجهة روما يخرج عليه الفرتيون من جديد ويوسعون حكمهم بين الجنوب والغرب.

38/139/171 مثريداتيس الأول يغزو غربي إيران والعراق. وفي الشرق يجري ضم أجزاء من الامبراطورية البكترية اليونانية، وتنتهي إلى الإخفاق ضربة سلوقية مضادة في أيام ديمتريوس الثاني "139".

الفرتي يحمل لقب الإخمينيين القديم "ملك الملوك".

23/124/38/139 فراتيس الثاني وأرتبانُس الأوَّل يؤمِّنان غربي إيران والعراق في مواجهة السلوقيين "الانتصار على أنطيوخوس السابع الذي كان منتصرًا في البداية 129" وشراكيين، غير أنهم يسقطون في القتال في مواجهة شعوب السهوب في الشمال الشرقي.

87/88/23/124 مثريداتيس الثاني يقيم مركز الامبراطورية الفرتية من جديد. التدخل الأول للفرتيين في إرمينية. المبعوث الفرتي أوربةزوس يلتقي مع سولاً "الحاكم الروماني في قيليقيا" (96).

66/69 الاعتراف بحدود الفرات من قبل الفرتيين في اتفاقيات أُبرمت مع لوقولّوس وبومبيوس.

53 نقض المعاهدات من قبل كراسوس. أما إغارته على امبراطورية الفرتيين فيتم وقفها في معركة كارهاي "كارهي" على يد القائد الفارسي سوريناس. موت كراسوس.

44 الحملة التي تم التخطيط لها على الفرتيين من قبل قيصر لا تنتهي إلى التنفيذ بسبب مقتل قيصر.

38/41 الفرتيون يغزون بقيادة باكوروس وق. لابينوس، بصورة عابرة، سوريا وأجزاءً من آسيا الصغرى، غير أنهم يردون على أعقابهم من قِبَل فينتيديوس باسّوس.

36 على الرغم من أزمةٍ داخل الأسرة الحاكمة في امبراطورية الأرساكيين تُخفق حملة لأنطونيوس في إرمينية وميديا، الأتروباتينية.

20 معاهدة الصلح بين فراتيس الرابع وروما، نجاح دبلوماسي لأغسطوس،

الفرتيون يعيدون الشارات الميدانية التي يبلغ عددها 53 والتي ظفروا بها فيما بعد ويعترفون بالسيادة الرومانية على إرمينية، أبناء فراتيس يمكثون في روما.
في عام 12 م وفي مواجهة فونونيس الأول الذي ربيَّ في روما، يرفع النبلاء أرتبانُس الثاني إلى سدة الحكم ومع ذلك سرعان ما يبدون مقاومة لسياسته التي يتم إذكاء نارها من قِبَل روما عن طريق إرسال المطالب بالعرش.

45/38 وبعد موت أرتبانُس، ألوان من الصراع على السلطة بين فار دانيس وغوتارزيس الثاني.

63/51 منازعات رومانية فرتية على إرمينية في أيام فولوجيزيس الأول.

63 اتفاقية رهانديا. المملكة الإرمينية تصبح مملكة أرساكية وراثية تحت السيادة الرومانية.
بعد عام 72 غارة للالانيين، وخروج هِركانيا، وكذلك معارك الصراع على العرش بعد موت فولوجيزيس تهيّئان للدولة فترة من الأزمات.

117/114 أوسروييس المناقض للقانون، في إرمينية يُحفِزطراجان إلى حملة على الفرتيين: ويتم تحويل إرمينية والعراق وبلاد آشور إلى أقاليم، وينتهي طراجان إلى الإخفاق أمام هاترا، غير أنه يغزو كتيسيفون، الثورات في العرا ق موت طراجان.
بعد عام 117 هدريان يتخلى عن المكاسب الجديدة، ويصبح الفرات خط الحدود من جديد. وفي ميسينه يتواصل حتى عام 151 وجود حاكم مستقل عن الفرتيين.

165/161 الردُّ على هجوم فرتي كان في البداية ناجحًا، على إرمينية وسوريا، في أيام فولوجيزيس الرابع، من قبل أفيديوس كاسيوس، بضربة معاكسة: حيث يتم الاستيلاء على كتيسيفون ويدخل شماليّ العراق، بما في ذلك دجورا- أوربوس، في نطاق سيطرة الرومان، ويكون بعد ذلك وباء يرغم الرومان على انسحاب حافل بالخسائر.

195 إنشاء إقليم بلاد الرافدين على يد سبتيموس سيفيروس.
منذ 198 حملات ستيموس سيفيروس وابنه وخليفته كاراكالا على الفرتيين لا تغيِّر شيئًا من الواقع الذي كان قائمًا من قبل، ومع ذلك فهي تُمكن "أنصاف الملوك" في فارس من متابعة أهدافهم الخاصة: إذ يغيِّر الساسانيان باباغ وأردشير إقليمهما في كل الجنوب الغربي.
28 نيسان 224 أردشير الأول يهزم آخر ملوك الفرتيين، أرتبانُس "أردافان" الرابع.

6/205 بدء الحقبة الساسانية "فرض الباباغ؟".

224/6/205 غزو فارس بأسرها، والمناطق المتاخمة "عيلام- المنطقة المحيطة بأصفها كِرْمان، شمال شرقي الجزيرة العربية "؟" على يد باباغ وأبنائه شابور وأردشير. انتصار أردشير على أرتبانُس الرابع "بعد رفضه أن يعترف به حاكمًا يدور في فلكه؟ في الصراع على السلطة في الامبراطورية بأسرها؟".

40/239/224؟ في أيام حكم أردشير الأول تصبح كل مناطق الامبراطورية الفرتية ساسانية "ماخلا إرمينية" وبعد الغارات الفارسية على المناطق الرومانية، تحدث الحملة على الفرس من قبل ألكسندر سيفيروس بمخرج غير حاسم، إذ يستولي الساسانيون على نصيبين وكارّهاي عام 238؟ ويهاجمون دورا عام 239.

72/271/240 في أيام حكم ابن أردشير، شابور الأول، تنشب معارك حافلة بالتبدُّل،مع روما: الاستيلاء على هاترا عام 241، الانتصار على غورديان، وإبرام الصلح مع فيليب العربي عام 244. غزو إرمينية عام 252. الحملات على سوريا وآسيا الصغرى، مع حالاتٍ من النجاح، الاستيلاء على أنطاكية، غزو دورا عام 256، أسر فاليريان عام 260 والهزائم "الهجمات المضادة لأمير تدمر، أذينه".

277 موت ماني في السجن.

بعد عام 277 الحرب بين الأخوين، فهرام الثاني وهورمِزْد تفسح المجال لألوان من النجاح الروماني بقيادة كاروس عام 283 والارتقاء السياسي للموباد كيردير، ابرام معاهدة الصلح بين فهرام وديوكليسيان عام 287.

98/297 معاهد نصيبين بين نارسيه وديوكليسيان بعد ضربة وقائية من قبل الساسانيين موجهة إلى إرمينية "هزيمة غاليويوس 296" وهجوم روماني مضاد، مظفَّر، نارسيه يضطر إلى التخلّي عن العراق وإرمينية، وكذلك عن مناطق وراء دجلة.

قبل 309عملية انتهت إلى الإخفاق لهورمِزد الثاني، ضد روما.

379/309 ابن هورمِزد، شابور الثاني، يستطيع، بعد معارك طويلة، أن يستعيد أجزاء كبيرة من المناطق التي خسروها عام 298، وبعد أن صدَّ الامبراطور جوليان أمام أبواب كتيسيفون، وأبرم صلحًا مع خليفته يوفيان عام 363، وفي ارتباط بهذه الحروب، تنتهي المسألة إلى عمليات اضطهاد ثقيلة الوطأة للمسيحيين الذين لم يكونوا قد انشقوا عن إخوانهم في العقيدة، وبعد "التحوُّل الذي اعترى قسطنطين" بات ينظَر إلى المسيحيين على أنهم مشايعين للرومان.

387 الجزء الشرقي من إرمينية يغدو ساسانيًا، من جديد.

وبعد عام 400 الهِفتاليون يتوغلون في إيران، ويغدون في الحقبة اللاحقة أكبر خصم للفرس.

484/465 الملك بيروز يتعرض، مرتين لضربة قاضية ساحقة من قبل الهفتاليين. وفي أيامه يصبح المذهب النسطوريّ المذهب الذي يطبع الكنيسة المسيحية بطابعه في إيران.

579/488 تنتهي المسألة من جراء الخسائر الفادحة في الحرب والارتباط مع الهفتاليين بالجزية وكوارث المجاعات، إلى ثورات شعبية تتوجَّه، متأثرة بمطاليب مَزدك، نحو التوزيع المتساوي للأملاك، ولاسيما حيال النبلاء "النبلاء من ملاك الأراضي الكبيرة؟ أم صغار النبلاء؟ وبعد مساندة في البداية من قبل الملك كافاد الأول، تؤدي إلى تجريده من السلطات بصورة عابرة عام 496، يتم سحق الثورات من قبل كافاد وابنه كسرى الأول، بطريقة دموية، وينتهز كسرى ضعف النبلاء من أجل إصلاحات أساس، اجتماعية واقتصادية وعسكرية، وتسجيل ملكية الأراضي في السجل العقاري وإدخال ضريبة ثابتة على الأرض، بدلاً من ضريبة الغلال المتبدِّلة، وإحصاء الخلق، والتحديد الجديد لضريبة الرأس متدرِّجة حسب فئات الثروة": وتقسيم الامبراطورية إلى أربعة مناطق عسكرية، وتجهيز الفرسان على نفقة الدولة، وإنشاء حاميات لتأمين الحدود، وإنشاء فئة من نبلاء البلاط والموظفين ذوي ملكية الأرض الأدنى، وتنمية البنية التحتية، وإجراءات تأمين الحدود.

540 كسرى ينقض الصلح المبرم مع جسطنيان عام 532 "السلام الخالد"، فيدمر أنطاكية، ويهجِّر سكانها.

في عام 560 القضاء على دولة الهفتاليين بمعونة الأتراك الغربيين.

562 تجديد عقد الصلح مع بيزنطة، إلى خمسين عامًا، ورفع دفعات الجزية المتفق عليها، إلى الساسانيين".

571 غزو جنوب الجزيرة العربية وطرد الأكسوميين "الأحباش" المتحالفين مع بيزنطة.

628/590 ابن هورمِزْد، كسرى الثاني، يسحق، بمعونة من روما الشرقية، ثورة المطالب بالعرش، فهرام السادس جوبان، ويغزو، منذ عام 604، أجزاء كبرى من آسيا الصغرى وسوريا، ويستولي عام 619 على مصر، ويحاصر عام 614 القسطنطينية "بالاشتراك مع الأفار"، ويتم اختطاف صليب المسيح من القدس إلى كتيسيفون. على أن ضربة هرقل المعاكسة (626-628) ترغم الساسانيين على تسليم المناطق المغزوَّة، ويتم إسقاط كسرى في ثورة للنبلاء، ويُقْتَل.

651/632 وبعد طور من الفوضى وفترات الحكم المتبدِّلة، يُجاء بيزدجرد الثالث،

من قِبَل حزبٍ النبلاء التابع لرُستَم، إلى العرش. ولا يكون الملك في الوضع الذي يمكّنه من تثبيت أقدام الدولة التي أَوْهنتها الحروب والمصالح الفردية، في وجه الجيوش الإسلامية. وبعد هزائم عند القادسية عام 636 ونهاوند عام 642 ينسحب يزدجرد إلى شرقي إيران، غير أنه يُقْتَل هناك، وتصبح امبراطورية الساسانيين جزءًا لا يتجزّأ من دولة الخلفاء.

الأسر الحاكمة والملوك

الإخمينيون

قورش "قورش" الثاني "؟" الكبير	حوالي 530/558 ق م
قمبيز "كمبوجيا" الثاني	522-530
غاوْماتا/ برديا	522
داريوس "دارياطوش" الأول	486-522
كِسرى "إحشايرشان" الأول	465-486
خُشارِشا "رتاخشاسا" الأول	424-465
كِسرى الثاني، سكينديانُس	423-424
داريوس الثاني	404-423
خشارشا الثاني	359-404
خشارشا الثالث	338-359
آرسيس	336-338
داريوس الثالث	330-336

السلوقيون: حتى 125 ق م

سلوقوس الأول، نيكاتور	281-305
أنطيوخوس الأول، سوتير	261-281
أنطيوخوس الثاني، ثيوس	246-261
سلوقوس الثاني، كالينيكوس	225-246
سلوقوس الثالث، سوتير	223-225
أنطيوخوس الثالث، الكبير	187-223
سلوقوس الرابع، فيلوباتور	175/187
أنطيوخوس الرابع، إبيفانيس	164-175
أنطيوخوس الخامس أويباتور	162-164
ديمتريوس الأول، سوتير	150-162
إسكندر بالاس	145-150
ديمتريوس الثاني، نيكاتور	141-145
أنطيوخوس السادس، إبيفانيس	142-145
أنطيوخوس السابع، سيديتيس	129-138
ديمتريوس الثاني، نيكاتور	125-129

الأرساكيون

أرساكس الأول	حوالي 217-38/247
أرساكس الثاني	191-217
فرياباتيوس	176-191
فراتيس الأول	171-176
ميثراداتيس الأول	38/139-171
فراتيس الثاني	128-38/139
أرتبانُس "أردفان" الأول	23/124-128
ميثرادتيس الثاني	87/88-23/124
غوتارزيس الأول	80/81-90/91
أوربديس الأول	75/76-80/81
سيناتوركيس	حوالي 70/71-77/78
فراتيس الثالث	57/78-70/71
ميثراداتيس "الثالث"	57/58
أوربديس الثاني	38-57/58

فراتيس الرابع	2/-3/38
فراتيس الخامس	2 ق م - 2 م
أوربديس الثالث	6-4
فونونيس الأول	9/8
أرتابونوس الثاني	38-11/10
فاردانيس	45/38
غوتارزيس الثاني	51-44/43
فونونيس الثاني	51
فولوجيزيس، فالاخس الأول	80/76-51
باكوروس	9/108-78/77
فولوجيزيس الثاني	78/77
أرتبانُس الثالث	81-79
أوسرويس	128/127-9/108
فولوجيزيس الثالث	48/147-112/111
فولوجيزيس الرابع	92/191-48/147
فولوجيزيس الخامس	8/207-92/191
فولوجيزيس السادس	22/221-8/207 أو 28/227
أرتابونوس الرابع	224/213

حكام خاراكين «التأريخ يستند في أجزاء كبيرة منه إلى تواريخ صك العملات»

هيساباوسينيس حوالي	21/122-127 ق م
أبوداكوس	3/104-9/110
تيرايوس الأول	89/90-94/95
تيرايوس الثاني	48/49-78/89
أرتابازوس	47/48-48/49
أتّامبيلوس الأول	24/25-46/47
ثيونيسيوس الأول	حوالي 18/19
أتّامبيلوس الثاني	حوالي 16/17 ق م - 9/8 م
أبينَرْغاوس الأول	حوالي 23/22-12/10
أورابازيس الأول	حوالي 19
أتّامبيلوس الثالث	حوالي 45/44-38/37

ثيونيسيوس الثاني	حوالي 47/46
ثيونيسيوس الثالث	حوالي 53/52
أتّامبيلوس الرابع	حوالي 54/55-64/65
أتّامبيلوس الخامس	حوالي 64/65-73/74
أورابازيس الأول	حوالي 73-80
باكوروس الثاني	80-101/ 2 بالفرتية: إنتريغنوم
أتامبيلوس السادس	حوالي 101/102-105/106
ثيونيسيوس الرابع	حوالي 110/11-112/13
أتّامبيلوس السابع	حوالي 113/14-117
ميثرادتيس	حوالي 131-150/51
أورابازيس الثاني	حوالي 150/51-165
أبينرغاوس الثاني	حوالي 165-180
أتامبيلوس الثامن	حوالي 180-195(؟)
ماغا(؟)	حوالي 195-210
أبينرغاوس الثالث	حوالي 210-222

حكام عيلام «التأريخ يستند في أجزاء كبيرة منه إلى تواريخ صك العملة»

كامناسكريس الأول، سوتير	حوالي 147 ق م
كامناسكريس الثاني نيكوفوروس	حوالي 145-139
أوكّونابسيس	139
تيغرايوس	138/37-133/32
كامناسكريس الثالث	82/81-75
كامناسكريس الرابع	62/61، أو 59/58 و56/55
كامناسكريس الخامس وخليفته	36/35
أورديس الأول	النصف الثاني من القرن الأول ميلادي
فراتيس	نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني
أورديس الثاني	النصف الأول من القرن الثاني
كامناسكريس-أورديس الثالث	النصف الثاني من القرن الثاني
أوسرويس(؟)	منتصف القرن الثاني

حكام فارس «التأريخ يستند في أجزاء كبيرة منه إلى تواريخ صك العملة»

بيداد	نهاية القرن الثالث/بداية القرن 2 ق م
أردشير الأول	النصف الأول من القرن الثاني
فهبارس	النصف الأول من القرن الثاني
فادرفرداد الأول	منتصف القرن الثاني
فادفرداد الثاني	حوالي 140
ملك مجهول "الأول"	النصف الثاني من القرن الثاني
داريف الأول	نهاية القرن الثاني
فادفرداد الثالث	النصف الأول من القرن الأول
داريف الثاني	القرن الأول
أردشير الثاني	النصف الثاني من القرن الأول
فاهشير	النصف الثاني من القرن الأول
باكور الأول	النصف الأول من القرن الأول
باكور الثاني	النصف الأول من القرن الأول
نامبير	منتصف القرن الأول
ناباد	النصف الثاني من القرن الأول
الملك المجهول "الثاني"	نهاية القرن الأول
فادفرداد الرابع	النصف الأول من القرن الثاني
مانشير الأول	النصف الأول من القرن الثاني
مانشير الثاني	منتصف القرن الثاني
الملك المجهول "الثالث"	النصف الثاني من القرن الثاني
مانشير الثالث	النصف الثاني من القرن الثاني
أردشير الرابع	نهاية القرن الثاني
شابور	بداية القرن الثالث

بيداد وأردشير بصفتها من الملوك دون السلوقيين، وفادفرداد الأول وخليفته من الحكام دون الفرتبيين، وشابور شقيق أردشير الأول، أول الحكام الساسانيين.

الساسانيون

أردشير الأول	224-40/239 م. توفى 42/241
شابور الأول	40/239 (42/241؟) - 72/270

هورمزدا الأول	273-72/270
فهرام الأول	276-273
فهرام الثاني	293-276
فهرام الثالث	293
نارسيه	302-293
هورمزد الثاني	309-302
شابور الثاني	379-309
أردشير الثاني	383-379
شابور الثالث	388-383
فهرام الرابع	399-388
يزدجرد الأول	422-399
فهرام الخامس غور	439-421
يزدجرد الثاني	457-439
هورمزد الثالث	459-457
بيروز	484-459
فالاخش	488-484
كافاد الأول	531-499/496-488
زاماسب	498-496
كسرى الأول، أنو شروان	579-531
هورمزد الرابع	590-579
كسرى الثاني	628-590
فهرام السادس، جوبين	591/590
كافاد الثاني	628
أردشير الثالث	630/628
شهرباراز	630
كسرى الثالث	630
بوران	631-630
أزار ميغدوكست	631
هورمزد الخامس	632-631
كسرى الرابع	633-631
يزدجرد الثالث	651-633

المراجع

مراجع القسم 1

Wer sich mit der Geschichte und Kultur Irans beschäftigen möchte und über dieses Buch hinaus Anregungen und Literatur sucht, ist auf mehrere Arten von Informationsquellen verwiesen: auf Handbücher, Lexika und Nachschlagewerke sowie Bibliographien. Die wichtigsten *Handbücher zur Geschichte Irans vor dem Islam* sind die Bde. II und III der Cambridge History of Iran, Cambridge 1983-1985 (von denen allerdings Bd. III über die parthisch-sâsânidische Zeit deutliche Vorzüge besitzt); daneben ist - für die politische Geschichte - das Werk von R.N. Frye, The History of Ancient Iran, München 1984 zu nennen.

An *Nachschlagewerken/Lexika* sind zu erwähnen: Die vorzügliche Encyclopaedia Iranica (EncIr), London/Costa Mesa 1986 ff., von der bislang 5 Bde. erschienen sind (Buchstaben A - C) sowie Pauly-Wissowas Real-Encyclopädie der classischen Altertumswissenschaft (RE), hg. v. G. Wissowa u.a., Stuttgart 1893 ff. (in über 80 Bänden, auch mit Artikeln zur Geschichte Irans) und Der Kleine Pauly (KlP), hg. v. K. Ziegler u.a., 5 Bde., Stuttgart 1964-1975 (das auch in einer Taschenbuchausgabe vorliegende beste erschwingliche Nachschlagewerk zu allen Fragen der klassischen Altertumswissenschaft, auch mit Artikeln zur Geschichte Irans). Daneben sind noch Speziallexika zu den Kulturen zu nennen, mit denen die Iraner Kontakte pflegten, etwa das Lexikon

der Ägyptologie, hg. v. W. Helck/E. Otto, Wiesbaden 1972 ff., das Reallexikon der Assyriologie, hg. v. E. Ebeling u.a., Berlin 1928 ff. (bislang bis zum Buchstaben M erschienen) sowie The Oxford Dictionary of Byzantium, ed. A. Kazhdan, 3 vols., Oxford 1991.

Es bleiben zu erwähnen die (thematischen) *Bibliographien*: Für den Bereich der *iranischen Geschichte und Kultur* ist zu verweisen auf die jährlich erscheinenden Bände der Abstracta Iranica. Supplement à ‚Studia Iranica', Leuven 1977 ff.; Spezialbibliographien zur *archäologischen Forschung in Iran*: P. Calmeyer, „Archäologische Bibliographie", jeweils in: AMI N.F., Berlin 1973 ff. sowie L. Vanden Berghe, Bibliographie analytique de l'archéologie de l'Iran antique, Leiden 1979; Suppl. I-II, Leiden 1981-1987; zu den *(altiranischen) Sprachen*: „Indogermanische Chronik", jeweils in: Die Sprache, Wien sowie die jährlich erscheinende Bibliographie Linguistique, ed. M. Janse/H. Borkent, Dordrecht u.a. - *Neuere Literatur zu den (Keilschrift-) Kulturen des Alten Orients* findet sich in der „Keilschriftbibliographie", jeweils in: Orientalia N.S. 9 ff., Rom 1940 ff. sowie in den Oriental Institute Research Archives Acquisitions List(s), Chicago 1991 ff.- Zu allen Fragen der *Umwelt des Alten Testaments* sind zu konsultieren: Elenchus Bibliographicus Biblicus bzw. Elenchus of Biblical Bibliography, Rom 1920ff.; Internationale Zeitschriftenschau für Bibelwissenschaft und Grenzgebiete, Düsseldorf 1951/1952 ff.- Die (einzig wichtige) Bibliographie zu allen Fragen der *griechisch-römischen Antike* ist die jährlich erscheinende L'Année Philologique, ed. J. Marouzeau/J. Ernst, Paris 1928 ff.

Die *Anfänge iranischer Herrschaft in Vorderasien* hat zuletzt P. Högemann (Das alte Vorderasien und die Achämeniden (Beih. z. TAVO, Reihe B, 98), Wiesbaden 1992) darzustellen versucht; das Schwergewicht seiner Untersuchung liegt allerdings weniger auf der Ereignisgeschichte als auf den Einflüssen der Vorgängerreiche auf das frühe Perserreich.

Zur *(historischen) Geographie Irans* vgl. die Cambridge History of Iran, vol. 1, ed. W.R. Fisher, Cambridge 1968, E. Ehlers, Iran. Grundzüge einer geographischen Landeskunde, Darmstadt 1980 sowie die entsprechenden Artikel in der EncIr; zu *Afghanistan* s. E. Grötzbach, Afghanistan, Darmstadt 1990. - Zur *politischen Idee von Iran* konsultiere man Gh. Gnoli, The Idea of Iran, Roma 1989 sowie B.G. Fragner, „Historische Wurzeln neuzeitlicher iranischer Identität: Zur Geschichte des politischen Begriffs ‚Iran' im späten Mittelalter und in der Neuzeit", Studia Semitica Necnon Iranica. R. Macuch Septuagenario, ed. M. Macuch u.a., Wiesbaden 1989, 79-100. - Zur *Instrumentalisierung der altiranischen Geschichte* vgl. H. Sancisi-Weerdenburg, „Cyrus en de Sjah", Groniek 62, 1979, 3-9.

مراجع القسم 2 / 1 / 1 - 2 / 1 / 4

Zum Achaimenidenreich steht eine ausführliche *Bibliographie* von U. Weber/J. Wiesehöfer kurz vor dem Erscheinen. *Karten* des Reiches wurden veröffentlicht

von G. Gropp und P. Högemann im Rahmen des Tübinger Atlas des Vorderen Orients (TAVO). - Über die *Geschichte des Achaimenidenreiches* kann man sich in zahlreichen Handbüchern informieren (s.o.). Allerdings zeichnet manche die Tendenz aus, das Reich zu sehr von Westen (Griechenland) aus verstehen zu wollen; dagegen werden die östlichen Traditionszusammenhänge und neuere Erkenntnisse der Forschung zuweilen nicht gebührend berücksichtigt. Für die politische Geschichte des Reiches, die hier nur am Rande behandelt wird, sei vor allem auf M.A. Dandamaev, A Political History of the Achaemenid Empire, transl. by W. Vogelsang, Leiden 1989 sowie E.M. Yamauchi, Persia and the Bible, Grand Rapids 1990 verwiesen; im letztgenannten Werk, das den neuesten Forschungsstand zu berücksichtigen sucht, findet man trotz mancher Kritik, die man an der Bewertung der alttestamentlichen Tradition üben könnte, viele wichtige Informationen auch zu den Zeugnissen, zu den sozialen und religiösen Verhältnissen im Reich usw. Nützlich ist auch M.A. Dandamaev/V.G. Lukonin, The Culture and Social Institutions of Ancient Iran, Cambridge 1989. - ‚Standardwerk' zur Geschichte des Achaimenidenreiches wird zweifellos die umfangreiche Arbeit von P. Briant werden, die Anfang 1994 in Leiden erscheinen soll. Obgleich es sich bei ihnen um Sammlungen von Einzelaufsätzen handelt, repräsentieren die Tagungsbände Achaemenid History I-VIII, Leiden 1987 ff. die Ergebnisse einer ‚neuen Sicht' des Achaimenidenreiches in besonderer Weise. Zur ersten Information können auch der Artikel „Achaemenid Dynasty" von R. Schmitt (EncIr I, 1986, 414-426) und das reich illustrierte Büchlein von P. Briant (Darius, les Perses et l'Empire (Découvertes Gallimard), Paris 1992) dienen.

1. Über die *sprachlichen Verhältnisse* in Iran informiert A.V. Rossi in seinen beiden Aufsätzen „La varietà linguistica nell' Iran achemenide", AIWN 3, 1981, 141-211 sowie „Glottonimia ed etnonimia nell' Iran achemenide", AIWN 6, 1984, 39-65. - Zur *altpersischen Sprache* sei verwiesen auf W. Brandenstein - M. Mayrhofer, Handbuch des Altpersischen, Wiesbaden 1984 sowie R. Schmitt, „Altpersisch", Compendium Linguarum Iranicarum, hg. v. R. Schmitt, Wiesbaden 1989, 56-85. - Das *iranische Namenmaterial* (auch der Nebenüberlieferung) wird kompetent behandelt im Iranischen Personennamenbuch, hg. v. M. Mayrhofer, Wien (von dem bislang allerdings erst einige Faszikel erschienen sind). - Einen *Überblick über die (schriftlichen) Zeugnisse* findet man bei W. Hinz, „Die Quellen", Beiträge zur Achämenidengeschichte, hg. v. G. Walser, Wiesbaden 1972, 5-14 sowie nun auch bei L. Cagni/A.V. Rossi/R. Contini, in: Rivista Biblica 34.1-2, 1986, 11-109. - Eine neuere *Edition der achaimenidischen Königsinschriften* (in allen Fassungen), die das alte Werk von F.H. Weissbach (Die Keilinschriften der Achämeniden, Leipzig 1911) ersetzt, steht noch aus. Einen Teil des Materials aus Susa bietet nun M.-J. Steve, in: Nouveaux mélanges épigraphiques, Nice 1987. - Zur *altpersischen Schrift* vgl. die zur altpersischen Sprache genannten Arbeiten. - Die immer noch maßgebliche *Ausgabe der altpersischen Inschriften* ist R.G. Kent, Old Persian. Grammar, Texts, Lexicon, New Haven 2/1953;

eine neuere Aufstellung des vorhandenen Materials (mit Kommentar) bietet M. Mayrhofer, Supplement zur Sammlung der altpersischen Inschriften, Wien 1978. - Zur *elamischen Schriftsprache* sei auf die Grammatik von F. Grillot-Susini (Eléments de grammaire élamite, Paris 1987), das Syllabar von M.-J. Steve (Syllabaire élamite, Neuchatel/Paris 1992) sowie das Wörterbuch von W. Hinz/H. Koch (Elamisches Wörterbuch, 2 T., Berlin 1987) verwiesen. - *PFT* und *PTT*: Die maßgeblichen Editionen sind die von R.T. Hallock (Persepolis Fortification Tablets, Chicago 1969; ders., „Selected Fortification Texts", CDAFI 8, 1978, 109-136) und G.G. Cameron (Persepolis Treasury Tablets, Chicago 1948). Dort finden sich auch ausführliche historisch-philologische Kommentare. - Zu den *Siglen der Täfelchen*: PF = Hallock 1969; PFa = Hallock 1978; PT = Cameron 1948; Fort./H./T. = unpubliziertes Material. - In den Archiven aus Persepolis fanden sich neben den elamischen Texten auch je ein akkadischer Schatzhaus- (PT 85) und Walltext (W.M. Stolper, „The Neo-Babylonian Text from the Persepolis Fortification", JNES 43, 1984, 299-310), 700 (noch unpublizierte) aramäische Walltäfelchen sowie 1 griechisches (Hallock, PFT, 2) und 1 phrygisches Stück. Der Abbruch der Überlieferung nach 458 wird, wie bereits betont, mit der Umstellung der Verwaltung auf aramäische Schrift und Sprache und die entsprechenden (vergänglichen und vergangenen) Beschreibstoffe erklärt. - Umfassende historische Auswertungen der Texte verdankt man auch W. Hinz („Achämenidische Hofverwaltung", ZA 61, 1971, 260-311; Darius und die Perser, 2 Bde., Baden-Baden 1976-1979), H. Koch (Verwaltung und Wirtschaft im persischen Kernland zur Zeit der Achämeniden, Wiesbaden 1990; Es kündet Dareios der König. Vom Leben im persischen Großreich, Mainz 1992) und D.M. Lewis („The Persepolis Fortification Texts", AchHist IV, Leiden 1990, 1-6). Hinzu kommen eine Fülle von Spezialstudien und -beiträgen, die bei Bedarf genannt werden sollen. - Zu den *babylonischen Zeugnissen* vgl. A. Kuhrt, „Achaemenid Babylonia: Sources and Problems", AchHist IV, Leiden 1990, 177-194; historische Auswertungen des Materials finden sich bei ders., „The Achaemenid Empire: A Babylonian Perspective", PCPhS 214, 1988, 60-76 sowie besonders bei M.W. Stolper, Entrepreneurs and Empire, Leiden 1985. - Zur *aramäischen Sprache und Schrift* sei auf S. Segert, Altaramäische Grammatik, Leipzig 4/1990 verwiesen, für die Zeugnisse in dieser Sprache auf den Forschungsbericht von E. Lipiøski („Araméen d'Empire", Le langue dans l'antiquité, ed. P. Swiggers/A. Wouters, Louvain 1990, 94-133. - *Stele von Xanthos*: H. Metzger/E. Laroche/A. Dupont-Sommer/M. Mayrhofer, Fouilles de Xanthos VI: La stèle trilingue du Letôon, Paris 1979. - Für die *griechischen Autoren* fehlt es, abgesehen von D. Asheris Kommentar zu Herodots III. Buch (Erodoto. Le Storie, Libro III: La Persia, Milano 1990), vielfach noch an historisch-philologischen Kommentaren zu den ‚iranischen' Teilen ihrer Werke. Zu Xenophons ‚Anabasis' und ‚Kyroupaideia' vgl. Ch. Tuplin, „Modern and Ancient Travellers in the Achaemenid Empire: Byron's *Road to Oxiana* and Xenophon's *Anabasis*", AchHist VII, Leiden 1991, 37-57 bzw. H. Sancisi-Weerdenburg, "The Death of Cyrus: Xenophon's Cyropaedia as a Source for Iranian History", AcIr 25, 1985, 459-471.

Besonders schmerzlich werden Kommentare vermißt zu Plutarch ('Vita des Artaxerxes'), Strabon und Xenophon. - Zum *Hellenozentrismus* der Quellen (und der Forschung) vgl. H. Sancisi-Weerdenburg, in: Bibliotheca Orientalis 44, 1987, 489-495. Zu den Autoren des 4. Jh. s.u. - Die neueste Textedition des *Gadatasbriefes* von F. Lochner-Hüttenbach findet sich in: Brandenstein/ Mayrhofer (s.o.), 91-98. - Zur *Inschrift von Sardeis* vgl. man F. Gschnitzer, „Eine persische Kultstiftung in Sardeis und die ‚Sippengötter' Vorderasiens", Im Bannkreis des Alten Orients (Festschrift K. Oberhuber), Innsbruck 1986, 45-54. - Die angebliche *Inschrift am Kyrosgrab* behandelt kompetent R. Schmitt, „Achaimenideninschriften in griechischer literarischer Überlieferung", AcIr 28, 1988, 17-38; vgl. auch J. Heinrichs, „'Asiens König'. Die Inschriften des Kyrosgrabs und das achämenidische Reichsverständnis", Zu Alexander d. Gr. Festschrift G. Wirth, Bd. 1, Amsterdam 1987, 487-540. - Zu weiteren griechischen Zeugnissen und dem *griechischen Wissen um die Keilschrift* s. R. Schmitt, „Assyria Grammata und ähnliche. Was wußten die Griechen von Keilschrift und Keilinschriften?", Zum Umgang mit fremden Sprachen in der griechisch-römischen Antike, hg. v. C.W. Müller u.a., Stuttgart 1992, 21-35.

Zu den Büchern des *Alten Testaments* sei auf die Einführung von W.H. Schmidt, Berlin 4/1989 verwiesen, für den historischen Zusammenhang auf H. Donner, Geschichte des Volkes Israel und seiner Nachbarn in Grundzügen, T. 2, Göttingen 1986.

Zum *Avesta* findet man die wichtigsten Informationen in dem gleichnamigen Artikel von J. Kellens in: EncIr III, 1989, 35-44.

2. Die *Inschrift von B/sut¨n* (DB) ist veröffentlicht und kommentiert im Corpus Inscriptionum Iranicarum (babyl. Fassung v. E.v. Voigtlander, London 1978; aram. Fassung v. J.C. Greenfield/B. Porten, London 1982; altpers. Fassung von R. Schmitt, London 1991). Eine deutsche Übersetzung (aller Fassungen) von R. Borger/W. Hinz findet man in: Texte aus der Umwelt des Alten Testaments, Bd. 1, Gütersloh 1982-1985, 419-450. - Die wichtigsten Informationen zu *Relief und Inschrift* (und zum historischen Zusammenhang) finden sich im Artikel „B/sot¨n" in: EncIr IV (1990), 289-305 (Autoren: H. Luschey/R. Schmitt). Die Neulesung der entscheidenden Passagen zum § 70 der altpers. Fassung, in dem Dareios über die ‚Schrifterfindung' berichtet, wird R. Schmitt (Epigraphisch-exegetische Noten zu Dareios' Bisutun-Inschriften, Wien 1990, 56-60) verdankt, der zu Recht *dipiciça* ‚Schriftform' ansetzt. Dareios spricht also zunächst von der altpersischen Keilschrift und dann („obendrein auf Arisch") von der ‚inneren Form', von der Möglichkeit, einen Text auch „auf Arisch [Persisch] zu schreiben." - *Persische Opfer*: Hdt. III 131f.; Opfer an Berge: PF 1955. 1960. - Vergleich mit *res gestae*: F. Hampl, „'Denkwürdigkeiten' und ‚Tatenberichte' aus der Alten Welt als historische Dokumente", Geschichte als kritische Wissenschaft, Bd. 3, hg. v. I. Weiler, Darmstadt 1979, 167-220. - *Übersetzung von §§ 60-61* nach Borger/Hinz (s.o.); diese Ausgabe wird auch im folgenden benutzt. - *Replik aus Babylon*: U. Seidl, „Ein Relief Dareios' I. in Babylon, AMI N.F. 9, 1976, 125-130. - Zur *Reliefkomposition* und seinen Vorbildern vgl.

M.C. Root, The King and Kingship in Achaemenid Art, Leiden 1979, *passim*. - *Flügelmann*: P. Calmeyer, „Fortuna - Tyche - Khvarnah“, JDAI 94, 1979, 347-365; anders, als Auramazdâ, interpretiert zuletzt wieder von W. Nagel/B. Jacobs, „Königsgräber und Sonnengottheit bei altiranischen Dynastien“, IrAnt 24, 1989, 337-389. - *Skythenfeldzug*: Dieser Feldzug ist nicht zu verwechseln (oder gleichzusetzen) mit dem Zug gegen die ‚europäischen‘ Skythen, über den Herodot berichtet. - Zum besonderen *Charakter* der *aramäischen Schrift*: Zitat bei Borger, Chronologie, 28. *DNb-Zitat* in der aramäischen Abschrift: N. Sims-Williams, „The Final Paragraph of the Tomb-Inscription of Darius I (DNb, 50-60)“, BSOAS 44, 1981, 1-7. - Meine Beobachtungen zur (Zeit und Raum überspringenden) Komposition des Reliefs orientieren sich an P. Calmeyer, „Dareios in Bagastana und Xerxes in Persepolis. Zur parataktischen Komposition achaimenidischer Herrscherdarstellungen“, Visible Religion 4/5, 1985/6, 76-95.

3. *Persepolis*. Eine kurze, aber treffende Charakterisierung achaimenidischer Kunst von P. Calmeyer findet sich in dem vorzüglichen (u.a. auch reich bebilderten) Werk: Der Alte Orient, hg. v. B. Hrouda, Gütersloh, 1990, 418-442. Ein ‚archäologischer Führer‘ zu P. von P. Calmeyer/W. Kleiss ist in Vorbereitung. Profitiert habe ich in reichem Maße auch von den Arbeiten M.C. Root‘s, vor allem ihrem Ausstellungskatalog Crowning Glories. Persian Kingship and the Power of Creative Continuity, Ann Arbor 1990. - Die Ergebnisse der Ausgrabungen in Persepolis wurden veröffentlicht von E.F. Schmidt, Persepolis I-III, Chicago 1953-1970 sowie A.B. Tilia, Studies and Restorations at Persepolis and other Sites of Fars, vol. I-II, Roma 1972-1978. Einen Eindruck von der Großartigkeit der Anlage vermitteln die Persepolis-Rekonstruktionen von F. Krefter (Berlin 1971). Der ansprechende Katalog der Ausstellung: Persepolis, Mainz 1988 wurde von L. Trümpelmann erstellt (z.T. allerdings mit recht eigenwilligen Interpretationen). - Zur *Geschichte von Persepolis* vgl. Calmeyer, „Das Persepolis der Spätzeit“, AchHist IV, Leiden 1990, 7-36. - *Antiker Bericht* über Persepolis: Diod. XVII 70 f. - Zu den sog. ‚*Tributbringerreliefs*‘ und zum *thronenden König* vgl. G. Walser, Die Völkerschaften auf den Reliefs von Persepolis, Berlin 1966. - *DNa 38-47*: Übers. W. Hinz. - Zur *Aussage* der Reliefs und zur Funktion von Persepolis vgl. die Ansichten von Calmeyer, Dareios in Bagastana (s.o.) und Sancisi-Weerdenburg, „Nowruz in Persepolis“, AchHist VII, Leiden 1991, 173-201. - *Griechen in Persepolis*: Graffiti von Pytharchos und anderen (G. Pugliese Caratelli, „Greek Inscriptions in the Middle East“, East & West 16, 1966, 31-36); griechische Arbeiter und Arbeiterinnen: PF 1798 u.a., PT 15; PF 1224. - *Persepolis und Athen*: Root, „The Parthenon Frieze and the Apadana Reliefs at Persepolis: Reassessing a Programmatic Relationship“, AJA 89, 1985, 103-120 . - Zum *Schicksal von Persepolis*: s.u.; zum Brandbefund: Sancisi-Weerdenburg, ‚Den wereltvorst een vuyle streek aan sijn eercleet‘. Alexander en Persepolis, Utrecht 1991.

4. Zu *Pasargadai* vgl. den Ausgrabungsbericht von D. Stronach, Pasargadae,

Oxford 1978; zum *paradeisos* dens., „The Royal Garden at Pasargadai", Archaeologia Iranica et Orientalis (Festschrift L. Vanden Berghe), vol. 1, Gent 1989, 475-502. - *Ort der Schlacht gegen die Meder*: Strab. XV 3, 8. - *Funktion des Zindân*: vgl zuletzt Sancisi-Weerdenburg, „The Zendan and the

Ka˛bah", Kunst, Kultur und Geschichte der Achämenidenzeit und ihr Fortleben, bes. v. H. Koch/D.N. MacKenzie, Berlin 1983, 145-151 (Gebäude der Königsinvestitur) und G. Ahn, Religiöse Herrscherlegitimation im achämenidischen Iran (AcIr 31), Leiden 1992, 203 ff. (Gebäude zur Aufbewahrung des Königsfeuers). - *Königsinvestitur*: P. Briant, „Le roi est mort: vive le roi", La religion iranienne à l'époque achéménide, ed. J. Kellens. Gent 1991, 1-11.

Über *Susa* in achaimenidischer Zeit informiert zusammenfassend R. Boucharlat, „Suse et la Susiane à l'époque achéménide", AchHist IV, Leiden 1990, 149-175. In einen größeren historischen und kulturellen Zusammenhang stellt diese Stadt der Ausstellungskatalog The Royal City of Susa, ed. P.O. Harper u.a., New York 1992.- *DSf* 22-55: Übers. W. Hinz. - Zur *Dareiosstatue* vgl. J. Perrot u.a., in: CDAFI 4, 1974; zur Komposition und zum historischen Hintergrund Ch. Tuplin und P. Calmeyer, in: AchHist VI, Leiden, 1991, 237-283 bzw. 285-303.

Zu *Naqç-i Rustam* vgl. die zu Persepolis angeführte Literatur. - Die *Münzen* werden behandelt bei I. Carradice, „The ‚Regal' Coinage of the Persian Empire", Coinage and Administration in the Athenian and Persian Empires, ed. I.C., Oxford 1987, 73-107 sowie in zahlreichen Beiträgen des Sammelbandes L'or perse et l'histoire grecque (REA 91.1-2), Bordeaux 1989 [1990]. - Zu den *Siegeln* erfährt man das Wichtigste bei Root, Crowning Glories, 32-45. Ein Corpus der Siegel der Persepolis-Täfelchen ist in Vorbereitung. - *Andere Kunstobjekte* werden vorgestellt von P.R.S. Moorey, „The Persian Empire", CAH. Plates to Vol. IV², ed. J. Boardman, Cambridge u.a. 1988, 45-94. - *Vorbilder für Teile des ‚achaimenidischen Stils'*: ‚Apadana': Hasanlu, Medien; torschützende Genien: Assyrien, Elam; Ziegelreliefs: Babylonien, Elam; Münzprägung mit Motiv des stierschlagenden Löwen: Lydien; Felsgräber, Turmbauten, Farbwechsel in der Steinarchitektur: Urartu; *eigene Schöpfungen*: Säulenkapitell mit Stierprotomen, pavillonartige Palastarchitektur (Angaben nach Calmeyer, in: Der Alte Orient (s.o.), 439 f.).

Für die *regional-lokale Kunst* wäre etwa an die Grabstelen aus Daskyleion (M. Nollé, Denkmäler vom Satrapensitz Daskyleion, Berlin 1992) oder an die Grabkunst Lykiens (Götter, Heroen, Herrscher in Lykien, Wien/München 1990) zu erinnern, für die griechisch-römischen ‚Bilder' an das ‚Alexandermosaik' (B. Andreae, Das Alexandermosaik aus Pompeji, Recklinghausen 1977) oder die ‚Dareiosvase' aus Neapel; für die ‚Persermode' in Athen und anderswo sei verwiesen auf M. Miller, Perserie. The Arts of the East in Fifth Century Athens, Ph. Diss. Cambridge/Mass. 1985 und M.C. Root, „From the Heart. Powerful Persianisms in the Art of the Western Empire", AchHist VI, Leiden 1991, 1-29.

1. Zum *,Königtum'* der Achaimenidenherrscher und zur *,Herrscherlegitimation'* vgl. man zusammenfassend R. Schmitt, ‚Achaemenid Dynasty' in der EncIr (s.o.) sowie nun vor allem G. Ahn, Religiöse Herrscherlegitimation im achämenidischen Iran (AcIr 31), Leiden 1992. Zur ikonographischen Umsetzung der ‚Königsideologie' vgl. die bahnbrechende Arbeit von M.C. Root, The King and Kingship in Achaemenid Art, Leiden 1979. - *Königstitulatur*: R. Schmitt, „Königtum im Alten Iran", Saeculum 28, 1977, 384-395; B. Kienast, „Zur Herkunft der achämenidischen Königstitulatur", Festschrift für H.R. Roemer, Beirut 1979, 351-364. Die Einschränkung der Formel ‚König der Länder, die alle Stämme enthalten' zu ‚König der Länder, die viele Stämme enthalten' durch Xerxes wird übrigens mit der Anerkennung seiner Niederlage gegen die Griechen in Verbindung gebracht. Es sei in diesem Zusammenhang daran erinnert, daß die Könige in den Reichsteilen mit besonderen monarchischen Traditionen (etwa Babylonien und Ägypten) mit der Übernahme der einheimischen Titulaturen ihre Legitimation für die Herrschaft auch in diesen Gebieten zu unterstreichen suchten; so nennt sich Kyros auf dem ‚Kyroszylinder' (s.u.) „Ich Kyros, der König des Weltreichs, der große König, der mächtige König, der König von Babel, der König von Sumer und Akkad, der König der vier Weltsektoren" (Z. 20; Übers. R. Borger), und Dareios bezeichnet sich in der ägyptischen Inschrift auf seiner Statue aus Heliopolis/Susa als „der König von Ober- und Unterägypten, ... lebendes Abbild des Re" (Übers. U. Kaplony-Heckel). - *Achaimenes*: (Mythischer ?) Vorfahr des Dareios und eponymer Stammvater des Geschlechtes; Kyros nennt ihn in seiner Genealogie auf dem Kyroszylinder nicht; wenn man annimmt, daß die angeblichen Inschriften des Kyros aus Pasargadai, in denen er sich als Achaimenide bezeichnet, erst von Dareios stammen, dann darf man vielleicht Zweifel an der Zugehörigkeit des Reichsgründers zum Achaimenidenclan hegen (J. Wiesehöfer, Der Aufstand Gaumātas und die Anfänge Dareios' I., Bonn 1978, 186 ff.); anders: Cl. Herrenschmidt, „Notes sur la parentè chez les Perses au début de l'empire achéménide", AchHist II, Leiden 1987, 66-67. - *Alexander und die Achaimeniden*: P. Briant, Alexandre le Grand, Paris 3/1987, 94 ff. - *Thronfolge*: Antikes Zitat: Plut. Artax. 2; Xerxes und Demaratos: Hdt. VII 3. - *Thronnamen*: R. Schmitt, „Thronnamen bei den Achaimeniden", Beiträge zur Namenforschung, N.F. 12, 1977, 422-425; ders., „Achaemenid Throne-Names", AION 42, 1982, 83-95. - *Synarchie*: P. Calmeyer, „Zur Genese altiranischer Motive, V: Synarchie", AMI N.F. 9, 1976, 63-95. - *König und Götter*: Calmeyer, „Zur bedingten Göttlichkeit des Grosskönigs", AMI N.F. 14, 1981, 55-60; vgl. auch H. Humbach, „Herrscher, Gott und Gottessohn in Iran und in angrenzenden Ländern", Menschwerdung Gottes - Vergöttlichung von Menschen, hg. v. D. Zeller, Freiburg/Göttingen 1988, 89-114; Ahn, Herrscherlegitimation, 180 ff.- *Tod eines Königs und Thronbesteigung des Nachfolgers*: vgl. P. Briant, „Le roi est mort: vive le roi!", La religion iranienne

à l'époques achéménide, ed. J. Kellens, Gent 1991, 1-11, ein Aufsatz, dem sich der folgende Abschnitt verdankt. - *Leichenzug Artaxerxes I.*: Ktesias (FGrHist 688 F 15). *Königsinitiation*: Plut. Artax. 3, 1-2; *Bedeutung des Zindån*: s.o. - *Zeremonien und ,Gottesgnadentum' der Inschriften*: Cl. Herrenschmidt, „Les créations d'Ahuramazda", StIr 6, 1977, 24. - *Herrscherqualitäten*: Zitat: DNb 5-45; *hainå, duçiyåra, drauga*: DPd 15-20 (mit Parallelen im Avesta); zu allem s. Ahn, Herrscherlegitimation, 246 ff.

2. Dieses Kapitel verdankt viel dem überaus anregenden Beitrag von P. Briant, „Hérodote et la société perse", Hérodote et les peuples non grecs (Entretiens sur l'Antiquité Classique, t. 35), Vandoeuvres/Genève 1990, 69-113. Eine ,Prosopographie des Perserreiches von 550-450 v.Chr. von J.M. Balcer ist in Vorbereitung. - *Ps.-Aristoteles*, de mundo 398 a (Übers. H. Strohm). - *Interpretation von DPd*: Briant, Rois, tributs et paysans, Paris 1982, 435-456. - *Dareios als ,Gärtner'*: W. Fauth, „Der königliche Gärtner und Jäger im Paradeisos", Persica 8, 1979, 1-53. Man denke in diesem Zusammenhang etwa an die Formulierung im Brief des Königs an Gadatas: „Daß du mein Land kultivierst, indem du Früchte von jenseits des Euphrat in die Gebiete an der Küste Kleinasiens pflanzst, diesen deinen Entschluß lobe ich, und deswegen wird dir im Hause des Königs großer Dank bewahrt werden." - *Herodot über Stämme und Clans der Perser*: I 125; zur Unterscheidung von nomadisierenden und ackerbautreibenden Stämmen vgl. Briant, Hérodote (s.o.), 78-81. - *Altiranische Begrifflichkeit*: Briant, „La Perse avant l'Empire", IrAnt 19, 1984, 105-110. - Zur *,Aufwertung' der Persis* durch Dareios: F. Gschnitzer, „Zur Stellung des persischen Stammlandes im Achaimenidenreich", Ad bene et fideliter seminandum. Festgabe f. K. Deller z. 21. Februar 1987 (AOAT, 220), Neukirchen 1988, 87-122. - *skauqi-/tunuvant-*: DNb 8-11; die babylonische Fassung macht deutlich, daß es hier nicht um den Gegensatz etwa zwischen ,Freien' und ,Unfreien' geht. - *Griechische Zeugnisse*: Hdt. VII 40-41 (Gegensatz zwischen den „besten und edelsten aus den Persern" - (Reitern,) „aus allen Persern ausgelesen"); I 133 (Gegensatz zwischen den „Reichen" (*eudaimones*) und den „Armen" (*pen™tes*)); Strab. XV 3, 19 („Anführer" (*h™gemones*) - „die Masse" (*hoi polloi*)); *Strabon-Zitat*: XV 3, 20; vgl. Hdt. I 134; *Ailian*: var. I 31. - *Hierarchie des Adels*: vgl. etwa Hdt. I 96 u.a. (*dokimoi*) mit III 155 (*dokimøtatos*) oder III 74 (*en ain™ - en ain™ megist™*), I 206 u.a. (*prøtoi*) - Diod. XIX 22, 2 (*tøn Persøn hoi malista timømenoi*); XIX 48, 5 (*henos de tøn epiphanestatøn*) u.a. - *,Hausvater'*: Hdt. I 137; IV 84; VII 38-39; vgl. auch Ail. var. I 34; *Intaphernes*: Hdt. III 119; *Erbfolge*: Hdt. VIII 130; Arr. an. II 1, 3. - *Polygamie und Kinderreichtum*: Hdt. I 135-136; *Zitat*: Strab. XV 3, 17. Ich bin mir aber nicht sicher, ob man wirklich von einer ,politique nataliste' des Großkönigs sprechen sollte (vgl. Briant, Hérodote, 85). - *Vorrechte der Mitverschwörer*: Hdt. III 84. 118; *Otanes:* III 83-84; Diod. XXXI 19; Polyb. V 43. - *Ehen des Dareios*: Hdt. VII 2. 97; III 68-69; VII 224. Vgl. Cl. Herrenschmidt, „Notes sur la parenté chez les Perses", AchHist II, Leiden 1987, 58-61; *Dareios II. und Parysatis*: Ktesias (FGrHist 688 F 15). *Endogame Politik der Könige*: Zur Geschwisterehe s.u.; *Syngeneis*:

Sie sind wohl tatsächlich als echte ‚Verwandte' des Königs aufzufassen und nicht etwa als Träger eines Ehrentitels; vgl. J.-D. Gauger, „Zu einem offenen Problem des hellenistischen Hoftitelsystems", Bonner Festgabe J. Straub, Bonn 1977, 137-158. - Zur *polydøria* s.u.; zu den *‚Freunden' und ‚Wohltätern'* des Großkönigs vgl. den gleichnamigen Beitrag von Wiesehöfer in: StIr 9, 1980, 7-21. - *kurtaç*: s.u.

3. Zum *Reisekönigtum* der Achaimeniden vgl. den informativen Aufsatz von P. Briant, „Le nomadisme du Grand Roi", IrAnt 23, 1988, 253-273. - *Geschenkebringende Untertanen*: Zitate: Ail. var. I 31; I 33. - *Aufenthalt in den Residenzen*: Zitat: Xen. Kyr. VIII 6, 22. Weitere Belege: Strab. XVI 1, 16; Athen. XII 513-514; Ail. nat. III 13; X 16; *klimatische Bedingungen*: Strab. XV 3, 10; Diod. XIX 19, 2; 21, 2-3; 28, 1-2; 39, 1; *Residenzwechsel und ‚Verweichlichung'*: Xen. Ag. 9. Noch anders, allerdings mit deutlich zeitgenössischem Bezug, interpretiert Aelius Aristides das ‚Reisekönigtum' der Achaimeniden: „Sie hielten wegen ihres Mißtrauens und ihrer Angst, am gleichen Platze zu residieren, in Wahrheit ihr eigenes Land nieder wie einen Schlauch und kontrollierten auf diese Weise bald Babylon, dann Susa und schließlich Ekbatana, ohne daß sie es verstanden, ihr Land als Ganzes ständig zu behaupten, und ohne dafür zu sorgen wie gute Hirten" (Aristeid. Rom. 18). - *Geschenke*: Ail. var. (s.o.); Plut. Artax. 4, 5; *Zuschauer*: Curt. IV 16, 15; vgl. Diod. XVIII 28, 1; *Empfang in den Städten und Residenzen*: Die meisten unserer Texte beschreiben den Empfang Alexanders (etwa in Babylon: Curt. V 1, 17-23) oder hellenistischer Könige, doch wird man nicht fehl gehen in der Annahme, daß dies achaimenidischem Brauch entspricht. - *Vorbereitung der Reisen*: Hdt. VII 32; Ail. nat. XV 26; *Zeremoniell*: etwa Curt. V 1, 17-23; Arr. III 16, 3. - *Sinaites und Artaxerxes*: Ail. var. I 32; vgl. Plut. Artax. 4, 5; 5, 1; *Beliebtheit des Artaxerxes und seiner Gattin Stateira*: Plut. Artax. 5, 6. - *Bewirtung des Königs*: Theop. (Athen. IV 145 a); *Uruk*: M.A. Dandamayev, „Royal *paradeisoi* in Babylonia", AcIr 23, 1984, 113-117; *städtische Ausgaben*: Hdt. VII 118-120. - *Bankett*: Zitat: Herakl. (Athen. IV 145 a-f); vgl. P. Briant, "Table du roi, tribut et redistribution chez les Achéménides", Le tribut dans l'Empire perse, ed. P. Briant/Cl. Herrenschmidt, Paris 1989, 35-44. - *Königlicher Troß und Hofstaat in Kilikien*: Curt. III 3, 14-25; 13, 10-11; *Beute in Damaskus*: Athen. XIII 608 a. - *Tafelluxus und ‚Verweichlichung'*: Polyain. IV 3, 32. Die bei diesem Autor überlieferte Zusammenstellung der Tafelrequisiten kommentiert D.M. Lewis, „The King's Dinner (Polyaenus IV. 3.32)", AchHist II, Leiden 1987, 79-87. - *Königszelt*: Curt. III 3, 8 u.a.; vgl. H. v. Gall, „Das persische Königszelt und die Hallenarchitektur in Iran und Griechenland", Festschrift für F. Brommer, hg. v. U. Höckmann/A. Krug, Mainz 1977, 119-132; *Alexander und die königlichen Insignien*: Arr. II 11, 5; Curt. III 11, 12; Diod. XVII 34, 3-6. Vgl. Arr. II 11, 6; Plut. Alex. 21, 2; Curt. III 12, 5 ff.; Diod. XVII 37, 3 (zur endgültigen Übernahme der Insignien durch Alexander).

4. Vorüberlegungen des Autors zu diesem Kapitel finden sich bereits in seinem Beitrag: „Kyros und die unterworfenen Völker", QdS 13.26, 1987, 107-126. Zu

Xerxes vgl. man auch den Beitrag von H. Sancisi-Weerdenburg, „The Personality of Xerxes, King of Kings", Archaeologia Iranica et Orientalis. Miscellanea in honorem L. Vanden Berghe, ed. L. de Meyer/E. Haerinck, vol. 1, Gent 1989, 549-561. - *Lexikonartikel*: Meyers Enzyklopädisches Lexikon in 25 Bänden, 9. Aufl., Mannheim/Wien/Zürich: Bd. 14, 1975, 525 (Kyros) und Bd. 25, 1979, 554 (Xerxes). - *Kyros in der iranischen Tradition*: *angebliche Inschriften aus Pasargadai* (die in Wirklichkeit jedoch von Dareios gesetzt sind): J. Wiesehöfer, Der Aufstand Gaumātas und die Anfänge Dareios' I., Bonn 1978, 15 mit Anm. 4; 186-198; 226-229; *Pasargadai und Kyrosgrab*: *Archäologie*: s.o.; die *antike Überlieferung* findet sich bei Aristob. FGrHist 139 F 51 b (= Strab. XV 3, 7); vgl. Arr. VI 29, 4-11; *Kyros in der ,Volksüberlieferung'*: P. Briant, Rois, tributs et paysans, Paris 1982, 491-506 sowie H. Sancisi-Weerdenburg, „The Death of Cyrus", AcIr 25, 1985, bes. 461-463. - *Herodot und Kyros*: *militärisches und staatsmännisches Geschick*: vgl. etwa I 77; 79; 126; 191; *Milde und Güte*: I 86-90 (Kroisos); vgl. I 130; III 159; *Kyros als ,Vater'*: III 89. - *Xenophon, Kyr.*: Zitat: I 1, 6; VIII 8, 1-2 (Übers. Ch.H. Dörner). - *Kyros im ,Alten Testament'*: 2 Chr 36, 22-23; Esra 1, 1-8; 3, 7; 4, 3-5; 5, 13-17; 6, 13-14; Jes 44, 24-28; 45, 1-9; Dan 1, 21; 6, 29; 10, 1; Zitat: Jes 44, 24. 28; 45, 1 (Übers. M. Luther (rev.)) - *Kyros in babylonischen Zeugnissen*: A. Kuhrt, „Babylonia from Cyrus to Xerxes", CAH IV, Cambridge 2/1988, 112-138; *Kyroszylinder*: P.-R. Berger, „Der Kyros-Zylinder mit dem Zusatzfragment BIN II Nr. 32 und die akkadischen Personennamen im Danielbuch", ZA 64, 1975, 193-203; *zum Charakter und Inhalt*: Kuhrt, „The Cyrus Cylinder and Achaemenid Imperial Policy", JSOT 25, 1983, 83-94; Zitat: Vv. 7-8. 11-12. 20-22. 24-26. 30-32 (Übers. R. Borger). - *Leben des Xerxes*: *Eltern*: Hdt. VII 2; *Erziehung* (Zitat): Plat. leg. 695 d-e (Übers. K. Schöpsdau); *Nachfolger des Dareios*: Hdt. VII 3-4; *Aufstände*: Hdt. VII 4-5 (Ägypten); zu den Aufständen in Babylonien 481 und 479 vgl. Briant, „La date des révoltes babyloniennes contre Xerxès", StIr 21, 1992, 7-20; Zitat (Verhalten in Ägypten): Hdt. VII 7 (Übers. W. Marg); *Xerxes und Esagila*: Zitate: Hdt. I 183 und Strab. XVI 1, 5; *Episoden auf dem Griechenlandfeldzug*: ,Züchtigung des Hellesponts': Hdt. VII 36; Pythiossohn: VII 38-39; Leonidasschändung: VII 235; Brandschatzung der Akropolis: VIII 53; *Xerxes und die Frauen des Hofes*: IX 108-113; *Tod*: Ktes. FGrHist 688 F 13; *Xerxesreliefs*: Man hat erkannt, daß ursprünglich die geometrische und thematische Mitte der beiden Apadanafassaden in Persepolis von den sog. ,Schatzhausreliefs' gebildet worden sein muß, diese später aber entfernt und durch Bilder persischer und medischer Garden ersetzt worden sein müssen (A.B. Tilia, Studies and Restorations at Persepolis and Other Sites of Fars, I, Roma 1972, 173 ff.); A.Sh. Shahbazi hat den Vorgang der ,Einlagerung' der Schatzhausreliefs einleuchtend erklärt („The Persepolis ,Treasury Reliefs' Once More", AMI N.F. 9, 1976, 151-156): Für den Nachfolger des Xerxes, Artaxerxes I., waren die Bilder des Vaters und Bruders (Dareios ist darauf als Kronprinz hinter dem Vater Xerxes abgebildet) sakrosankt, die der Mörder und Verschwörer (die vermutlich auch abgebildet sind) unerträglich. Die Reliefs wurden deshalb ins Schatzhaus gebracht und durch die Garden, die den Usurpator abgewehrt hatten, ersetzt. - *Aischylos*: Pers. 754 ff. -

XPh: vgl. R.G. Kent, Old Persian, New Haven 2/1953, 112; zum Neufund aus Pasargadai zuletzt D. Stronach, Pasargadae, Oxford 1978, 152 und Taf. 123, 161 b; Zitat: XPh 28-41. - *XPl*: W. Hinz, Altiranische Funde und Forschungen, Berlin 1969, 45 ff.; zur Berechtigung der Abk. XPl (statt XDNb) vgl. K. Hoffmann, in: Die Sprache 20, 1974, 16 Anm. 4. - *‚Geistige Unselbständigkeit' des Xerxes*: Zitat: Hinz, Darius und die Perser, Bd. 2, Baden-Baden 1979, 11. - *Kyros bei Herodot: Negative Seiten*: I 114-115. 141. 153. 189; vgl. J.G. Gammie, „Herodotus on Kings and Tyrants", JNES 45, 1986, 178-179; Tod: I 204-214; vgl. Sancisi-Weerdenburg, Death (s.o.), 464-466; *Herodot und die mündliche iranische Tradition*: vgl. etwa I 214; zum Hintergrund der ‚Sage' von der *Aussetzung des Kyros* vgl. zuletzt G. Binder, Die Aussetzung des Königskindes Kyros und Romulus, Meisenheim 1964, 17-28. 175-182 sowie R. Drews, „Sargon, Cyrus and Mesopotamian Folk History", JNES 33, 1974, 387-393. - *Xenophon, Kyr.: Charakter*: vgl. etwa Sancisi-Weerdenburg, Death (s.o.), 459: „Is it a didactic pamphlet, a romantic history, a fictitious biography, a philosophical treatise or a combination of any or all these elements?"; *‚griechischer Charakter'*: H.R. Breitenbach, „Xenophon von Athen", RE IX A 2, 2/1983, *passim*; *iranischer Einfluß*: u.a. W. Knauth/S. Nadjmabadi, Das altiranische Fürstenideal von Xenophon bis Ferdousi, Wiesbaden 1975 sowie Sancisi-Weerdenburg, Yaunâ en Persai, Groningen 1981, 185 ff. (mit älterer Literatur). - *Kyros im ‚Alten Testament'*: Zitate: E. Zenger, „Israels Suche nach einem neuen Selbstverständnis zu Beginn der Perserzeit", Bibel und Kirche, 1984.3, 123; *Historizität der Kyrosmaßnahmen*: Ib., 123-124. - *‚Kyros-Zylinder'*: s. Kuhrt, Cyrus Cylinder (s.o.). - *Kyros und Astyages*: Nabonid-Chronik II 3-4 (A.K. Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicles, Locust Valley/New York 1975, 106); *Schicksal des Astyages*: Hdt. I 130; Ktes. FGrHist 688 F 9; Sippar-Zylinder (Übers. bei H. Tadmor, „The Inscriptions of Nabunaid", Studies in Honor of B. Landsberger, Chicago 1965, 351). - *Kyros in Babylonien*: A. Kuhrt, "Nabonidus and the Babylonian Priesthood", Pagan Priests, ed. M. Beard/J. North, Ithaka 1990, 117-155; *Kyroskritik*: 'Dynastic-Prophecy' II 22-24 (Grayson, Babylonian Historical-Literary Texts, Toronto 1975, 25); *Schicksal des Nabonid*: 'Dynastic Prophecy' II 20-21 (Grayson, 33); Berossos FGrHist 680 F 9 (Schonung); anders: Xen. Kyr. VII 5, 29-33. - *Kyros und Kroisos*: Nabonid-Chronik II 15-17 (Grayson, Chronicles, 107): Im allgemeinen wird der fehlende Name des Landes westlich des Tigris als *Lu-u(d)-du* ergänzt; vgl. zur Diskussion Wiesehöfer, Kyros, 124-125; Euseb. Chron. (armen.) p. 33, 8-9 Kaerst: „Kroisos wurde durch Kyros getötet, der die Lyderherrschaft beseitigte"; Vasenbild des Myson: G 197 (J. Beazley, Attic Red Figure Vase Painters, Oxford 2/1963, 238, 1); Hdt. I 86 ff.; Bakchyl. 3, 23 ff. Maehler. Zu allem vgl. W. Burkert, „Das Ende des Kroisos", Catalepton. Festschrift B. Wyss, hg. v. Ch. Schäublin, Basel 1985, 4-15 (Zitat: S. 14). Kyros ließ zudem nach dem Aufstand des Paktyes augenscheinlich Anhänger dieses Rebellen nach Mesopotamien deportieren, wo sie in den Texten des Muraçû-Archivs erscheinen (I. Eph'al, „The Western Minorities in Babylonia in the 6th-5th Centuries B.C.E.", Orientalia N.S. 47, 1978, 80. 83). - *Kyros und Ionien: Ionische Truppen auf Seiten des Kroisos*: Hdt.

I 75; *Reaktion des Kyros*: Hdt. I 141; *Priene und Magnesia*: Hdt. I 161; *Harpagos-Feldzug*: Hdt. I 162 ff.; *Phokaia und Teos*: Hdt. I 162. 168; *Smyrna*: E. Akurgal, Alt-Smyrna I, Ankara 1983, 50-56. 74-75. 123 (und Abb.); *Tempelräumung durch Phokaier*: Hdt. I 164; *Auflagen für die Ionier*: Hdt. I 171; vgl. II 1; III 1. 31; *Steuerdruck*: V. La Bua, „La prima conquista persiana della Ionia", Studi E. Manni, t. 4, Roma 1980, 1291. - *Herodots Xerxesbild*: Sancisi-Weerdenburg, Personality (s.o.), 552-557; *Entschluß zum Griechenlandzug*: Hdt. VII 5. 7. 18; *,göttliches Eingreifen'*: Man denke in diesem Zusammenhang vor allem an die Träume des Xerxes bei Hdt. (H.A. Gärtner, „Les rêves de Xerxès et d'Artabane chez Hérodote", Ktema 8, 1983, 11-18; H. Schwabl, „Zu den Träumen bei Homer und Herodot", Aret™s Mn™m™, Athen 1983, 17-27); *König bei Salamis*: Hdt. VIII 67 berichtet davon, Xerxes habe sich vor der Schlacht zu den Schiffen begeben und dort den ,Vorsitz' übernommen (*proizeto*); vgl. auch VIII 69: „Gleichwohl gab er die Weisung, dem Rat der Mehrzahl zu folgen, wobei er den Verdacht hegte, bei Euböa hätten sie sich mit Absicht nicht angestrengt, weil er nicht selber dabei war, nun aber war er darauf vorbereitet, selber zuzuschauen, wie sie sich zur See schlagen würden" (Übers. W. Marg). ,Tieferer Sinn' der *Masistes-Novelle*: Sancisi-Weerdenburg, Yaunå (s.o.), 48 ff. 122 ff.; Hdt.-Zitat: IX 110-111; auch eine weitere Episode von der Grausamkeit der Amestris (Hdt. VII 114) ist nicht ,persönlich', sondern ,religiös-rituell' zu erklären (Sancisi-Weerdenburg, Yaunå, 65). Ähnliches möchte man auch für Xerxes' Hellespontzüchtigung vermuten. - *Xerxes in Babylonien*: Zitat: Hinz, Darius und die Perser, Bd. 2, 17; Xerxes' Politik in Babylonien: A. Kuhrt/S. Sherwin-White, „Xerxes' Destruction of Babylonian Temples", AchHist II, Leiden 1987, 69-78. - *,Daivå-Inschrift'*: Sancisi-Weerdenburg, Yaunå, 1 ff. für eine ,zeitlose' Interpretation der Inschrift spricht auch die vermutliche Spätdatierung (Sancisi-Weerdenburg, ib.). Als Beweis für konkrete Maßnahmen zur ,Iranisierung' von Fårs möchte dagegen Ahn, Herrscherlegitimation, 111 ff. XPh verstanden wissen. - *Inschriften- und Reliefnachbildung*: In diesem Sinne sind auch XE und XV erklärbar. - *Opfer in Athen*: Hdt. VIII 54. - *Kyros und seine ,Vorbilder'*: J. Harmatta, „The Literary Patterns of the Babylonian Edict of Cyrus", AAntHung 19, 1971, 217-231; Kuhrt, Cyrus Cylinder (s.o.), bes. 88; R.J. van der Spek, „Cyrus de Pers in Assyrisch perspectief", TvG 96, 1983, 1-27. - *Methoden des Kyros und des Xerxes*: Zitat: G. Walser, Hellas und Iran, Darmstadt 1984, 14.

مراجع القسم 2 / 3 / 1 - 2 / 3 / 3

1. Zitat: DB I 11-12; *xçaçam manå fråbara* u.ä.: DB I 12. 24-25. 60-61; DPd 3-4; DPh 8; DSf 10-11; DSm 3; DSp 2; DZc 3-4; DH 6-7; D^{2}Ha 23; A^{2}Hc 18-19. 19-20. - *xçaça*: Zur Bedeutung als ,Reich', nicht als ,Herrschaft' vgl. R. Schmitt, „Königtum im Alten Iran", Saeculum 28, 1977, 391-392. - *xçaçapåvan-/Satrap*: Schmitt, „Der Titel ,Satrap'", Studies in Greek, Italic and Indo-European Linguistics. Offered to L.R. Palmer, Innsbruck 1976, 373-390. - *,Land des Königs'*: F. Gschnitzer, „Zur Stellung des persischen Stammlandes

im Achaimenidenreich", Ad bene et fideliter seminandum. Festgabe f. K. Deller, Neukirchen 1988, 94f.; Zitat: Thuk. VIII 18, 1. - *,Weltreiche'*: D. Metzler, „Reichsbildung und Geschichtsbild bei den Achämeniden", Seminar: Die Entstehung der antiken Klassengesellschaft, hg. v. H.G. Kippenberg, Frankfurt 1977, 285-289, Zitat: S. 285; Weltreicheschema in späterer Zeit: F. Vittinghoff, „Zum geschichtlichen Selbstverständnis der Spätantike", HZ 198, 1964, 543 ff. - *,Romanisierung'*: W. Dahlheim, Geschichte der römischen Kaiserzeit, München 2/1989, 112-115. 241-247 (mit Forschungsdiskussion); Tacitus-Zitat: Agr. 21. - *Perser und lokale Eliten*: P. Briant, „Pouvoir central et polycentrisme culturel dans l'Empire achéménide", AchHist I, Leiden 1987, 1-32 (Briant verwendet für die persische Reichselite den Begriff *ethno-classe dominante*); am Beispiel Ägyptens hat Briant die Politik der Großkönige gegenüber den lokalen Eliten näher beleuchtet: „Ethno-classe dominante et populations soumises dans l'Empire achéménide: le cas de l'Egypte", AchHist III, Leiden 1988, 137-174; *Maussolos*: S. Hornblower, Mausolus, Oxford 1982; *B™lçunu/Belesys*: M.W. Stolper, „B™lçunu the Satrap", Language, Literature and History. Philological and Historical Studies Presented to E. Reiner, New Haven 1987, 389-402; *Memnon/Mentor*: Briant, „Les Iraniens d'Asie Mineure après la chute de l'Empire achéménide", DHA 11, 1985, 181-185 (beider Aufstieg ist ursächlich verbunden durch ihre Beziehungen zum Satrapenhaus des hellespontischen Phrygien). - *Persische ,Exklusivität'*: Man bedenke etwa, wie - vor allem seit Dareios I. - die Bedeutung Persiens/der Persis im Reichsganzen betont wird (Gschnitzer, Stellung, 87-102; vgl. (zu Xerxes) F. Joannès, „La titulature de Xerxès", NABU 25, 1989)), wie Dareios ausdrücklich behauptet, *Pårsa, Pårsahya puça* (,Perser, Sohn eines Persers') zu sein. - *Positives Achaimenidenbild der lokalen Eliten*: Lange Zeit hat man etwa die Eroberung Babylon(ien)s durch Alexander aus Sicht der einheimischen Elite als Akt der ,Befreiung' verstanden wissen wollen (man vgl. dazu die Berichte der Alexanderhistoriker); heute betont man aber das Gegenteil (vgl. etwa A. Kuhrt, „The Achaemenid Empire. A Babylonian Perspective", PCPhS 214, 1988, 68-71). - *Alexander als ,Achaimenide'*: Briant, Rois, tributs et paysans, Paris 1982, 318-330. - *,Dezentralisierung' und Kontrolle durch das Zentrum*: Briant, Pouvoir central (s.o.). - *,Koloß auf tönernen Füßen'*: H. Bengtson, Griechische Geschichte, München 5/1977, 387 (nach W. Kolbe (1931)); dagegen zu Recht: H. Sancisi-Weerdenburg, „Decadence in the Empire or Decadence in the Sources?", AchHist I, Leiden 1987, 33-46; Briant, „Histoire et idéologie: les Grecs et la ,décadence perse'", Mélanges P. Levêque, t. 2, Paris 1989, 33-47.

2. Zu diesem Kapitel stammen die wichtigsten Beobachtungen aus der Feder von P. Calmeyer und Ch. Tuplin. Zur ,Satrapienverwaltung im Perserreich' ist ein Beiheft zum TAVO von B. Jacobs angekündigt. Satrapes et satrapies dans l'empire achéménide de Cyrus le Grand à Xerxès Ier stellt Th. Petit vor (Paris 1990). Calmeyer hat sich in mehreren Beiträgen mit den *Verzeichnissen achaimenidischer Verwaltungs- bzw. Reichseinheiten* beschäftigt („Zur Rechtfertigung einiger großköniglicher Inschriften und Darstellungen: Die

Yaunā", Kunst, Kultur und Geschichte der Achämenidenzeit und ihr Fortleben, bes. v. H. Koch/D.N. MacKenzie, Berlin 1983, 153-167; „Zur Genese altiranischer Motive, VIII: Die ‚statistische Landcharte' des Perserreiches", AMI N.F. 15 (1982), 105-187; 16, 1983, 141-222; 20, 1987, 129-146; „Die sogenannte fünfte Satrapie und die achaimenidischen Documente", Transeuphratène 3, 1990, 109-129); Tuplin verdanken wir den ausführlichsten Beitrag zum *achaimenidischen Verwaltungs- und Abgabensystem* („The Administration of the Achaemenid Empire", Coinage and Administration in the Athenian and Persian Empires, ed. I. Carradice, Oxford 1987, 109-166. - *dahyu-*: ‚Land': in diesem Sinne etwa benutzt in den Inschrifteneditionen von Weissbach und Kent (s.o.); zwischen ‚Land' und ‚Volk' schillernd: Cl. Herrenschmidt, „Désignation de l'Empire et concepts politiques de Darius Ier d'après ses inscriptions en vieux-perse", StIr 5, 1976, 49-50. 51-52. 62-63; Calmeyer, Fünfte Satrapie (s.o., Zitat: S. 110); ‚Völkerschaft', ‚Bevölkerung': zuletzt P. Lecoq, „Observations sur le sens du mot *dahyu* dans les inscriptions achéménides", Transeuphratène 3, 1990, 131-140. - *Ordnungsprinzip der inschriftlichen und ikonographischen Verzeichnisse*: Calmeyer (s.o.); Zitate: AMI N.F. 16, 1983, 218; ‚Daivā-Inschrift': XPh 13-28. - *Armee-Listen*: Hdt. VII 61 ff. 89; vgl. Arr. III 8, 3-4. 11, 3; Curt. IV 12, 6-7; Diod. XVII 59 (Gaugamela); Curt. III 2, 1-2 (vor Issos); Nep. Dat. 8 (zur Armee des Autophradates). - *Herodots ‚Steuerbezirke'*: III 89 ff.; vgl. zuletzt Calmeyer (s.o.). Ganz anders interpretiert nun P. Högemann (Das alte Vorderasien und die Achämeniden, Wiesbaden 1992) die Zeugnisse: In Herodots *nomoi* glaubt er die durch Dareios neugeschaffenen Provinzen (Untergliederungen der Satrapien des Kyros) erkennen zu können, die nach assyrisch-babylonischem Vorbild geschaffen worden seien. - *Platons Reichsteile*: Leg. 695 c-d; epist. VII 332 b; vgl. Calmeyer, AMI N.F. 20, 1987, 133-140. - *Weitere Listen*: Calmeyer, AMI N.F. 15, 1982, 173 ff. - *Satrapienlisten*: Diod. XVIII 5-6. 39; Curt. X 10, 1-4; Iust. XIII 4, 10-24; vgl. Calmeyer (s.o.). - *Satrapen*: Unterschiedliche Begrifflichkeit: Tuplin (s.o.), 114 Anm. 22. Högemann setzt (für den Westen) folgende ‚Ländernamen' aus DB mit (kyrischen) Satrapien gleich: Elam, Medien, Aqurā, Ägypten, Armenien, Katpatuka und Lydien. Wegen der Abfallbewegung mächtiger Satrapen und aus anderen Gründen habe Dareios territoriale Veränderungen im alten medischen Reichsverband und in Anatolien sowie eine Provinzialisierung des gesamten Reiches vorgenommen. Militärische und zivile Gewalt seien getrennt gewesen (zwischen Strategen/Satrapen und Provinzstatthaltern). Später sei es dann zu einer "Feudalisierung der Provinzen und Ämter" gekommen. - *çakin māti*: Nab¨-aΔΔ™-bullit† (8. Regierungsjahr Nabonids bis 3. Jahr des Kyros); in diesem Amtsträger sieht Högemann das Vorbild für den ‚Provinzstatthalter' der dareiischen Reform. - *b™l p/Δāti bābili ú ebir nāri*: Gubaru u.a. (ab 4. Jahr des Kyros); zu den Verhältnissen in Babylonien vgl. A. Kuhrt, „Babylonia from Cyrus to Xerxes", CAH IV, Cambridge 2/1988, 112-138; F. Joannès, „Pouvoir locaux et organisations du territoire en Babylonie achéménide", Transeuphratène 3, 1990, 173-189. - *karanos*: Plut. Artax. 2, 3; Xen. Hell. I 4,

3-4; <altpers. **kårana-* (R. Schmitt, „Rez. G. Widengren, Feudalismus", GGA 223, 1971, 216-225); zur Funktion: N. Sekunda, „Achaemenid Military Terminology", AMI N.F. 21, 1988, 74. - *Dynasten und Stadtkönige*: Tuplin (s.o.), 114-115. Man nimmt an, daß die aus der Seleukidenzeit bekannte Formel „Dynasten, Könige, Städte, Völker" auf achaimenidisches Vorbild zurückgeht (u.a. Briant, Rois, tributs et paysans, Paris 1982, 48 Anm. 3). - *Unabhängige ‚Völkerschaften'*: etwa im Bergland von Mysien, Pisidien/ Lykaonien (vgl. Tuplin, 114-115 Anm. 26). - *Achaimenidenkönige und ‚Bergvölker'*: Briant, État et pasteurs, Paris/Cambridge 1982, 57-112; vgl. etwa Arr. III 17, 1 ff.: „Nach diesem Aufbruch aus Susa überschritt Alexander den Pasitigris und brach in das Land der Uxier ein. Von diesem Volk war der im Flachland lebende Teil dem Satrapen der Persis untertan und ergab sich nun Alexander, die sogenannten Berguxier hingegen hatten sich den Persern noch niemals gefügt und auch jetzt zu Alexander Boten geschickt, sie würden ihn auf seinem Zuge nach der Persis mit seinem Heer nur durchlassen, falls er ihnen zahle, was stets auch der persische König für diese Erlaubnis gezahlt habe." Alexander bricht stattdessen den Widerstand mit brutaler Gewalt, ein Hinweis auf ein viel ‚unflexibleres' Herrschaftskonzept des Makedonen. Die Bergvölker leisteten den Achaimeniden im Gegenzug übrigens Heeresfolge. - *‚Funktionäre' auf Satrapienebene*: Zu den Ehrentiteln *philoi, homotrapezoi* und *sk™ptouchoi* vgl. die Belege bei Tuplin, 117 Anm. 32; *Kavalleriekommandanten*: Xen. Hell. III 4, 13; an. VI 4, 24-25; *‚Männer unter dem Gouverneur'* u.ä.: Neh. 4, 2. 23; 5, 10. 14-18; *syngeneis* des Spithridates: Diod. XVII 20, 2; 21, 2; *phoinikist™s*: Xen. an. I 2, 20; *grammateus*: Hdt. III 128; zu weiteren Zeugnissen für satrapale ‚Schreiber' s. Tuplin, 118; *dåtabara* u.ä.: Tuplin, 118-120 (die aramäischen Zeugnisse aus Ägypten unterscheiden ‚Richter' von ‚Provinzrichtern' und ‚königlichen Richtern'); *‚Aufseher'*: vgl. altpers. **frasaka* in Esra 5, 6; 6, 6 u.a.m.; ‚Augen und Ohren des Königs': Vor allem aus Xen. Kyr. VIII 2, 10-12 hat man ein regelrechtes Spitzelsystem erschlossen, die ‚Augen und Ohren' (*ophthalmoi kai øta*) des Königs. In Wirklichkeit gab es aber nur e i n ‚Auge' des Königs (vgl. Hdt. I 114; Aisch. Pers. 980; Aristoph. Ach. 92-93; Plut. Artax. 12), und Xenophon will betonen, daß neben dem bekannten ‚Auge' auch viele Untertanen dem König als ‚Augen' und ‚Ohren' dienen. Die ‚Ohren' des Königs als Institution gab es nicht, der (altpers.) **gauçaka* (‚Zuhörer') (in Ägypten bezeugt) ist nicht als ‚Spitzel' zu deuten. - *Funktionäre auf Provinzebene*: *Hyparchen* u.ä.: vgl. Tuplin, 120-121 (mit Belegen); N. Sekunda hat für Lydien und das hellespontische Phrygien noch sog. ‚dukedoms' postuliert (in: AchHist III, Leiden 1988, 175-196; REA 87, 1985, 7-29); zum *påΔåtu* vgl. Kuhrt und Joannès (s.o.), zum *p'w∞* u.ä. und ihren Funktionären: Lemaire (s.o.); zur *Verwaltung (Süd-)Ägyptens*: J. Wiesehöfer, in: AchHist VI, Leiden 1991, 305-309. - *Lokale Ebene*: Komarchen: Xen. an. IV 5, 10. 24. 27-30. 32. 34-35; 6, 1-3; *Achaimeniden und Untertanenstädte*: Tuplin, Administration, 127-128; *‚Schatzhäuser'*, *Verpflegungsstationen* u.a. (und ihre Funktionäre): Tuplin, 128-131; *Garnisonen*: vor allem Tuplin, „Xenophon and the Garrisons of the

Achaemenid Empire", AMI N.F. 20, 1987, 167-245; es sind zu unterscheiden Garnisonen in städtischen Zitadellen (mit besonderen ,Beziehungen' zur königlichen Zentrale) und Garnisonen auf dem Lande unter einem Chiliarchen; Güter und ,Lehen': Tuplin, 133-137. Als ,königlich' werden aber (neben Gütern) auch Dörfer, Paradeisoi, Pferdeherden u.a. bezeichnet; bestimmte Dörfer etwa versorgten die Frauen des Königshauses mit Textilien u.a. (s.o.); Ländereien und Güter wurden oft durch königliche Beauftragte verwaltet (und verpachtet). - Die neben *oiketai* an Aristokraten und ,Wohltäter' vergebenen *oikoi* und *chørai* sind zu unterscheiden von den Städten und Gütern, deren Einkünfte und Abgaben vom König ,vergeben' werden (etwa an Themistokles) (vgl. Briant, „Dons de terres et de villes", REA 87, 1985, 53-72). Bei letzteren stellt sich die Frage, ob diese Einkünfte den beschenkten Personen zur freien Verfügung standen oder mit der Auflage verbunden waren, sie im lokalen Rahmen ,wiederauszuteilen' (Sancisi-Weerdenburg, zit. v. Kuhrt, in: Le tribut, 220 f. - Zu den *,Militärlehen'* in Babylonien, die vom König gegen Heeresdienstverpflichtung vergeben wurden vgl. M.W. Stolper, Entrepreneurs and Empire, Leiden 1985 (auf diese ,Lehen' wird im folgenden Kapitel noch näher eingegangen werden); *weitere Militärsiedlungen*: Tuplin, Administration, 137 Anm. 107-108; *Plätze der Deportierten*: vgl. Tuplin, 116 Anm. 28.

3. Maßgeblich zu allen Fragen des achaimenidischen *Abgabenwesens* ist der Artikel von Ch. Tuplin, „The Administration of the Achaemenid Empire", Coinage and Administration in the Athenian and Persian Empires, ed. I. Carradice, Oxford 1987, bes. 137-158 in Verbindung mit den Beiträgen in dem Sammelband Le Tribut dans l'Empire perse, ed. P. Briant/C. Herrenschmidt, Paris 1989. - *,Geschenke' (døra) unter Kyros und Kambyses*: Man rufe sich in Erinnerung, daß es im Assyrerreich eine große Bandbreite von ,Geschenken' gab: besonders eindrucksvolle, unregelmäßige bei bestimmten Gelegenheiten, z.B. nach der Unterwerfung eines Gebietes (wie eine Art Reparationszahlung); verpflichtende und (zu bestimmten Gelegenheiten) regelmäßig abgelieferte (als Loyalitätsbeweis); solche, die dem König von Gesandtschaften oder bei Audienzen überreicht wurden; ,zeremonielle' als Zeichen freundschaftlicher gleichberechtigter Beziehungen (vgl. A. Kuhrt, „Conclusions", Le tribut, 221); Högemann (Vorderasien, 274) spricht von „Tributerhebungen, Naturalrequisitionen und Konfiskationen. - Aischyl. Pers. 582 ff.; Hdt.-Zitat: III 89. - Ursprüngliche *griechische Bezeichnung für den Tribut* (etwa des Perserreichs) war *dasmos*. In Absetzung davon nannten die Mitglieder des delisch-attischen Seebundes ihre Beiträge *phoroi*. Nach dem Umschlag des Bundes in eine Herrschaft (*arch™*) Athens wurde *phoros* auch zur Bezeichnung der Abgaben von Unterworfenen. - Zu den *teilautonomen und abgabenbefreiten Gruppen* vgl. Hdt. III 91. 97 (Zitat) sowie J. Wiesehöfer, in: Le Tribut, 183-191. - Die historischen Gründe der *,Abgabenfreiheit' der Persis* und anderer Privilegien dieses Reichsteils behandelt F. Gschnitzer, „Zur Stellung des persischen Stammlandes im Achaimenidenreich", Ad bene et fideliter seminandum. Festgabe f. K. Deller (AOAT, 220), Neukirchen

1988, 87-122: er vermutet einen Zusammenhang zwischen Intaphernes-Krise, Reichsreform und Privilegierung der Persis. - Es spricht manches dafür, daß bereits Kambyses - zum Aufbau einer Flotte und der Finanzierung des Ägyptenunternehmens - ‚Steuerreform'pläne hegte (vgl. H.T. Wallinga, „The Ionian Revolt", Mnemosyne 37, 1984, 407-409). - Nach Auffassung des Verf. sind *phoros* und *døra* nicht dinglich (Geld, Metalle - Naturalien), sondern konzeptionell zu unterscheiden; zu Natural- und Edelmetallabgaben vgl. Högemann, 282 f. - Zu *Transport und Hortung des Tributs* vgl. Polykleitos (FGrHist 128 F 3), die Alexanderhistoriker (Arr. III 16, 7; Diod. XVII 66. 70; Curt. III 2, 11; 17, 70; Plut. Alex. 36 f.; Strab. XV 3, 9) sowie Nepos (Dat. 4, 2). - Zur achaimenidischen *Sorge um das Land* vgl. Tuplin (s.o.), 143-145. - Daß die Achaimeniden ihre *Edelmetallressourcen* auch *zu politischen Zwecken*, etwa zur Unterstützung ihrer auswärtigen Freunde und zur Abwehr ihrer Feinde, einsetzten, ist in seiner griechischen Variante nur allzu gut bekannt (vgl. D.M. Lewis, „Persian Gold in Greek International Relations", REA 91, 1989, 227-234). - Zu den ‚Schätzen' der Achaimeniden, deren teilweise *Nutzbarmachung durch Alexander* der Wirtschaft des Reiches einen gewaltigen Impetus verliehen haben soll, vgl. F. de Callatay, „Les trésors achéménides et les monnayages d'Alexandre", REA 91, 1989, 259-277. - *Vorbildwirkung der Tributfestlegung*: Wallinga, „Persian Tribute and Delian Tribute", Le Tribut (s.o.), 173-181.

مراجع القسم 2 / 4 / 1 - 2 / 4 / 6

Ein vorzügliches Beispiel für die Chancen einer Verknüpfung von griechischer und iranischer Überlieferung bietet die Dissertation von M. Brosius über Royal and Non-Royal Women in Achaemenid Persia (559-331 B.C.), Oxford 1991, die mir im Manuskript vorlag. Der Autorin sei dafür herzlich gedankt. - *Zahl der erwähnten Arbeitskräfte*: M.A. Dandamaev, „Forced Labour in the Palace Economy in Achaemenid Iran", AoF 2, 1975, 71-78 (in der Tendenz sicher korrekt). - *Lebensbereiche und Tätigkeiten*: Zitat: Koch, Verwaltung, 3.

1. *Prosopographie des Hochadels nach den klassischen Quellen und den Täfelchen*: Lewis, Sparta and Persia, Leiden 1977, bes. 1-26; ders., „Postscript 1984", A.R. Burn, Persia and the Greeks, London 2/1984; ders., „Persians in Herodotus", The Greek Historians. Literature and History. Papers Presented to A.E. Raubitschek, Stanford 1985, 101-117. Diesen Arbeiten verdanke ich auch meine Beispiele. - *Artystone bei Herodot*: III 88; VII 69. 72. 78. *Textzitate*: PF 1795; Fort. 6764. *Erwähnte Aktivitäten der Artystone*: PF 718. 1836-1839. - 733-734. 2035. - *Gobryas bei Herodot*: III 70. 73. 78; IV 132. 134; *Gobryas und Mardonios*: VII 2. 5. 97. - *Gobryas als Mitverschwörer und in Elam*: DB IV 84; V 7 ff. - *Gobryas am Dareiosgrab*: Abbildung bei Hinz, Darius und die Perser, Bd. 1, Baden-Baden 1976, 165. - *Gobryas unterwegs*: PF 688; H-2533 (Brosius, 94 n. 18); *Raduçnamuya*: PF 684; *Raduçdukka*: Fort. 1017 (Identifizierung: Brosius, 154); *Artazostra* (Zitat): PFa 5. - *Artaphernes* (Zitat): PF 1404. -

Farnaka: Koch, Es kündet Dareios der König, Mainz 1992, 36-41; allerdings glaube ich nicht an ihre Identifizierung des F. auf den Schatzhausreliefs; *Farnaka und sein Gefolge* (Zitat): PFa 4. - *‚Lohnverhältnisse‘*: Koch, „Zu den Lohnverhältnissen der Dareioszeit in Persien“, Kunst, Kultur und Geschichte der Achämenidenzeit und ihr Fortleben, bes. v. H. Koch/D.N. MacKenzie, Berlin 1983, 19-50; Tabelle im Text: Ib., 46-47. Zum *Hacksilber* vgl. Hdt. III 96: „Diese Abgaben (*phoros*) hortet der König auf folgende Art: Er läßt alles einschmelzen und in irdene Krüge gießen und, ist das Gefäß voll, den Ton wegnehmen. Und wenn er Geld braucht (*chr™mata*), läßt er jeweils soviel abschlagen (*katakoptei*), wie er braucht.“ - *kurtaç*: Diskussion bei M.W. Stolper, Entrepreneurs and Empire, Leiden 1985, 56-59.

2. *Farnaka und ≥içâvahus*: Angaben nach Koch, Verwaltung, 224 ff.; Es kündet, 43 f. Als Nachfolger des F. sind bekannt: Rtavrdya (ab 496 v.Chr.), Aspa≤anâh (ab 494), Rtataxma (ab 482), Rtaq¨ra (ab 466 v.Chr.), als Nachfolger für ≥.: Vratayanta (o. Datum), Baratkâma (im Jahre 490), Dargâyuç (484-482), wieder ≥içâvahuç (471-468 v.Chr.). - *grdapatiç und Untergebene*: Koch, Verwaltung, 237 ff. - *ganzabara*: Koch, ib., 235 ff.; *Schatzhäuser*: Koch, *passim*; *Beispiel*: PF 864. - *Steuern und Abgaben*: Koch, „Steuern in der achämenidischen Persis?“, ZA 70, 1980, 105-137; dies., „Tribut und Abgaben in Persis und Elymais“, Le tribut, 121-128; *Forschungskontroverse*: vgl. die Beiträge von Koch und C. Herrenschmidt, in: Le tribut (z.B. mit ihren unterschiedlichen Bestimmungen der Aufgaben des *bå®ikara* genannten Funktionärs). - *Domänen des Königs/ Adels*: Beispiel: PF 1837; *weitere Belege in den Täfelchen*: Königsdomäne (PF 1987); Güter der Artystone (PF 1836-1837), des Arsames (T-958; unpubl.), der Rtabâma (PF 27 a); zu Belegen für Güter außerhalb der Persis: Tuplin, Achaemenid Administration, 133 ff. - *Paradeisoi* und königliches Interesse an der Landwirtschaft: Tuplin, 143 ff.; *Xenophon-Zitat*: Oik. IV 13; *partetaç in den Täfelchen*: Belege in Hinz/Koch, Elamisches Wörterbuch, T. 1, 160; *königliche Kontrolle*: Xen. Oik. IV 8. - *Bewässerungswesen*: König als Besitzer (Hdt. III 117; Tuplin, 144); *qanâts*: Briant, Rois, 405 ff.; H. Goblot, Les qanats, Paris 1979; *Staudämme*: F. Hartung/Gh. R. Kuros, „Historische Talsperren in Iran“, G. Garbrecht, Historische Talsperren, 1987, 221-274; Beiträge von W. Kleiss, in: AMI N.F. 15, 1982; 20, 1987; 21, 1988. - *Nahrungsmittel*: Koch, Es kündet, 271 ff.; *Strabon-Zitat*: XV 3, 18; *‚persische Früchte‘*: Theophr. 4, 4 (*m™lon m™dikon*); Plin. n.h. XII 15 (*malus Medica*): Zitronate(nbaum); Apic. 4, 2, 34 ((*malum) Persicum*) > ‚Pfirsich‘; Kardamon: H. Sancisi-Weerdenburg, in: DATA Febr. 1993, 6.

3. *Infrastruktur und Nachrichtenwesen*: Grundlegend sind die Arbeiten von Briant („De Sardes à Suse“), AchHist VI, Leiden 1991, 67-82); D.F. Graf („The Persian Royal Road System“, AchHist VIII, Leiden (im Druck)) und von J. Wiesehöfer („Beobachtungen zum Handel des Achämenidenreiches“, MBAH 1, 1982, 5-16). - *‚Straßenkontrolleure‘*: (elam. *datimara*) PFa 30; *‚Reisebegleiter‘*: (elam. *barriçdama*) vgl. PF 1363. 1409. 1572; *‚Karawanenführer‘* (elam. *karabattiç*): PF 1340. 1341. 1375; *‚Eilboten‘* (elam. *pirradaziç*): Beispiel:

PF 1285; vgl. 1315. 1320. 1329 u.a. - *,Straßenwächter'*: Hdt. VII 239; *Stafettenreiter*: Hdt. VIII 98; Xen. Kyr. VIII 6, 17 f.; *Schnelläufer*: Esther 3, 12 f.; 8, 10; Nicol. Damasc. (FGrHist 90 F 4); *Feuerzeichen*: Hdt. IX 3; Ps.-Aristot., de mundo 398a u.a.; *Rufposten*: Diod. XIX 17, 6 (allerdings kaum über weite Entfernungen möglich); *,Spiegelanlagen'*: Hdt. VI 115 (Blinken mit einem Schild). Vgl. zu allen Formen der Nachrichtenübermittlung W. Leiner, Die Signaltechnik der Antike, Stuttgart 1982, bes. 69 ff.; *astand™s*: Plut. Alex. 18, 2. - *Vorläufersysteme, Königsstraße, Straßenzweck*: vgl. die oben genannten Arbeiten von Briant, Graf, Wiesehöfer - *Straße Persepolis-Susa*: W. Kleiss, „Ein Abschnitt der achaemenidischen Königsstraße von Pasargadae und Persepolis nach Susa, bei Naqsh-i Rustam", AMI N.F. 14, 1981, 45-54; W.M. Sumner, „Achaemenid Settlement in the Persepolis Plain", AJA 90, 1982, 1-31; Koch, „Die achämenidische Poststraße von Persepolis nach Susa", AMI N.F. 19, 1986, 133-147. - *Hdt. über die ,Königsstraße'*: V 52; zu den *stathmoi* vgl. auch Ktesias (FGrHist 688 F 33). - *Boten des Königs:* Hdt. VIII 98; vgl. Aischyl. Ag. 282; Xen. Kyr. VIII 6, 17 f.; *angaros*: vgl. R. Schmitt, „Zur Méconnaissance altiranischen Sprachgutes im Griechischen", Glotta 49, 1971, 97 ff. - *Straßenabschnitt bei Pasargadai*: Stronach, Pasargadae, Oxford 1978, 166 f. - *Mesopotamien-Baktrien*: Ktesias (FGrHist 688 F 33); Wiesehöfer, 10 (mit älterer Literatur). - *Reisende nach Medien*: PFa 31; *Ägypten*: PF 1544; vgl. auch die Arçâma-Briefe (etwa P. Grelot, Documents araméens d'Egypte, Paris 1972, Nr. 67); *Baktrien*: PF 1287. 1555; *Kirmân*: PF 1289. 1330. 1332. 1348. 1377. 1398 f. 1436. 1439. 1466; PFa 35; *Areia*: PF 1361. 1438. 1540. 2056; *Sagartien*: PF 1501; PFa 31; *Babylonien*: PF 1512. 1541 (?); *Maka*: PF 2050; *Arachosien*: PF 1351. 1385. 1443. 1477. 1484. 1510. 2049; *Qandahâr*: PF 1340. 1358. 1550; *Hinduç*: PF 1318. 1383. 1399. 1524. 1552. 1556. 1572; zu den Reisenden von und nach Osten vgl. W. Vogelsang, The Rise and Organisation of the Achaemenid Empire. The Eastern Iranian Evidence, Leiden 1992, 165 ff. - *Reisewagen und Beschaffenheit der Straßen*: Aristoph. Ach. 68-71; vgl. Hdt. VII 83; Xen. Kyr. VI 2, 36; Diod. XVIII 26 ff.; Curt. X 10, 20. - *Vermessung*: Hdt. V 52 ff.; Ktesias (FGrHist 688 F 33); Xen. an. I 2, 5 f.; *Megasthenes*: bei Strab. XV 1, 50; *Etymologie von ,Parasange'*: J. Marquart, Das erste Kapitel der Gaqa uçtavat/ (Yasna 43), Rom 1930, 4; vgl. R. Schmitt, „Medisches und persisches Sprachgut bei Herodot", ZDMG 117, 1967, 138; *Meilenstein aus Pasargadai*: D.M. Lewis, „The Seleucid Inscription", Stronach, Pasargadae, 159-161. - *Elam als ,Seeprovinz'*: P. Högemann, in: Stuttgarter Kolloquium zur historischen Geographie des Altertums 2, 1984 und 3, 1987, hg. v. E. Olshausen/H. Sonnabend, Bonn 1991, 133-147. Zur *Kanal- und Flußschiffahrt* (in Babylonien, Kleinasien und Ägypten) *sowie dem Seewesen* vgl. Briant, 75 ff. - *Charakterisierung der Persis*: Zitat: Curt. V 4, 5-9; vgl. Arr. Ind. 39, 2-4; Strab. XV 3, 1; *archäologische Surveys*: vgl. Sumner (s.o.); *Arbeiter in Taukâ*: Beispiel PF 1557; vgl. PF 1363. 2055 (150 thrakische Arbeiter); PF 1368 (304 Arbeiter); PFa 30 (303 lykische Arbeiter); PFa 30 (980 kappadokische Arbeiter) usw.; *Taok™*: Ptolem. Geogr. VI 4, 2. 7. - *Iraner als ,Städter'*: Eratosth. bei Strab. I 4, 9; zum ,Städtewesen' der Achaimeniden vgl. D. Metzler, Ziele

und Formen königlicher Innenpolitik im vorislamischen Iran, Habil. Schrift (MS), Münster 1977, 42 ff.; ein großes Problem bleibt die Lokalisierung der Örtlichkeiten, die auf den Täfelchen genannt werden; manche Ansetzung in der neueren Forschung erscheint doch recht hypothetisch.

4. *,Persische Dekadenz'*: Vgl. P. Briant, „Historie et idéologie. Les Grecs et la ,décadence perse'", Mélanges P. Lévêque, Besancon 1989, 33-47. - *Zitat*: Plat. leg. 695 a-b; vgl. dazu K. Schöpsdau, „Persien und Athen in Platons Nomoi", Pratum Saraviense. Festgabe f. P. Steinmetz, hg. v. W. Görler/S. Koster, Stuttgart 1990, 25-39; *Xen. Kyr.* VIII 1 ff.; *Isokrates*: vgl. vor allem Paneg. 41; *der Großkönig als Tyrann*: Aischyl. Pers. 242 u.a.; vgl. zu allem K. Raaflaub, Die Entdeckung der Freiheit (Vestigia, 37), München 1985. *Herodot*: IX 122. - *Hellenen/Barbaren und ihre Wohnsitze:* Hdt. *passim*; Isokr. or. 5, 121-123; zu allem vgl. J. Heinrichs, Ionien nach Salamis (Antiquitas, I 39), Bonn 1989, 129 ff. - *Persische Erziehungsziele*: Hdt. I 136; Xen. an. I 9, 3; Kyr. I 2, 2 ff.; DNb 5-45 (Übers. W. Hinz); *Arbinas*: SEG XXVIII 1245, 14 f. - *Heiratspolitik und ,Frauen-/Männerräume'*: Maßgeblich für meine Darstellung in diesem Teil war die bereits oben erwähnte Diss. von M. Brosius (Oxford). - *Kambyses und seine Schwestern*: Hdt. III 31; zur Identifizierung der Schwestern und zu den Motiven des Kambyses vgl. Brosius, ib.; *Artaxerxes und Atossa*: Plut. Artax. 23, 3; *zur gyn™ tou basileøs*: s. Brosius, ib.; *zur bevorrechtigten Stellung der ,Mutter des Königs'*: s. Brosius, ib. - *Rtabâma*: *Gut der R.*: PFa 27; *kurtaç Irdabamana*: Belege zusammengestellt bei Brosius, ib.; *Siegel der Rtabâma*: Abb. bei Koch, Es kündet Dareios, Abb. 170; *Zuteilungen an R.*: PF 735-740; PFa 27. - *Frauen im Troß des Königs*: s.o., Kap. II. 3. - *Frauen in Abgeschlossenheit*: Plut. Them. 26; *,Harem'*: Es kommt nicht von ungefähr, daß ein Teil der Terrassenanlage von Persepolis mit dieser Bezeichnung belegt wurde. - *,Persische Dekadenz'* (als Forschungskonzept): Zitat: H. Bengtson, Griechische Geschichte (HdAW III 4), München 5/1977, 102; vgl. zu allem: J. Wiesehöfer, „'Denn es sind welthistorische Siege' ...". Nineteenth-and Twentieth-Century German Views of the Persian Wars", Culture and History 12, 1992, 61-83; ders., „Das Bild der Achaimeniden in der Zeit des Nationalsozialismus", AchHist III, Leiden 1988, 1-14; ders., „Zur Geschichte der Begriffe ,Arier' und ,arisch' in der deutschen Sprachwissenschaft und Althistorie des 19. und der ersten Hälfte des 20. Jahrhunderts", AchHist V, Leiden 1990, 147-163; Zitat: W. Wüst, Indogermanisches Bekenntnis, Berlin 1942, 29. - *araççap/paçap/harrinup*: Brosius, ib. (mit älterer Literatur). - *,Sonderrationen' für stillende Mütter*: Zitate: PF 1221; 1232; *Förderung der Geburtenzahl*: Hdt. I 136; vgl. Strab. XV 3, 17; DB IV 54-56.

5. *Zum persischen Heerwesen* vgl. zusammenfassend: A. Sh. Shahbazi, „Army, I", EncIr II, 1987, bes. 491-494; N. Sekunda, „Achaemenid Military Terminology", AMI N.F. 21, 1988, 69-77 sowie nun P. Högemann, Das alte Vorderasien und die Achämeniden, Wiesbaden 1992, 297-319. - *Zeugnisse*: A. Bovon, „La représentation des guerriers perses et la notion du barbare dans la I^{re} moitié du V^{e} siècle", BCH 87, 1963, 579-602; V. v. Graeve, Der

Alexandersarkophag und seine Werkstatt, Berlin 1970, 95 ff.; *Abbildungen und Rekonstruktionen*: J. Cassin-Scott, The Greek and Persian Wars 500-323 B.C. (Men-at-Arms Series), London 1977. - *Heer des Kyros*: Hdt. I 125. - *kara*: J. Wiesehöfer, Der Aufstand Gaumâtas und die Anfänge Dareios' I., Bonn 1978, 93 ff.; *Heeresgattungen*: Högemann, ib. (mit Hinweis auf mögliche Vorbilder). - *Heerführer*: So waren etwa die Befehlshaber Mazares, Harpagos, Taxmaspâda, Datis u.a. Meder. - *Zu Tracht und Bewaffnung der nach Ethnien geordneten Verbände*: Hdt. VII 61 ff.; vgl. S. Bittner, Tracht und Bewaffnung des persischen Heeres zur Zeit der Achaimeniden, München 2/1987. - *Dareios als Vorbild*: DNb 41-45. - *Aufstellung bei Kunaxa*: Xen. an. I 8, 9 (Übers. W. Müri). - *Griechische Söldner*: vgl. schon Hdt. I 171; III 1, 25; s. H.W. Parke, Greek Mercenary Soldiers, Oxford 1933; G.F. Seibt, Griechische Söldner im Achaimenidenreich, Bonn 1977; *Entlohnung*: Xen. an. I 3, 21. - Großer Satrapenaufstand: M. Weiskopf, The So-Called 'Great Satraps' Revolt', 366-360 B.C., Stuttgart 1989; Gegenposition bei R.A. Moysey, "Diodorus, the Satraps and the Decline of the Persian Empire", Ancient History Bulletin 5.4, 1991, 111-120. - *Soldatenzahlen*: Hdt. VII 228. 185 f. - Xen. an. I 7, 12 - Arr. an. II 8, 8; III 8, 6. - *Gefallene Heerführer*: Hdt. VII 89 (Ariabignes); III 12 (Achaimenes); Aischyl. Pers. 36 f. (Arsames); Hdt. VII 224 (Abrokomes, Hyperanthes) u.a. - *Eliteverbände*: Zitat: Hdt. VII 41. 83. - Nach Herakl. Kym. (FGrHist 689 F 1) waren sie eine Abteilung der 10000 Unsterblichen. - *Hazârapatiç*: E. Benveniste, Titres et noms propres en Iranien ancienne, Paris 1966, 67-71; *Tithraustes*: Nep. Kon. 3, 2-3. - *Dareios als ‚Lanzenträger'*: Hdt. III 139. - *Plataiai*: Hdt. IX 63. - *anuçiya/anaoça*: A. Pagliaro, „Riflesse di etimologie iraniche nella tradizione storiografica greca", Rend. Lincei, ser. VIII. 9, 1954, 146-151; vgl. aber: Gh. Gnoli, „Antico-persiano *anusya*- e gli immortali di Erodoto", AcIr 21, 1981, 266-280 sowie Sekunda, 70. - *Bewaffnung*: Zitat: Strab. XV 3, 19; vgl. Hdt. VII 61; *Tracht*: P. Calmeyer, „Zur Genese altiranischer Motive, X: Die elamisch-persische Tracht", AMI N.F. 21, 1988, 27-51; A. Sh. Shahbazi, „Clothing II", EncIr V, 1992, 723-737; Panzerplättchen, Lanzen- und Pfeilspitzen wurden u.a. im Schatzhaus von Persepolis gefunden; zum Brustpanzer vgl. auch Hdt. VII 61; IX 22-24; Erbe aus Ägypten: Hdt. I 135. - *Tracht und Bewaffnung der Reiterei*: Zitat: Xen. an. I 8, 3 ff.; *Panzerreiter aus Babylonien*: E. Ebeling, „Die Rüstung eines babylonischen Panzerreiters nach einem Vertrage aus der Zeit Darius II", ZA N.F. 16, 1952, 204-213, bes. S. 210. - *Elephanten bei Gaugamela*: Arr. an. III 8. - *Standarten*: Hdt. IX 59; königliche Standarte: Xen. an. I 10, 13; Curt. III 3, 10; zur Standarte auf dem Alexandermosaik vgl. zuletzt T. Hölscher, „Zur Deutung des Alexandermosaiks", Anadolu 22, 1981/83, 297-307 (mit älterer Literatur). - *Garnisonen*: s.o. - *Flotte*: Vgl. die z.T. unterschiedlichen Ansichten von Högemann, 311-319 und H.T. Wallinga, Ships and Sea-Power before the Great Persian War (Mnemosyne, Suppl. 121), Leiden 1993. - *Taktik*: Shahbazi, Army, 493 f.

6. *Religion der Achaimeniden*: vgl. die zusammenfassende Darstellung der Forschungsdiskussion in G. Ahn, Religiöse Herrscherlegitimation im

achämenidischen Iran (AcIr 31), Leiden/Louvain 1992, 93 ff. - *Avesta und Zarathustra*: J. Kellens, „Avesta", EncIr III, 1989, 35-44; ders., Zoroastre et l'Avesta ancien, Paris 1991; H. Humbach, A Western Approach to Zarathushtra, Bombay 1984; ders., The Gâthâs of Zarathushtra and the Other Old Avestan Texts, p. 1, Heidelberg 1991; Gh. Gnoli, Zoroaster's Time and Homeland, Naples 1980; ders., De Zoroastre à Mani, Paris 1985; M. Boyce, A History of Zoroastrianism, vol. 1-2, Leiden 1975-1982. - *Avesta-Alphabet, schriftliche Fixierung und Handschriften*: K. Hoffmann/J. Narten, Der sasanidische Archetypus, Wiesbaden 1989. - *Alexander und das Avesta*: J. Wiesehöfer, „Zum Nachleben der Achaimeniden", AchHist VIII, Leiden (im Druck). - *Anquetil-Duperron*: J. Duchesne-Guillemin, in: EncIr II, 1987, 100-101. - *Entstehungszeit und -ort d. Avesta*: vgl. Gnoli, Zoroaster's Time, 159 ff.; Kellens, „Avestique", Compendium Linguarum Iranicarum, hg. v. R. Schmitt, Wiesbaden 1989, 32 ff. Eine extreme Frühdatierung vertritt M. Boyce (s.o.); zur Kritik daran vgl. Duchesne-Guillemin, „Johanna Narten, Mary Boyce, George Dumézil", Procedings of the First European Conference of Iranian Studies, Turin 1987, ed. Gh. Gnoli/A. Panaino, Rome 1990, 86 ff. - *Ausbreitung des Zoroastrismus*: Skizziert sind hier die Ansätze von Hoffmann („Das Avesta in der Persis", Prolegomena to the Sources on the History of Pre-Islamic Central Asia, ed. J. Harmatta, Budapest 1979, 89-93), Gnoli und Boyce. - *Spätdatierung Zarathustras*: Diese Theorie, der der Verf. früher selbst anhing, wird heute nur noch von wenigen Gelehrten vertreten; m.E. haben Shahbazi, Gnoli, Humbach u.a. die sâsânidische ‚Konstruktion' des Datums deutlich aufzeigen können. - *Achaimeniden und Zoroastrismus*: vgl. Ahn, 93 ff. (mit der älteren Literatur). - *Charakteristika der Lehre Zarathustras und des Jungavesta*: vgl. Humbach, Gâthâs und Kellens, Zoroastre; bewußt verzichtet wurde hier auf die Darstellung der Diskussion um die Gestalt Zarathustras, den Charakter und den ‚Sitz im Leben' der Gâthâs. - *Kennzeichnung des ursprünglichen Mazdaismus*: Zitat: Kellens, „Characters of Ancient Mazdaism", History and Anthropology 3, 1987, 257; *Eschatologie*: antikes Zitat: Plut. de Isid. et Osirid. 46-47; die Forschungskontroverse um die Kosmogonie in den Gâthâs entzündet sich vor allem an der Übersetzung und Interpretation von Yasna 30, 3-6: vgl. etwa die Übersetzungen von Gnoli („Zoroastrianism", Religions of Antiquity, ed. R.M. Seltzer, New York/London 1989, 132 f.) und Humbach (Gâthâs, p. 1, 123 f.). Außen vor bleiben muß auch das Problem des 'Zurvanismus', also der Annahme einer Gottheit (der 'Zeit'), die als 'Vater' der Zwillinge Ahura Mazdâ und Angra Mainyu gedacht wird (vgl. Gnoli, "Zurvanism", The Encyclopedia of Religion, ed. M. Eliade). - *Auramazdâ und die anderen Götter*: vgl. zur Diskussion Ahn, 102 ff. - *‚Wahrheit' und ‚Lüge'*: Hdt. I 136. 138; *a3a-drug*: Boyce, History II, 181. - *Bestattungsbräuche*: Vd. 5, 1-4. 6, 26-29. 44-51; Zur Diskussion: Ahn, 122 ff. - *Religiöse Verhältnisse in der Persis*: Zitat: PF 1956; ausführlich: H. Koch, Die religiösen Verhältnisse der Dareioszeit, Wiesbaden 1977; zusammenfassend: dies., „Zu Religion und Kulten im achämenidischen Kernland", La religion iranienne à l'époque achéménide, ed. J. Kellens, Gent 1991, 87-109. Die iranischen Personennamen in den Täfelchen sind ein

trügerisches Zeugnis zu den religiösen Anschauungen ihrer Träger (vgl. R. Schmitt, „Name und Religion", ib., 111-128). - *Magier und ihre Aufgaben*: Traumdeutung: Hdt. I 107 f. 120. 128; VII 19; Cic. De Div. I 23, 46; priesterliche Funktionen: Hdt. I 132; Strab. XV 3, 13 f. u.a.; Grabwache: Aristob. (FGrHist 129 F 51a); Ktes. (FGrHist 688 F 13); Erziehung der Königssöhne: Plat. Alkib. I 121 d; Plut. Artax. 3 u.a.; Verwaltung: vgl. die Rolle Gaumâtas; zu Magiern in Babylonien vgl. M.A. Dandamayev/V. Livshits, „Zattum™çu, a Magus in Babylonia", AcIr 28, 1988, 457-459; Königsinvestitur: Plut. Artax. 3; Träger der Überlieferung: s.u.

مراجع القسم 3

Alexander und Iran: J. Wiesehöfer, Die ‚dunklen Jahrhunderte' der Persis. Untersuchungen zu Geschichte und Kultur von Fårs in frühhellenistischer Zeit, München (im Druck). - *Seleukiden und Iran*: S. Sherwin-White/A. Kuhrt, From Samarkhand to Sardis, London 1993 (vorzügliches Handbuch zum Seleukidenreich). - *Der ‚achaimenidische' Alexander*: P. Briant, Alexandre le Grand, Paris 3/1987; Wiesehöfer, Jahrhunderte; *Kleinasien*: vgl. etwa Curt. IV 10, 11. 14, 2; Polyain. IV 3, 18; *Briefwechsel nach Issos*: Arr. II 14, 1-9; vgl. Briant, Rois, tributs et paysans, Paris 1982, 357-403, bes. 360-371 bzw. 371-384. - *Alexander in der Persis*: Arr. III 18, 2-12; Curt. V 3, 17-7, 10; Plut. Alex. 37, 1-38, 7; Diod. XVII 68, 1-72, 4; Strab. XV 3, 6-8; Wiesehöfer, Jahrhunderte; *Brand von Persepolis*: Arr. III 18, 11-12; Curt. V 7, 3-7; Kleit. (FGrHist 137 F 11); Plut. Alex. 38, 1-7; Diod. XVII 72, 1-7; Ps. Kallisth. II 17, 11; Strab. XV 3, 6; zur Interpretation dieses und vor allem des archäologischen Befundes (Brandstiftung nur in Räumen, die (inschriftlich) als solche des Xerxes bestimmt waren und/oder Kostbarkeiten enthielten, die als ‚Königsgaben' bzw. Paraphernalia dienten) vgl. H. Sancisi-Weerdenburg, ‚Den wereltvorst een vuyle streek aan sijn ercleet'. Alexander en Persepolis, Utrecht 1991. - *Alexander und Dareios III.*: Arr. III 22, 1. 6; Curt. VI 2, 9; Diod. XVII 73, 3. 77, 4; Plut. Alex. 43, 5-7; Iust. XI 15, 15; Plin. n.h. XXXVI 132. - *Bessos*: Arr. IV 7, 3-4; Curt. VII 5, 40. 10, 10; Diod. XVII 83, 9; zum Zeitpunkt der *Übernahme persischen Hofzeremoniells* u.a. vgl. A.B. Bosworth, „Alexander and the Iranians", JHS 100, 1980, 6. - *Ostiran*: F.L. Holt, Alexander the Great and Bactria, Leiden 1988, 52 ff. - *Kyrosgrabplünderung und Widerstand in der Persis*: Arr. VI 30, 1-2; Curt. X 1, 37; Wiesehöfer, Jahrhunderte; *Alexandertradition in Iran*: J. Wiesehöfer, „Zum Nachleben von Achaimeniden und Alexander in Iran", Ach Hist VIII, Leiden (im Druck). - *Peukestas*: W. Heckel, The Marshals of Alexander's Empire, London/New York 1992, 263 ff.; Bewertung seiner Politik: Wiesehöfer, Jahrhunderte. - *Kolonistenaufstand in Baktrien*: Diod. XVII 99, 5-6; XVIII 7, 1-9; Holt, Alexander, 70 ff. - *Candragupta*: Sherwin-White/Kuhrt, 92 ff. - *Media Atropatene*: M. Schottky, Media Atropatene und Groß-Armenien in hellenistischer Zeit, Bonn 1989. - *Satrapen der ‚Oberen Satrapien'*: L. Schober, Untersuchungen zur Geschichte Babyloniens und der Oberen Satrapien von

323-303 v.Chr., Frankfurt 1981; *Fest von Persepolis*: Zitat: Diod. XIX 22, 1-3; vgl. Wiesehöfer, Jahrhunderte; *Amtsenthebung des Peukestas*: Diod. XIX 48, 1 ff. - *Reichsgründung Seleukos I.*: Sherwin-White/Kuhrt, 8 ff.; *Seleukos und Candragupta*: App. Syr. 55; Strab. XV 2, 9; *Choresmien*: Curt. VIII 1, 8; Arr. IV 15, 4-5; H.-P. Francfort, "Central Asia and Eastern Iran", CAH IV^2, London 1988, 186-189; *Baktrien/Sogdien*: s.u.; *Städtegründungen*: Sherwin-White/Kuhrt, 20 f. - *Seleukidische Politik*: Neubewertung bei Sherwin-White/Kuhrt; vgl. auch Briant, "The Seleucid Kingdom, the Achaemenid Empire and the History of the Near East in the First Millennium BC", Religion and Religious Practices in the Seleucid Kingdom, ed. P. Bilde u.a., Aarhus 1990, 40-65. - *Medien*: Polyb. X 27; Ptolem. VI 2, 17; Isid. Charak.; *Inschrift von Nihâvand*: L. Robert, „Inscriptions séleucides de Phrygie et d'Iran", Hellenica 7, 1949, 5-22; vgl. Inschrift von Kirmânçâh: Robert, „Encore une inscription grecque de l'Iran, et le sanctuaire du mont Sambulos en Iran", StIr 9, 1980, 301-324; *Münzstätte von Ekbatana*: O. Morkholm, Early Hellenistic Coinage, Cambridge 1991. - *Persis*: Wiesehöfer, Jahrhunderte; *Molon-Aufstand*: Polyb. V 40 ff.; *Seleukiden und Persischer Golf*: J.-F. Salles, "The Arab-Persian Gulf under the Seleucids", Hellenism in the East, ed. A. Kuhrt/S. Sherwin-White, London 1987, 75-109. - *Susa/Susiane*: *Kolonie*: OGIS 233; *Inschriften*: SEG VII 2-6. 15. 17-26; *Archäologie*: R. Boucharlat, "Suse marché agricole ou relais du grand commerce. Suse et la Susiane à l'époque des grandes empires", Paléorient 11, 1985, 71-81. - *Areia/Drangiane*: Sherwin-White/Kuhrt, 79-81. - *Hyrkanien*: App. Syr. 57; *Inschrift*: L. Robert, "Inscription hellénistique d'Iran", Hellenica 11/12, 1960, 85-91; Polyb. X 31, 5. 48; Sherwin-White/Kuhrt, 81 f. - *Margiane*: Strab. XI 10, 2; Gyaur-Kale: V.M. Masson, Das Land der tausend Städte, München 1982, 141 ff. - *Parthien*: Sherwin-White/Kuhrt, 84-90. - *(West)Arachosien*: P. Daffinà, L'immigrazione dei Sakå nella Drangiana, Rom 1967; P. Bernard, in: Fouilles d' Ai Khanoum IV, Paris 1985, 85-95; *A¬oka-Edikte*: U. Schneider, Die großen Felsen-Edikte A¬okas, Wiesbaden 1978; *iranischer Einfluß in der aramäischen Version aus Qandahâr*: H. Donner/W. Röllig, Kanaanäische und aramäische Inschriften, Bd. 2, Wiesbaden 3/1973-1979, 335-337; *griechischer Einfluß*: R. Schmitt, „Ex Occidente Lux. Griechen und griechische Sprache im hellenistischen Fernen Osten", Beiträge zur hellenistischen Literatur und ihrer Rezeption in Rom, hg. v. P. Steinmetz, Stuttgart 1990, 41-58, bes. 41-51. - *Baktrien*: Masson, Land; Francfort, Central Asia; Bernard, Fouilles d' Ai Khanoum; ders., „Alexandre et l'Asie Centrale", StIr 19, 1990, 21-38; *Alexandreia Eschat™*: F. Schwarz, Alexanders des Großen Feldzüge in Turkestan, München 1893, 47-51; Bernard, in: Abstracta Iranica 10, 1987, Nr. 176. 203; *Åi Xânum*: Fouilles de Ai Khanoum I ff., Paris 1973 ff.; Bernard, „Ein Vorposten des Hellenismus in Zentralasien", Spektrum der Wissenschaft 1982.3, 66; *Griechen in Å.X. und griechische Inschriften aus Ostiran*: Schmitt, Ex Occidente, 54 ff. (dort auch Übersetzungen); *Taxt-i Sang/n*: I.R. Pitschikjan, Oxos-Schatz und Oxos-Tempel, Berlin 1992 (mit nicht unumstrittenen Thesen); Bernard, „Le Marsyas d'Apamée, l'Oxus et la colonisation séleucide en Bactriane", StIr 16, 1987, 103-115; *Qandahâr*: s.o. -

Sogdien: Masson, Land, 95 ff.; Bernard, Alexandre. - *Nordostiran in späterer Zeit*: Histoire et cultes de l'Asie Centrale préislamique, ed. P. Bernard/F. Grenet, Paris 1991.

مراجع القسم 4

Für *Bibliographien, Nachschlagewerke* und *Handbücher der Geschichte Irans* ist auf die unter B genannte Literatur zu verweisen; an grundlegender Literatur für die Partherzeit ist zu nennen: The Cambridge History of Iran, vols. III 1-2, Cambridge 1983; N.C.Debevoise, A Political History of Parthia, Chicago 1938; M.A.R. Colledge, The Parthians, London 1967 sowie vor allem K. Schippmann, Grundzüge der parthischen Geschichte, Darmstadt 1980. Nützlich sind auch die Prosopographische(n) Studien zur Geschichte des Partherreiches auf der Grundlage antiker literarischer Überlieferung (Bonn 1988) von M. Karras-Klapproth. Zu den *Beziehungen der Parther mit Rom* vgl. man noch K.H. Ziegler, Die Beziehungen zwischen Rom und dem Partherreich, Wiesbaden 1964 sowie E. Dabrowa, La politique de l'état parthe à l'égard de Rome, Kraków 1983. - Standardwerk dürfte das für dieses Jahr angekündigte Buch von J. Wolski, L'Empire des Arsacides (AcIr, 32) werden.

مراجع القسم 4 / 1 / 1 - 4 / 1 / 2

Geschichte und Eigenarten der iranischen Sprachen: Compendium Linguarum Iranicarum, hg.v. R. Schmitt, Wiesbaden 1989 (mit den Beiträgen von R. Schmitt über die mitteliranischen, W. Sundermann über die westmitteliranischen Sprachen, das Parthische und Mittelpersische, N.Sims-Williams über die ostmitteliranischen Sprachen, das Sogdische und Baktrische sowie H. Humbach über das Choresmische); Zitate: Schmitt 96 und Sundermann, 107. - *Sprachen des parthischen Westens* : Schmitt, „Die Ostgrenze von Armenien über Mesopotamien, Syrien bis Arabien", Die Sprachen im Römischen Reich der Kaiserzeit (BJbb, Beih. 40), Bonn 1980, 187-214; K. Beyer, Die aramäischen Texte vom Toten Meer, Göttingen 1984; J.Oelsner, Materialien zur babylonischen Gesellschaft und Kultur in hellenistischer Zeit, Budapest 1986, 137 ff.; zum ‚Überleben' der babylonischen Sprache: Iambl. Babyl. 2, 7 ff. Habrich. - *Dokumente aus Nisâ* : I.M. D'jakonov/V.A. Livçic, Dokumenty iz Nisy I v. do n.e., Moskva 1960; dies., Parthian Economic Documents from Nisa, ed. D.N. MacKenzie, London 1976-1979; V.A. Livshits, „New Parthian Documents from South Turkmenistan", AAntHung 25, 1977, 157-185; Übers. der Inschrift 2120 nach Masson, Land der tausend Städte, München 1982, 125. - *Avroman-Dokumente* : E.H. Minns, „Parchments of the Parthian Period from Avroman in Kurdistan", JHS 35, 1915, 22-65 (vgl.MacKenzie, EncIr III, 1989, 111). - *Pergamente und Papyri aus Dura*: Excavations at Dura-Europos. Final Reports, vol. 5, pt. 1 : The Excavations. Parchments and Papyri, ed.

C.B. Welles, New Haven 1959; vgl. auch R.N. Frye, The Parthian and Middle Persian Inscriptions of Dura-Europos, London 1968 sowie J. Harmatta, "Die parthischen Ostraka aus Dura-Europos", AAntHung 6, 1958, 87-175. - *Ostraka aus Çahr-i Q¨mis:* A.D.H. Bivar, in: JRAS 1970, 63-66 und Iran 19, 1981, 81-84. - *Inschrift aus Xung-i Naur¨z/:* Harmatta, "Parthia and Elymais in the 2nd Century B.C.", AAntHung 29, 1984, 189-217; *I. aus Sar Pul-i Zuhåb*: G. Gropp, "Die parthische Inschrift von Sar-Pol-e Zohåb", ZMDG 118, 1968, 315-319; *I. aus Susa:* W.B.Henning, "The Monuments and Inscriptions of Tang-i Sarvåk", Asia Major n.s. 2, 1951, 176. - *Aramäisch-elymäische Inschriften*: Henning, 151-178; Harmatta, in: R.Ghirshman, Terrasses sacrées de Bard-e Néchandeh et Masjid-i Solaiman (MDAI, XLV), t. 1, Paris 1976, - *Inschriften aus Assur*: Literatur bei Beyer, Texte, 47 n. 2; *Hatra*: Ib. - *Griechische Inschriften aus B/sut¨n:* OGIS 431; vgl. aber T.S. Kawami, Monumental Art of the Parthian Period in Iran (AcIr, 26), Leiden 1987, 155-157; CIG III 4674, Kawami, 157-159. - *Brief des Artabanos an die Archonten in Susa:* C.B.Welles, Royal Correspondence in the Hellenistic Period, New Haven 1934, Nr. 75. - *Bilingue auf der Herakles-Statue*: F.A. Pennacchietti, "L'inscrizione bilingue greco-partica dell'Eracle di Seleucia", Mesopotamia 22, 1987, 169-185; D.S.Potter, "The Inscription of the Bronze Herakles from Mesene: Vologeses IV's War with Rome and the Date of Tacitus' *Annales*", ZPE 88, 1991, 277-290. - *Akkadische Texte aus Babylonien:* Oelsner, Materialien; *Babylonien zwischen 141 und 126:* Sherwin-White/Kuhrt, From Samarkhand to Sardis, London 1993, 124 f.; *Text aus Uruk:* K.Kessler, "Eine arsakidenzeitliche Urkunde aus Warka", BaM 15, 1984, 273-281; '*Graeco-Babyloniaca*': Oelsner, 239 ff.; Sherwin-White/ Kuhrt, 160 f.; S. Maul,"Neues zu den 'Graeco-Babyloniaca'", ZA 81, 1991, 87-107. - *Chinesische Historiographie:* F.Hirth, China and the Roman Orient, Shanghai 1885; J.J.M. de Groot, Chinesische Urkunden zur Geschichte Asiens, 2 Bde., Berlin 1921. - *Iranische Überlieferung:* M.Boyce, "Parthian Writings and Literature", CHI III 2, Cambridge 1983, 1151-1165, E.Yarshater, "Iranian National History", CHI III 1, Cambridge 1983, 359-477.

2. Als Einführung in die *Archäologie des Partherreiches* kann der Artikel „Archaeology III", von K. Schippmann in der EncIr II, 1987, 298-301 dienen. Auf *Skulptur- und Reliefkunst* bezieht sich die Monographie von T.S. Kawami, Monumental Art of the Parthian Period in Iran (AcIr 26), Leiden 1987. - *Niså (und Umgebung)*: V.M. Masson, Das Land der tausend Städte, München 1982, 113 ff.; *Mihrdåtkirt*: ‚Festung des Mithridates' (da von M. I. oder II. erbaut); *Rhyta*: M.E. Masson/G.A. Puga≤enkova, The Parthian Rhytons of Nisa, Florenz 1982; *Verwendung der Rhyta*: Masson/Puga≤enkova: religiös-zoroastrischer Zusammmenhang (Libation); P. Bernard, in: Histoire et cultes de l'Asie Centrale préislamique, Paris 1991, 31-38: Bankette im Rat einer griechischen Kolonie im Osten; *Herkunft:* Bernard: Kriegsbeute aus einer solchen Stadt in Syrien oder Baktrien; *Friesbänder*: Bernard, „Les rhytons de Nisa, I", JS 1985, 25-118; Chuvin, in: Histoire et cultes, 23-29. - *Hekatompylos/Çahr-i Q¨mis*: Plin.n.h.VI 62; Polyb. X 28, 7; J. Hansman, „The Problems of Qumis", JRAS

1968, 111-139; J. Hansman/D. Stronach, "Excavations at Shahr-i Qumis, 1967", JRAS 1970, 29-62"; "..., 1971", Ib. 1974, 8-22. - *B/sut'n:* Ktesias (FGrHist 688 F 1 = Diod. II 13, 1-2); vgl. Diod. XVII 110, 5 ; Isid. Charak. § 5; Steph. Byz. p. 155 ed. A. Meineke; *Inschrift*: L. Robert, Gnomon 35, 1963, 76; Abb.: Sherwin-White/Kuhrt, From Samarkhand, pl. 28; *parthische Reliefs* : Kawami, 155-162, pl. 1-5; *weitere Plätze in Medien:* Schippmann, EncIr II, 1987, 300. - *X'zistân: Felsreliefs*: L. Vanden Berghe/K. Schippmann, Les reliefs rupestres d'Elymaide (Iran) de l'époque parthe, Gent 1985. - *Parthische Kunst*: M.I. Rostovtzeff, "Dura and the problem of Parthian Art", YCS 5, 1935, 155-304; M.A.R. Colledge, Parthian Art, Ithaca 1977; S.B. Downey, "Art in Iran IV", EncIr II, 1987, 580-585, - *Hatra*: Downey, Mesopotamian Religious Architecture, Princeton 1988, 159 ff.(mit älterer Literatur). - *Statue von Çam/*: H. Seyrig, "La grande statue parthe de Shami et la sculpture palmyrienne", Syria 20, 1939, 177-182. - *'Bunte Barbaren'* : R.M. Schneider, Bunte Barbaren, Worms 1986. - *Arsakidische Münzprägung*: M. Alram, "Arsacid Coinage", EncIr III, 1989, 536-540; D.G. Sellwood, An Introduction to the Coinage of Parthia, London 2/1980; *'Vasallenprägungen'*: Alram, "Die Vorbildwirkung der arsakidischen Münzprägung", Litterae Numismaticae Vindobonenses 3, 1987, 117-146. - *Weitere archäologische Gattungen*: *Keramik*: E. Haerinck, La céramique en Iran pendant la période parthe, Gent 1983; *Schmuck:* B. Musche, Vorderasiatischer Schmuck zur Zeit der Arsakiden und der Sasaniden, Leiden 1988.

مراجع القسم 4 / 2 / 1 - 4 / 2 / 2

1. *Antike Zeugnisse zu den Anfängen der Partherherrschaft* : Strab. XI 9, 2; Iust. XLI 1, 9-12. 4, 5-5, 6; Arr. Parth. (FGrHist 156 F1 = Phot. 17a 34 ff; Synk. 539, 7 Dindorf); eine weitere Version bezeichnet Andragoras als Vorfahren der parthischen Könige (Iust. XII 4, 12), die iranische ‚Nationalgeschichte' führt Arsakes' Ahnenreihe auf Kai Qubâd, dessen Sohn Kai Åraç, Dårå, den Sohn des Humâi oder den sagenhaften Bogenschützen Åraç zurück (A.Sh. Shahbazi, „Arsacids I", EncIr II, 1987, 525). - *Chronologie*: zuletzt K. Brodersen, „The Date of the Secession of Parthia from the Seleucid Kingdom", Historia 35, 1986, 378-381; *Tiridates*: Während ein Teil der Gelehrten die Historizität des Arsakesbruders mit dem Hinweis bestreitet, er werde bei Strabon/Iustin nicht genannt (vgl. etwa zuletzt Wolski, „L'origine de la relation d'Arrien sur la paire des frères Arsacides, Arsace et Téridate," AAntHung 24, 1976/77, 63-70), sieht ein anderer in ihm einen - nicht regierenden - Bruder des Reichsgründers (vgl. G.A. Koçelenko, „La genealogia dei primi Arsacidi", Mesopotamia 17, 1982, 133-146). - *Geographie:* Ch. Brunner, „ Geographical and Administrative Divisions," CHI III 2, Cambridge 1983, 769; *erste Erwerbungen*: Sherwin-White/Kuhrt, From Samarkhand, 84-90. - ‚*Königslegenden*': *Kyros*: vor allem Hdt. I 107-122 (s.o.); *Såsån:* Kårnåmag-i Ardaxçr-i Påbagån I-III (Übers. Th. Nöldeke, in: Bezzenbergers Beiträge 1878, 22 ff.); zur Ausstrahlung

dieser Erzählungen vgl. M. Frenschkowski, „Iranische Königslegenden in der Adiabene", ZDMG 140, 1990, 213-233. - *Arsakes und Artaxerxes (II.)*: Ktes. (FGrHist 688 F 15 : Arsakas/Arsakes; F 15a: Arsikas), Deinon (FGrHist 690 F 14: Oarses); zu allem s. Schmitt, „Achaemenid Throne-Names", AION 42, 1982, 83-95). - *‚Die 7 Verschwörer'*: Calmeyer, „Die ‚statistische Landcharte' des Perserreiches. Nachträge und Korrekturen", AMI N.F. 20, 1989, 133-140, bes. 138-140. - *Artaxsahrakan*: I.M. D'jakonov/V.A. Livçic, Dokumenty iz Nisy I v. do n.e., Moskva 1960, 20. - *B/run/:* åfår 112 f. Sachau (Übers., 116). - *Königstitulatur:* Harmatta, „Parthia and Elymais in the 2nd Century B.C.", AAntHung 29, 1981, 189-217, bes. 202; J. Wolski, „Le titre de ‚Roi des Rois' dans l'idéologie monarchique des Arsacides", From Alexander to Kül Tegin, ed. J. Harmatta, Budapest 1990, 11-18. Damit wären wir deutlich früher als dies J. Neusner („Parthian Political Ideology", IrAnt 3, 1963, 40-59) annahm. - *Forderungen des Artabanos:* Tac. ann. VI 31; J. Wiesehöfer, „Iranische Ansprüche an Rom auf ehemals achaimenidische Territorien", AMI N.F. 19, 1986, 177-185. - *Parther als ‚Teilkönige'*: Belege: Ib., 177 f. n. 6. - *Philhellenismus*: Wolski, „Sur le ‚philhellénisme' des Arsacides", Gerion 1, 1984, 145-156; *Euripides' Bakchen:* Plut. Crass. 33. Der Text bezeugt etwas später auch das königliche Geschenkeverteilen an verdiente Untertanen. - *‚Iranismus' der Arsakiden: Valaxç:* DkM 412, 5-11; vgl. zu allem Gh. Gnoli, The Idea of Iran, Roma 1989, 116-119. - *‚Iranische Nationalgeschichte':* E. Yarshater, „Iranian National History", CHI III 1, Cambridge 1983, 429 ff.; *Såsåniden und achaimenidische ‚Ahnen':* ÇKZ pa. 16; griech. 34-36 (*ah™nagån - progonoi*); vgl. Gnoli, „L'inscription de Çåbuhr à la Ka˛be-ye Zardoçt et la propagande sassanide", Histoire et cultes de l'Asie préislamique, Paris 1991, 57-59; *gøsån:* M. Boyce, „The Parthian *gøsån* and the Iranian Minstrel Tradition", JRAS 1957, 10-45, Zitat: 10 f.; *‚V/s und Råm/n':* V. Minorsky, „Vis o Ramin, a Parthian Romance", ders., Iranica, Teheran 1964, 151 ff.; engl. Übers. der neupersischen Version: G. Morrison, New York 1972; dt. Übers. der georgischen Version: Wis und Ramin, übers. v.: N. Amaschukeli/ N. Chuzischwili, hg. v. E. Erb, Leipzig 1991; dort auch Übers. des Zitats (S. 14 f.)

2. *Parthien bei den antiken Autoren*: Zitat: Iust. XLI 1, 12; vgl. Strab. XI 9, 1, der es *aporos* (hier: ohne Versorgungsmöglichkeiten) nennt. - *Parthien (Parqava) unter den Achaimeniden*: DB II 92-III 10; die babylonische Fassung der B/sut¨n-Inschrift nennt für die beiden dort geschlagenen Schlachten folgende Zahlen getöteter bzw. gefangengenommener Feinde: 1. Schlacht: 6346/4346; 2. Schlacht: 6570/4192; bei aller Skepsis gegenüber Zahlenangaben, die Tendenz (große Erhebung, blutige Niederwerfung, ‚volkreiches' Parthien) dürfte stimmen. - *Dara*: Plin. n.h. VI 46. - *Parthische ‚Geschichte' der späten Bronze- und (frühen) Eisenzeit*: W. Vogelsang, The Rise and Organisation of the Achaemenid Empire, Leiden 1992, 267 ff. - *Sozialstruktur Parthiens:* Zitate: Iust. XLI 2, 1-6. 3, 4 (*probulorum* nach Seel; andere Versionen: *populorum, praepositorum)*; Plut. Crass. 30; zu den *servi:* Wolski, „Les relations de Justin et

de Plutarque sur les esclaves et la population dépendante dans l'empire parthe", IrAnt 18, 1983, 145-157; G.A. Koçelenko, „Les cavaliers parthes", DHA 6, 1980, 177-199; *Zahlen des Surenasaufgebotes*: 1000 Kataphrakten, ungenannte Zahl Bogenschützenreiter, dazu Personen beim Troß etc., insgesamt 10000 Mann (Koselenko); 1000 Kataphrakten und 9000 leichte Reiter (Wolski); 1000 Kataphrakten, 1000 unfreie, leichtbewaffnete Reiter (H. v. Gall, Das Reiterkampfbild in der iranischen und iranisch beeinflußten Kunst parthischer und sasanidischer Zeit, Berlin 1990, 76 n. 157). - *Sklaven:* Plin. ep. X 74; Diod. XXXIV/XXXV 21. - *,Adel' und ,Volk':* Amm.Marc. XXIII 6, 1; Tac. ann. XII 10. - *Megistanes*: Sen. ep. 21, 4; zu Surenas und Monaeses vgl. Karras-Klapproth, Prosopographie, 165-171 bzw. 90-92. - *Sâsânidische ,Adelsrangklassen':* s.u. - *Manesos*: P. Dura X (C.B. Welles, The Parchments and Papyri, 116). - *âzât*: M.L. Chaumont, „Azad", EncIr III, 1989, 169 f. - *Rangklassen im Partherreich:* Wolski, „L'aristocratie parthe et les commencements du féodalisme en Iran", IrAnt, 1967, 133-144; *Hoftitel:* OGIS 430. - *König und Adel:* Wolski, „Remarques critiques sur les institutions des Arsacides", Eos 46, 1952/53, 59-82; ders., „L'état parthe des Arsacides", Palaeologia 7.3-4, 1959, 325-332 (mit berechtigter Kritik an der These vom ,Wahlkönigtum'); *Krönungsrecht der S¨r™n:* Plut. Crass. 21; Tac. ann. VI 42; Zitate: Iust. XLI 5, 8 ff.; Tac. ann. VI 42, 4 (Phraates und Hieron); Iust. XLII 4, 1 (Mithridates II.); - *König und Söldner:* Wolski, „Le role et l'importance des mercenaires dans l'État parthe," IrAnt 5, 1965, 103-115: Söldner als ausschließlich dem König zur Verfügung stehender Truppenteil; vgl. Herodian. III 1, 2, wo der König über keine eigenen Truppen verfügt und sich auf die Verbände des Adels verlasssen muß. - *,Feudalordnung':* Kritik bei C. Herrenschmidt, „Banda II", EncIr III, 1989, 684. - *Parther und Griechen:* Inschrift: SEG VII 39; Theater, Agora, Gymnasion: Diod. XXXIV/ XXXV 21; Poseid. (FGrHist 87 F 13); Iust. XLII 1, 3); *Apameia-Seleias (und Susa)*: OGIS 233; *Lage von A.-S.*: G. Le Rider, Suse sous les Seleucides et les Parthes, Paris 1965, 260 n. 2; *Archedemos:* Plut. Mor. 605 B; *Xenon:* G.J.P. McEwan, "Arsacid Temple Records", Iraq 43, 1981, 132-134; *Syrinx:* Polyb. X 27-31; einen ähnlichen Befund zeigen die Ausgrabungen von Çahr-i Q¨mis (Hekatompylos): J. Hansman/D. Stronach, JRAS 1970, 29-62; *Phraates II.*: Iust. XLII 1; Diod. XXXIV/XXXV 21; *Susa:* Le Rider; R. Boucharlat, „Suse, marché agricole ou relais du grande commerce", Paléorient 11/12, 1985, 76 f.; Inschriften: SEG VII 13; RC 75 (vgl. Le Rider, 275 f.); *Seleukeia-am-Tigris:* Zitat: Tac. ann. VI 42; *,degeneratio'-Idee*: Zitat: *neque in barbarum corrupta*; vgl. H. Sonnabend, Fremdenbild und Politik, Frankfurt 1986, 216 ff.); *Einwohnerzahl*: Plin. n.h. 6, 122; dort wird behauptet, Ktesiphon sei bewußt ,gegen' S. gegründet worden, doch sollte uns das Pendant Seleukeia-Babylon unter den Seleukiden vor solchen Interpretationen hüten (vgl. Sherwin-White, „Seleucid Babylonia", Hellenism in the East, London 1987, 20); *Interpretation der Episode:* ,Aristokratie' der Griechen vs. ,Demokratie' der Eingeborenen (U. Kahrstedt, Artabanos III. und seine Erben, Bern 1950, 49); Klassenkampf zwischen Arm und Reich: (N. Pigulevskaja, Les villes de l'état iranien aux époques parthes et sassanides, Paris/Den Haag 1963, 62 f. 85); *Partherkönige*

und Seleukeia in der Münzprägung: Le Rider, *passim*; *,Orientalisierung' nach 42:* Kahrstedt, 48; *eigener Vorteil als Richtschnur des Artabanos:* Tac.: *ex suo uso*. - *Parther und Juden*: J. Neusner, A History of the Jews in Babylonia, vol. 1, Leiden 1965; A. Oppenheimer, Babylonia Judaica, Wiesbaden 1983.

مراجع القسم 3 / 4

Administration: Zitat: Plin. n.h. VI 112; *Geschichte der ,Vasallenreiche': Persis*: Sie ist fast ausschließlich in der Münzprägung zu fassen (s. M. Alram, „Die Vorbildwirkung der arsakidischen Münzprägung", Litterae Numismaticae Vindobonenses 3, 1987, 127-130); *Elymais*: vgl. Le Rider, Suse sous les Seleucides et Parthes, Paris 1965; Vanden Berghe/Schippmann, Les reliefs rupestres d'Elymaide, Gent 1985, 13-30; E. Dabrowa, „Die Politik der Arsakiden auf dem Gebiet des südlichen Mesopotamiens und im Becken des Persischen Meerbusens in der zweiten Hälfte des 1. Jahrhunderts n.Chr.", Mesopotamia 26, 1991, 141-153; *Mesene*: J. Hansman, „Characene/Charax", EncIr V, 1992, 363-365; *Hatra*: H.J.W. Drijvers, „Hatra, Palmyra und Edessa", ANRW II 8, 1978, 799-906; *Osrhoene*: Drijvers, ib.; *Adiabene*: D. Sellwood, „Adiabene", EncIr I, 1987, 456-459; *Media Atropatene*: K. Schippmann, „Azerbaijan III", EncIr III, 1989, 222-224; M. Schottky, „Gibt es Münzen atropatenischer Könige?", AMI N.F. 23, 1990, 211-227; *Hyrkanien*: Dabrowa, „Vologèse Ier et l'Hyrcanie", IrAnt 19, 1984, 141-147; *,Königreiche' in ÇKZ*: R. Gyselen, La géographie administrative de l'Empire sassanide, Paris 1989, 88 f. und *passim*. - *Parthische Bestätigung regionaler Autonomie*: *Persis*: J. Wiesehöfer, Die ,dunklen Jahrhunderte' der Persis, München (im Druck); *Elymais u.a.*: Alram, ib.. - *Izates*: Ios. ant. XX 54 f.; vgl. U. Kahrstedt, Artabanos III. und seine Erben, Bern 1950; Izates wird damit belohnt „eine aufrechtstehende Tiara (*tiara orth*™) [ein Zeichen des Großkönigtums] zu tragen und auf einem goldenen Bett zu ruhen", dazu wird er noch territorial ,entschädigt'. - *Mithridates v. Mesene*: D.T. Potts, „Arabia and the Kingdom of Characene", Araby the Blest, ed. D.T. Potts, Copenhague 1988, 143 ff. - *,Vasallenkönige' aus der Arsakidenfamilie*: vgl. etwa Tac. ann. XII 14; XV 2: Vologeses I. nennt hier Medien als die zweite, Armenien als die dritte Stelle der Macht (*tertius potentiae gradus*); aus achaimenidischer Zeit kennen wir ähnliche Regelungen für Baktrien, in såsånidischer Zeit übernimmt der Kronprinz häufig die Verwaltung Armeniens. - *Satrapen/Strategen*: vgl. Kahrstedt, Artabanos, 70 ff.; die griechisch-römische Begrifflichkeit ist allerdings nicht selten mehrdeutig (vgl. Le Rider, Suse, 274-276); in einer griechisch-palmyrenischen Inschrift von 131 n.Chr. wird ein Palmyrener als Satrap des Königs Meheredates von Mesene in der Thilouana erwähnt (H. Seyrig, „Inscriptions grecques de l'agora de Palmyre", Syria 22, 1941, 253 ff.; IIP Fasc. X, Nr. 38); die Inschrift fällt in die Zeit der Unabhängigkeit Mesenes vom Partherreich. *Praefecturae*: Tac. VI 42, 4; XI 8; Bezeugungen des Satrapentitels in Nisâ: *"çtrp* (Ph. Gignoux, Glossaire des Inscriptions Pehlevies et Parthes, London 1972, 53); *B/sut¨n*: *Satrap™s tøn*

Satrapøn; *Nisâ*: Gignoux, s.v.; *Dura*: P. Dura X. - *Landwirtschaft in der Susiane*: R.J. Wenke, „Imperial Investments and Agricultural Developments in Parthian and Sasanian Khuzestan“, Mesopotamia 10/11, 1976, 31-121; Boucharlat, „Suse, marche agricole“, Paléorient 11/12, 1985, 79 f. - *Handel*: Zum *römischen Indienhandel* vgl. zuletzt Rome and India. The Ancient Sea Trade, ed. V. Begley/R.D. De Puma, Madison/London 1991; zum *römischen Osthandel (via Palmyra)*: R. Drexhage, Untersuchungen zum römischen Osthandel, Bonn 1988; *Angebot Caracallas*: Herodian. IV 10, 4; *Tempel in Vologesias*: R. Mouterde/A. Poidebard, „La voie antique des caravanes entre Palmyre et Hit au IIe siècle ap. J.-C.“, Syria 12, 1931, 101-115; SEG VII 135; *Bilingue aus Palmyra*: H. Seyrig, Inscriptions, 256 ff.; IIP Fasc. X, Nr. 114; *Palmyrener auf Ba'rain u.a.*: D.T. Potts, "Northeastern Arabia: From the Seleucids to the Earliest Caliphs", Expedition 26.3, 1984, 27; J. Starcky, Palmyre, Paris 1952, 70-76; *Handelsgüter*: Periplous Maris Erythraei 41. 49 (und Kommentar der Edition von L. Casson, Princeton 1989); vgl. S.E. Sidebotham, Roman Economic Policy in the Erythra Thalassa, Leiden 1986, 13-36; *parthische Güter*: Schippmann, Grundzüge der parthischen Geschichte, Darmstadt 1980, 92; *'himmlische Pferde'*: A. Waley, "The Heavenly Horses of Ferghana: A New View", History Today 5, 1955, 95-103; *Isidor v. Charax*: M.-L. Chaumont, "La route royale des Parthes de Zeugma à Séleucie du Tigre d'après l'itinéraire d'Isidore de Charax", Syria 61, 1984, 63-107; M. Gawlikowski, "La route de l'Euphrate d'Isidore à Julien", Géographie historique au Proche-Orient, Paris 1988, 77-97; G. Walser, "Die Route des Isidorus von Charax durch Iran", AMI N.F. 18, 1985, 145-156; *Seidenstraße:* H.-J. Klimkeit, Die Seidenstraße, Köln 2/1990; H.W. Haussig, Die Geschichte Zentralasiens und der Seidenstraße in vorislamischer Zeit, Darmstadt 2/1992. - *Heerwesen*: A.Sh. Shahbazi, "Army I", EncIr II, 1987, 494-496; P. Wilcox, Rome's Enemies. Parthians and Sasanid Persians, London 1986 (mit farbigen Rekonstruktionsversuchen); H. v.Gall, Das Reiterkampfbild in der iranischen und iranisch beeinflußten Kunst parthischer und sasanidischer Zeit, Berlin 1990; *Chronik v. Arbela*: 8 Kawerau (Übers. 27 Kawerau); *Söldner*: s.o.; *Lanze*: Zitat: Plut. Crass. 27, 2; *Taktik und Kampfverlauf bei Karrhai*: Plut. Crass. 24 f.; *'parthischer Schuß'*: Iust. XLI 2, 7; M. Rostovtzeff, "The Parthian Shot", AJA 47, 1943, 174 ff.; *Pferde*: Zitat: Iust. XLI 43, 4. - *Religion der Arsakiden*: M. Boyce, „Arsacid Religion“, EncIr II, 1987, 540 f.; *Priester in Nisâ*: Gignoux, Glossaire, s.v.; *Kalender*: Boyce, ib.; *Totenaussetzung*: Iust. XLI 3, 5; die Könige wurden, nach Ausweis von Isid. Charak. 12 in Nisâ in Mausoleen (*taphai*) bestattet; *Valaxç*: s.o.; *Königsfeuer*: Isid. Charak. 11; *'Verwandtenehe'*: E.H. Minns, "Parchment of the Parthian Period from Avroman in Kurdistan", JHS 35, 1915, 28; *'arsakidische Ära'*: Shahbazi, "The Arsacid Era", EncIr II, 1987, 541 f.

ثبت المراجع الصادرة بعد عام 1994

EINLEITUNG

Was Nachschlagewerke und Enzyklopädien angeht, empfehlen wir jetzt zusätzlich folgende Titel: *The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East*, ed. E.M. Meyers, 5 vols., New York/Oxford 1997 (mit einem Überblick der archäologischen Perioden und Stätten); *Der Neue Pauly (DNP)*, ed. H. Cancik/H. Schneider, Stuttgart/Weimar 1996ff. The *Oxford Classical Dictionary*, 3rd ed., ed. S. Hornblower/A. Spawforth, erschien in Oxford 1996.

Was Handbücher und allgemeine Titel angeht, verweisen wir nun auf: J. Curtis, *Ancient Persia*, London 2000² (ein kurzer, aber nützlicher Überblick); J. Wiesehöfer, *Das frühe Persien*, München ²2002 (eine Kurzfassung dieses Buches mit Kapiteln zur Ereignisgeschichte); A. Kuhrt, *The Ancient Near East c. 3000-330 B.C.*, 2 vols., London 1995 (vorzügliche Geschichte des antiken Nahen Ostens, einschließlich der Geschichte und Kultur der Achaimenidenzeit); vgl. auch M. van de Mieroop, *A History of the Ancient Near East*, Oxford 2003; wichtige Einzelstudien finden sich in: J. Wiesehöfer, *Iraniens, Grecs et Romains*, Paris 2005. – Zusätzlich sei der Leser auf Bücher zu speziellen Untersuchungsgegenständen verwiesen: G. Gnoli, *Iran als religiöser Begriff im Mazdaismus*, Opladen 1993 (zum Begriff ‚Iran'); *History of Civilizations of Central Asia*, vol. 2-3, Paris 1994-96; *La Persia e l'Asia Centrale da Alessandro al X secolo*, Rome 1996; *Coins, Art and Archaeology*, ed. M. Alram/D.E. Klimburg-Salter, Vienna 1999 (zur Geschichte Ostirans und des Kushanreiches); *Die Seidenstraße*, ed. U. Hübner e.a., Hamburg ²2004; D.T. Potts, *The Archaeology of Elam*, Cambridge 1999 (zu Elam und der Elymais); *The Indian Ocean in Antiquity*, ed. J. Reade, London 1996; R. Schmitt, *Die iranischen Sprachen in Geschichte und Gegenwart*, Wiesbaden 2000 (vorzügliche Einführung in die Geschichte der iranischen Sprachen); Gh. Gnoli, *Zoroaster in History*, New York 2000; M. Stausberg, *Die Religion Zarathushtras*, Bd. 1, Stuttgart 2002 (vorzügliche Darstellung). – Anzuzeigen sind auch zwei exzellente Ausstellungskataloge: *Weihrauch und Seide. Alte Kulturen an der Seidenstraße*, ed. W. Seipel, Wien 1996 (Geschichte und Kultur der Seidenstraße); *7000 Jahre persische Kunst. Meisterwerke aus dem Iranischen Nationalmuseum in Teheran*, ed. W. Seipel, Wien 2000. – An Kartenwerken empfehlen wir B. Hourcade/M. Taleghani/M.-H. Papoli-Yazdi, *Atlas d'Iran*, Paris 1997 und besonders *The Barrington Atlas of the Greek and Roman World*, ed. R.J.A. Talbert, Princeton/Oxford 2000 (mit Karten auch zu Mesopotamien und Iran).

TEIL I: IRAN VON KYROS BIS ZU ALEXANDER DEM GROSSEN

Kommentierte ergänzende Bibliographien (zu der von Weber/Wiesehöfer)

stammen aus der Feder von P. Briant: "Bulletin d'histoire achéménide, I", *Topoi Suppl. 1*, 1997, 5-127 (nun auch einsehbar auf der vorzüglichenl Homepage: www.achemenet.com); *Bulletin d'histoire achéménide, II*, Paris 2001. – Das herausragende Handbuch desselben Autors: P. Briant, *Histoire de l'empire perse de Cyrus à Alexandre*, Paris 1996 ist nun auch in einer englischen Übersetzung erschienen (*A History of the Persian Empire*, Winona Lake 2002) (vgl. die Kommentare zu diesem Buch in: "Actes du séminaire international (Lyon, 31 mars – 1er avril 1997 autour de l'ouvrage de P. Briant, Histoire de l'Empire perse, Paris 1996", *Topoi Suppl. 1*, 1997, 129-434).

Neue Quellenbände zur achaimenidischen Zeit: P. Lecoq, *Les inscriptions de la Perse achéménide*, Paris 1997 (eine kommentierte franz. Übersetzung der Königsinschriften); R. Schmitt, *The Old Persian Inscriptions of Naqsh-i Rustam and Persepolis*, London 2000 (vorbildliche Edition altpersischer Königsinschriften; s. auch R. Schmitt, *Beiträge zu altpersischen Inschriften*, Wiesbaden 1999); B. Porten, *The Elephantine Papyri in English*, Leiden, 1996; I. Eph'al/J. Naveh, *Aramaic Ostraca of the Fourth Century BC from Idumaea*, Jerusalem 1996; A. Cohen, *The Alexander Mosaic*, Cambridge 1997; S. Shaked, *Le satrape de Bactriane et son gouverneur*, Paris 2004 (zu aufsehenerregenden Textfunden in Baktrien aus spätachaim. Zeit). – Zu erwähnen ist noch folgende Spezialliteratur: *Continuity of Empire (?): Assyria, Media, Persia*, eds. G. Lanfranchi/M. Roaf/R. Rollinger, Padova 2004 (grundlegender Sammelband zum ‚Mederreich'); M. Brosius, *Women in Ancient Persia*, Oxford 1996; M.C. Miller, *Athens and Persia in the Fifth Century B.C.: A Study in Cultural Reciptivity*, Cambridge 1997; A. de Jong, *Traditions of the Magi. Zoroastrianism in Greek and Latin Literature*, Leiden 1997; B. Hutzfeld, *Das Bild der Perser in der griechischen Dichtung des 5. vorchristlichen Jahrhunderts*, Wiesbaden 1999; A. Kuhrt, *‚Greeks' and ‚Greece' in Mesopotamian and Persian Perspectives*, Oxford 2002.

TEIL II: DIE MAKEDONISCHE HERRSCHAFT ÜBER IRAN

Was die Zeugnisse jener Zeit angeht, so geben die Täfelchen aus Babylonien wichtige Einblicke in die Iranpolitik Alexanders und seiner Nachfolger; vgl. deshalb die folgenden Editionen: A.J. Sachs/H. Hunger, *Astronomical Diaries and Related Texts from Babylonia*, 3 vols., Wien 1988-1996; G.F. Del Monte, *Testi della Babilonia Ellenistica, vol. 1: Testi Cronografici*, Rom 1997. – Der seleukidische Umgang mit Iran wurde untersucht von: J. Wiesehöfer, "*Discordia et Defectio – Dynamis kai Pithanourgia*. Die frühen Seleukiden und Iran", *Hellenismus*, ed. B. Funck, Tübingen 1996, 29-56. – Weitere Monographien zum hellenistischen Iran: H. Klinkott, *Die Satrapienregister der Alexander- und Diadochenzeit*, Stuttgart 2000 (zu den frühhellenist. Satrapienlisten); F.L. Holt, *Thundering Zeus. The Making of Hellenistic Bactria*, Berkeley e.a. 1998; W. Posch, *Baktrien zwischen Griechen und Kuschan*, Wiesbaden 1995 (zur Geschichte Baktriens (und Ai Khanums) in der Zeit der Nomadeneinfälle; mit einem besonderen Blick auf die chines. Zeugnisse); B.A. Litvinskij/I.R. Pičikjan, *Taxt-i Sangin. Der Oxus-Tempel*, Berlin 2002; N. Sims-Williams, *New*

Light on Ancient Afghanistan: The Decipherment of Bactrian, London 1997.

TEIL III: IRAN VON ARSAKES I. ZU ARTABANOS IV.

Die aramäischen Inschriften der Partherzeit wurden ediert und übersetzt von: K. Beyer, *Die aramäischen Inschriften aus Assur, Hatra und dem übrigen Ostmesopotamien*, Göttingen 1998. – Der Leser findet einen Überblick über die Zeugnisse in: *Das Partherreich und seine Zeugnisse – The Arsacid Empire: Sources and Documentation*, ed. J. Wiesehöfer, Stuttgart 1998. Die chines. Quellen sind gesammelt und kommentiert in: D.D. Leslie/K.H.J. Gardiner, *The Roman Empire in Chinese Sources*, Roma 1996. – Weitere wichtige Literatur: *Les Parthes*, ed. R. Boucharlat, Dijon 2002; *Mesopotamia and Iran in the Parthian and Sasanian Periods*, ed. J. Curtis, London 2000 ; M. Olbrycht, *Parthia et ulteriores gentes. Die politischen Beziehungen zwischen dem arsakidischen Iran und den Nomaden der eurasischen Steppen*, München 1998; M. Schuol, *Die Charakene. Ein mesopotamisches Königreich in hellenistisch-parthischer Zeit*, Stuttgart 2000 (eine erste Regionalgeschichte (Südbabyloniens) und ein Versuch der Beschreibung der Beziehungen zwischen dem Zentrum und einem ‚Vasallenreich'; sie enthält eine Quellensammlung in Übersetzung). – Eine neue Zeitschrift (mit Artikeln nicht nur zur Partherzeit): *Parthica. Incontri di* culture *nel mondo antico*, 1, 1999ff.

TEIL IV: IRAN VON ARDAXŠĪR I. BIS ZU YAZDGERD III.

Eine vorbildliche neue Edition der wichtigsten sasan. Königsinschrift findet sich in: Ph. Huyse, *Die dreisprachige Inschrift Šābuhrs I. an der Kaba-i Zardušt (ŠKZ)*, 2 vols., London 1999; dasselbe Urteil ist zu fällen über die Edition der spätsasan. Papyri, Pergamente und Ostraka: D. Weber, *Ostraca, Papyri und Pergamente*, London 1992. Eine kommentierte engl. Übersetzung der sasan. Teile des Werkes abarīs wurde vorgelegt von C.E. Bosworth: *The History of al-abarī, vol. V: The Sāsānids, the Byzantines, the Lakmids, and Yemen*, Albany 1999. Die Quellen zu den römisch-sasan. Beziehungen sind zusammengestellt in: *The Roman Eastern Frontier and the Persian Wars, pt. II: AD 363-630*, eds. G. Greatrex/S.N.C. Lieu, London 2002 und E. Winter/B. Dignas, *Rom und das Perserreich*, Berlin 2001. Einen Überblick über die Quellen bietet: C.G. Cereti, „Primary Sources for the History of Inner and Outer Iran in the Sasanian Period", *Archivum Eurasiae Medii Aevi* 9, 1997, 17-71. – Andere Handbücher: C.G. Cereti, *Letteratura Pahlavi*, Milano 2000 (eine Literaturgeschichte); M. Abka'i-Khavari, *Das Bild des Königs in der Sasanidenzeit*, Hildesheim 2000; Z. Rubin, „The Sasanid Monarchy", *The Cambridge Ancient History*[2] XIV, Cambridge 2000, 638-661; *Ērān ud Anērān. Studien zu ost-westlichen Kulturkontakten in sasanidischer Zeit*, eds. J. Wiesehöfer/Ph. Huyse, Stuttgart 2005; E. Kettenhofen, *Tirdād und die Inschrift von Paikuli*, Wiesbaden 1995 (zu den iranisch-armenischen Beziehungen des 3./4. Jh.); *La Persia e Bisanzio*, Roma 2004; Ch. Jullien/F. Jullien, *Apôtres des confins. Processus missionaires chrétiens dans l'empire iranien*, Leuven 2002 (zum frühen Christentum in Iran); *The Byzantine and Early Islamic Near East, III: States, Resources*

and Armies, ed. A. Cameron, Princeton 1995 (vgl. J. Howard-Johnstons Vergleich der byzantinischen und sasan. Institutionen und Z. Rubin zu Husraws Reformen); A. Panaino, *La novella degli scacchi e della tavola reale*, Milano 1999 (eine kommentierte Edition des mittelpers. Textes zum Schachspiel, mit einer Einführung in die spätsasan. Kultur); M. Macuch, *Rechtskasuistik und Gerichtspraxis zu Beginn des siebenten Jahrhunderts in Iran*, Wiesbaden 1993 (eine vorzügliche Abhandlung zum spätsasan. Recht); G.B. Mikkelsen, *Bibliographia Manichaica*, Turnhout 1997.

TEIL V: NACHLEBEN

Grundlegend zur Bedeutung des (Neu)Iranischen und des ‚Iranertums': B.G. Fragner, *Die „Persephonie": Regionalität, Identität und Sprachkontakt in der Geschichte Asiens*, Berlin 1999. – Die Bedeutung frühneuzeitlicher Reiseberichte für eine Untersuchung europäischer Mentalitäten und eine Geschichte der Orientwissenschaften unterstreicht: J. Osterhammel, *Die Entzauberung Asiens. Europa und die asiatischen Reiche im 18. Jahrhundert*, München 1998; *Carsten Niebuhr und seine Zeit*, eds. J. Wiesehöfer /S. Conermann, Stuttgart 2002 (mit einem Überblick über frühere Reiseberichte).

Kiel, März 2005 Josef Wiesehöfer

الهوامش

في ظننا أن من غير الدقيق الحديث عن (يهود/ يهودية) في تلك الفترة المبكرة. يمكننا، بدلاً من ذلك استعمال المصطلح (يهوذ، يهوذيون/ يهوذا) نسبة إلى إقليم (يهوذا). هذا ضروري لتمييز أهل ذلك الإقليم ومعتقداتهم من "اليهود، اليهودية" التلمودية التي نشأت في القرن الثاني من التأريخ السائد، أو الميلادي (زم).

الفهارس

- أ -

ابن مسكويه 211
أبولودور 155
أبولونيا 37
أثينا 16، 25، 50، 54، 58، 73، 122، 256
أثينايوس 67، 155
أذربيجان 140، 196
أراخوسيا 19، 129، 181
أرتبانس 148، 149، 153، 154، 166، 174
آرتيستون 97، 98، 101، 103، 116
أردشير الأول 31، 35، 48، 53، 57، 127، 185، 186، 193، 194، 203، 204، 232، 237، 250
أردشير الثاني 48، 52، 55، 58، 63، 65، 110، 115، 116، 121، 123
أرسطو 60، 145، 255
أرسيكيس 63
إرمينية 31، 149، 151، 178، 179، 190، 219، 230، 231، 239
إزمير 78
اسبرطة 110، 113
أستياجيس 24، 70، 77، 165
أسطوانة قورش 71، 77
آسيا الصغرى 24، 30، 34، 35، 89، 99، 108، 114، 122، 136، 189
آسيا الوسطى 84، 107، 146، 150، 198، 243
آشور 23، 24، 153
اصطخر 188
أفغانستان 19، 27
أفلاطون 35، 72، 89، 110، 112، 114، 145، 255
أكاد 77
أكيناكيس 124
الإثيوبيون 92
الإخمينيون 92، 104، 109، 126، 149، 263
الأرساكيون 149، 161، 175
الأرشارا 119
الأشوريون 84
الإغريق 16، 24، 32، 35، 50، 53، 61، 62، 67، 68، 70، 73، 79، 81، 88، 89، 105، 106، 108، 111، 112، 113، 117، 118، 119، 123، 124، 135، 136، 137، 141، 143، 145، 156، 162، 167، 175، 176، 261، 262
الأفاعي 190
الأفيستا 36، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 167، 168، 190، 213، 237، 246، 258
الأكادية 34، 55، 152، 154
الأكروبوليس 50، 52، 73، 82، 145
الألمان 117، 196
الأميشاسبينتاز 130
الأناضول 24

الأهواز 232
الباشاب 119، 120
الباكستان 232
البحر الأحمر 71، 178، 233
البحرين 178، 232
البريد 96، 106، 107
البغال 57، 67
التلمود البابلي 254
الثمار 105، 112، 181، 210
الجمال 121، 125، 183
الحديد 122، 124، 125، 170، 181، 182، 183، 233
الحضارات الشرقية 11
الحضارة الإيرانية 12، 17، 168
الحكماء 131، 143، 169، 173، 191، 192
الخالدون 124، 130
الخبز 105
الخصيان 67، 224، 230
الخليج الفارسي 107، 156، 157، 231، 232
الخليفة المنصور 257
الخمر 67، 97، 99، 101، 103، 105، 109، 119، 152، 167
الخيل 67، 107، 121، 124، 125، 171، 183، 194، 195، 207، 233، 234، 258
الدقيق 34، 43، 91، 98، 99، 106، 172، 193
الذهب 52، 66، 73، 81، 93، 102، 123، 158، 229
الرايخ الثالث 118
الرستاق 218
الرماة 53، 67، 122، 183، 234
الرمان 65، 181
الزردشتية 18، 19، 60، 127، 129، 130، 131، 133، 134، 157، 168، 183، 184، 188، 189، 196، 199، 200، 202، 211، 212، 213، 236، 237، 245، 246، 248، 250، 252، 262، 263
الزردشتيون 191، 236، 243، 253
الزورفانية 237
الساسانيون 18، 53، 152، 186، 192، 193، 199، 201، 202، 219، 230، 231، 237، 240، 241، 248
السحرة 124، 129، 173
السدود 104، 105، 106، 228
السريانية 213، 221، 240
السوريون 52، 177
الشطرنج 258
الصالحية 152
الصين 157، 181، 230، 244
الطائف 232
الطبري 12، 201، 207، 210، 211، 226، 227، 229، 232، 233
العاج 158
العراق 154، 160، 173، 179، 180، 187، 188، 196، 215، 219، 225، 228، 231، 232، 237، 238، 239، 242، 243، 248، 253، 259، 262، 263
العرب 12، 207، 213، 231، 232، 233، 242، 254، 259، 262
الغاثاس 127، 129، 130
الغال 156
الفرتيون 140، 141، 160، 163، 165، 166، 169، 174، 180، 181، 183، 201، 231، 261
الفردوسي 18، 186
الفضة 93، 95، 123، 125، 161، 198
القوقاز 149، 230
اللبن 58، 67
اللغة الآرامية 32
اللغة الأفستية 127
المانويون 243، 253، 255
المدائن 49، 71، 84، 149، 163، 196
المدن الأيونية 25، 78
المدينة 48، 77، 78، 85، 141، 142، 143، 145، 155، 157، 158، 159، 175، 176، 177، 180، 181، 188، 195، 229، 232، 257
المرزبان 89، 90، 91، 93، 94، 109، 137، 150، 152، 164، 166، 218
المزدكية 202، 245، 246، 247
المسعودي 12، 226، 228، 248
المقدسي 213، 257
المقدونيون 138
المنشدون 175
الميديون 23، 84، 121، 129
النبلاء 25، 61، 64، 85، 97، 115، 116، 121، 123، 135، 151، 172، 173، 174، 175، 182، 202، 203، 205، 207، 208، 210، 211، 219، 225، 226، 233، 246، 247، 251، 258، 263

النرد 259
النزعة الاستبدادية 119
النصارى 17، 195، 210، 236، 237، 238، 239
النعام 66
النعمان الثالث 232
النيروز 50
الهند 30، 85، 107، 108، 137، 146، 154، 180، 181، 220، 231، 232، 242، 256
ألواح تحصين برسبولس 33، 95
ألواح كنوز برسبولس 33
اليمن 233
اليهود 17، 69، 71، 151، 177، 178، 236، 239، 243، 253، 254، 255
اليونان 11، 43، 53، 69، 73، 76، 79، 80، 83، 117، 123، 135، 214
أمريكا 17
أميستريس 63، 80، 81
أناوشا 124
أنطاكية 141، 143، 181، 188، 195، 225، 241، 250
أنطيوخوس الأول 140، 142
أنو شروان 12، 211، 225، 252، 255، 258
أنوشيبا 124
أهورامزدا 36، 38، 39، 41، 45، 56، 58، 59، 61، 74، 82، 83، 84، 88، 113، 120، 127، 130، 131، 132، 187، 194، 199
أوربة 11، 12، 16، 17، 128، 168، 263
أورك 34، 155
أوشباري 121
أخيلوس 69، 74، 91، 111
إيران 11، 16، 17، 18، 19، 20، 24، 26، 27، 29، 30، 31، 35، 36، 37، 56، 70، 75، 81، 84، 92، 94، 95، 107، 109، 121، 127، 128، 129، 130، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 145، 146، 148، 149، 150، 152، 157، 159، 160، 162، 166، 168، 169، 176، 178، 180، 181، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 192، 193، 194، 196، 198، 199، 201، 202، 205، 208، 209، 213، 214، 215، 216، 217، 220، 227، 230، 232، 235، 236، 237، 243، 246، 252، 253، 257، 259، 261، 262، 263، 264
إيرانشهر 18، 199، 204، 217، 240
إيسوقراط 111، 112، 113، 122
أيشيلوس 35
إيليان 65
إيوان طاق-ي بستان 195
إيونيا 52، 98، 261

- ب -

بابل 25، 30، 31، 34، 36، 37، 38، 52، 55، 65، 69، 71، 72، 73، 77، 81، 82، 88، 89، 90، 91، 103، 138، 140، 153، 154، 155، 175، 176، 178، 194، 242، 254
باجي 103
باراساتيس 63
باسي 121
باغستانا 36
بحر قزوين 26، 27، 178، 179، 230
بحر مرمرة 31، 60
بحيرة آرال 26، 151
برسبولس 30، 31، 33، 34، 45، 46، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 57، 60، 64، 70، 74، 75، 92، 94، 95، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 105، 106، 107، 108، 116، 121، 124، 133، 136، 137، 138، 168، 186، 187، 198
بستون 31، 36، 37، 38، 41، 43، 44، 45، 54، 59، 62، 120، 154، 159، 179، 181
بطليموس 109
بعل مردوك 73
بكتريا 27، 80، 81، 107، 129، 137، 138، 142، 143، 145
بلاد الرافدين 11، 26، 32، 55، 71، 93، 107، 139، 141، 148، 149، 151، 154، 155، 160، 175، 177، 178، 194
بلاد الغال 156
بلاد النوبة 30، 52
بلوتارخ 35، 55، 65، 81، 116، 132، 167، 171، 182
بلينيوس 170، 172، 178، 179
بندق 212
بندكا 212
بوساي الرائع 228
بومي 121

بيشابور 188، 193، 195، 196، 200، 221، 228

- ت -

تخت جمشيد 30، 46
تدمر 154، 160، 180، 181، 243
تركمانستان 19، 142، 152، 157، 159، 170
تل-ي تخت 51

- ث -

ثانوفانييا 121
ثراقيا 25، 85، 109
ثورة المرازبة الكبرى 122
ثوكيديدس 84

- ج -

جبال إلبورز 26، 165
جبال بختياري 159
جبال زاغروس 26، 90، 160، 181
جبريل دوروستاباد 257
جبل كوهْ-ي رحمات 46
جبل هندوكوش 26
جرجس بن جبريل بن بختيشوع 257
جزيرة العرب 233
جزيرة الفيلة 43
جنديسابور 195، 242، 243، 257

- ح -

حجر الصُّوى 108
حراس الشوارع 106
حرب الخليج 196
حرب طروادة 131
حروب الفرس 16، 35، 69، 97
حوليات نبونيد 71، 77

- خ -

خشيارشا 69، 72، 73، 74، 75، 79، 80، 81، 82، 83
خفادي نامق 258
خمر التمور 105
خمر العنب 105
خوارزم 52، 138، 151
خوزستان 51، 160، 196، 223، 228، 229، 238، 242، 257

- د -

داريكوي 53
داريوس 16، 18، 25، 29، 30، 31، 33، 34، 36، 37، 38، 39، 41، 43، 45، 46، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 67، 69، 72، 73، 74، 75، 76، 80، 83، 84، 88، 91، 92، 94، 97، 98، 99، 101، 108، 110، 113، 115، 120، 121، 123، 124، 126، 129، 130، 132، 133، 134، 135، 136، 149، 159، 166، 170، 201
درب الحرير 36، 107، 151، 180، 181، 182، 243، 244
دُكشِش 116
ديودور كتيسياس 27

- ر -

رتامازدا 101
رسالة تانسار 249
رشتيكا 121
روما 85، 139، 149، 156، 163، 174، 181، 186، 202، 214، 215، 239، 251، 253، 256
رومانيا 31، 62

- ز -

زردشت 53، 59، 126، 127، 129، 130، 131، 244، 245، 252، 253، 263
زندان سليمان 58
زيغلوي 53

- س -

ساردايز 24، 36، 78، 99، 107، 123
سبادا 121
سترابون 35، 61، 62، 105، 155، 156، 163، 173
سحر الجيش 120، 121
سفر أخبار الأيام الثاني 76
سفر دانيال 84
سفر نحميا 90

سكنكسا 39، 41
سميراميس 43، 159
سميرنا 78
سنحريب 46
سهل فيروز آباد 195
سوجديا 30، 138، 145، 150
سورية 24، 149، 152، 154، 160، 180، 238، 241، 261
سوس 31، 50، 51، 52، 53، 60، 65، 69، 73، 80، 88، 106، 107، 108، 119، 124، 137، 141، 149، 153، 154، 159، 175، 176، 180، 184، 195، 221، 225
سومر 72
سيبّار 77
سيروس سبيتاما 16
سيستان 129، 141، 142، 162، 168، 180

- ش -

شابور الأول 186، 187، 188، 194، 195، 198، 201، 205، 208، 218، 221، 224، 225، 232، 238، 250، 252، 253، 257
شابور الثاني 186، 189، 197، 198، 206، 225، 228، 232، 239، 240، 243، 251
شاهان شاه 55
شاهنشاه 17، 55، 198
شيراز 24، 196، 221

- ص -

صيدا 121

- ط -

طبرستان 219
طراجان 154، 172، 178، 179
طريق الحرير 36، 107، 151، 180، 181، 182، 243، 244
طشقند 219
طهران 138

- ع -

عشق آباد 142، 152، 157، 165، 170
عصابات النخبة 123، 124، 125
عيلام 24، 31، 41، 52، 85، 98، 105، 108، 109، 159، 160، 181

- غ -

غاداتاس 36
غاوماتا 25، 37، 38، 40، 56، 62، 89، 98، 115، 130، 166
غوته 15، 16
غوريتوس 125

- ف -

فاليريان 194، 195، 238
فخر الدين الجرجاني 169
فراتيس الأول 165
فرتيا 19، 142، 148، 150، 156، 157، 163، 166، 170، 171، 172، 173، 187، 219
فرنكا 97، 98، 99، 100، 101، 102، 106
فلسطين 34، 36، 71، 92، 98، 178، 254
فهرام الثاني 209، 219، 220، 236، 238، 243، 251، 252

- ق -

قصر شيرين 196
قضبان الصفصاف 124، 125
قطسيفون 174، 181، 196، 238، 239، 241، 260
قطيسياس 27
قلعة دوكستار 196
قمبيز 25، 59، 63، 72، 73، 85، 91، 92، 115، 124
قناة السويس 31
قندهار 52، 142، 145، 146
قورش 13، 24، 25، 27، 29، 30، 35، 36، 51، 55، 56، 58، 61، 63، 66، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 75، 76، 77، 78، 79، 82، 83، 84، 85، 89، 90، 91، 97، 109، 110، 111، 113، 121، 125، 126، 133، 136، 165، 166، 263
قيسارية 189
قيليقيا 67، 126
قيم بيت المال 102

- ك -

كارا 121، 180
كاريا 78، 89

كبير الوزراء 223
كتاب البهلوية 127
كتاب السادة 191، 192، 258
كتاب القرارات الألف 213، 256
كرمان 179، 217، 219، 220، 232
كرمنشاه 153، 195
كرويزوس 24، 78
كريت 110
كزنفون 35، 69، 70، 71، 76، 90، 103، 110، 111، 112، 113، 121، 122، 125، 235
كسرى العادل 12
كعبة-ي زاردوشت 188
كوناكسا 121، 126

- ل -

ليديا 30، 52، 55، 69، 78

- م -

مازا 105
مرافقون في الأسفار 106
مراقبو الطرقات 106
مردوك 71، 72، 73، 77، 81، 154
مصر 23، 25، 30، 31، 34، 35، 37، 52، 53، 69، 73، 85، 87، 90، 92، 115، 122، 190، 243
مصر العليا 35، 37
معركة بلاتاي 124
معركة سلاميس 79
مغنيزيا 36، 92
مقدونيا 87
مكان الآلهة 36
ملوك الأكاذيب 38، 44
منيمون 65
موزاييك الاسكندر 125
ميثريداتيس 153، 154، 165، 166، 173، 174، 177
ميثريداتيس الأول 165، 166
ميديا 32، 36، 38، 69، 78، 84، 85، 107، 129، 137، 138، 140، 141، 151، 157، 159، 172، 179، 180، 181، 195
ميغاسينيس 108
ميليت 78

- ن -

نار فهرام 199
نبوخذنصر 12
نبونيد 24، 25، 71، 72، 77، 78
نجد 88، 89، 150، 232
نصيبين 177، 230، 231، 239، 242، 251
نقش-ي رستم 53، 194
نهر أكسس 145
نهر الأوخوس 163
نهر الإيليوس 154
نهر السند 23، 25، 26، 138، 142، 181
نهر دجلة 72
نيسا 152، 157، 158، 159، 160، 164، 166، 172، 179، 183، 184
نيقولاوس الدمشقي 69
نينوى 23، 46، 72

- هـ -

هاتيسا 173
هارباغوس 78
هربيد 209، 210، 259
هِرُدت 24
هرقل 154، 174، 242
هلمند 26
هليودور 188
همدان 24، 31، 218
هورمزد 200، 208، 209، 218، 219، 228، 243، 251

- ي -

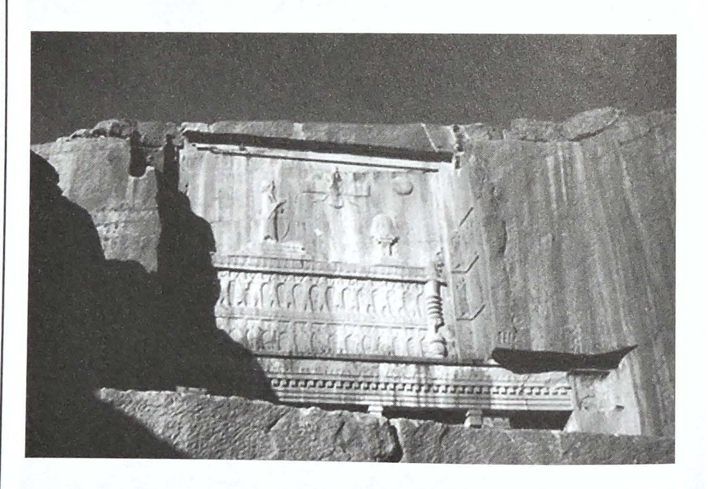
يثرب 232
يزدجرد الأول 210

المصورات

* معظم المصورات من المؤلِّف



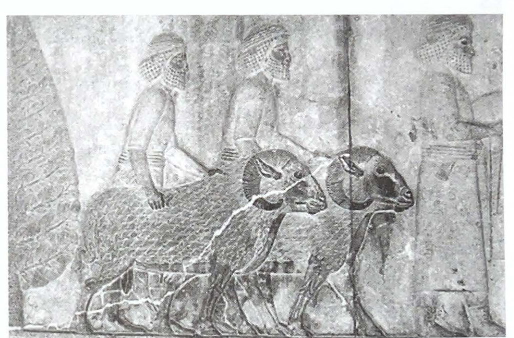
أردشير الأول مؤسس السلالة الساسانية - نقش رستم

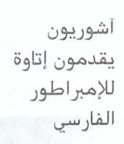


أردشير الأول يتعبد لأهورامازدا

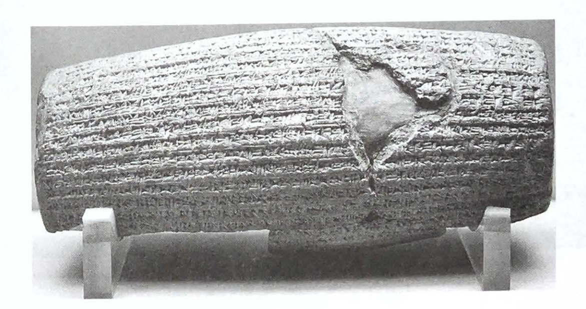


أسد - رسم
نافر على كأس
ذهبي من العهد
الإخمي





آشوريون
يقدمون إتاوة
للإمبراطور
الفارسي



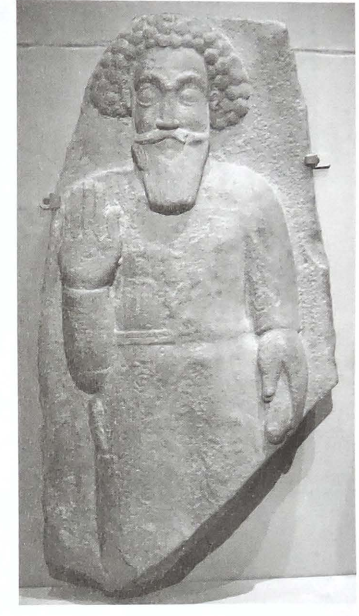
أسطوانة قورش الأول عن هزيمة الملك البابلي نبونيد 539 ق ت س



إمبراطور روما فيليب العربي راكعًا أمام شابور الأول



امرأة ورجل
في السرير -
نقش نافر



إنسان فرتي من
القرن الثاني -
نقش نافر



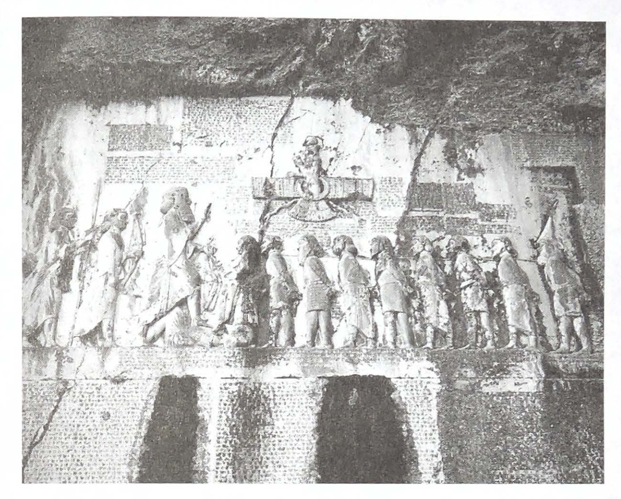
إنسان حبشي - نقش نافر



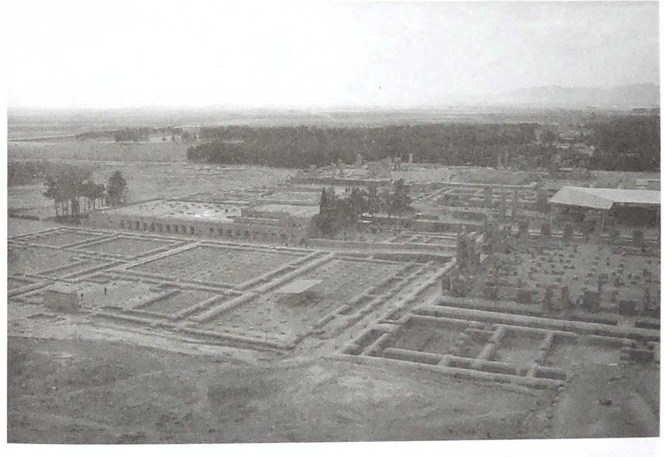
أبدانا - تخت جمشيد



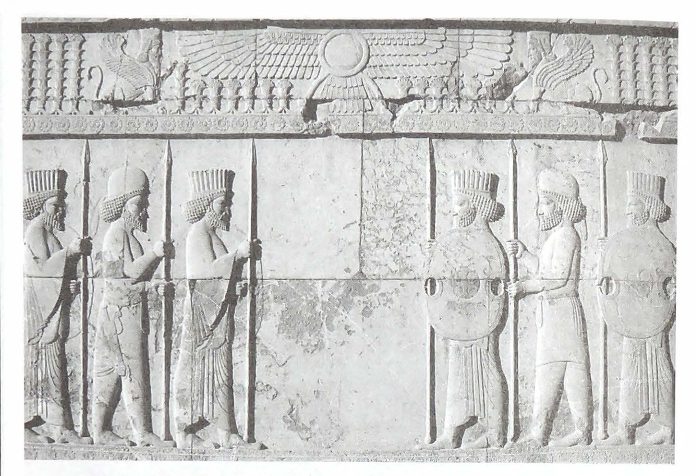
إنسان مادي - نقش نافر



بيستون باغستانا - نقش نافر لداريوس الأول 522-486 ق ت ش، يخضع 23 مرزبان



تخت جمشيد - برسبلوس



جند فرس وماديين



جنود ماديون



ختم عيلامي



خسرو الثاني - طاق بستان



الصيد بالأفيال - طاق بستان



خسرو
في رحلة
صيد



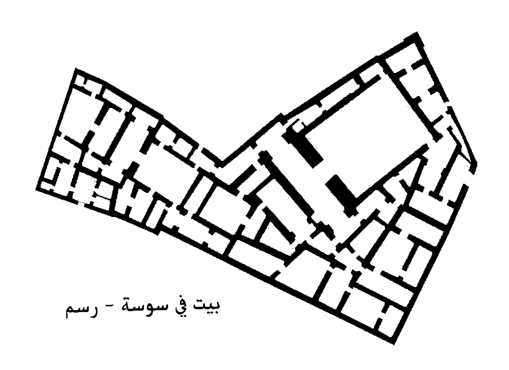
رأس امرأة من العاج 800-900 ق م



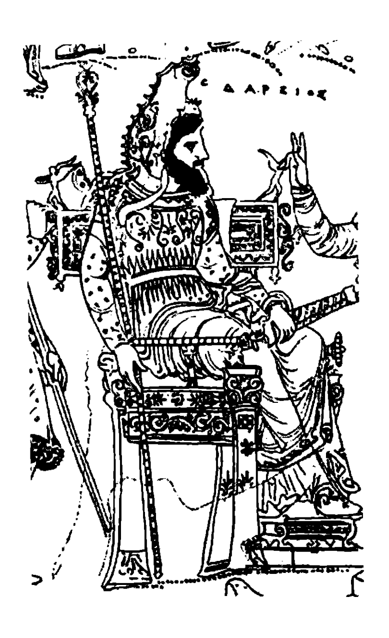
داريوس الأول



داريوس مجنحًا - سوسة

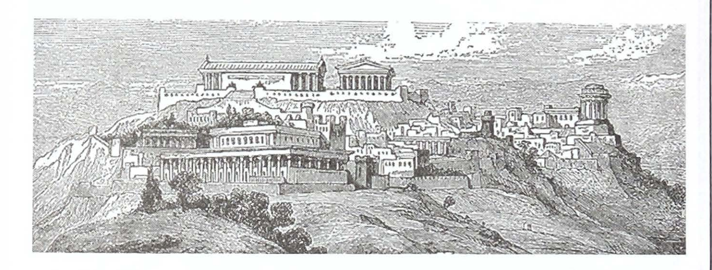


ببيت في سوسة - رسم



داريوس على مزهرية إغريقية - رسم


رأس ثور على
نقوش مصرية


رسم تخيلي لمدينة سوسة


رأس لبوة -
القرن 6-4 ق
ت س



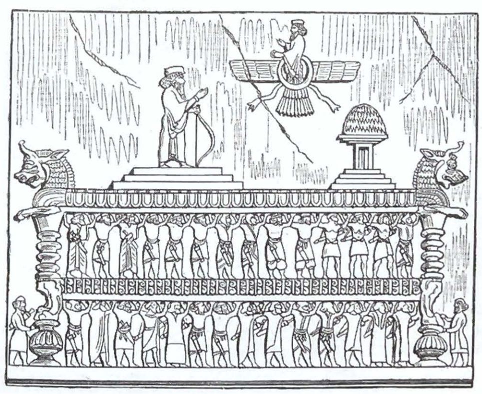
شابور الأول يخضع الإمبراطور الروماني فلريان وفيليب العربي الواقف إلى جانبه



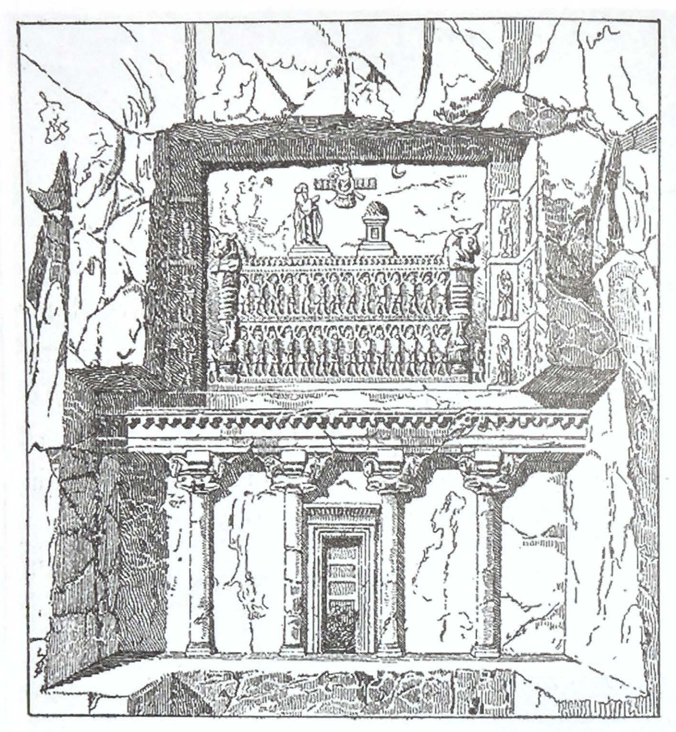
شابور الثاني



رستم يقتل إسفنديار - رسم عام 1605



رسم نقش أردشير الأول يتعبد لأهورامزدا



رسم نقش قبر داريوس الأول في تخت جمشيد



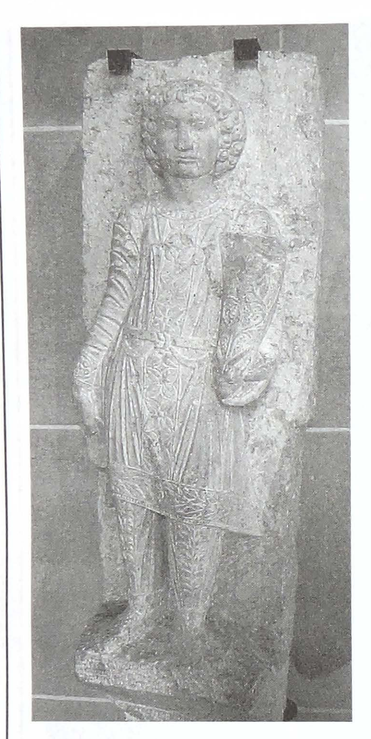
رسم نقش منظر قتالي نافر - فيروزأباد



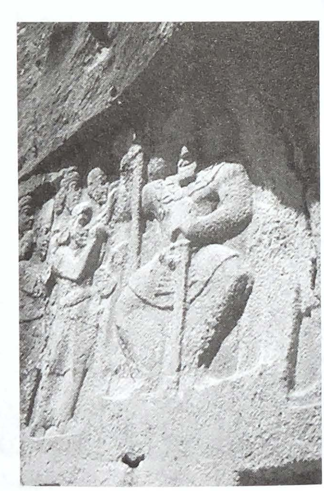
رماة السهام
الخالدون- قصر
داريوس



رسالة داريوس غادتيس



شاب برداء فرتي - نقش نافر



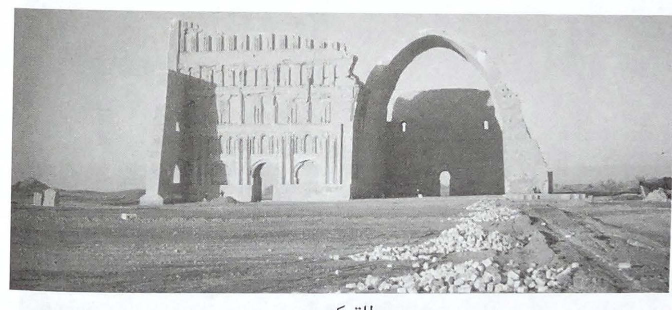
شابور الثاني



طاق بستان -
نقش نافر



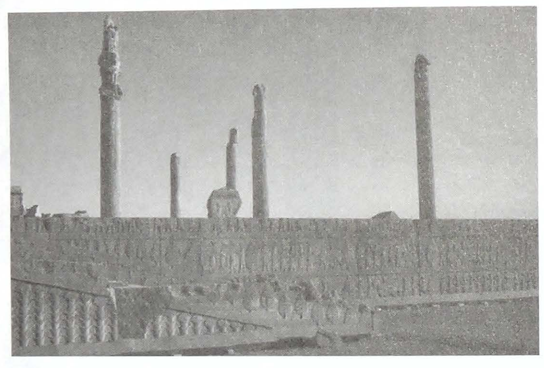
قبور صخرية في نقشي رستم



طاق كسرى



طواويس مرسومة على
صحن قيشاني



قصر و صالة الاستقبال - أبادانا



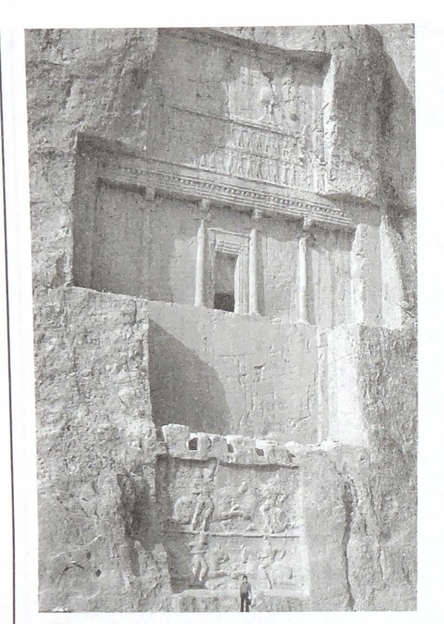
فرهور في نقش بهيستون


كأس بقبضة غزال




مثراديتس الأول

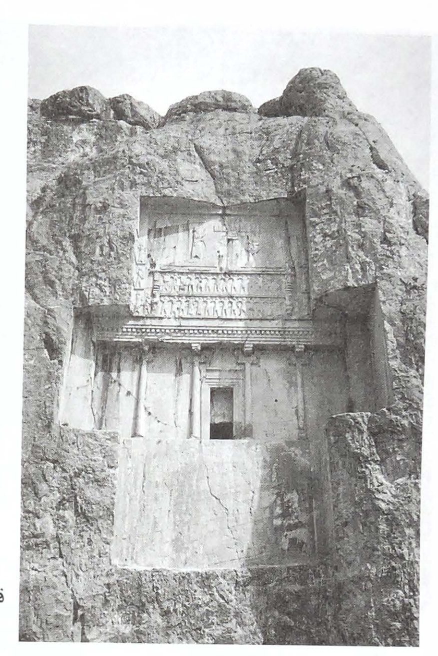

كاس



قبر داريوس - نقش رستم



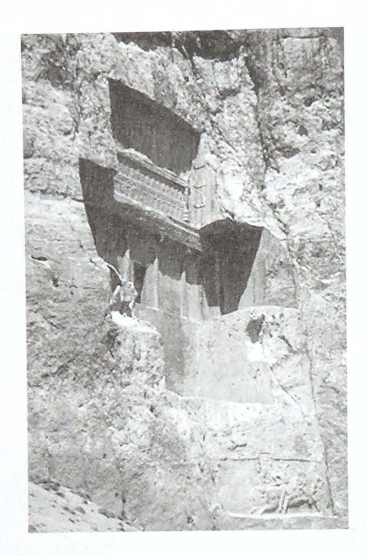
فارس مادي يحمل أضحية



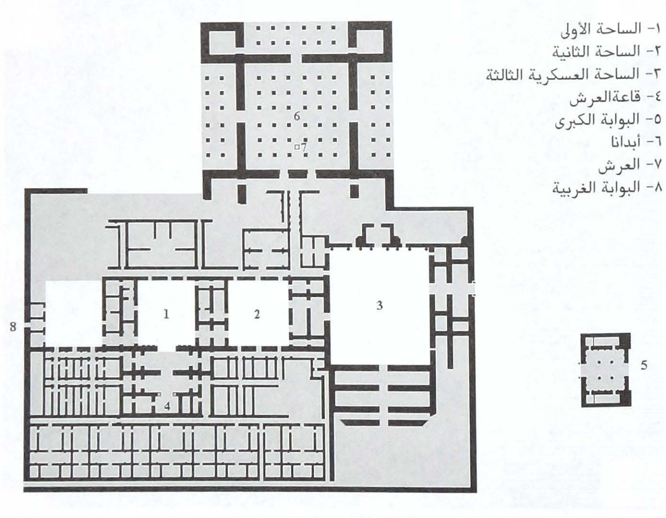
قبر كسرى الأول - نقش رستم



قصر أردشير الثاني الواجهة - تخت جمشيد



قبر داريوس الثاني - نقش رستم



قصر إخميني في سوسه



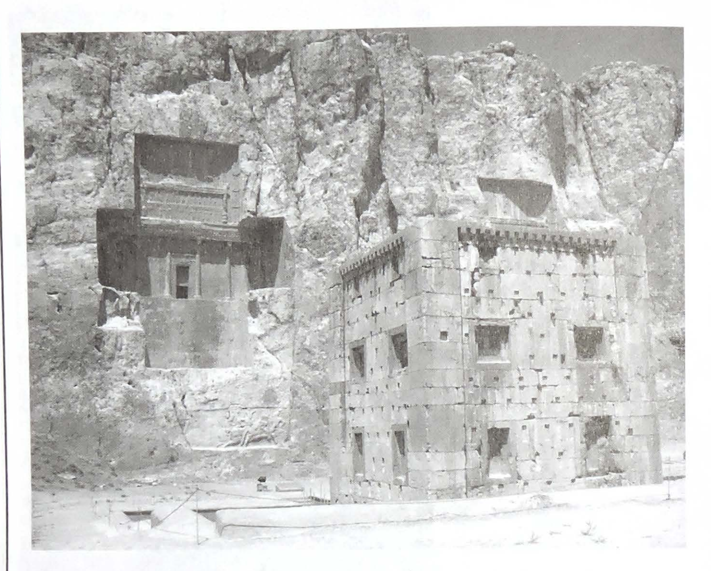
كسرى الثاني على قطعة ذهبية - مصور



كسرى في رحلة صيد - نقش بارز



مجسم ثور - سوسة



نقش رستم وفي مقدمة المصور الموقع مكعبًا



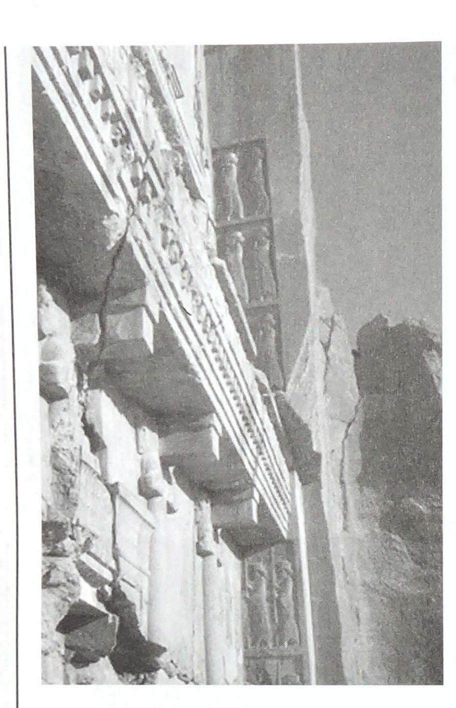
نقش رستم



مجسم رأس أميرة فرتية



مجسم معدني
لأمير فرتي
(سورينا 100 م)



واجهة
قصر
أردشير
الثاني في
تخت جمشيد



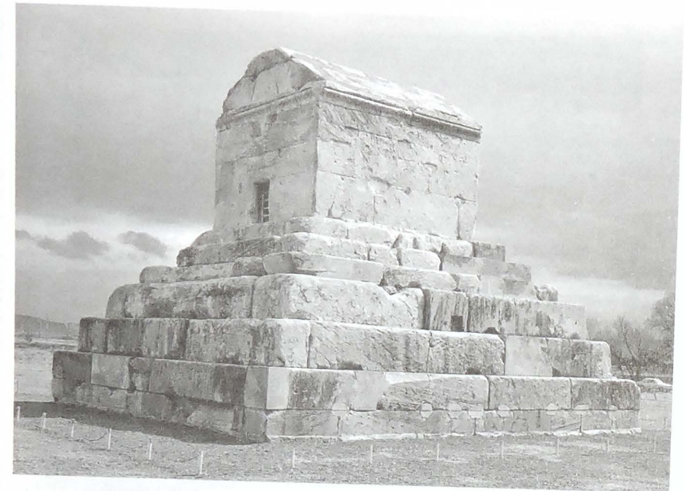
نقش نافر - فيروزأباد



محارب حبشي - نقش نافر



مغنيات مرسومة على صحن فضي



مقام قورش الثاني



مقبض ذهبي



منظر صيد - نقش نافر



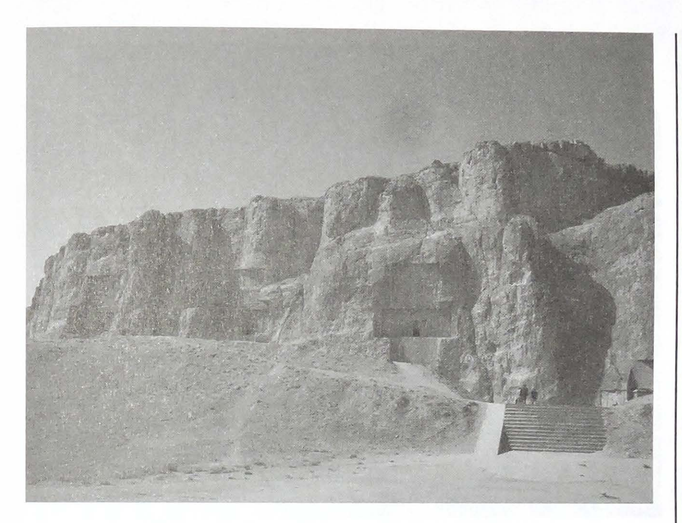
منظر صيد - نقش نافر



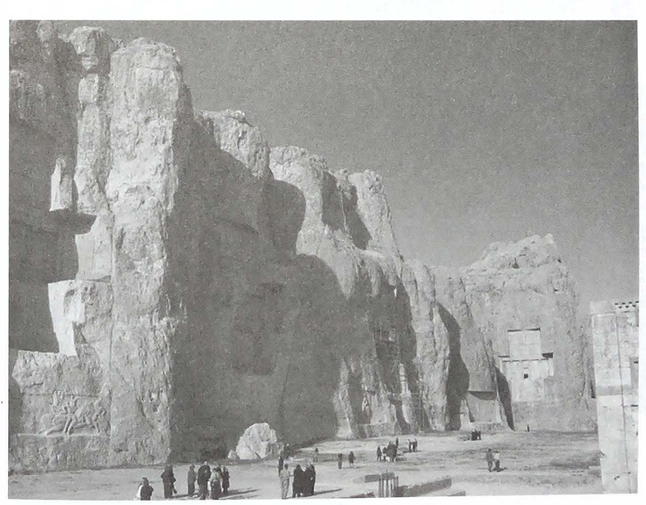
نحت نافر في تخت جمشيد



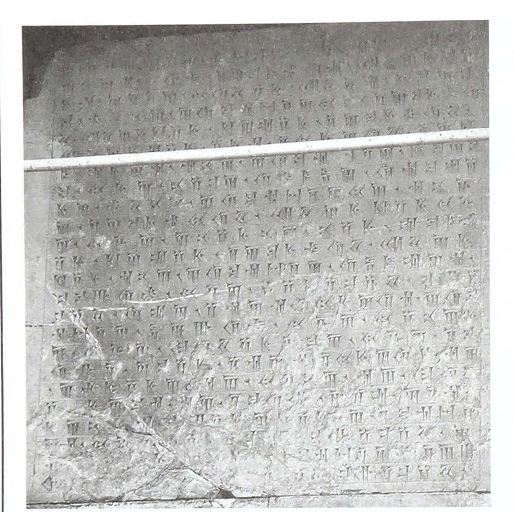
نقش بارز على لوح معدني



نقش رستم

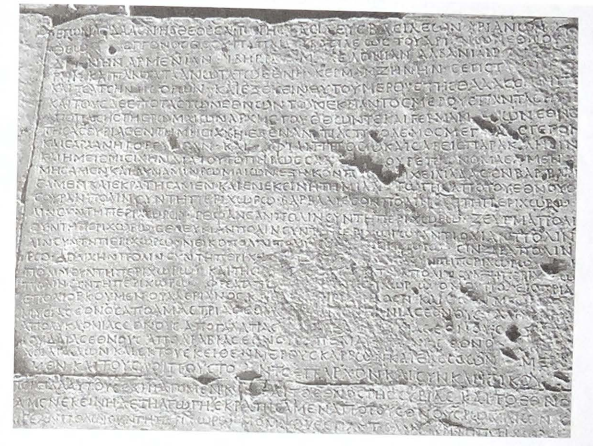


نقش رستم

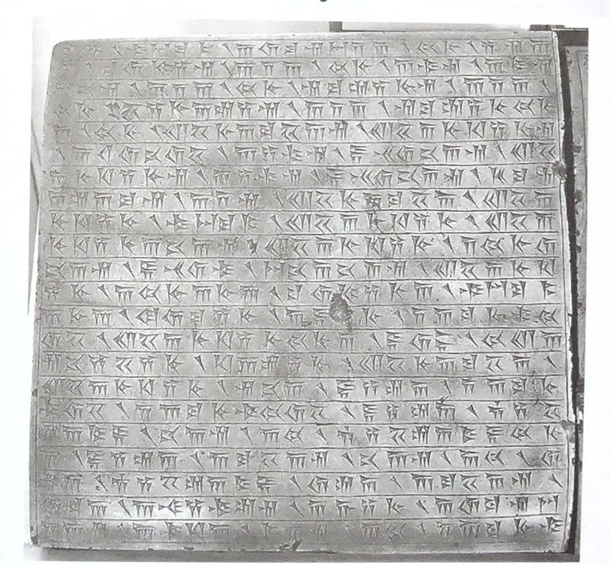


النقش DPd

النقش DSe



النقش TF 91



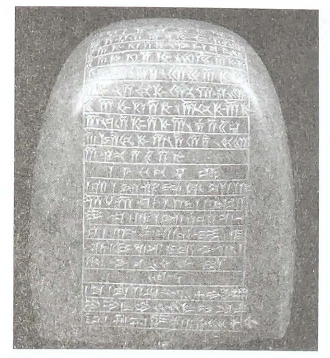
النقش XPf1

نقش كسرى الخاص بتأسيس مدينة



نقش همدان من المرحلة الإخمينية

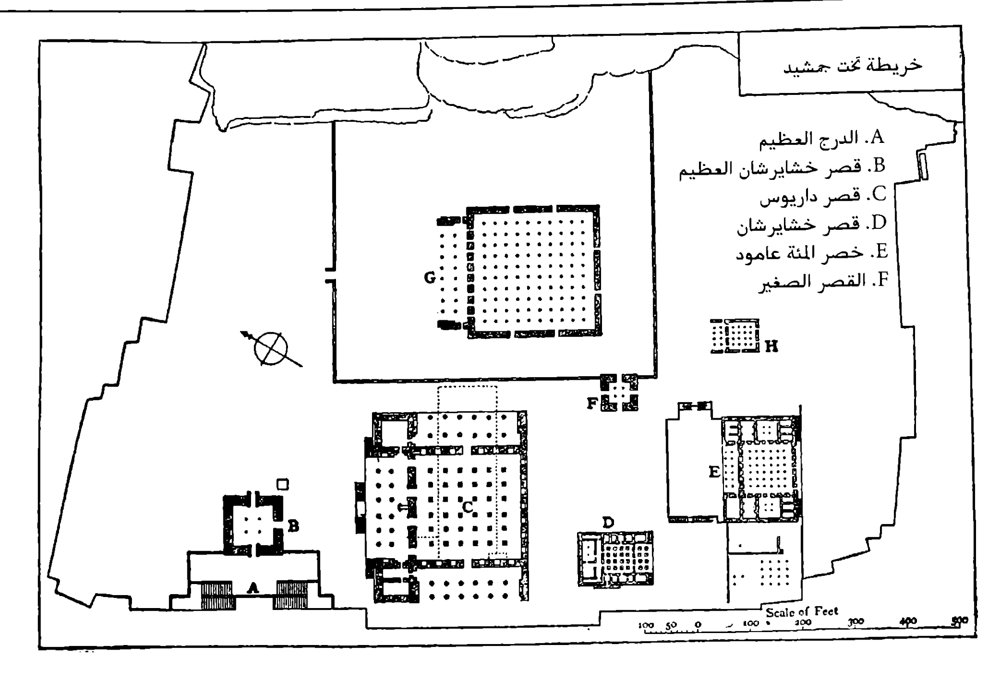

النقش XPg


نقش يعود إلى داريوس الأول

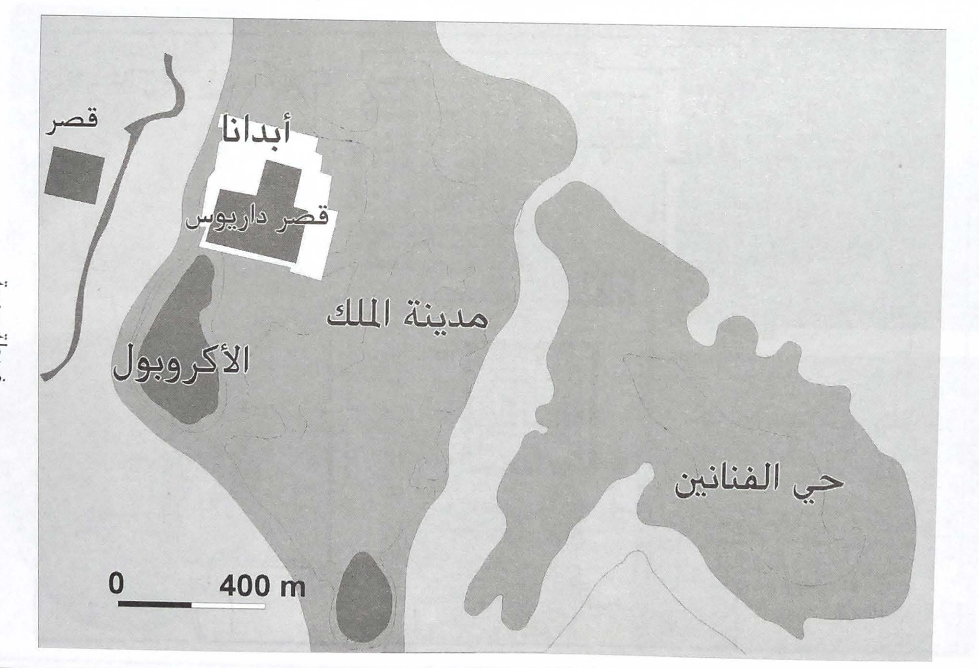
نقش بيستون الأسطر(DB I 1-15)اكتشفه ابن حوقل


نقش كتابي عيلامي

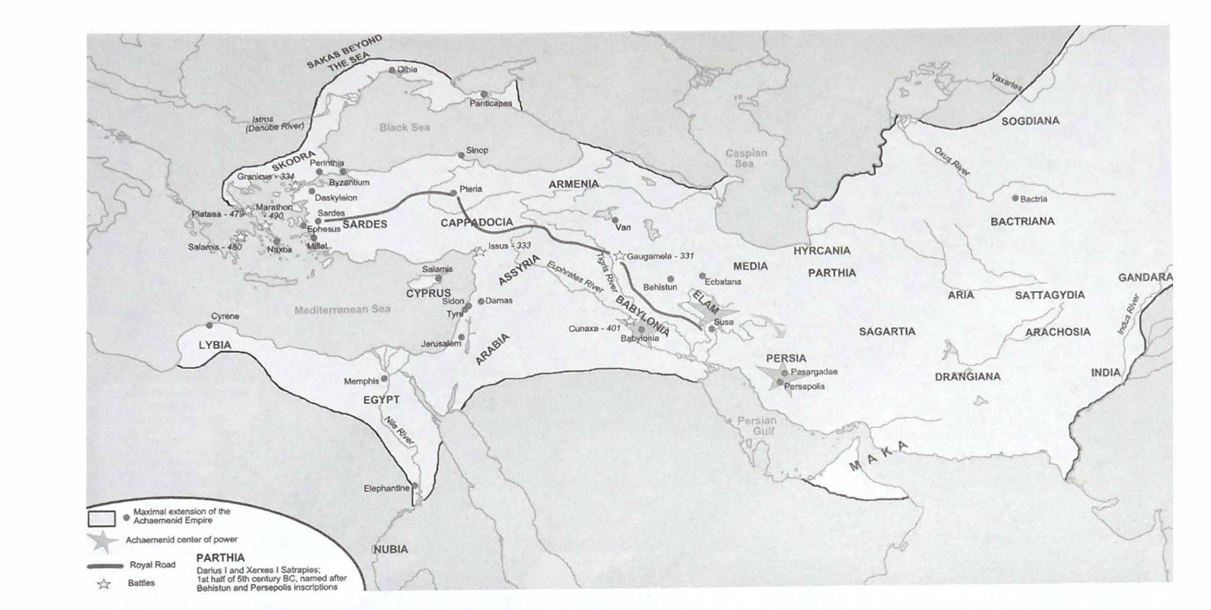

نقش ديدا



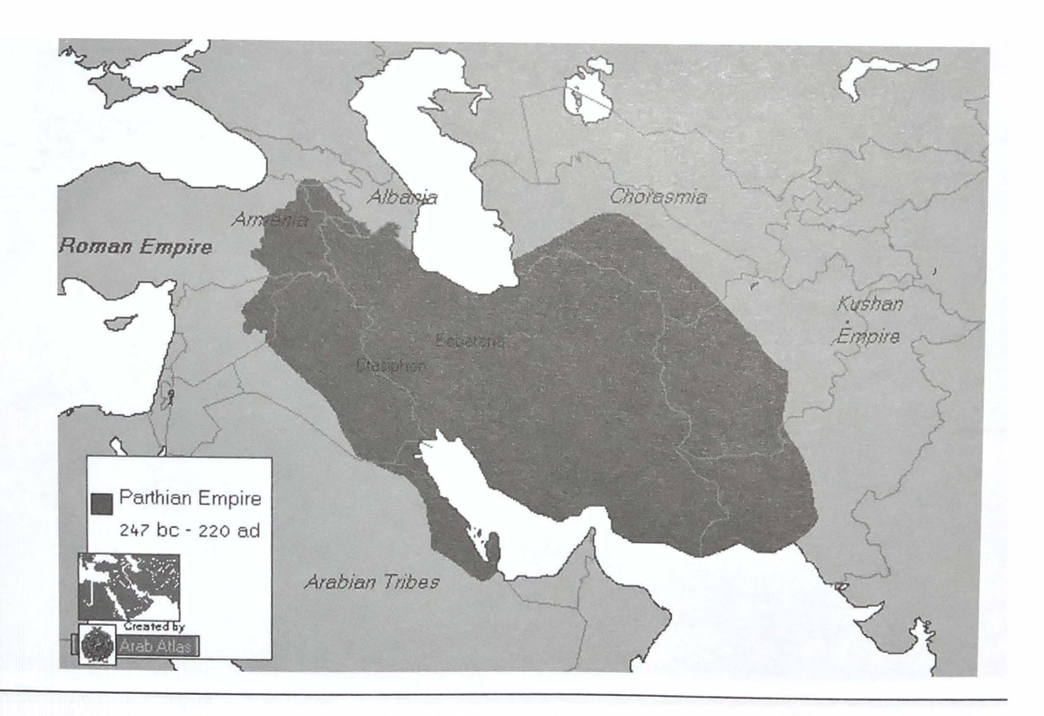
خريط تخت جمشيد


قصر
أبدانا
قصر داريوس
مدينة الملك
الأكروبول
حي الفنانين
0
400 m

خريطة سوسة



الإمبراطورية الإخمينية (هخامنشيان)



الإمبرطورية الفرتية



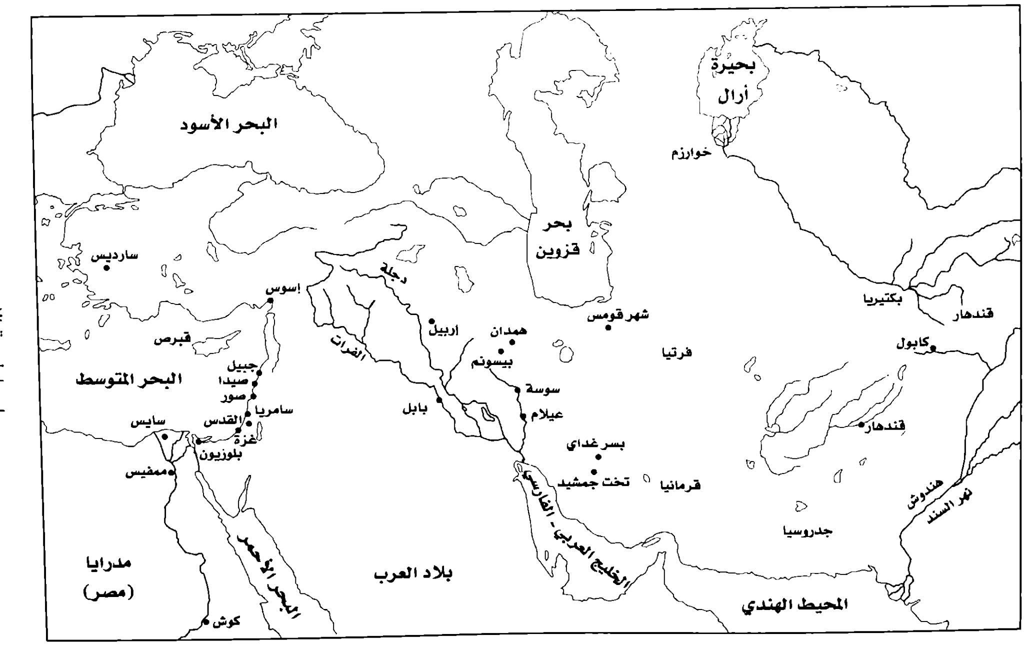
إمبرطورية الإسكندر المقدوني 334-323 ق ت س



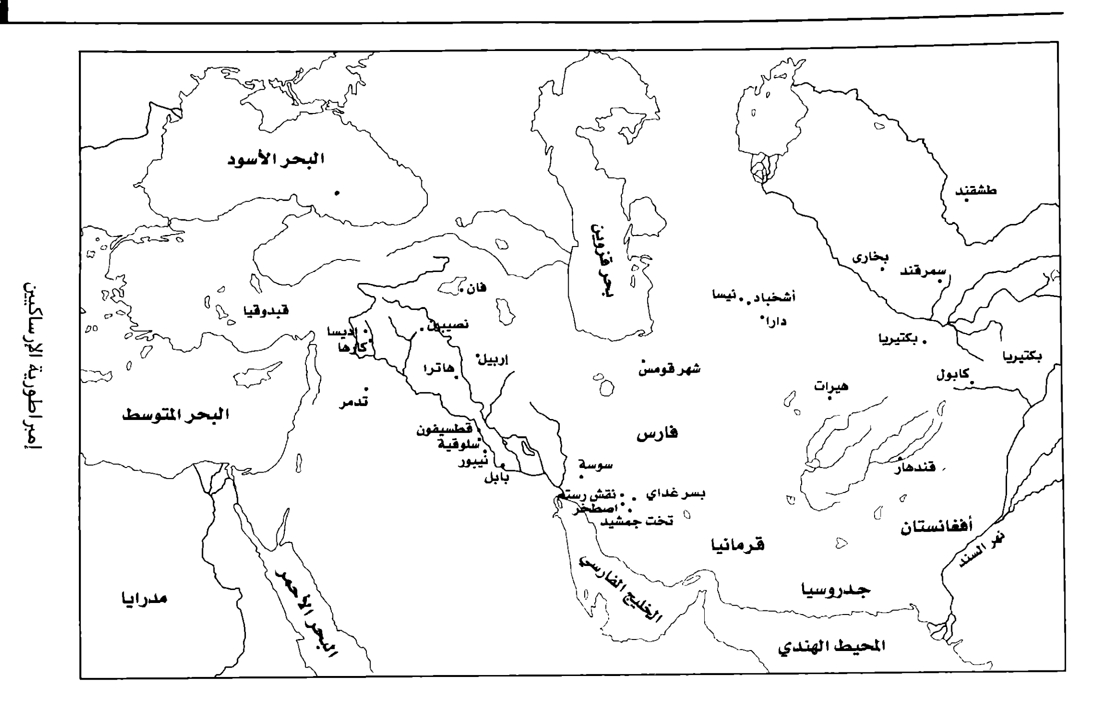
بيزنطة في عهد جسطنيان


Indischer Ozean
Kaspisches Meer
Gelbes Meer
Rotes Meer
Pazifik
T a k l a m a k a n
A r a b i e n
I n d i e n
Bagdad
Palmyra
Aleppo
Gaza
Petra
Medina
Mekka
Merw
Meschhed
Buchara
Taschkent
Taraz
Aksu
Kucha
Dunhuang
Urumchi
Almaty
Kabul
Taxila
Lahore
Multan
Delhi
Baku
Karakorum
Shangdu
Peking
km
0
500
1000

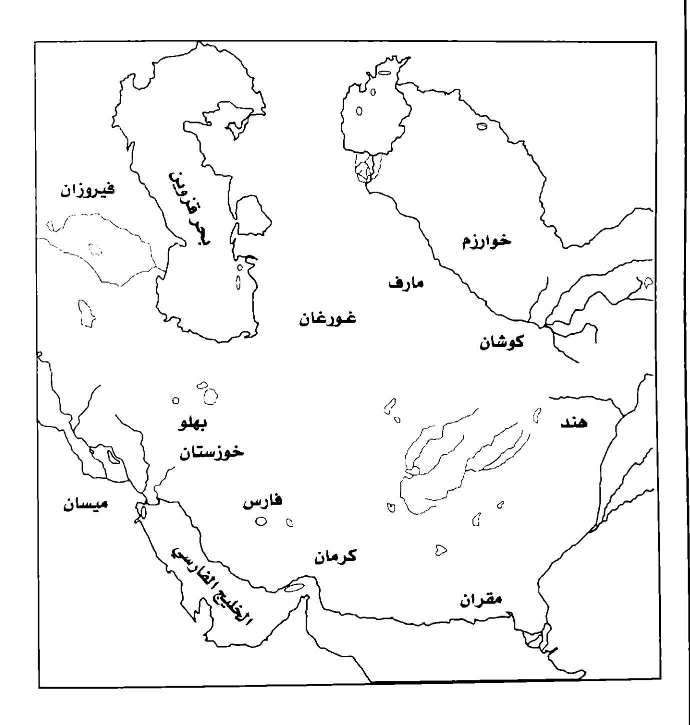
درب الحرير



إمبراطورية الإخمينيين



إمبراطورية الإرساكيين



إمبراطورية الساسانيين

Fritz Gschnitzer zum 6. Januar 1994

Bibliographische Information der Deutschen Bibliothek
Die Deutsche Bibliothek verzeichnet diese Publikation
in der Deutschen Nationalbibliographie;
detaillierte bibliographische Daten sind im Internet
über http://dnb.ddb.de abrufbar.

Umschlaggestaltung: butenschoendesign, Lüneburg
Umschlagmotiv: Relief eines Kriegers, Persepolis,
Zeit des Dareios I., 521–486 v.Chr.
Printed in Germany
ISBN 3-491-96151-3
www.patmos.de

Josef Wiesehöfer

Das antike Persien

Von 550 v. Chr. bis 650 n. Chr.

Albatros



نحن ندين لجهات ليس آخرها الرواية العربية الاسلامية، ونذكر هنا كتب مثل الطبري أو المسعودي، عن التاريخ الأسطوري والتاريخ المبني على علم التاريخ، وأعني تاريخ الملوك والأبطال الإيرانيين، كما أعني أيضاً المنجزات الثقافية وخدمات الوساطة التي ظلت باقية لرعاياها ذوي الأصول المتباينة إلى أقصى الحدود، سواء أكان ذلك في الإهاب التاريخي الأصيل، أم كان في الإهاب الأدبي، أم في الإهاب ذي الصبغة الخاصة بآلام المسيح وخلاصه. وأخيراً: فهذا الكتاب يرسم لنفسه أيضاً الهدف المتمثل بالتذكير بالإنجازات الحضارية الكبرى للشرق، والذي تهيمن عليه السمة الفارسية أو الفرتية أو الساسانية، على أساس تقويم جديد للرواية والمتمثل في الوقت نفسه، في التحذير من استخدام التاريخ من أجل أهداف تسويغية مفرطة في الانكشاف. ولعل ما يمتنع من تلقاء ذاته، في ظل عملية الرجوع الى العصر القديم، مثلاً، المصادرة الخاصة بتفوق حضارة معينة على الحضارات أخرى؛ مثل تفوق الحضارة الإيرانية على الحضارة العربية، أو النقيض بالنقيض، والدفاع عن عداء يقال إنه يماثل القانون الطبيعي بين العرب والإيرانيين، وبين العرب واليونان. ومن نبوخذنصر، وقورش الكبير، والإسكندر أو كسرى أنو شروان، وهو كسرى العادل الذي يرد في الرواية الإسلامية، لا يفضي طريق مباشر، بل لا يفضي إلا طريق ملتوٍ الى أقصى الحدود، الى عصرنا الحاضر.

وأنا ممتن لكل من أسهمو في نشوء هذه الترجمة وآمل أن يتمكن هذا الكتاب من أن يزيد كثيراً من البشر الناطقين بالعربية قرباً من تاريخ الشرق الأدنى القديم، منذ أيام قورش الأكبر الى نهاية امبراطورية الساسانيين.